

مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

مجلة

مجمع اللغة العربية

على الشبكة العالمية

السنة الثانية

العددان الثالث والرابع - رجب ١٤٣٥هـ مايو ٢٠١٤م

مجلة علميّة، محكّمة، تُعنى بنشر البحوث والدّراسات في اللّغة العربية، ونشر قرارات المجمع وتنبيهاته ومقالاته وفتاويه

(تصدر كلَّ أربعة أشهر)



الراعي الفخري للمجمع

أهداف المجلة

- تهدف المجلة إلى نشر البحث العلميّ في مجالات اللّغة العربية بجميع علومها، ونشر قرارات المجمع وتنبيهاته ومقالاته وفتاويه اللّغوية، كما تهدف إلى جمع ومتابعة قرارات المجامع السابقة، وتوصيات المؤتمرات والندوات العلمية .. والمفضّل للنشر لديها من البحوث هو:
  - الدّراسات التي تخدم اللّغة العربية تيسيرًا، وتقريبًا، وترغيبًا، وتصفية.
  - البحوث المعنيّة بدراسة تأصيل وتصحيح وتعريب وترجمة وشرح الألفاظ والأساليب واللهجات والمصطلحات.
  - التراث المحقق.

منهاج نشر البحث العلميّ والمقال في المجلة :

١- أن يكون ذا أصالة وجدّة، مبنيًّا على قواعد البحث العلمي، وأن لا يزيد عن ٧٠ صفحة.

٢- أن لا يكون منشورًا ومقدّمًا للنشر في جهة أخرى، وأن لا يكون مُستلاًّ من بحث سابق للمؤلّف.

٣- أن يقدّم صاحب البحث نبذة موجزة بسيرته العلمية، وملخّصًا عن بحثه باللّغتين (العربية والإنجليزية).

٤- تخضع البحوث الواردة إلى المجلّة للتحكيم العلمي.

٥- يمنح ذوو البحوث المنشورة مكافأة رمزية.

٦- كلّ رأي مقرون بالدّليل أو النظر .. يسعُ المجلّة قبوله، وما كان دون ذلك فمسؤوليته على قائله أو ناقله.

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

المملكة العربية السعودية - ص ب: ٦٥٥٩ مكة: ٢١٩٥٥

هاتف وفاكس: ١٢٥٤٠٢٩٩٩ ٠٠٩٦٦ — جوال: ٥٥٤٠٢١٩٩٩ ٠٠٩٦٦

E.M: m-a-arabia@hotmail.com WEB: www.m-a-arabia.com

الصف والإخراج الطباعي: عدنان السيامي

ثمن المجلة: في المملكة العربية السعودية والبلاد العربية ٢٠ ريالا. وفي خارج الوطن العربي: ٦ دولارات.

الاشتراكات السنوية للأعداد الثلاثة: للأفراد ١٥٠ ريالا أو ٥٠ دولارا في الخارج، للهيئات والمؤسسات والدوائر الحكومية ٣٠٠ ريال، أو ١٠٠ دولار في الخارج.

ترسل الاشتراكات بشيك بنكي باسم: **مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية**.



الهيئة الاستشارية

المحتوى



كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسّلام على رسوله الأمين، وعلى آله الطَّيبين، وصحابته أجمعين.. وبعد:

فهذان هما العددان (الثالثُ والرابعُ) من مجلة المجمع، آثرنا أن يُجمعا معًا، وأن يُلَزَّا في قَرَنٍ، ليقبضا بجناحين غُدافين[1]، على بحوث متينة، وقرارات وتنبيهات مكينة، ومقالات رصينة، وفتاوى لغويّة أمينة، استجبنا في مجموعها[2] لما اقترحه بعض الأوفياء من صدورها عن لجنة قائمة، أو دائمة، حتى تكون أقوالُها أقوى لها، وسِجالُها أسْجى لها، ولم نعجل بعجلة الباحثين، الَّذين أرسلوا وارداتِهم إلى بريد المجمع - وهم كُثُر - لِمَا أخذته هيئة التحرير على نفسها من الأخذ بمجامع الصَّرامَة في تحكيم البُحوث، ونعتذر إلى من لم تحظَ بُحوثُهم بالموافقة، أو زاغ عنها بصر المجلّة أوّل مرَّة؛ عن قصْد؛ لِما لَمحْته من تعثّر في اللّحاق بمنهاجها المرسوم، ونشكر لهم جميعًا قصدَهُم مَجلّتهم، ونشكر لكلٍّ من أعانَ برأي أو اقتراح، أو عبّر لنا عن إعجاب وانشراح.

وباسم هيئة المجلّة الاستشارية، والتحريرية، وباسم نائب رئيس التحرير، وباسمي نقدّم الشكر الوافر المتضافِر لداعم المجمع ومجلّته،

---

(١) طويلين وافِرَين.

(٢) لا في جميعها، لأننا ألحقنا بها بعض أسئلة سابقة صادرة عن أصحابها، قبل وضع اللجنة.



الوفيِّ لبلده ولغته، **الشيخ/ مشعل بن سرور الزايدي**، كثّر الله في المسلمين من أمثاله، وأمده بتوفيقه وإفضاله.

ونودّ بهذه المناسبة أن نعلن عن استعداد المجمع بطباعة ونشر الرسائل العلميّة الفائقة، الدائرة في فلك اللّغة العربية، بجميع فنونها.

والله المسؤولُ أن يوفّقنا لخدمة لغة كتابه، وأن يهدينا إلى طريق الحق وصوابه، وأن يؤَيِّدنا برُوح منه، فإنه لا حولَ لنا ولا قوةَ إلاَّ به.

رئيس تحرير المجلة

رئيس المجمع

د. عبد العزيز بن علي الحربي

القسم الأول:

القرارات والتنبيهات



أولا: القرارات

الموضوع الثالث

مخاطبة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية أصحاب المعالي والسعادة المسؤولين بشأن العناية باللغة العربية والنهوض بها، وتذكيرهم بمسؤوليتهم نحوها.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد؛

فلا يخفى على المتابع لأحوال اللغة العربية في الداخل والخارج، ما تعانيه لغتنا الجميلة من صدود وإهمال وازدراء وغربة وقطيعة وإعراض من أبناء الأمة العربية في سائر الأمصار.

وخير شاهد على ذلك، الواقع المشاهد للغتنا العربية في عالمنا العربي والإسلامي في الميادين المختلفة، في التعليم والإعلام والثقافة والمؤسسات العامة والخاصة، ولا شك أن هذا يحمل كلَّ محب للغة العربية على العمل الجاد، والمحاولات الصادقة الحثيثة للارتقاء بمكانة لغة القرآن، وتصحيح أوضاعها، لتعود لها مكانتها وهيبتها ووضعها اللائق بها بين بقية لغات العالم.

وانطلاقا من هذا الهمّ، وحرصًا من المجمع على مستقبل لغة الضاد، تباحث أعضاء المجمع في وضع اللغة العربية ومكانتها، لإيجاد آلية يحاول المجمع من خلالها وضع اللغة العربية على بداية طريق الريادة من جديد، فكانت نتيجة تلك المباحثات، وهذه المشاورات الاتفاق على

إصدار قرار مجمعي لمخاطبة السادة المسؤولين، وأصحاب القرار في عالمنا العربي والإسلامي، تذكيرًا لهم بتلك المهمّة الملقاة على كواهلهم، وتأدية للأمانة التي استرعاهم الله إيَّاها، وقيامًا بالدور المنشود لخدمة لغة الوحي الكريم .. وهذا هو القرار الصادر عن المجمع بشأن هذا الأمر الجلل:

القَرارُ الثالثُ

(غرّة شَهر رَبيع الثاني ١٤٣٥هـ)

مخاطبةُ مَجمع اللُّغة العَربية على الشَّبكة العالمية أصحابَ المَعالي والسَّعادةِ المَسؤولين بشأن العِناية باللُّغة العَربية والنُّهوض بها، وتذكيرُهم بمسؤوليتهم نحوَها.

مِن مجمع اللُّغة العربية على الشَّبكة العالَمية إلى :

- أصحابِ المعالي والسَّعادة وُزراءِ الدُّوَلِ العَربية والإسلاميّةِ في ميادينِ التعليمِ والثّقافَة والإعلام.
- الأمَناءِ والمديرين العامِّين للمُنظَّماتِ والاتّحاداتِ وجَمعياتِ المجتمعِ المدنيِ ومُؤسَّساته
- إلى كُلِّ غَيور على لغة الضّاد، من العُلماء والباحثين والأساتذةِ وطلابِ العلم.

السَّلامُ عليكُم ورَحمة الله وبَركاتُه .. وبعد:

يتقدّمُ مجمَعُ اللّغةِ العَربيةِ عَلى الشَّبكةِ العالَميةِ من مَهبطِ الوَحي ومَهوى الأفئدة، أمِّ القُرى مكّةَ المكرّمَةِ، بنداءِ إليكُم، يَدعوكُم فيه إلى النّظرِ في ما آلَ إليْه وَضعُ اللغةِ العَربيةِ في بُلدانِنا ومُجتمعاتنا.



وإنّ مَجمَعَ اللُّغة العربيّة على الشّبكَة العالَميّة، بعدَ أن تَدارسَ واقعَ اللّغة العَربية في العالَم العربيّ والإسْلاميّ، في ميادينَ مختلفةٍ، في التّعليمِ والإعلامِ والثّقافَةِ والإدارَةِ والمؤسَّساتِ العُموميّةِ والخاصَّةِ، انتَهى إلى أنّ اللغة العربيّة تعاني هجرانًا وإهمالاً وازدراءً، يزدادُ يومًا بعدَ يومٍ، وقد ابتُلِيَت لغةُ القرآن الكَريم بما ابْتُلِيَ به دينُ الله عزّ وجلّ من غربةٍ وقَطيعةٍ وإعراضٍ، فباتَت مُجتَمَعاتُنا وبُلْدانُنا مهدّدةً بالتّفكّكِ والسُّقوطِ المريع في مَهاوي الانهيارِ المُبرَم، وما يتبعُ ذلِك مِن ذَوبانٍ في سياساتِ البلدانِ الغربيّةِ وقَوانينِها المستورَدةِ التي ما أنزلَ الله بها من سُلطان.

وبالنّظرِ إلى هذه الأحوالِ المزريةِ، بَدا للمَجْمَعِ - حرصًا على الحفاظِ على ثَوابتِ الأمّةِ وأصولِها التي فيها عصمةُ أمرِها - أن ينهضَ بمسؤولياتِه التي اضْطلَعَ بها مُنذ نشأته ويُخاطبَ السادةَ المسؤولينَ في الميادين التي تتولونَ مسؤولياتها، ويُكاتبَ الجهاتِ المَعْنيةَ في الأمةِ من أهل سياسةٍ وعلم وثقافةٍ وإعلامٍ وتَعليمٍ وشؤون عامّةٍ وخاصّةٍ، وكلّ المؤسساتِ المعنيّةِ بمصالحِ الأمّةِ العربيّة، الإسلاميّةِ بشأنِ إعادة النظر في حال استعمال اللغةِ العربيّةِ ومُعاملتِها، ليدعُوَها ويناشدها أن تُبادرَ إلى رَفْعِ الشأن اللغويّ العربيّ إلى سقفِ اهتماماتِها وجَعْل ذلِك حالةً من حالاتِ الطّوارئ القُصوى المُنذرةِ بالانفجارِ والهَلاكِ، وذلِك لإخراجها من الحصارِ المضروب عليْها، إلى فَضاء الاستعمالِ والتداوُلِ والاعتمادِ؛ فإنّ في استردادِ الأمّةِ للغتِها التي بها بعد الدّينِ عزّةُ أمرِها، استردادًا لشَخصيتِها التي باتت مهدّدةً بالذّوبانِ والاختفاءِ التامّ.

ولن تَسْتَعيدَ اللغةُ العربيّةُ مكانَتَها التي تستحقُّها، بوصفها لغةَ الدين والحَضارَة والعلم والحياة، في مُجتمعاتِنا العَربية والإسلاميّة، إلاّ إذا بادرَ

السادةُ المسؤولونَ إلى اتخاذِ الإجراءاتِ والسبُل الكَفيلَة بِفكِّ طوق العزلة عن العَربية وتمكينِها مـن العَـيش الكَـريم في عالَمنـا المعاصِـر، تَـداوُلاً وتواصُلاً ومواكبةً للعصر، وعلـى رأس الإجـراءاتِ المطلـوب اتّخاذُهـا لحمايةِ العربيةِ والتَّمكينِ لَها رسمُ خططٍ وتصميمُ سياساتٍ مناسبَةٍ واقتراحُ مبادراتٍ لإنفاذ التَّوصيات الصّادرةِ عن المؤتَمَرات الدّوليّة المنعقدَة حول اللغة العربية، ومتابعَتها لإخراجِها إلى حيّزِ الوُجود والاستعمال والتّداولِ والتّمكينِ في السياساتِ الرسميّةِ والحياةِ العامّةِ. ويأمل المجمعُ أن تشملَ تلك الإجراءاتُ إصدارَ قراراتٍ مُلزِمةٍ بشأن ما يلي:

١- التَّخاطبُ بالعربية والكتابةُ بها في المؤتمراتِ العلميـة والمحافِـلِ الدّوليةِ والاجتماعيّة.

٢- تَعريبُ التعليمِ الجامعيّ كُلِّه، ولا سيما مجالات الطّبّ والهندَسةِ والحاسوب والعلوم.

٣- مَنحُ الأولويـة والتميـزِ لمتخصِّصـي اللغـة العَربيـةِ في المجتمـعِ ومجالِ التعليم وغيرِه.

٤- تَعريبُ الشّارع العربي، بالتزامِ العَربيةِ في الإعلاناتِ والـدّعايات واللاّفتاتِ وعَناوينِ المحلاّتِ والعَقارات ... إلخ.

٥- تَعريبُ المنتَجاتِ التجاريةِ الصادرةِ والمستَوْرَدة.

٦- رفعُ مستوى البحثِ العلميّ في اللّغة العربيةِ.

٧- تكثيفُ تعليمِ العربيـةِ ورفـعُ مُسـتواه في جميـع مراحـلِ التعلـيم ولا سيما المرحَلَة الابتدائية.

مجمع اللّغة العربية على الشبكة العالمية



الموضوع الرابع

لمجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

إطلاق لفظ (الحروف الأبجدية) مكان (الحروف الهجائية)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد؛

فلا يخفى على المتابع لأحوال اللغـة العربيـة في الـداخل والخـارج، ما تعانيه لغتنا الجميلة من صدود وإهمال وازدراء وغربة وقطيعة وإعراض من أبناء الأمّة العربية في سائر الأمصار.

فقد ناقش أعضاء المجمع الموضوع المحال إليهم من رئيس المجمع، المتعلق بالاستعمال الشائع على ألسنة كثير من العامّةِ والخاصّة في إطلاق الأبجدية مكان الهجائية .. وقد أحيل الموضوع المـذكور مقرونـا بمقالـة سابقة لرئيس المجمع ..

وهذه صورة الخطاب والمقال :

أولا : خطاب رئيس المجمع

أصحاب السّعادة أعضاء المجمع المكرمين

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد:

أهديكم التحية المباركة الطيبة .. وأعرض على سعادتكم اقتراحًا بشأن لفظة من الألفاظ مما يعد من الخطأ الشـائع في رأيـي، ولكـني أريـد أن

يكون الرأي للمجمع مبنيًّا على آرائكم لنتخذ بذلك قرارا يجيز أو يمنع أو يرجح.

واللّفظة المنوّه عنها هي (الأبجديَّة) فإن كثيرا من الخاصّة يستعملها مرادفة لحروف المعجم؛ فيقولون: هذه المسائل مرَتَّبةٌ على الحروف الأبجديَّة، يريدون الحروف المعجمية، أو الهجائية، أو ألف باء.

ولي مقالٌ موجز كتبته منذ بضع سنين، أرسله لكم معه، للاطلاع والإفادة لاتخاذ قرار بشأن اللفظة المذكورة بحسب ما تصل إليه مباحثاتكم وآراؤكم.

والله يحفظكم ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أخوكم

رئيس المجمع

د . عبد العزيز بن علي الحربي



ثانيا : المقال

الحروف الأبجدية !

يُخْطِئُ من يقول: الحروف الأبجديّة؛ يريد بذلك: حروف الهجاء (أ، ب، ت، ... ي) وهو خطأ شائعٌ يزلُّ فيه اللسانان (والقلم أحد اللّسانين) لأن حروفَ (أبجد، هوّز ...) لها ترتيب آخر غير ترتيب الهجاء وهي:



(أبجد، هوّز، حُطِّي، كَلَمُن، سَعَفَص، قَرَشَت، ثَخَذْ، ضَظَغْ)، ويمكن أن تُقرأ على طريقة الشعر في بيت واحد من بحر المتدارك الذي زاده الأخفش :

أبجْدْ، هَوَّزْ، حُطِّيْ، كَلَمُنْ سَعَفَصْ، قَرَشَتْ، ثَخَذٌ، ضَظَغٌ

وقرأناها في الكتاتيب (ثَخَّذْ، ضَظَّغْ) بتشديد الخاء والظاء، وتسكين ما بعدهما، وضبَطَها شارحُ القاموس بفتح فسكون. وفي أساطير الأولين ما يفيدُ أن أحد ملوك مدْيَنَ كان له ستة أبناء؛ وهذه أسماؤهم. وكان (أبجد) ملكًا على مكة، (وهوَّز، وحطِّي) بالطائف ونجد. ولم يكن (ثخذ، وضظغ) في مُعجم أهل مدين، فألحقها أهل الحجاز. وقال رجل من آل مدين يرثيهم :

ملوك بني حُطّي وهوَّازُ منهمُ وسَعْفَصُ أهلٌ في المكارم والفَخرِ
هم صبَّحوا أهل الحجاز بغارةٍ كمثلِ شعاع الشمس أو مطلعِ الفجر

ويقال: أصلُها: (أبو جاد، هوّاز) كما يدل عليه هذا الشعر، ولكنهم خفّفوه بالحذف. وللمغاربة ترتيب آخر يختلف فيه موضع بعض الحروف؛ كالشين والسين. وتستعمل حروف (أبجد) استعمالين: أحدهما: في الحساب، والآخر: في الطلاسم.

والمقصود: أن من يقول: الحروف الأبجدية، مريدًا بذلك حروف الهجاء فهو لاحِنٌ، والصواب أن يقول: الحروف المعجمية، أو الهجائية، أو الألِفْبائيّة، أو حروف المعجم، أو: حروف الهجاء، أو حروف ألف باء. ا هـ.

والمقال منشور في كتابي (لحن القول).

عبد العزيز بن علي الحربي

ردود المجمعيين

جاءت ردود الأعضاء الأفاضل المعنيين بمناقشة الموضوع على النحو الآتي:

قال أ. د. عبد الرحمن بو درع (نائب رئيس المجمع) :

سَعادةَ رئيس مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية الدكتور عبد العزيز الحربي - يحفظه الله - عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ...

أشكر سعادتَكم على ما بعثتموه إلى أعضاء المَجمَع من استشارَة علمية في اقتراح بشأن خطأ شائع، وهو قولُهم: (الأبجديَّة) للدّلالة على حروف المعجم. وقد اطّلعْتُ على المَقال الموجَز المُركَّزِ الذي بسطتُم فيه رأيَكم في الموضوعِ، وتبيَّن لي بما لا يَدَعُ مجالاً للشكّ أنّ المُقتَرَحات التي قدّمتُموها وهي: الحروف المعجمية، أو الهجائية، أو الألِفْبائيّة، أو حروف المعجم، أو: حروف الهجاء، أو حروف ألف باء، تُغني عن استعمال اللفظ الشائع. والله يحفظكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال أ. د. الشريف حاتم العوني (عضو المجمع) :

أوافقكم الرأي في أن استعمال لفظة الأبجدية بمعنى ترتيب الحروف الهجائية أو الألفبائية أو المعجمية خطأ؛ لأن ترتيب الأبجدية مختلف عن ترتيب الألفبائية .

لكن إطلاق الأبجدية على حروف الهجاء، دون مراعاة الترتيب، جائز؛ لأن الأبجدية هي هي حروف الهجاء . فمن قال: تعلمت الحروف



الأبجدية، وقصد أنه تعلم حروف العربية، فهو مصيب. ولكن لو قال رتبت الكتاب على الأبجدية، وهي مرتبة على حروف المعجم، فهو مخطئ .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال أ . د . عبد الله عويقل السلمي (عضو المجمع) :

أرى أن الحروف الهجائية غير الأبجدية من حيث الترتيب ... بدليل الترتيب البحثي الشهير الذي يستعمل الأبجدية (أ. ب. ج. د)، وتحويه معظم الرسائل والكتب الحديثة.

أما الهجائية فهي الحروف التي تبدأ بالألف فالباء فالتاء وتنتهي بالياء .. ولا أرى حاجة لنحت أسماء جديدة أو الخلط بينهما.

هدفنا في المجمع الوصول إلى صائب القول المستساغ نطقا واستعمالا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال د . سليمان خاطر (عضو المجمع) :

السلام عليكم - سعادة رئيسنا المفضال - ورحمة الله وبركاته.

وأسأل الله أن تكون أنت والعاملون معك في مكتب مجمعنا بكل خير وصحة وتوفيق.

ما أظن أن اثنين يختلفان في خطأ القول:(الحروف الأبجدية) مرادا به حروف العربية مطلقا؛ لأن حروف العربية تسمى حروف الهجاء، ولها ترتيبان معروفان. الأول: الترتيب الأبجدي والآخر: الترتيب الألفبائي

الذي أصبح يطلق عليه عند بعضهم حديثا الترتيب الأبتثي، على وزن الأبجدي. ولا أرى بأسا بذلك.

والموضوع يدخل في دائرة تحرير مصطلحات العربية في الحياة العامة، والخطأ الاستعمالي والدلالي الذي أشرتم إليه من أخطاء التجوز عند العامة وربما وقع فيه كثير ممن يعدون في الخواص اليوم.

وعليه لا أرى مانعا من أن يصدر المجمع تنبيها على هذا الخطأ مع بيان للصواب، وإن كنت أرى أن الفائدة ستعم إذا جعل التنبيه أو القرار تحريرا عاما لمصطلحات الحروف في العربية، بعد الاطلاع على إفادات السادة أساتيذنا الكرام من أعضاء المجمع. والله الموفق.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال د/ عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري (عضو المجمع) :

الحمد لله، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد: فالحروف العربية هي حروف المعجم المعروفة في الكتابة العربية، وتبدأ في الترتيب الشائع من الهمزة إلى الياء، وليس للعرب حروف غيرها، وتُرتَّب هذه الحروف ترتيبات مختلفة أشهرها ما يلي:

١. الترتيب الأصلي والأقدم، ويسمى بـ «الترتيب الأبجدي: وهو: أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت، ث، خ، ذ، ض، غ، ظ»، ويوجد بعض الخلاف بين المصادر في تريب بعض الثمانية الأخيرة منها.

٢. الترتيب الألفبائي، وهو قسمان: الأول: ترتيب أهل المشرق العربي، وهو : أ، ب، ت، ث، ج،ح، خ، د، ذ، ر، ز، س،ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، ه، و، ا، ي.



الثاني: ترتيب أهل المغرب العربي، وهو: : أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هـ، و، لا، ي. وقد ذكر أبو عمرو الداني في كتابه (المحكم في نقط المصاحف) علة كل ترتيب من ترتيبي المشارقة والمغاربة في (ص٢٥/ ط٢: دار الفكر ١٤٠٧هـ).

٣. الترتيب الصوتي الذي يراعى فيه ترتيب المخارج من أولها في الحلق إلى آخرها في الفم، وهو: حروف الحلق، وهي :(أ، هـ، ع، ح، غ، خ) ثم حروف اللهاة، وهي: (ق، ك) ثم حروف الوسط وهي: (ج،ش،ي، ض) ثم حروف طرف اللسان، وهي: (ل، ر، ن)، و(س، ص، ز)، و(ط، د، ت). ثم حروف الشفتين وهي (و، ب، م). وفي ترتيب المجموعات الثلاث من حروف طرف اللسان بعض الخلاف.

هذه الأصناف الأربعة كلها تسمى بالحروف العربية، ويقال لها أيضا: الحروف الأبجدية، نسبة إلى المجموعة الأولى؛ لأن ترتيبها هو الأصل القديم، ويقال لها أيضا: الألف بائية، و: حروف ألف باء؛ لأنها كلها تبدأ بـ(الألف والباء) ماعدا المرتبة صوتيا، ويقال لها أيضا: الحروف المعجمة، وحروف المعجم؛ ومعناه: الحروف التي أُزيل إبهامها ـ وهو العُجمة - ببيانها وإيضاحها بالنقط (انظر: تهذيب اللغة للأزهري مادة «عجم»)، وكذا (اللسان) لابن منظور.

فمن سمّاها باسم من هذه الأسماء المتقدمة فقد أصاب؛ لِما تقدم. وأما من أراد الترتيب فلا يصح أن يقول: «مرتب على الحروف الأبجدية» أو: «على الترتيب الأبجدي» إلا إذا كان المكتوب مرتبا على ترتيب «أبجد هوز ...». وقد شاع عند بعض الطلبة هذا الخطأ، يرتبون الترتيب

الألفبائي ثم يقولون: مرتب على الحروف الأبجدية! هذا خطأ، بل الصواب أن يقال: مرتب على حروف ألف باء، أو: الألفبائية، أو: حروف المعجم؛ لأنه يريد تسمية الترتيب، وليس تسمية الحروف، والفرق بينهما كما وضحته. والله أعلم .

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

وقال أ. د . صادق عبد الله أبو سليمان (عضو المجمع) :

تحياتي للرئيس الهمام الذي لقلمه ينشط الرجال، وتُحفز الأقلام. وبعد:فإني مرسل لسعادتكم رأيي في هذه القضية (ترتيبا رموز الحروف العربية والمصطلح الدال عليهما) فقد جاء في رسالتكم بشأن مصطلح (الحروف الأبجدية) ما نصه: ليكون قرارا إن شاء الله تعالى: أن من يقول: الحروف الأبجدية، مريدًا بذلك حروف الهجاء فهو لاحِنٌ، والصواب أن يقول: الحروف المعجمية، أو الهجائية، أو الألِفْبائيّة، أو حروف المعجم، أو: حروف الهجاء، أو حروف ألف باء. ا هـ.

وأقول في هذا السياق: لقد التفتُّ إلى هذا المصطلح منذ زمن، واستعملته لغزًا في مسابقةٍ ثقافيةٍ حين وجهته سؤالاً لأحد أصدقائي من معلمي اللغة العربية، وذلك لأنه كان كلما سألت سؤالاً في اللغة العربية أسرع مجيبًا دون أن يكون هو المختار للإجابة؛ فقلت في نفسي سأجعله أحد المتسابقين، وسأسأله سؤالاً بسيطًا لا يستطيع إجابته، وكان السؤال: هل تستطيع أن تذكر لنا" الحروف الأبجديةَ" وفق ترتيب العلماءِ لها؟ فاندفع صديقي معددًا ومرتبًا على هذا النحو: (أ ب ت) حينئذ قاطعته بقولي: الإجابة خاطئة. فصُعق المسكينُ لهذ القول؛ لأنه لم يتدبر، وراح يتساءل لماذا .. لماذا .. لماذا؟؟؟، ثمَّ اقتنع. وحاصل الأمر عندي الآن:



إنني أرى أن مصطلحات(الحروف المعجمية، أو الهجائية، أو الألِفْبائيّة، أو حروف المعجمِ، أو: حروف الهجاء، أو حروف ألف باء) تدل على الترتيبين؛ لأن كلاً منهما يبدأ بألف باء، ثم يكون الافتراق بينهما ترتيبا، وأن كلا منها حروف معجم، وحروف هجاء، وحروف أبجدية أيضا.

وأنا أرى أن هذه المصطلحات التي جاءت في دراسة سعادة رئيس المجمع مترادفة في دلالتها على الترتيبين، وأن مطلِقَ أيٍّ منها على الترتيب الأبجدي ليس لاحنا، وسأستعين في رأيي بمصطلح قرأته منذ زمنٍ في كتابٍ ما لا أتذكره الآن، وهو مصطلح «الترتيب الأبتثي» الذي جاءً دالاً على ترتيب (أ ب ت ...)، وهو مصطلحٌ شفا غليلي؛ لأني كنت أرنو إلى التفريق بين الترتيبين بمصطلحين فارقين. وعليه فقد رأيت أن التفريق بينهما يتمُّ على هذا النحو:

- استعمال مصطلح «الترتيب الأبتثي» للدلالة على ترتيب الحروف على هذا النحو:(أ ب ت ث ج ح خ ... إلخ). وقد استعملت هذا المصطلح في كتابي (العمل المعجمي قبل العصر الحديث، ط١/ ٢٠٠١م)، وكذلك في كتابي (التثقيف في اللغة العربية، ط١/ ٢٠٠١م) وفي الطبعة الخامسة لهذا الكتاب (٢٠١٣م) استعملت مصطلح «الأبتثائي» أيضا. أمّا مصطلح «الأبجدي» فقد أبقيته على حالهِ دالاً على ترتيب الحروف على هذا النحو(أ ب ج د ... إلخ).

أخلص مما سبق إلى أن التفريق الأفضل بين الترتيبين يكون بهذين المصطلحين «الترتيب الأبجدي»، و«الترتيب الأبتثي»، أو«الأبتائي»، وإنْ كنت أفضل «الأبتثي»؛ لزيادة الألف في مرادفه «الأبتثائي» دون لزوم. والله أعلم.

وقال أ.د. عبد الرحمن السليمان (عضو المجمع) :

إن المرحلة الثالثة والأخيرة من تاريخ الكتابة هي المرحلة الأبجدية التي سميت هكذا نسبة إلى ترتيب الحروف في الأبجدية الجزيرية الأولى وهي (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ)، وهو الترتيب الذي غيره في العربية أبو الأسود الدؤلي عند تنقيط الحروف إلى الترتيب الحالي، الذي يقال فيه أيضًا إن الخليل بن أحمد هو الذي صنع ذلك.

كانت النظرية السائدة أن الأبجدية الفينيقية اشتقت من رسوم الكتابة الهيروغليفية في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، إلا أن اكتشاف أبجدية أقدم منها بخمسة قرون، وهي الأبجدية الأوغاريتية، التي تستعمل أشكالاً مسمارية لا علاقة لها بصور الكتابة الهيروغليفية، ألغى هذا الرأي تمامًا.

فالأوغاريتيون استوحوا أشكال أبجديتهم الأوغاريتية، التي تحتوي على كل الأصوات الجزيرية القديمة (وهي ثمانية/تسعة وعشرون صوتًا)، من الكتابة المسمارية، ولكننا لا نعرف على وجه التحديد كيف اختزلوا الكتابة المقطعية إلى الكتابة الأبجدية، بينما نستطيع أن نتابع ذلك الاختزال في الأبجدية الفينيقية، حيث قام الفينيقيون باستعمال الصور الدالة على مسميات بعينها (مثلاً: صورة الثور للدلالة على الثور؛ صورة العين للدلالة على العين؛ صورة المربع للدلالة على البيت؛ صورة الموج للدلالة على الماء وهلم جرًا) ليس للدلالة على تلك المسميات، بل للدلالة على الأصوات الأولى لتلك المسميات كما سيتضح أدناه.

يسمى «الثور» في اللغة الجزيرية الأم: /أَلْفٌ/ - بلفظ التنوين تَمِّيمًا - و«البيت»: /بَيْتٌ/ و«العين»: /عَيْنٌ/ وهلم جرًّا.



في بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد بدأ الفينيقيون يستعملون الصورة الدالة على «الثور» - وهي صورة رأس ثور مثلث الشكل بقَرنَيْن وعينَيْن - ليس للدلالة على كلمة /أَلْفٌ/، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة /أَلْفٌ/ فقط، وهو حرف الألف.

ثم استعملوا الصورة الدالة على «البيت» ـ وهي صورة مربع ـ ليس للدلالة على كلمة /بيتٌ/، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة /بيتٌ/ فقط، وهو حرف الباء.

ثم استعملوا الصورة الدالة على «العين» - وهي صورة العين - ليس للدلالة على كلمة /عَينٌ/، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة /عَينٌ/ فقط، وهو حرف العين، وهكذا دواليك حتى أتوا على أصوات لغتهم، وهي اثنان وعشرون صوتاً فقط، فجعلوا لكل صوت حرفًا.

ثم رتب الفينيقيون الأبجدية مبتدئين بحرف الألف ثم الباء ثم الجيم ثم الدال إلى آخر ترتيب أبجد هوز.

ونحن لا ندري بالضبط لم رتبوا أبجديتهم هكذا، أي لم بدؤوا بالألف ولم يبدؤوا بغيره؟ وقد يكون لذلك علاقة بالمعتقدات الدينية لقدامى الكنعانيين حيث كان الثور يرمز عندهم إلى كبير آلهتهم بعل. وقد يعني «البيت» للجزيريين ذوي الأصول البدوية لا شيء أكثر من «المعبد» الذي يعبد فيه إلههم، ولكن هذه مجرد تكهنات.

ثم أخذ الإغريق في أوائل الألف الأول قبل الميلاد الكتابة الأبجدية عن الفينيقيين وحاولوا كتابة لغتهم فيها إلا أنهم اكتشفوا أن الأبجدية الفينيقية لا تحتوي على كل الأصوات اليونانية من جهة (خصوصاً الحركات)، وأنها تحتوي على أصوات غير موجودة في اللغة اليونانية

مثل حروف الحلق من جهة أخرى. فاستعمل اليونـانيون حـروف الحلـق للدلالـة علـى الأحـرف الصـائتة في اليونانيـة لأن الأبجـديات الجزيريـة لم تكن تحتوي على أحرف صائتة فيها، فاستعمل اليونـان حـرف العـين الفينيقي للدلالة على الـ o، وحـرف الحـاء للدلالـة حلـى حـرف الإيتـا (وهيئته في اليونانية: η وهو مثل حرف الـ i ولكنه أكثر مـدًا منـه) وهلـم جرًا. ثم سمى اليونانيون نظـام الكتابـة الـتي أخـذوها عـن الفينيقـيين بـ ἀλφάβητος أو alfabetos، وهي «الألفباء» في العربية.

أما الـ Abecedarium في اللاتينية، فهي ترجمة حرفية لـ «أبجدية». وللثور وظيفة أخرى تتعلق بالكتابة .. فالثور يفلح الأرض من الـيمين إلى اليسار ثم من اليسار إلى اليمين وهلم جرًا. ومن طريقته في فلاحة الأرض اشتقت الكلمـة للدلالـة علـى طريقـة الأوائـل (ومنـهم اليونـان وعـرب الجنوب) في الكتابة، أي من اليمين إلى اليسار ثم من اليسار إلى اليمين، وهي Boustrophedon، من اليونانية (βουστροφηδόν) ومعناهـا «كفلاحة الثور». إن أكثرية النقوش اليمنية المدونة بخـط المسـند مكتوبـة هكذا «كفلاحة الثور».

وأخيرًا نشير إلى أن الأبجديات الجزيرية لا تحتـوي إلا علـى حـروف ساكنة. إلا أن لثلاثة منها - وهي الألف والواو والياء - اسـتعمالين اثـنين الأول هو استعمالها أحرفًا ساكنة والثاني هو استعمالها أحرف مدّ للدلالة على الحركات الطويلة.

وهذا يعني أن للغة الجزيرية الأم ثلاث حركات فقط ترد قصيرة ويعبر عنها بالفتح والضم والكسر، وطويلة ويعبر عنها بـالألف والـواو واليـاء. والعلة في عدم ورود الحركات القصيرة على شكل أحرف كما هو الحال



عليه بالنسبة إلى حروف المد، هو القاعدة الجزيرية العامة التي تحول دون ابتداء كلمة جزيرية بحركة أو بحرف ساكن. وإذا عرفنا أن الأبجدية الجزيرية اشتقت من الأصوات الأولى لكلمات جزيرية بعينها كما أبنا أعلاه، فهمنا جيداً السبب في عدم احتواء الأبجديات الجزيرية أحرفاً تدل على الحركات الثلاث القصيرة لأن ذلك غير موجود في أوائل كلامهم. وعليه:

١- إن الألفباء في العربية هي ترجمة مستعارة عن اليونانية (ألفابيتوس – ἀλφάβητος أو alfabetos) التي هي – بدورها – مجرد توصيف أطلقه اليونانيون على نظام الكتابة الأبجدي الذي أخذوه عن الفينقيين والذي يبتدأ بالحرفين ألف وباء.

٢- إن للترتيب الأبجدي قيما عددية ترتيبية، ذلك أن الألف هو رقم ١، والباء هو رقم ٢، والجيم هو رقم ٣، والدال هو رقم ٤ .. وهلم جرّا. أمّا الترتيب الحالي للأبجدية، الذي فرضته أشكال الحروف وقت تنقيطها على زمان الدؤلي أو الفراهيدي (حروف الباء والتاء والثاء؛ حروف الحاء والخاء والجيم، حرفا الدال والذال الخ)، فقد فَقَدَ هذه القيمة العددية الترتيبية. ونحن لا نزال نستعمل الترتيب الأبجدي في ترقيم مقدمات الكتب وترقيم المقالات وبعض ما يراد ترقيمه بغير الحروف العربية المعتادة.

٣- إن الأبجدية والألفباء مرادفان تاريخيان يؤديان المعنى نفسه بالضبط. أما حروف المباني فهي تسمية توصيفية للأبجدية والألفباء على أساس أن الكلم يبنى منها، وتستعمل كثيرا في مجال علم الصرف.

وقال معالي الشيخ د. صالح ابن حميد (عضو المجمع) :

الحروف الأبجدية هي الحروف الهجائية من حيث الاسم والرسم والمخرج والصفة، كما نقول عن الألف والواو والياء: أحرف المد، وأحرف اللين، وأحرف العلة، و بعض أحرف الزيادة، وإطلاق الأبجدية مكان الهجائية قد يكون سائغًا إذا لم يقصد الترتيب، أما إذا أريد الترتيب فلكل منهما ترتيب معين، ووضع كل منهما مكان الآخر من الخلط الملبس؛ فلا يسوغ - مثلا - أن نقول عما رتّب هجائيا، ككتب المعاجم: إنها مرتبة على الحروف الأبجدية، للاختلاف الكبير بينهما في التَّرتيب .. وأرى أن يقيّد المنع بالترتيب(١)، لأنّ لكل منهما ترتيبا غير ترتيب الآخر.



(١) ورد إلينا ما قاله معالي الشيخ صالح بعد وضع مسوّدة القرار، ورأينا ضرورة الأخذ بهذا القيد، وتعديل القرار بما هو عليه الآن.



القرار الرابع

(غرّة شهر جُمادى الأولى ١٤٣٥ هـ)

استعمال لفظ (الحروف الأبجدية) مكان (الهجائية)

يرى المجمع أنّ استعمال مصطلح (الترتيب الأبجدي) مكان (الترتيب الهجائي) نوع من الخلط الذي يجب أن يجتنب؛ لما بينهما من اختلاف في الترتيب، فترتيب الحروف أبجديّا هو (ا، ب، ج، د، هـ، و، ز، ... الخ)، وأما ترتيبها هجائيا فهو (ا، ب، ت، ث، ج، ح، خ ... الخ). وتسمّى هذه الحروف على هذا النحو من الترتيب حروف المعجم، وحروف ألف باء.

لهذا يدعو المجمع أهل العلم والثقافة أن يستعملوا كلَّ لفظ في معناه الذي وضع له؛ دفعًا للّبس، وحفاظا على المقاصد الأصلية للمصطلحات.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله، وصحبه.

مجمع اللّغة العربية على الشبكة العالمية

ثانيا: التنبيهات

التنبيه الرابع

فتح همزة (إنّ) بعد القول

يشيعُ اليوم على ألسنة كثير من المثقّفين فتح همزة (إنّ) بعد (قال، ويقول، وأقول، ونحوها مما حكي بالقول) فيقال: قال أنَّه، وأقول أنَّ كذا، والصواب الكسر كما هو معلوم.

والمجمع ينبه على هذا الغلط الشائع انطلاقا من حرصه على تحقيق هدفه في حراسة العربية، والمحافظة على سلامة الألسن.. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مجمع اللّغة العربية على الشبكة العالمية



وقد عرض التَّنبيه على الأعضاء المعنيِّين، وعلّقوا عليه بما يؤكد ضـرورة التنبيه عليه .. ورأى طائفة منهم أن يلحق التنبيه ببيـان المواضـع الـتي يجب فيها الكسر، والمواضع التي يجوز فيها الوجهان، فكتب أ.د. عبد الـرحمن بودرع (نائب رئيس المجمع) مشكورًا تلك المواضع بالتفصيل، نلحقهـا للإفادة:

مَوَاضِعُ كَسْر هَمْزَة "إن" يَجِبُ كَسْرُ همزةِ "إن" في اثْنَي عَشَرَ مَوْضِعًا

(١) أن تَقَـع في الابْتِـداء حَقيقـةً، نحـو: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [القـدْر: ١]، أو حُكْمًا، نحو: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [يونس]، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦﴾ [العلق].

(٢) أن تَقَعَ تَالِيةً لـ «حَيْثُ»، نحو: «جَلَسْـتُ حَيْـثُ إنَّ عَلِيًّـا جَـالِسٌ»، فتكون مع معمولَيْها جملةً في محلّ جرّ مُضافًا إليه.

(٣) أنْ تَتْلُوَ «إذْ» كـ «زُرْتُكَ إذْ إنَّ خَالِدًا أمِيرٌ».

(٤) أن تتلوَ مَوْصُولاً اسْميًّا أو حَرْفيًّـا، نحـو قولـه تعـالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ [القصص: ٧٦]، كُسِـرَت همـزةُ إنّ لأنها وقَعَت بعد اسمٍ موصول، في صَدْر الصِّلة بِخِلاَفِ الوَاقعةِ في حَشْو الصِّلَةِ نحو: «جاءَ الذي عِنْدي أَنَّه فَاضِلٌ».

(٥) أَنْ تقعَ بعدَ «حَتَّى»، تقول: «قد قالَه القـومُ حَتَّـى إنَّ زَيْـدًا يقولُـه». وانطلَقَ القومُ حَتَّى إنَّ زَيْدًا لَمُنْطَلِقٌ" فحتَّى هَهُنا لا تعمـلُ شَـيئًا في «إنَّ» كما لا تَعْملُ «إذا»، كَما يقولُ سيبويه: ولـو أَرَدْتَ أن تقـولَ: حتَّى أنَّ، في ذا الوضع، أي حتى أن زيدًا مُنْطلق كنت مُحِيلاً، لأَنَّ

أنَّ وصِلَتَها بمنزلِة الانْطِلاق، ولو قُلْتَ: انْطلق القومُ حتّى الانْطِلاقِ كان محالاً.

(٦) أنْ تَقَعْ جَوَابًا لقَسم، نحو: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان].

(٧) أنْ تكونَ مَحْكِيَّةً بالقَول: «فإن وقعتْ بعد القول غير محكية فتحت نحو: أخصُّك بالقول أنك فاضل»، نحو: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠].

(٨) أنْ تَقَعَ حَالاً، نحو: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ [الأنفال].

(٩) أن تقعَ صِفَةً، نحو: «نظَرْتُ إلى خَالِد إنَّهُ كَبيرٌ».

(١٠) أنْ تَقَعَ بعدَ عَاملٍ عُلِّقَ بلام الابْتِدَاء وهي اللام المُزَحْلَقَة، نحو: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١]، أي أن اللام في ﴿لَرَسُولُهُۥ﴾ سببٌ في كسر همزة إنَّ؛ لأنّ اللام المزحلقة لا تكون في خبر «إن» مفتوحةِ الهمزة.

(١١) أن تَقَعَ خبراً عن اسم ذات، نحو: «مَحمَّدٌ إنه رَسُول الله».

(١٢) في باب الحَصْر بالنَّفْي وإلاَّ، بمعنى الأمثلة الآتية تقُول: «ما قَدِم علينا أميرٌ إلاَّ إنَّه مُكْرِمٌ لَنَا». لأنه ليس هَهُنا شيءٌ يَعملُ فيإنَّ ولا يَجُوزُ أنْ تكونَ أنَّ، وإنَّمَا تُرِيدُ أنْ تقول: ما قَدِم علينا أمِيرٌ إلّا هُو مُكرِمٌ لنا. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٢٠]، ومثل ذلك كُثّيرٌ:

ما أعْطَيَاني ولا سَأَلْتُهُمَا إلَّا وإني لَحَاجِزي كَرَمِي



وبغير معنى ما تقدَّم مِنَ الحَصْر تقول: «ما غَضِبتُ عَليه إلا أنَّه فَاسِقٌ»، وهذا بفتح همزة أن.

مواضع جَوازِ كَسْر «إن» وفتحها

يَجُوزُ كَسْرُ هَمْزةِ «إن» وفَتْحُها في تِسْعةِ مَواضِع:

(١) أَنْ تَقَعَ بعدَ فاء الجَزَاء، نحو: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، قُرئ بكسر «إنّ» وفتحها، فالكَسْرُ على مَعْنَى: فهُو غَفُورٌ رحيم، والفتحُ على تقدير أنها ومَعْمُولَيْها مُفْرَدٌ خَبرُهُ مَحْذُوفٌ، أيْ: فالغُفران والرَّحْمة حَاصِلان.

(٢) أن تقعَ بعدَ «إذا» الفُجائية، كقول الشاعر - وأنْشَدَه سيبويه -:

وكُنْتُ أرى زَيْدًا كَما قِيلَ سَيِّدًا إذا أَنَّه عَبْدُ القَفَا واللِّهازِمِ

«أُرى» بضم الهمزة: بمعنى: أظن، يتعدى إلى اثنين و«اللّهازِم» جمعُ لِهْزِمة، بكسر اللام: طرفُ الحلْقوم، فكسر «إنّ» على معنى: «فإذا هو عبد القفا»، والفتح على معنى: «فإذا العبودية»، أي: حاصلةٌ.

(٣) أنْ تَقَعَ في مَوْضِعِ التَّعليل، نحو: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ (قرأ نافع والكسائي بفتحِ «أنّ» على تقدير لام العِلة، وقرأ الباقون بالكَسْر، على أنه تعليل مستأنف) هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، ومثله: «لَبَّيْكَ إِأَنَّ الحمدَ والنِّعْمَةَ لَكَ» بفتح «إنّ»، وكسرها.

(٤) أن تقعَ بعد فَعْلِ قَسَم، ولا لامَ بعدَها، كقول رُؤبة:

أَوْ تَحْلِفِـــي بَربِّـــكِ العَلِـــيّ   إِأَنِّـي أَبُـو ذَيَّالِـكِ الصَّـبِيِّ

يُـرْوَى بكسـرِ «إِأَنَّ» وفَتْحِهـا، فالكَسْـرُ علـى الجَـوَابِ لِلْقَسَـم (والبصريون يوجبونه)، والفتح بتقدير: «عَلَى أَني»، و«أنَّ» مُؤَوَّلَـة بمصدرٍ عند الكسائي والبَغْدَاديين.

(٥) أنْ تَقَعَ خَبَرًا عن قَول، ومُخْبَرًا عَنْهَا بِقَوْل (المراد من القول الأول: لفظ القول والمراد بالثاني: أن اللفـظ ممـا يقـال قـولاً مـثلاً: «إني أحمد الله»، فإنها تقال قولاً عملاً، بخلاف «إني مؤمن»، فالإيمان تصديق بالقلب لا قول باللفظ)، والقائِلُ واحِدٌ، نحو: «قـوْلِي أَإني أَحْمَدُ الله» بفتح إنَّ وكَسْرها فإذا فتحتَ فَعَلى مَصْدرِيةُ "قَوْلي؟؟ أَي قَوْلي حَمْدا؟؟ لله، وإذا كسرتَ فعلى معنى المقول، أي: «مقُـولي إني أحمد الله»، فالخبر علـى الأول: مفـردٌ، وعلـى الثـاني جملـةٌ مُسْتغنية عن العائد لأنها نفس المبتدأ في المعنى.

ولو انْتَفَى القولُ الأَوَّل وجبَ فَتْحُها نحو: «عملَي أَنَّي أحْمَـدُ الله»، ولو انْتَفَى القَوْلُ الثاني وَجَـبَ كَسْـرُها نحـو: «قَـوْلِي إني مُـؤْمِنٌ». فـالقَولُ الثـاني: «إني مُـؤمن»، والإيمـان لا يُقـال لأنـه عقيـدةٌ في القلب. ولو أخْتَلفَ القائلُ وَجَبَ كَسْرُها، نحو: «قَـوْلي إنَّ هِشَـامًا يُسبِّحُ رَبَّه».

(٦) أَنْ تَقَعَ بَعْدَ "وَاو" مَسبُوقةٍ بِمُفْرَدٍ صَالحٍ للعطفِ عَلَيْه، نحو: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ (قرأ نافعُ وأبو بكر: بكسر «إن»، إمَّا على الاستئناف، وإمّا بالعطف على جُمْلَة «إنّ» الأولى، وقرأ البـاقون بـالفَتحُ عطفًا على ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾، والتقدير: إنَّ لَـك عـدمَ الجـوعِ وعـدَمَ الظمـإِ) لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه].



(٧) الأكْثَر أن تُكْسَرَ «إنّ» بعد حَتى، وقد تُفْتَح قَلِيلاً إذا كانت عاطِفَـةً، تقول: «عَرَفْتُ أمُورَك حتى أنَّك حَسَنُ الطَّوِيَّة»، كأنَّك قلتَ: عَرَفْت أمُورَكَ حتَّى حُسْنَ طَوِيَّتك، ثُمَّ وَضَعْتَ أنَّ في هذا المَوْضِع.

(٨) أن تَقَعَ بعدَ «أما» (أنظر «أما» في حرفها)، نحو: «أما أَإنَّكَ مُؤَدَّبٌ»، فالكَسْر على أنَّها حرفُ استفتاح بمنزلـة «ألاَ»، والفَـتْح علـى أنهـا بمعنى: «أَحَقًا»، وهو قَلِيل.

(٩) أنْ تَقَعَ بَعدَ «لا جَرَمَ» (انظر: «لا جرم» في حرفها)، والغالِب الفتح نحـو: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ [النحـل: ٢٣]، فـالفتْح علـى أنَّ: جَرمَ، فعل مـاضٍ، مَعنـاه: وَجَـبَ، و«أنَّ» وصِـلتُها فاعـل، أيْ: وَجَبَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمَ، و«لاَ» زائدةٌ، وإمّا على أَنَّ «لاَ جَرمَ» وَمَعْنَاهَا: «لا بُدَّ»، و«منْ» بَعْدَهُمَا مُقَدَّرَةٌ، والتَّقدِيرُ: لا بُدَّ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يَعلَم.

والكَسْرُ على أَنَّها مُنَزَّلَةٌ مَنزِلَةَ اليَمينِ عِنْـد بعـضِ العَـرَب، فيقـول: «لا جَرَمَ إنَكَ ذاهبٌ».

التنبيه الخامس

كسر راء (تجرِبة وتجارِب)

ينبِّه المجمع إلى خطإ شائع، يطرأ على كثير من الألسنة في وسائل الإعلام، وميادين العلم والثقافة، وهو ضم راء (تجرِبَة) و (تجارِب) والصّواب: كسر الراء في كلا اللَّفظين. ولم يسمَع ضمُّها عن العرب، بل إنّ الضمَّ في (تجارب) يخرج اللّفظة إلى معنى آخر لا يراد ولا يستحسَن، على ما هو مفصَّل في مقال رئيس المجمع، وتعليقات الأعضاء.

وصلّى الله على نبينا محمّد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم.

مجمع اللّغة العربية على الشبكة العالمية



وقد عرض التَّنبيه على أعضاء المجمع، ولم يكن منهم سوى التأييد، وممّا زاده بسطة ما قاله (نائب رئيس المجمع) أ.د. عبد الرّحمن بُودرع:

التجرِبَة بكسر الراء كما ذكَرَ سعادةُ رئيس المَجمَع، الدكتور عبد العَزيز الحربي، ونطَقَت به المصادرُ والمَعاجمُ وكتُبُ اللغة.

وهو مصدر جَرّبَ يُجرِّبُ، أي: اختبَرَ، وجرّبَه: اختبرَه، وهو من المَصادرِ التي تُجمَعُ على غيرِ قياسٍ، نحو قولِ النابغَة:

إلى اليَوْمِ قد جُرِّبْنَ كلَّ التَّجارِبِ

وقول الأَعشى:

كَمْ جَرَّبُوه فَما زادَتْ تَجارِبُهُمْ   أَبا قُدامَةَ إلاَّ المَجْدَ والفَنَعا

فقَد ورَدَت مصدراً مجموعًا، عَملَ في المفعول به، وهو غريبٌ، والمَعْنى: فَما زادَت أبا قُدامةَ تجارِبُهُم إيّاه إلاّ المجدَ.

أمّا ضمُّ الراء من تجربَة تَجارب، فهو لَحنٌ شاعَ عند المُعاصرين على لسان العامّة والخاصّة على السّواء. والله أعلَمُ.



وما قاله الدكتور عبد الله الأنصاري (عضو المجمع):

فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز الحربي سلمه الله وحفظه
رئيس المجمع

السلام عليكم ورحمة الله،،

أمّا بعد؛ فقد اطلعت على القرار المرفق، المبني على مقالكم المرفق بشأن ضمّ راء (تجرية وتجارب)، ووجدته سديدًا كافيا وافيا لما ينبغي أن يقال في المسألة المذكورة، غير أني أفيد سعادتكم فيما يخص قولكم: «وما أعلم ما الذي حمل الألسنة على العدول عن الصّحيح الأخفّ إلى الخطإ الثّقيل؛ فإنّ ضَمّ الراء أَثْقَلُ مِن كَسْرِهَا»:

بأنّ السّبب الظّاهر لذلك هو انجذاب الضّمّ نحو الباء التي بعد الرّاء للتّجانس الصّوتي؛ لأن الباء من الشّفتين والضّمّ كذلك، وفي الانتقال من الكسر إلى الباء شيءٌ من الثّقل الذي ينفر منه الطّبع، وتجانس الأصوات مخرجيا ممّا تنساق إليه أعضاء النُّطق تلقائيا.

والله تعالى أسأل أن يزيدكم من فضله وتوفيقه.

والسلام عليكم.

د. عبد الله الأنصاري



وزاده إيضاحًا وإشباعًا ما نقله موثّقًا (عضو المجمع) الدكتور علي العبيديّ؛ إذ قال:

- ورد في (العين ٧/٢٥١): سبر: السَّبْرُ: التَّجرِبةُ.
- وفيه أيضًا (٧/٣٨١): روز: الرَّوْز: التَّجْرِبة [تقول] : رزت فلانا ورزت ما عنده.
- وفيه (٨/٢٨٥): البَوْرُ: التَّجْرِبة. بُرْتُ فلاناً وبُرْتُ ما عنده: جربته.
- وفيه أيضا (٨/٣٤٠): والبَلْوَى: هي البَليّة، والبَلْوَى: التَّجْرِبة، بَلَوْتُه أَبْلُوه بَلْوًا.
- وفي (المُنَجِّد) لكراع النّمل (١٦٥): ويقال: جَرَّبْت الشَّيء، فهو مُجَرَّبٌ: من التَّجْرِبة.
- وفي (تهذيب اللغة ٧/٢٣٣):

يَأبَى الْبَلاءُ فَما يَبْغِي بهِمْ بَدَلا   وَمَا أُرِيدُ خِلاَءً بَعْدَ إحكامِ

«يَأْبَى الْبَلاء»، أَي: التّجْرِبَةُ.

- وفي (المحيط في اللغة١/٢٣٤): المِحْنَةُ: التَّجْرِبَةُ، تقول: امْتَحَنْتُه: أَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَ بِكَلامِه ضَمِيْرَ قَلْبِه.
- وفيه (٢/٢٦٠): السّبْرُ: التجْرِبَةُ، اسبُرْ ما عِنْدَه.
- وفيه (٢/٣٠٤): الرّوْزُ: التَجْرِبَةُ، رُزْ ما عِنْدَ فلانٍ.
- وفيه (٢/٣٤٤): الدّرْبَةُ: التَّجْرِبَةُ والعادَةُ.

- وفي (مقاييس اللّغة ١/٣١٧): وَالأَصْلُ الثَّاني: التَّجْرِبَةُ وَالاخْتِبَارُ. تَقُولُ: بُرْتُ فُلانًا، وَبُرْتُ مَا عِنْدَهُ، أَيْ: جَرَّبْتُهُ. وَبُرْتُ النَّاقَةَ، فَأَنَا أَبُورُهَا: إِذَا أَدْنَيْتَهَا مِنَ الْفَحْلِ لِتَنْظُرَ أَحَامِلٌ هِيَ أَمْ حَائِلٌ. وكَذَلِكَ الْفَحْلُ: مِبْوَرٌ.

- وفي (المحكم والمحيط الأعظم (٨/٤٨٦): السَّبْرُ: التَّجْرِبَةُ، وسَبَرَ الشَّيءَ سَبْرًا: حَزِرَهُ، وخَبَرَهُ، واسْبُرْ لي ما عنده، أي: اعْلَمْه.

- وفي (المخصص (١/٢٥٤): الحُنْكَةِ: التَّجْرِبة، وَالْجمع: حُنَك، وَقد حَنَكَتْه التَّجَارِبُ والسِّنُّ حَنْكًا وحَنَكًا، وأحْنَكَتْه وحَنَّكَتْه، وَرجل مُحْتَنِك وحَنِيك.

- وفي (النّهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٢٦٠): الْمَثَلُ «لا تَهْرِفْ قَبْل أنْ تعْرِف»، أَيْ: لا تَمْدحْ قَبْلَ التَّجْرِبَة.

- وفي (المصباح المنير (١/٩٤): وَجَرَّبْتُ الشَّيْءَ تَجْرِيبًا: اخْتَبَرْتُهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَالاسْمُ: التَّجْرِبَةُ، وَالْجَمْعُ: التَّجَارِبُ، مِثْلُ: الْمَسَاجِدِ.

- وفي (التوقيف على مهمات التعاريف : ٩١): التجارِب: جمع تجربة، وهي: ما يحصل من المعرفة بالتّكرر، وقيل: التَّجْرِبَة: معالجة الشّيء مرّة بعد أخرى حتى يحصل ذلك العلم بنظائرها.

- وفي (تاج العروس (٢/١٥٣): (وجَرَّبَهُ) تَجْرِيبًا، على الْقيَاس، و(تَجْرِبَةً) غيرَ مَقِيسٍ (: اخْتَبَرَه)، وَفِي (الْمُحكم): التَّجْرِبَةُ مِنَ



المَصَادِرِ المَجْمُوعَةِ، وَيجمع على: التَّجَـارِب والتجارِيـب، قَـالَ النَّابِغَة:

إِلَى اليَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

وَقَالَ الأَعشى:

كَمْ جَرَّبُوهُ فَمـا زَادَتْ تَجَـارِبُهُم أَبَـا قُدامَـةَ إِلاَّ المَجْـدَ والفَنَعَـا



القسم الثاني:

البحوث



المقابلات العربية

للمصطلح الصوتي الوافد

في أشهر المعاجم اللسانية

دراسة تحليلية نقدية موازنة في البنية والمفهوم

أ . د . صالح سليم الفاخري

جامعة طرابلس – ليبيا

عضو المجمع

١- المصطلح الصوتي الوافد.

إذا كان المصطلح العلمي يعرّف بأنه (كل وحدة دالة، بسيطة أو مركبة، تطلق على مفهوم محدد بشكل أحادي داخل ميدان معرفي معين)[١] - وهذا من أوفى ما وجدت من تعريفات وأشملها للمصطلح العلمي - فإن المصطلح الصوتي يمكن أن يعرّف بأنه (وحدة دالة، بسيطة أو مركبة، تطلق على مفهوم محدد بشكل أحادي داخل ميدان الصوتيات) وهذا التعريف على إطلاقه يشمل المصطلح المحلي مثل: حرف، والمصطلح الوافد مثل: (Consonant) والمقابل العربي له صامت. فكل وحدة دالة، بسيطة أو مركبة، أطلقت على مفهوم محدد بشكل أحادي داخل ميدان الصوتيات تعد مصطلحا صوتيا.

والفرق بين المصطلح الوافد وغير الوافد، أن الوافد هو الذي تم وضعه في لغة ليعبر عن مفهوم أنتجه أهلها ثم انتقل إلى مجال لغة أخرى، فهو وافد على اللغة التي انتقل إليها، وأما غير الوافد أو المحلي فهو الذي استخدم في نطاق اللغة التي صيغ بها، ويمكن أن يكون المصطلح وافدا ومحليا، فإذا استخدم في غير منشئه فهو وافد أما إذا استخدم في منشأه فهو محلي.

وفي حالة العربية فإن العلوم الحديثة جميعها علوم منسوخة ومستوردة للنظريات بما فيها اللسانيات التي تعد الصوتيات فرعا منها، وهو ما يستدعي بالضرورة صياغة ترجمات دقيقة لمضامين المفاهيم الأجنبية، غير أن مما يؤسف له أن الساحة العربية تفتقر إلى مؤلفات في الترجمة تتضمن نظريات واضحة وقواعد ثابتة تمكن المترجمين من تقديم تلك

(١) مشروع معجم التواصل اللغوي (مادة: Term، رقم: ١٩٠١).

العلوم المنسوخة على نحو واضح ودقيق، تراعى ما للعربية من خصائص وميزات صوتية وصرفية وتركيبية، وقد أدى عدم وجود تلك المؤلفات إلى بروز جملة من المشاكل، لعل أهمها:

١- تعدد المقابلات العربية للمصطلح الوافد وتنوعها من حيث الصيغة ونوع الطريقة المستعملة في صياغتها (ترجمة أو تعريب ... الخ).

٢- الترجمة الحرفية للمصطلح بدل ترجمة المفهوم، وهو ما أدى في كثير من الأحيان إلى انغلاق دلالة المفهوم واستعصائه على أذهان الدارسين.

٣- الابتعاد عن خاصية التجريد وذلك باللجوء إلى الأسلوب الأدبي في التعامل مع الحقائق العلمية.

والمصطلحات هي مفاتيح العلوم، بها تفهم ومن خلالها تدرك، وعليها يعتمد في ضبطها، فهي كما يقول العلامة المسدي: «مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه، وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته ومضامين قدره من يقين المعارف وحقيق الأقوال»(١).

فالنحو - مثلا - مستغلق على من لم يضبط مصطلحاته، كالإعراب والبناء والمبتدأ والخبر والحال والتمييز والنعت والتوكيد والبدل ... الخ، والتصريف مستغلق على من لم يضبط مصطلحاته، وهكذا الصوتيات لا يفهمها من لم يضبط مصطلحاته القديمة والحديثة ويستخدم كلا منها في مجاله.

(١) د. المسدي، قاموس اللسانيات (ص ١١).



فعندما يكون بصدد دراسة التراث الصوتي لا يقحم في دراسته مصطلحات من قبيل الفونيم: (Phoneme)، والألفون (Allophone) وغيرهما من المصطلحات التي وضعت لتعبر عن تصورات ومفاهيم لا توجد في التراث، وعندما يكون بصدد الدراسة الصوتية الحديثة لا يقحم في دراسته مصطلحات موغلة في التراثية، كإطلاق الحلق على المنطقة الواقعة بين الطبق وأسفل الحنجرة.

على أنه يمكن أن يفاد من المصطلحات التراثية في مواجهة المصطلحات الوافدة، ولكن بما ينسجم مع المفاهيم والتصورات الحديثة، فمن يستخدم الحرف في مقابل الفونيم - مثلا - لا شك أنه سيهمل جزءا من الأصوات نص المحدثون على تأديتها لوظائف فونيمية وهي الحركات Vowels، والحركات لم يقل أحد من المتقدمين إنها حروف، مع أنني أتحفظ على الوظيفة الفونيمية للحركات في العربية[1].

وقد تنبه الباحثون في مختلف مجالات المعرفة وفي مختلف اللغات إلى ما للمصطلحات من أهمية، وأحسوا بما يسببه عدم ضبطها من اضطراب وتشويش، فعكفوا على تجميع ما يخص مجالاتهم منها في معاجم خاصة مقدّمين التعريفات والشروح لكل منها، وهذا فيما يتعلق بالمصطلحات المحلية، أما المصطلحات الوافدة فإن تعاملهم معها كان بواحد من ثلاثة أمور:

١- الإبقاء على المصطلح الوافد بلفظه ومعناه إلى حين، إذا كان المصطلح يعبر عن تصور أو مفهوم لا يوجد في ذاكرة القوم الذين دخل المصطلح الوافد فضاء لغتهم.

(١) ينظر: بحثنا الوظائف الفونيمية والمورفيمية والتبدلات الصوتية في بنية الكلمة العربية.

٢- إخضاع المصطلح إلى مقاييس اللغة المضيفة الصوتية والصرفية. وفي حالة العربية يسمى هذا العمل تعريبا.

٣- ترجمة المصطلح بمقابل أو بلفظ من اللغة المضيفة وهذا لا يكون إلا إذا كان المفهوم أو التصور موجودا في ذاكرة القوم الذين حل بهم المصطلح، أو كان بالإمكان إنشاؤه وضبطه بيسر وسهولة.

تلك هي الأمور الثلاثة التي يواجه المصطلح الوافد بواحد منها، غير أنه في الحالة العربية قد يواجه المصطلح الوافد بها جميعا في وقت واحد وربما في قطر واحد، لا لأن ما يعبر عنه المصطلح الوافد جميعه موجود في التصورات العربية، ولكن لأن النزعة الفردية والانطواء القطري هما اللذان يوجهان تصرفاتنا، على الرغم من وجود المؤسسات العلمية المخولة بعمل كهذا كالمجامع اللغوية وغيرها.

والمصطلح الصوتي شأنه شأن مصطلحات العلوم الأخرى، أتى عليه ما أتى عليها، أنتج من قبل المختصين فتلقي من قبل الدارسين وأولوه عنايتهم مقدمين له التعريفات والشروح في لغة المنشأ، وعندما انتقل إلى لغة أخرى قوبل بواحدة من الطرق الثلاث التي ذكرناها آنفا، غير أن ما نلفت إليه أن المصطلح العلمي الوافد أيا كان في الحالة الطبيعية يمر بمراحل ثلاث.

الأولى: التلقي ويمكن أن نسميها الولوج أو الاقتحام، لأنه في تلك المرحلة يدخل المصطلح فضاء جديدا وبيئة جديدة منقطعا عن محيطه وبيئته التي نشأ فيها فيستعمل كما كان مستعملا في لغته الأم وربما حدث فيه تغير نطقي على نحو ما فعل د وافي مع مصطلحات مثل Syntax صارت عنده (سنطاكس) و Semantics صارت عنده (سيمنطيك).



الثانية: التوليد. وفيها يتم توليد مقابلات لـذلك المصـطلح مـن اللغـة المضـيفة، علـى نحـو مـا فعـل الدارسـون في العربيـة مـع مصـطلح (Linguistics) إذ قابلوه بأكثر من عشرين لفظة.

الثالثة: الاختيار. وفيها يـتم اختيـار مصـطلح واحـد أو اثـنين لمقابلـة المصطلح الوافد ويختفي ما عداها من المصطلحات بعـد تـدافع يسـتمر لفترة من الزمن تقصرأو تطول بحسـب قـرب المفهـوم الـذي يعـبر عنـه المصطلح الوافد وبعده من التصـورات الرائجـة في ذاكـرة القـوم الـذين اقـتحم المصـطلح فضـاء لغتـهم. ولنـا في مقـابلات المصـطلح (Linguistics) المثال الواضح إذ ضل التدافع بينها قرابة النصف قـرن لينحصر في ثلاثة مقابلات هي اللسانيات والألسنية وعلم اللغة.

ويطلق العلامة المسدي على هذه المراحل: «مراحل الترقّي نحو صوغ المصطلح التأليفي: أولها تقبّل ثم تفجير فتجريد»(١).

مراحل ثلاث «تتعاقب في الزمن وتتـرادف في الصـيرورة، فـالمفهوم المستحدث يقتحم المجال الذهني السائد في المجموعة الاجتماعية الـتي يحولها الرابط اللغوي إلى مجموعة ثقافية حضارية»(٢).

على هذا النحو من التدرج جرى التعامل مع المصطلح اللساني بعامـة والمصطلح الصوتي بخاصة، في المرحلـة الأولى أبقـي علـى المصـطلح الوافـد بلفظـه ومعنـاه، مثـل: الفوناتيـك، والفونولوجيـا، والفـونيم، والألفون، إلى غير ذلك.

---

(١) مباحث تأسيسية في اللسانيات (ص ٩١).
(٢) السابق (ص ٩٠).

ثم جاءت المرحلة الثانية وفيها انبرى الدارسون يصوغون المقابلات لتلك المصطلحات بما يتفق مع ما تحمله من مفاهيم وتصورات في شكل بحوث أو ورقات بحثية تنشر في المجلات المتخصصة أو تلقى في المؤتمرات العلمية، فكان أن تعددت المقابلات العربية للمصطلح الواحد ما بين تعريب وترجمة، وقد بلغت هذه الجهود الذروة عندما انصرف نفر من الدارسين إلى تصنيف معاجم متخصصة في مقابل المصطلح اللساني وكان المصطلح الصوتي من بين ما اشتملت عليه تلك المعاجم.

وقد صدرت «أول محاولة استقرائية للمصلح اللساني المتداول بين بعض اللسانيين العرب (عام ١٩٧٧) قام بها محمد رشاد الحمزاوي»[(١)]، بعنوان: **المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية**، نشرت بحوليات الجامعة التونسية/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية- العدد ١٤(عدد خاص) في ٢٠٢ صفحة، وهو ما يمكن أن يوصف بأنه أول محاولة معجمية في المصطلح اللساني العربي، لتتوالى بعدها معاجم المصطلحات اللسانية في الصدور، ففي العام ١٩٨٢ صدرت ثلاثة معاجم، هي: **معجم علم اللغة النظري** لمحمد الخولي، و**معجم المصطلحات اللغوية والصوتية** لخليل إبراهيم حماش، **ومعجم مصطلحات علم اللغة الحديث** لبكلا وآخرين، بمداخل إنجليزية ومقابلات عربية.

وفي العام ١٩٨٤ صدر **قاموس اللسانيات** لعبد السلام المسدي، و**معجم اللسانية** لبسام بركة، بمداخل فرنسية ومقابلات عربية، وفي العام ١٩٨٩ صدر **معجم اللسانيات الموحد** عن مكتب تنسيق التعريب، بمداخل إنجليزية وفرنسية ومقابلات عربية، وبعد ذلك بعام واحد

(١) قاموس اللسانيات (ص ٨٠).



(١٩٩١) صدر **معجم المصطلحات اللغوية** لرمزي منير البعلبكي، بمداخل إنجليزية ومقابلات عربية، وفي العام ١٩٩٥ صدر **معجم المصطلحات اللغوية** لخليل أحمد خليل، بمدخل عربي ومقابلات فرنسية، وكذلك **معجم المصطلحات الألسنية** لمبارك المبارك، بمدخل فرنسي ومقابلات إنجليزية وعربية، وفي العام ١٩٩٧ صدر **معجم اللسانيات الحديثة** لسامي حنا وزميليه، بمداخل إنجليزية ومقابلات عربية، حاول كلّ منها وضع ما يراه مناسبا من مقابلات عربية للمصطلحات الوافدة، في غياب تامّ للمؤسسات العلمية، وتغييب لها في بعض الأعمال المعجمية تمثل في عدم الخضوع لما قررته أو عرض ما تضمنته تلك المعاجم عليها، وهكذا قامت بترسيخ مبدأ التعدد في وقت كانت تسعى إلى الحد منه أو على الأقل التقليل منه، ليستمر مكوثنا في المرحلة الثانية، التي كنا نريدها مرحلة عبور، جيلا آخر أو أكثر.

ولم يقف الأمر عند حدّ تعدد المعاجم لتكون المقابلات بعددها للمصطلح الواحد، ولكن تعدّى ذلك إلى أن كثيرا من تلك المعاجم ربما قدّمت للمصطلح الواحد أكثر من مقابل على نحو ما فعل الخولي(١) حين قابل الـ Phoneme بأربعة مقابلات: فونيم، فونيمية، صوتيم، صوت مجرد، وبركة(٢)، حين قابل المصطلح نفسه بـ فونيم ولافظ ومستصوت.

بل إن بعضها ربما قابل مصطلحات متعددة تعبر عن مفاهيم مختلفة بمقابل عربي واحد، قد لا يستطيع استيعاب تلك المفاهيم، إلا على طريقة ليّ العنق أو التطويع القسري، فـ **قاموس اللسانيات** قابل

(١) معجم علم اللغة النظري (ص ٢٠٩).
(٢) معجم اللسانية (ص ١٥٩).

المصطلحات الفرنسية (Articulation , Decoupage Segmentation)، بمقابل عربي واحد هو التقطيع، وهذه مصطلحات لمفاهيم مختلفة «رغم المظاهر الدلالية السطحية التي قد توحي بها حتى في اللغة الفرنسية نفسها»[١]، وقد قابلها بركة[٢]: Articulation بـ النطق تارة، وانبناء وتمفصل تارة أخرى و Decoupage بتقطيع وتفصيل، و Segmentation بتقطيع، وفي هذا دلالة على أنه مدرك لما بينهما من فروق، ولكن التعبير خانه في إيجاد المقابل الدقيق لكل منهما.

وقد دفعنا إلى هذا الاعتقاد مقابلته لـ Decoupage بتقطيع وتفصيل، ومقابلته لـ Segmentation بتقطيع فقط.

والمقابل الإنجليزي لـ Articulation يستعمل في الدلالة على نطق الأصوات، ومقابل Segmentation يستعمل في الدلالة على التقطيع[٣]، بل إن قاموس اللسانيات قابل Articulation في المسرد الفرنسي بالتقطيع[٤]، وفي المسرد العربي بالنطق[٥]، فبأي المقابلين يأخذ القارئ.

ويزداد الأمر غرابة حين يورد بعض المعجميين مداخل مصطلحية معرّبة تعريبا لفظيا دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث في المفهوم

(١) مجلة الدراسات المعجمية، العدد السادس - ذو الحجة ١٤٢٨ هـ (ص ٩٦) بحث - المعاجم اللسانية في الثقافة العربية.

(٢) معجم اللسانية (ص ٢٠)، و(ص ٥٤)، و(ص ١٨٤).

(٣) ينظر: A dictionary Of Linguistics & Phonetics. D. Crystal pp 25-308).

(٤) قاموس اللسانيات (ص ٢٤٣).

(٥) السابق (ص ١٦٢).



وما يمكن أن يعبر به عنه في العربية، ولو أدى ذلك إلى مخالفة المنهج الذي اختطوه لأنفسهم، ففي معجم بكلا وآخرين، نجد عشرات بل مئات المداخل المعرّبة تعريبا لفظيا، ومنها فيما نحن بصدده، ومن ذلك: (الأكوستيكا) والمشهور علم السمعيات، وعلم الأصوات الفيزيائي و(الأكروفونيا) والمشهور أوائلية صوتية، ومجمع القاهرة قابله بـ (اقتطاع هجائي). مع أنهم يعتمدون منهجية تقوم على «إعطاء الأولوية للمصطلحات العربية المعروفة قديمها وحديثها»[(١)].

وقد يقوم بعضهم بصياغات لمقابلات على طريقة التهجين تجمع بين العربي والأجنبي لا تراعى البنية الصرفية لنسق اللغة العربية مثل صيغة فعلم (صوتم) مقابل Phoneme ، و(منغم) مقابل Toneme، وهو ما سوف نفصل القول فيه في موضع لاحق.

إن ما ينبغي أن ينطلق منه كل من يتصدى للعمل المصطلحي ووضع المقابلات العربية للمصطلحات الوافدة هو المفهوم لا اللفظ، ما الذي يعبر عنه المصطلح المراد مقابلته؟ فإذا ما وقع في أذهاننا استطعنا أن نصوغ له المقابل بإحدى الطرق المعروفة، أما أن ننطلق من اللفظ الوافد ونحاول إيجاد المقابل العربي له فهذا لن يجدي نفعا، وسيتضح عند عرض المقابلات التي اشتملت عليها المعاجم المختارة أنها جميعها انطلقت من اللفظ لا من المفهوم.

وقبل أن أدخل في الدراسة المعجمية أود أن أشير إلى أن المصطلح لا يعاني من الفوضى والاضطراب في عالمنا العربي فحسب بل حتى في العالم الذي يعد منشأ للعلوم ومفاهيمها، ولا أدل على ذلك من أن

(١) بكلا وآخرون (ص: ل) من المقدمة.

المصطلحين الرّئيسين في الصّوتيات، وهما الـ (Phonetics) والـ (Phonology) لم يتفقوا على ما يطلق كل منهما، فمنهم من يطلق الـ (Phonetics) على الدراسة التاريخية للأصوات، والـ (Phonology) على الدراسة الآلية للنطق، ومنهم من عكس، ومنهم من عدهما مترادفين، ومنهم من يطلق الـ (Phonetics) على الدراسة الآلية والـ (Phonology) على الدراسة الوظيفية فقط، أو الوظيفية والتركيبية.

الأمر الذي حدا ببعض الدّارسين إلى صكّ مصطلحي (Phonematics)، و(Phonemics)، ليحل أحدهما محل الـ (Phonology) في الدلالة على العلم الذي يدرس وظائف الأصوات.

فإذا كان الأمر على هذا النحو مع رأسي العلم وعنوانيه في بلد المنشأ، فكيف بما دونهما؟ بل فكيف بهما وبما دونهما في البلاد العربية؟

١- المعاجم اللسانية موضوع الدراسة

تقوم دراسة مقابلات أهم المصطلحات الصوتية الوافدة في هذا البحث على تتبعها في المعاجم المختارة وهي:

١- معجم علم اللغة النظري، د محمد الخولي(١٩٨٢).

٢- قاموس اللسانيات، د عبد السلام المسدي (١٩٨٤).

٣- معجم اللسانية، د بسام بركة (١٩٨٤).

٤- المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات – مكتب تنسيق التعريب (١٩٨٩).

٥- معجم المصطلحات اللغوية، د رمزي منير البعلبكي (١٩٩٠).

٦- معجم اللسانيات الحديثة، د سامي حنا وآخريْن(١٩٩٧).



وذلك بدراسة كل منها بنية ومفهوما دراسة موازنة، ومناقشتها مناقشة مستفيضة قصد الوصول إلى مقابل واضح الدلالة، متسق في بنيته مع أبنية العربية، يصلح أن يكون مثالا يحتذى في معالجة المصطلحات الأخرى.

وحصر الدراسة في هذه المعاجم الستة لا يعني عدم وجود غيرها ولكن لأنها تمثل مشارب مختلفة، من جهة، ومن جهة أخرى فإنها احتوت على عدد غير قليل من المصطلحات الصوتية، إلا ما كان من معجم اللسانيات الحديثة فإن توسعه في الشرح وإكثاره من الأمثلة التوضيحية وتأخره في الصدور، على الرغم من قلة مصطلحاته، رشحه لأن يكون من بين المعاجم المدروسة مادتها، وفضلا عن هذا وذاك فإن هذه المعاجم من أكثر المعاجم تداولا بين دارسي هذا العلم.

وقد اختلفت هذه المعاجم في تعاملها مع مادتها من جهة اللغة المستخدمة في المداخل، فمنها ما اعتمد لغة واحدة زمنها ما اعتمد لغتين، ومن جهة تقديم الشروح وعدم تقديمها، فمنها ما قدم شروحا للمصطلحات، وهذا القسم نوعان: نوع اكتفى بشروح مختصرة، ونوع قدم شروحا وافية معززة بالأمثلة والشواهد من اللغة الأم وربما من العربية، وأما القسم الثاني فقد اكتفى بإيراد المصطلح الأجنبي والمقابل العربي له.

ولن أقف عند هذه النقطة طويلا لعدم تعلق البحث بها، وإن كان ربما يقال إن تقديم الشروح وعدم تقديمه يترتب عليه وضوح المفهوم وعدم وضوحه عند المؤلف، على الأقل، أقول إن هذا كما قيل ولكن المصطلحات الآن وضحت عند الدارسين وتحددت مفاهيمها لديهم، وعلى هذا سيكون تعاملنا معها ونقدنا لها، والذين وضعوا تلك

المقابلات للمصطلحات الوافدة مضى على وضعهم لها حين من الدهر يتجوز في بعض الأحيان الثلاثة عقود، وأحدثها مضى على وضعه ثنتا عشرة سنة ولم يقم أي منهم بمراجعة ما وضعه وإصلاح ما به من قصور، رغم الصيحات التي تصدر من وهناك بين الفينة والأخرى مشيرة إلى مواضع القصور ومواطن الزلل، مقدمة تصورا محددا للإصلاح، وهذه الوقفة تضاف إليها لعلها جميعها تكوّن محركا تراكميا يدفع في اتجاه إعادة النظر في تلك المعاجم من قبل أصحابها وهم من هم ينطوي كل واحد منهم على منهجية منضبطة وعلم غزير، وفوق هذا وذاك على دقة في النظر وعمق في التدبر والتحليل.

غير إن ما أريد أن أشير إليه أن الدارس لتلك المعاجم ربما وجد في كل منها من المحاسن ما ليس في صاحبه، وإن لم يكن في شيء من تلك المحاسن فحسبه أنه شمر عن ساعد الجد وقام بتجميع المادة وقابل كلا منها بما رآه مناسبا لمقابلته على حد قول ابن مالك في ابن معط:

فهو بسبق حائز تفضيلا   مستوجبا ثنائيا الجميلا

والله يقضي بهبات وافرة   لي وله في الدرجات الآخرة



٢- المقابلات العربية للمصطلح الوافد في المعاجم (موضوع الدراسة):

مق ع المسدي	مق ع الخولي	مق ع بركة	مق ع البعلبكي	مق ع مع الموحد	مق ع حنا وآخرون	المصطلح الإنجليزي	١
صوتيات صوتي	علم الأصوات صوتيات	علم الأصوات الصوتيات	صوتيات	الصوتيات	الفونوتيكا علم الأصوات	Phonetics	٢
سمعيات سمعي	علم السمعيات	علم السمعيات فيزياء الأصوات - سمعي	علم السمعيات	علم الصوت الفيزيائي		Acoustics	٣
صوتمية	علم الفونيمات علم الأصوات علم الأصوات التاريخي	صواته علم وظائف الأصوات	علم وظائف الأصوات فونولوجيا	الصوتيات الوظيفية	الفونولوجيا علم وظيفة الأصوات علم أصوات اللغة	Phonology	٤
صواتمية صواتمي	علم الفونيمات علم الأصوات الوظيفي الصوتيات الوظيفية	علم الفونيمات فونيمي	علم الفونيمات	علم الوحدات الصوتية الصوتيات الوظيفية	لايوجد	Phonematics	٥
صوتم	فونيم، فونيمية صوتيم، صوت مجرد	فونيم، لافظ مستصوت وحدة صوتية	فونيم	وحدة صوتية حرف صوتي (فونيم)	الفونيم، الوحدة الصوتية	Phoneme	٦
صوتم تعاملي	ألفون متغير صوتي	بديل صوتي أو لفظي	بديل صوتي	بدل صوتي	الصورة الصوتية ألفون	Allophone	٧

صوتم كلي	الفونيم الأم	فونيم شامل أو نائب	فونيم أم	وحدة صوتية جامعة	لا شيء	Archiphoneme	٨
نبر	لهجة، نبرة، حركة شكلية، علامة مميزة	لهجة، لكنة، نبرة، حركة، شكلة، علامة مميزة	نبر، لكنة، علامة مميزة	نبر	النبر	Accent	٩
وقع	نبرة	نبرة تقابلية	نبر	نبر	النبر	Stress	١٠
نبرة	تنغيم	تنغيم (أداء الصوت)	تنغيم	تنغيم- نغمة الكلام	التنغيم	Intonation	١١
إدغام	مماثلة	إدغام، مجاورة، مماثلة	مماثلة	تقريب "صوتي" - مشاكلة	المماثلة الصوتية	Assimilation	١٤
تباين	مخالفة	مباينة، مغايرة، مخالفة إبدال	مخالفة	تبعيد صوتي تخالف		Dissimilation	١٥
تقطيع تمفصل مزدوج	نطق	نطق، تمفصل، بناء	نطق، تلفظ، لفظ	نطق، تلفظ،		Articulation	١٦

المقابلات العربية التي قدمتها المعاجم لمصطلح واحد وافد ومفهوم واحد كما في الجدول أعلاه متعددة في عددها ومتنوعة في صيغتها ومختلفة في طريقة صوغها فهي مترددة بين الترجمة والتعريب وربما الإبقاء على اللفظ الأجنبي كما هو. والمصطلح كما ورد في التعريف وحدة لسانية دالة، بسيطة أو مركبة، تعبر عن مفهوم محدد بشكل أحادي داخل ميدان معرفي معين، وهذا ما ينسحب على المصطلحات الوافدة، فكل مصطلح منها يعبر عن مفهوم واحد بشكل أحادي داخل مجال

معرفي معين، فهل كانت المقابلات العربية الواردة في المعاجم المختارة على هذا النحو؟ إن بعض تلك المعاجم ربما التزم بالتوحيد فلم يقابل المصطلح الواحد إلا بمقابل واحد وهذا هو الغالب على معجمي المسدي والبعلبكي، وأما الأخريات فقد اضطربت في ذلك أيما اضطراب يصل في بعض الأحيان إلى التناقض، وأما من جهة اتساق البنية مع بنى العربية وموافقته للمفهوم، فهذان أمران فيهما نظر في كثير من المقابلات، وذلك على النحو التالي:

* الـ (Phonetics) باعتباره علما لا باعتباره وصفا قوبل بثلاثة مقابلات: صوتيات وعلم الأصوات والفونوتيكا.

الصوتيات وعلم الأصوات ترجمة للمصطلح الغربي، والفونوتيكا تعريب له، والتعريب لا يلجأ إليه إلا عجزت الترجمة عن تلبية الحاجة، ولهذا ينبغي أن يستبعد، وعندها ستبرز مشكلة وهي أن الصوت يتم تناوله من زاويتين رئيستين؛ زاوية دراسة الصوت مفردا قبل أن يدخل في تركيب، وهذا يدخل في إطار الـ (Phonetics)، وزاوية دراسة الصوت عندما يدخل في تركيب، وهذا يدخل في إطار الـ (Phonology)، يتفرع عن أولهما:

الدراسة النطقية، والدراسة الانتقالية (الفيزيائية)، والدراسة السمعية الإدراكية، ويتفرع عن الثاني: دراسة ما يحدث للأصوات من تغيير عندما تتجاور، دون أن يكون لذلك أثر في الوظيفة أو في المعنى، ودراسة الوظائف المعنوية التي تؤديها الأصوات في التراكيب (الفونيمات) فإذا ما أطلقنا صوتيات أو علم الأصوات على إطلاقه على أي منهما ربما حصل التداخل لأن ما يعبر عنه المصطلح الأول عند جمهور الباحثين

الغربيين ومدون في معاجمهم، على الرغم مما أشرنا إليه سابقا من اضطراب مفهوميهما عند الغربيين، هو أن الـ(Phonetics): «العلم الذي يدرس صفات آلية الصوت الإنساني وبخاصة تلك الأصوات المستعملة في الكلام، ويقدم المناهج لوصفها وتصنيفها وكتابتها، ويضم ثلاثة فروع: علم الأصوات النطقي(Articulatory phonetics) ... وعلم الأصوات الفيزيائي (Acoustic phonetics) ... وعلم الأصوات الإدراكي (Auditory phonetics)»[١].

وأمّا ما يعبر عنه الثاني(Phonology) هو: «أنه فرع من اللسانيات يدرس الأنظمة الصوتية للغات»[٢]، والنظام الصوتي للغة أيا كانت يبدأ من تضام الأصوات إلى بعضها لتكون الوحدة الدالة وقد نص العلامة تمام حسان وهو يحدد معالم كل نظام من أنظمة اللغة بقوله».

ومع أن هذين المصطلحين أساسيين في الدراسة الصوتية فإننا لن نقف عندهما كثيرا وذلك لضيق مساحة الخلاف بين الدارسين العرب حولهما، بل إن الخلاف حولهما لفظي من ناحية البنية، وأما من جهة المفهوم فالإجماع يكاد ينعقد على أن الأول منهما للدراسة الإفرادية للصوت والثاني للدراسة التركيبية وما يترتب عليها من تغييرات ووظائف، والخلاف اللفظي حولهما يمكن الخروج منه بما يأتي:

١- الصوتيات تكون علما على دراسة الصوت اللغوي كيف كانت تلك الدراسة؛ إفرادية أو تركيبية.

الـ (Phonetics) يقابل بالصوتيات الوصفية أو النطقية.

---

(1) A Dictionary of linguistics & phonetics. P 259

(2) A Dictionary of linguistics & phonetics . P261



ـ (Phonology) يقابل بالصوتيات التركيبية.

لتشمل الوظائف وما يحدث من تغييرات للأصوات عندما تتجاور.

❋ الـ Acoustics كما في معاجم مصطلحات اللسانيات في اللغة الإنجليزية، مصطلح يستعمل في الدلالة على العلم الذي يدرس الخصائص الفيزيائية لأصوات الكلام[(١)] ولهذا فإن مقابل المعجم الموحد وهو علم الصوت الفيزيائي من أنسب المقابلات له بعد تحويره بما يتسق والمصطلحات الأخرى، فيكون علم الأصوات الفيزيائي أو الصوتيات الفيزيائية، لأن السمعيات وعلم الأصوات السمعي ربما الأنسب لهما (Auditory phonetics)[(٢)].

-Phoneme و Phonematics يستعمل الأول منهما في الدلالة على أصغر وحدة صوتية في النظام الصوتي للغة، ولسنا بحاجة إلى القول بأنها تؤدي وظيفة، لأن كونها وحدة في النظام الصوتي يدل على أنها تؤدي وظيفة، أقول إن المصطلح الأول منهما قوبل في المعاجم موضوع الدراسة بـ: **صوتم، وفونيم، وفونيمية، وصوتيم، وصوت مجرد، ولافظ، ومُسْتَصوِت، ووحدة صوتية، وحرف صوتي.**

فأمّا صوتم فمكوّن من لفظ (صوت) عربيّ واللاّحقة (م)، وهو ما يجعل الدارس مترددا في الميم؛ أهي لاحقة أجنبية أم أنها لاحقة عربية تزاد لغرض المبالغة والتكثير، كما قالوا: خضرم وزرقم، في شديد

(١) السابق (ص ٢٥٩).

(٢) ينظر: A Dictionary of linguistics & phonetics 259-260، ومعجم المصطلحات اللغوية- البعلبكي (ص ٦٣)، والخولي (ص ٢٦)، والمعجم الموحد (ص ١٦).

الخضرة وشديد الزرقة، أو أنه مثل البلعوم، وقد يحذف فيقال: بُلعُم، كما قال ابن فارس: «مأخوذ من بلع، وزيد عليه ما زيد لجنس من المبالغة في معناه»[(١)].

على أنّ د. المسدي حاول إزالة هذا التردد ببيانه أن صيغة (صوتم): «صيغة تعتمد الاشتقاق لأنها من مادة (صوت) العربية، وتعتمد التوليد المعنوي لأنها تحويل للدلالة الأصلية من مجرد الوحدة الأدائية الصغرى إلى الوحدة الدلالية الدنيا. ولكنها صيغة تعتمد الدخيل المعرب، فيها الميم التي اقتبست من اللفظ الأجنبي، وفيها القالب الصرفي الذي وضع وضعا موازيا إذ هو على ميزان فعلم مما لا تعرفه لغة العرب ولكن تستسيغه لتجانسه مع (مفعل)»[(٢)].

وأنى لهذه الصيغة أن تتجانس مع مفعل إلا إذا كان ذلك على سبيل القلب المكاني في الصيغة بحيث يكون الأول آخرا والآخر أولا، وفي تصوري أن هذا اللفظ سيظل غريبا في بنيته غامضا في مفهومه على الرغم من المحاولات التي تبذل من أجل دمجه في منظومة اللغة العربية المصطلحية بعامة والمنظومة الصوتية بخاصة، ثم إن شيئا آخر على جانب كبير من الأهمية وهو أنه هل حدث في تاريخ العربية، رغم ما كانت تواجهه على مر العصور من نقص في المقابلات للمصطلح الوافد، أن طوعت الصيغ للألفاظ الأجنبية؟ الجواب فيما أعلم لا، والذي كان يحدث عكس ذلك تماما، فقد كانت تطوع اللفظة الوافدة إلى ضوابط العربية الصوتية بالإبدال أو بالزيادة أو بهما معا أو بالحذف، من ذلك على سبيل المثال:

(١) المقاييس (١/٣٢٩).

(٢) قاموس اللسانيات (ص ٧٦).



- لكام الفارسية، صارت: لجاما، بإبدال صامت بصامت.
- رنده الفارسية، صارت: أرندج، بزيادة صامت وإبدال آخر.
- شاه بور الفارسية، صارت: سابور، بحذف صامت.
- شِطرنج، صارت: شَطرنج، بإبدال صائت بصائت آخر.

وإلى ضوابطها الصرفية بتليين بنية اللفظ الأجنبي ليتلاءم مع طبيعة الوزن العربي، فيكون مقبولا خفيفا على اللسان، سواء وافقا وزنا عربيا في أصله، أم أقاموه على وزن عربي بإحداث تغيير في بنيته تمكنه من الاندماج في البنية الصرفية العربية، كما فعلوا مع: دنّار، تحولت إلى دينار، وألحقت بديماس.

وأما أن يعمدوا إلى التهجين على هذه الطريقة فيضيفوا على اللفظ العربي صوتا أعجميا؛ فهذا ما لم يحدث في سعة الحال.

والصوتيم شأنه شأن الصوتم، مكون من لفظ صوت، وهوعربي ولاحقة أجنبية (يم)، فهل يا ترى هو بوزن فعليم؟

ثم إن الصوت لا يصلح بمفهومه في الدرس الصّوتي مقابلا للفونيم، لأنّه «عمليّة حركيّة يقوم بها الجهاز النّطقيّ، وتصحبها آثار سمعيّة معينّة، تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصّوت، وهو الجهاز النّطقي، ومركز استقباله، وهو الأذن»[1]، والفونيم ليس كذلك، لأن المنطوق هو الألفون وليس الفونيم. ولكن بوصفه بالمجرد (صوت مجرد)، فهذا يمكن إخضاعه للدرس الجاد؛ المجرد عند المناطقة هو ...

(١) د. تمّام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها (ص٦٦)، وينظر: مناهج البحث في اللّغة (ص٧١).

فإذا كان المقصود بالمجرد هذا، فإن (صوت مجرد) يصلح أن يكون مقابلا للفونيم، لأن الفونيم لا يسمى فونيما إلا إذا دخل في تركيب ذهني لا منطوق، لأن المنطوق في التركيب هو أحد أفراد الفونيم الذي اصطلح على تسميته ألفونأ، يقول DAVID CRYSTAL:

«The phonemes of language are abstractions»(1).

واللاّفظ اسم فاعل من لفظ، يلفظ فهو لافظ، الدّالّة على الإلقاء، ويكون من الفم غالبًا(٢)، ومنه جاء اللّفظ، والفونيم في أحسن الأحوال يمكن أن يكون ملفوظا وليس لافظًا، لأنّ اللاّفظ هو مَن لفظ.

والصّوت اللّغويّ والوحدة الصّوتيّة مصطلحان عامّان لا نستطيع أن نقابلهما بالفونيم. وأمّا الفونيم فهو تعريب للمصطلح الأجنبيّ.

وأمّا الحرف فقد قال بمقابلته لمصطلح الفونيم عدد من اللّغويّين المحدثين(٣)، وهو مصطلح تراثي جعلوه علمًا على اكتمال العمليّة النّطقيّة بالصّوت اللّغويّ في الاصطلاح المعاصر، وبيان ذلك أنّ الهواء يندفع من الرّئتين، يحمل معه ذلك العرض الّذي يسمّيه ابن جنّي صوتًا حتّى يصل إلى النّقطة الّتي نريد أن نكوّن صوتًا فيها فيعترضه العضوان المكوّنان للصّوت (الشّفتان في حالة الباء والميم والواو) بالتّضييق أو بالانطباق، فإذا حصل هذا اكتملت العمليّة النّطقيّة بالصّوت وتحدّدت ملامحه من حيث المخرج والصّفات تحديدًا تامًّا، فأطلق عليه حرف الباء

(1) P 15 A Dictionary of linguistics & phonetics.

(٢) اللّسان، مادّة لفظ.

(٣) ينظر: اللّغة بين المعيارية والوصفيّة (ص١٣٠)، والمدخل إلى علم اللغة (ص٨٣) وما بعدها.



أو الميم أو الواو ... إلخ، وفي هذا يقول ابـن جنّـي: «اعلـم أنّ الصّـوت عرض يخرج مع النّفس مستطيلاً متّصلاً، حتّى يعرض له في الحلق والفم والشّفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمّى المقطع أينما عرض له حرفًا»[1].

وبأدنى تأمّل يتضح أنّ ما قرّره أولئك المحدثون يتناقض تمامًا ما قرّره ابن جنّي إلاّ إذا قصدوا إحداث خلخلة في المصطلحات المستعملة عنـد القدامى فيحلّ الصّوت الّذي هو عرض عند ابن جنّي، أو بمفهوم آخـر، الّذي هو المادّة الخام للحرف محلّ مصـطلح الحـرف، ثمّ نقـل الحـرف ليكون مقابلاً للفونيم.

ثم إن الحركات عند القدامى جنس قائم برأسه في أصوات العربية، أي هي القسم الثاني منها، يقول ابن جني بعد فراغه من الحديث عن الصوت والحرف: «فقد أتينـا علـى ذكـر معـنى الصـوت والحـرف ونتلـى ذلـك الحركة»[2].

وهذا دليل على أن الحركة قسيم للحرف وليست أحد أفراده، مـع أن ابن جني دندن حول أمر قد يفهـم منـه أن الحركـة مـن أفـراد الحـرف، كقوله: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المـد واللـين، وهـي الألـف والياء والواو»[3].

وكونها بعضه لا يعني أنها هو تماما، بل على العكس مـن ذلـك تـدل على أنها لا تساويه ولا تبلـغ شـأنه، يقـول ابـن جـني في موضـع آخـر:

(١) سرّ صناعة الإعراب (ص ٦).
(٢) السابق (ص ١٧).
(٣) السابق والصفحة.

«ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه، وذلك نحو فتحة عين عمر فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف فقلت عامر»[١].

ولعل مما هو أكثر وضوحا في التفريق بين الحرف والحركة قول ابن جني: «واعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله أو معه أو بعده»[٢].

وفي هذا دليل على أن الحركات تصلح مقابلا للمصطلح الغربي "Vowels"، والحروف مقابلا للمصطلح الغربي "Consonants" والقبيلان يشكلان الفونيمات الأساسية "Primary phonemes" ، في مقابل الفونيمات الثانوية Secondary phonemes.

فإذا تقرر أن الحركات ليست حروفا، فهي من باب أولى لن تكون فنمات وفي هذا تعطيل لقسم من الأصوات نص أكثر اللسانيين عل فونيميتها لتأثيرها في المعنى[٣]، كل هذا يجعلنا نقرر أن الحرف لا يصلح مقابلا لمصطلح الفونيم.

ووصف الحرف بالصوتي لن يغير من الأمر شيئا، لأنه لا يوجد حرف صوتي وآخر غير صوتي لأن من حاول ربط مصطلح الصوت بالكتابة أو بالرمز الكتابي فقط لا يسلم له بذلك، لأن علماء التراث أطلقوه على الرمز اللغوي كيفما كان منطوقا أو مكتوبا.

(١) السابق (ص ١٨).
(٢) السابق (ص ٢٨).
(٣) مع أنني لا أرى أنها ترتبط بالنسيج الفتمي للعربية.



والمستصوت اسم فاعل، من: استصوت، بوزن استفعل، الدّال على الطلب والصيرورة فكيف يكون علما على الوحدة الصوتية المؤثرة في المعنى، وهي غير منطوقة، وهذا هو المفهوم الذي ينبغي أن يستقر في أذهاننا ونبحث له عما يدل عليه، لا أن نرتجل المقابل ثم نحاول تطويعه للمفهوم.

وفي تصوّري أنّ مصطلح الفونيم يظلّ الأفضل لعدم وجود المقابل الدّقيق له في التّراث، وكذلك لعدم وجود تصوّر أو مفهوم واضح له في التّصوّرات والمفاهيم العربيّة القديمة، ويمكننا تطويعه إلى أبنية العربية لينضوي تحت واحد منها على نحو ما كان يصنع المتقدمون من علماء العربية فنقصر الضمة الطويلة والكسرة القصيرة في بنية اللفظة الأجنبية (فونيم) لتصبح (فُنِم) بوزن فُعِل.

وهو وزن معروف في الأسماء ومما جاء عليه قديما (دُئِل)، روي عن الأخفش: أنها دويبة، وبها سُمّيت دُئل، قبيلة أبي الأسود الدؤلي[(١)]، ومنه: وُعِل. قال ابن القطاع: «قال الخليل قد جاء وُعل لغة في الوعل»[(٢)].

ثمّ إن المقابلات التي قدمت لا يستطيع أي منها أن يفي بالغرض إلا الصوت المجرد، على نحو ما بيّنا أعلاه، والمصطلح كما هو مقرّر بين الدّارسين «رمز لغويّ يتألّف من الشّكل الخارجيّ والتّصوّر أو المفهوم»[(٣)].

---

(١) أبنية الأسماء والمصادر (ص ١٤٧).

(٢) السابق، والصفحة.

(٣). هالموت فلير، النّظريّة العامّة للمصطلحيّة (أساس نظريّ للمعلومات)، ترجمة: محمّد خليل وسعد مصلوح، مجلّة المعجميّة ١٩٨٦ (٢: ٣).

❋ **Allophone** (ألفون) :

قوبل بـ: **صوتم تعاملي، ألفون، متغير صوتي، بديل صوتي، بدل صوتي، الصورة الصوتية.**

فأما الصوتم التعاملي، فأمره كالصوتم في الفونيم، وألفون هذا هو اللفظ الأجنبي، والمتغير الصوتي كيف يمكن أن يعبر عن مفهوم الألفون؟ ومثله البديل الصوتي والبدل الصوتي، وأما الصورة الصوتية فهي تعريف له يحتاج إلى تتمة.

والألفون عندهم: التّنوّعات النّطقيّة للفونيم(١)؛ إذ هو «صوت كلاميّ حقيقيّ يشكّل مع أصوات أخرى تماثله عائلة واحدة مجرّدة تسمّى فونيمًا»(٢).

- متغيّر صوتيّ. متغيّر اسم فاعل من تغيّر الدّال على التّحوّل والانتقال من حال إلى حال، وصوتيّ مضاف إليه ومحدّد لنوع التّغيّر، فهل المعنى الحاصل يتّفق مع معنى الألفون؟

- صوتم تعاملي: صوتم مكوّنة من صوت واللاّحقة الميم الدّالّة على الكثرة، إن كانت عربيّة، واللاّحقة (m) في فونيم، وقد مرّ معنا هذا الجزء على أنّه مقابل للفونيم. وأمّا تعامليّ، فمن تعامل الدّال على المشاركة في التّعامل مع ياء النّسب، فكأن المقصود بذلك (فونيم منسوب إلى التّعامل) فهل هذا المعنى يتّفق مع حقيقة الألفون؟ وهو إحدى صور الفونيم أو التّنوّعات النّطقيّة للفونيم.

---

(1) 15. A Dictionary of linguistics & phonetics.

(٢) الخولي، معجم علم اللّغة النّظريّ (ص١١). وقارن بالسابق (ص ١٥).



ويبقى الألفون الأوفر حظا في الدلالة على المفهوم المقصود كصنوه الفونيم، ويمكننا إجراء تعديل على بنيته لينـدمج في البنيـة الصرفية العربية: ألوفون يصير(أُلْفن) بـوزن أُفعُـل، ومنـه أُصـبُع وأُمهُج لضرب من اللبن عن ابن القطاع، وهو اللبن الخالص كمـا في اللسان[١].

❋ Archiphoneme

قوبل بـ: **صوتم كلي، والفونيم الأم، وفونيم شامل، أو نائب، ووحدة صوتية جامعة.**

والمفهوم الذي يدل عليه هو الوحدة الصـوتية (الفـونيم) الـذي ينطـق بصور متعددة بسبب المناطق الجغرافية لا بسبب التركيب، كالقاف الـتي تنطق (كـ) و (آ) و (غ)، فهل يعبر واحد من تلك المقابلات عـن ذلـك المفهوم ؟

وفي تصوري أن القصور وعدم الوضوح يلف تلك المقابلات جميعها إلا ما كان من الوحدة الصوتية الجامعة، فإنه وإن كان واضحا في دلالتـه على المقصود فإنه تعريف وليس لفظا مقابلا.

فصوتم كلي، يقابله صوتم بعضي، وهذا لا يستقيم إضافة إلى مـا بيّنـا من غموض في بنية صوتم، والفونيم الأم والفونيم الشامل ربما فيهما من الوضوح أكثر ممّا في غيرهما، ولكن الأوضح منهما هو (فنم أصلي).

والأصالة والفرعية من الأمور التي كان لها شـأن في الـدرس اللغـوي العربي بمختلف فروعه، وفي مجال الأصوات كان يطلقون لفـظ الأصـل

(١) اللسان مادة (م هـ ج).

على الحروف التي نطق بها الفصحاء ويعدون ما سواها فروعا، يقول سيبويه: «فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا ... وتكون خمسة وثلاثون بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين ... وتكون اثنتين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته ... وهذه الحروف التي تممتها وأربعين جيدها ورديئها أصلها من التسعة والعشرون»[(١)].

فإذا ما استقر الفنم في منظومتنا المصطلحية فإن ما يناسب هذا المفهوم هو (الفنم الأصلي)، وتكون التنوعات اللهجية فُنمات فرعية، وتكون الصوامت والصوائت فُنِمات أساسية، واللحون والنغمات فنمات ثانوية.

❋ Accent

وهو مصطلح يستخدم في مجالات متعددة وما وضع له من مقابلات يناسب والمجال هو الذي يحدد المقابل الدقيق (نبر، لكنة، علامة مميزة) لكن استعماله على الإطلاق ينصرف إلى اللُّكنة. جاء في A Dictionary of linguistics & phonetics أن «Accent أثر سماع تراكمي لتلك المميزات النطقية التي تحدد هوية المتكلم البيئيّة والاجتماعية»[(٢)].

❋stress

وعرفه معجم A Dictionary of linguistics & phonetics بأنه «مصطلح يستعمل في الصوتيات النطقيّة للإشارة إلى درجة الجهد

(١) الكتاب (ص ٤٣١، ٤٣٢).

(2) P 2 A Dictionary of linguistics & phonetics.



المبذول في إنتاج مقطع من مقاطع الكلام»[١]، وقد قابله المعاجم موضوع الدراسة بما يأتي: وقع، نبرة، نبرة تقابلية.

وما يصلح أن يكون مقابلا دقيقا هو النبر، مع أن الخلاف يكاد يكون لفظيا بين تلك المقابلات، والذي دفعنا إلى ترجيع نبر على سواه أنه بصيغة المصدر الأصلي، وهو صيغة تستوعب العموم. وأما نبره فإنها يوزن فعْلة وهو مصدر مرة، وأمّا وقع فهو وإن كان بصيغة المصدر الأصلي فإن دلالته على الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة ليست واضحة كل الوضوح.

❋ Articulation

وعرفه معجم A Dictionary of linguistics & phonetics بأنه: (مصطلح عام في الصوتيات النطقية للحركات الفسيولوجية المستخدمة في تعديل تيّار الهواء airflow لإنتاج أنواع مختلفة من أصوات الكلام المستعمِلة لمجرى الصوت tract vocal فوق الحنجرة Larynx)[٢].

وقد قابلته المعاجم موضوع الدراسة بما يأتي: تقطيع تمفصل مزدوج، نطق، بناء، تلفظ، لفظ. وما يناسب هذا المفهوم هو النطق وأما ما عداه فإنها ألفاظ مرتبطة بمفاهيم أخرى.

❋ Assimilation

وعرفه معجم A Dictionary of linguistics & phonetics بأنه «مصطلح يستعمل في الصوتيات الفوقطعية للإشارة إلى تأثر صوت

(١) السابق (ص ٣٢٨).

(2) A Dictionary of linguistics & phonetics . P 259.

بصوت آخر جزئيا (يؤدي إلى اقترابه منه في النطق) أو كليا (يؤدي إلى قلبه إلى ذلك الصوت)»[١].

وقابلته المعاجم موضوع الدراسة لـ إدغام مماثلة، مجاورة تقريب.

وما يناسب المفهوم هو المماثلة وأما الإدغام فهو حالة من الحالات التي يلجؤ إليها المتكلم بعد حصول التماثل، وما عداه من مقابلات لا تعبر عن المفهوم على نحو دقيق.

❋ Dissimilation

وعرفه معجم A Dictionary of linguistics & phonetics بأنه «مصطلح عام في الصوتيات النطقية والوظيفية يدل على تأثر صوت بصوت آخر تأثرا جزئيا أو كليا يؤدي إلى مغايرتهما»[٢].

والمعاجم موضوع الدراسة قابلته بـ تباين، مخالفة مباينة، مغايرة، إبدال، تبعيد صوتي، تخالف. وما يعبّر عن المفهوم على وجه الدقة هو المخالفة مع أن المباينة والمغايرة والتحالف يمكنه التعبير عنه ولكن المخالفة أخف في التطبيق وأوضع في الدلالة وإما الإبدال فهو جنس من المخالفة، وأما التبعيد الصوتي ففضلا عن طوله وتركيبه فهو شرح للمصطلح.

❋ من Intonation

وقدّمت له المعاجم موضوع الدراسة مقابلين؛ تنغيم قدمته خمسة معاجم، ونبرة قدمه معجم واحد. و بالرجوع إلى معاجم اللغة الإنجليزية

(١) السابق (ص ٢٨).
(٢) السابق (ص ١٠٨).



يتّضح أن «تنغيم» هو المقابل الأنسب له، جـــاء في A Dictionary of linguistics & phonetics أن " intonation "، مصطلح يستعمل في دراسة الصوتيات المعملية للدلالـة علـى الاسـتعمال المميـز لأنمـاط اللحن أو التناغم ودرجة الصوت[(١)].

وهو ما يتفق مع المعن اللغوي للتنغيم. جاء في اللسان مادة (ن غ م): أن «النغمة: جرس الكلمة، وحُسْن الصـوت في القـراءة وغيرهـا، وهـو حسَنُ النغمة، الجمع: نغْم ... والنغمة: الكلام الحسن»[(٢)].

و أما (نبرة)؛ فإن مادة (ن ب ر) في اللسان تـدلّ علـى الهمـز وعلـى ارتفاع الصوت «النبر بالكلام: الهمز ... وكلّ شيء رفع شيئا: فقد نبره ... (و) نبر الرجل نبرة: إذا تكلم بكلمة فيها عُلُو ...»[(٣)].

ممّا سبق يتضح: أن بعض المعـاجم لم تكـن دقيقـة في صـوغ بعـض المقابلات العربية للمصطلح الوافد، ومرد هذا واحد من أربعة أمور:

١- غياب المنهجيّة الواضحة في الصياغة، من حيث ترتيب الوسائل.(التعريب الترجمة الدمج)

٢- عدم وضوح المفهـوم الأصـلي عنـد صـاحب المعجـم. ونقصـد بالمفهوم الأصلي، ما استخدم المصطلح الأجنبي في الدلالة عليه.

٣- اختلاف مشـارب أصـحاب المعـاجم. وترددهـا بـين الإنجليزيـة والفرنسية، بل بين الإنجليزية الأمريكية والإنجليزية البريطانية.

(1) A Dictionary of linguistics & phonetics . P 182.

(٢) اللسان (مادة: ن غ م).

(٣) اللسان (مادة: ن ب ر).

٤- الاضطراب في تحديد المفهوم من المصدر. كما في Phonetics و Phonology.

والله الهادي إلى سواء السبيل.



المصادر والمراجع

أولا : المصادر

أ – العربية

- معجم علم اللغة النظري. د. محمد الخولي. مكتبة لبنان- ط ١ بيروت (١٩٨٢).
- قاموس اللسانيات. د. عبد السلام المسدي. الدار العربية للكتاب (١٩٨٤)
- معجم اللسانية. د. بسام بركة. منشورات جروس - برس، طرابلس، لبنان (١٩٨٤).
- المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات – مكتب تنسيق التعريب (١٩٨٩).
- معجم المصطلحات اللغوية. د رمزي منير البعلبكي. دار العلم للملايين بيروت (١٩٩٠).
- معجم اللسانيات الحديثة. د. سامي حنا وآخرِيْن. بيروت (١٩٩٧).

ب - الأجنبية

- D . Crystal 3rd Edition–Basil Black well .1990 -A Dictionary of linguistics & phonetics

ثانيا : المراجع

الكتب :

- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم- دمشق، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه) تحقيق: عبد السلام هارون، دار القلم-بيروت، ١٣٨٥هـ.
- اللسان، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، دار صادر-بيروت، ط ٣، ٢٠٠٤.
- اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، دار الثقافة-الدار البيضاء/المغرب، ١٤٠٠هـ.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة-الدار البيضاء/المغرب، ١٤٠٠هـ.
- مباحث تأسيسية في اللسانيات، د. عبد السلام المسدي، تونس، ١٩٩٧.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط ثانية، ١٤٠٥هـ.
- معجم الأبنية العربية (الأسماء والأفعال والمصادر)، د. أحمد عبد الدائم، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ٢٠٠٢.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، دار الثقافة-الدار البيضاء/المغرب، ١٤٠٠هـ.



الدوريات

- مجلة المعجمية- جمعية المعجمية العربية/ تونس، العدد ٢-١٩٨٦.
- مجلة الدراسات المعجمية- العدد السادس – ذو الحجة ١٤٢٨.

المخطوطات

- مشروع معجم التواصل اللغوي - مكتب تنسيق التعريب- الرباط.

دلالة مصطلح الكلمة

في القرآن الكريم

دراسة وصفية

د . هشام خالدي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

العددان الثالث والرابع
رجـــــب ١٤٣٥هـ
مـــايــو ٢٠١٤م

مجلة مجمع اللّغة العربية
على الشبكة العالمية



السيرة العلمية:

د. هشام خالدي

- ماجستير في علم اللهجات، من جامعة تلمسان، بالجزائر عام ٢٠٠١م.
- دكتوراه في اللّغة العربية، من جامعة مستغانم بالجزائر عام ٢٠٠٧م.
- يعمل حاليًّا محاضرًا في قسم اللّغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللّغات، بجامعة أبي بكر بلقايد، بتلمسان.

ملخص الكلمة :

تفرض الكلمة المنطوقة نفسها على أسماعنا أناء الليل وأطراف النهار، سواء في الشارع أو البيت، أو في قاعات الدرس، أو عن طريق الإذاعة المسموعة والمرئية، كذلك تُلحُّ الكلمة المكتوبة على أعيننا أينما ذهبنا، في الكتب والصحف والمجلات، وفي الشارع على شكل إعلانات ولافتات.

وللكلمة كيان مستقل في الكتابة والطباعة، كما تتمتع بذاتية واستقلال في المعجم، وهي بعد هذا وذاك تخضع في استعمالها لعدد لا يخص من القيود والعادات، بل كانت في كثير من الأحيان موضوع العبادة والتقديس كما أحاطت بها أساطير وعادات فراغية.

R–sum–

Le mot –nonc– s'impose – nos ou–s pendant la nuit et le jour, dans la rue et – la maison, dans les classes ou – travers la radio et la t–l–vision.Le mot –nonc– persiste devant nos yeux partout l– o– on va, dans les livres, les journaux et les magazines, dans la rue sous forme de publicit–s et panneaux.

Le mot a une entit– ind–pendante dans l'–criture et la typographie.Il jouit de l'autonomie dans le dictionnaire.Il soumit, apr–s tout, dans son usage, aux plusieurs restreints et traditions illimit–es. Il –tait



souvent l’objet de culte et de sanctification et cern- par des mythes et des traditions interstitielles.

Abstract

The spoken word imposes itself on our ears during the night and the day, in the streets and at home, in classrooms or through radio and television. The spoken word remains and stands before our eyes whereverwe go, in books, newspapers and magazines, on the street on form of advertisements and signs.

The word has an independent entity in writing and typography. It has its own autonomy in the dictionary. He submitted, after all, in its use, more limitations and unlimited traditions. He was often the object of worship and sanctification and surrounded by myths and interstitialtraditions.

تقديـــم :

تفرض الكلمة المنطوقة نفسـها علـى أسماعنـا أنـاء الليـل وأطـراف النهار، سواء في الشارع أو البيت، أو في قاعات الدرس، أو عن طريـق الإذاعة المسموعة والمرئية، كذلك تُلحُّ الكلمة المكتوبة على أعيننا أينما ذهبنـا، في الكتـب والصـحف والمجـلات، وفي الشـارع علـى شـكل إعلانات ولافتات.

وللكلمة كيان مستقل في الكتابة والطباعة، كما تتمتع بذاتية واستقلال في المعجم، وهي بعد هذا وذاك تخضع في استعمالها لعدد لا يخص من القيـود والعـادات، بـل كانـت في كـثير مـن الأحيـان موضـوع العبـادة والتقديس كما أحاطت بها أساطير وعادات فراغية.

الكلمة في المعجم :

يقول ابن منظور (ت ٧١١هـ): «إنّ للكلمات أعمـالاً عظيمـة تتعلـق بأبواب جليلة من أنواع المعالجات، وأوضاع الطِّلّمسـات، ولهـا منـافع شريف بطبائعها، ولهـا خصوصـية بـالأفلاك المقدّسـة، وملائمـة لهـا، ومنافع لا يحصيها من يصفها»[١].

لهذا كلّه لم يكن من الغريب أن تتفرد الكلمات باهتمـام خـاصّ مـن علماء اللّغة قديمًا وحديثًا.

فقد نجد الكثير من النّاس وبعض علماء اللغة والمعـاجم يتصـوّرون الكلمة في صورتها المكتوبة أكثر من المنطوقـة، ولعـلّ ذلـك يرجـع إلى

(١) لسان العرب، ابن منظور، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د، ت)، مادة (ك، ل، م).



تأثير ملايين الكلمات التي نراها، ولكن من الحقّ أيضًا أن نقول: إن علماء المعاجم ظلّوا لفترة طويلة ينظرون إلى الكلمة في شكلها المكتوب، وخاصّة فيما يدرسونه من نصوص لغوية فميا يعرف بفقه اللّغة عند الغربيين Philology[١].

الكلمة اصطلاحا :

وقد حاول بعض علماء اللغة المحدثين وضع تعريف عام للكلمة بحيث ينطبق هذا التعريف على كل اللغات، آخذين في الحسبان وجهات النظر المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، ومن ثم تعددت التعريفات، وواجه كل تعريف منها نقدا من علماء اللغة على اختلاف مدارسهم[٢].

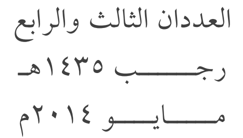
ولعل أشهر من عرَّف الكلمة من علماء اللغة المحدثين، العالم اللغوي "بلومفيلد" Bloomfield الذي قال: «الكلمة هي أصغر صيغة حرّة»[٣].

ومعنى هذا أن الكلمة عنده هي أصغر وحدة لغوية يمكن النطق بها معزولة كما يمكن أن تستعمل أو تدخل في ترتيب جملة أو كلام، ومع ذلك فإننا، قد نجد في بعض اللغات كلمات لا ينطبق عليها هذا التعريف، ففي اللغة الإنجليزية مثلا نجد عناصر لغوية مثل: (a) أداة

(١) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م (ص ٣٤).

(٢) The wala asa linguistic Nuit, Prais, Mouton the hagere, 1959.P.17.

(٣) مقدمة لدراسة التراث المعجمي، حلمي خليل (ص ٣٥).



التعريف (the) لا تستعمل بمفردها، ومثل ذلك في اللغة الفرنسية وكذلك حروف الجر وبعض الضمائر في اللغة العربية.

أمّا عالم اللغة الإنجليزي "فيرث" Farth، فقد اعتمد في تحديد الكلمة على الاستبدال التقابلي في الوحدات الصوتية للكلمة أي أن حدود الكلمة وماهيتها تحقق عنده بواسطة هذه العمليات الاستبدالية، فكلمة مثل Pin قد تصبح طبقا لذلك Bin أو Pan أو Pit، فإذا أضفنا إليها صوتا جديدا قد تصبح Spin، وأما الحذف فيحولها إلى in[(١)].

فإذا مضينا في تتبع التعريفات التي وضعت للكلمة وجدنا عددا من التعريفات أثارت عاصفة من الجدل حولها فمن ذلك:

١. تعريف "ترنكا" Tranka الذي يقول: «الكلمة وحدة يمكن إدراكها عن طريق الفونيمات وهي قابلة للإبدال ولها وظيفة دلالية»[(٢)].

٢. وعرّف "ماتيسيوس" Mathesins الكلمة بأنها «أصغر وحدة صوتيه لا يمكن أن ترتبط بوحدات أخرى»[(٣)].

٣. وقال "قاشيك" Vachek: إن الكلمة «هي جزء من الحدث الكلامي له صلة بالواقع الخارج عن اللغة، ويمكن عدُّها وحدة غير قابلة للتقسيم، ويتغير موضوعها بالنسبة لبقية الحدث الكلامي»[(٤)].

(١) دور الكلمة في اللغة، أولمان ستيفن، ترجمة كمال بشر، القاهرة مكتبة الشباب، ١٩٥٧م (ص ٤٥).
(٢) مقدمة لدراسة التراث المعجمي حلمي خليل (ص ٣٥).
(٣) المرجع نفسه (ص ٣٥).
(٤) المرجع السابق (ص ٣٦).



٤. وعرّفها "أنطون مييه"، بقوله: «تحدث الكلمة من ارتباط معنى ما بمجموع ما من الأصوات قابل لأن يستعمل استعمالا نحويا»[1].

وبالرغم من تعدد التعريفات على هذا النحو، فقد وجد علماء اللغة أن كل تعريف منها غالبا ما يهمل بعض الخصائص اللغوية أو الوظيفية للكلمة، كما لا ينطبق على كل اللغات على اختلاف عائلاتها وخصائصها.

وقد حُصرت هذه الأخطاء التي تضمنتها هذه التعريفات، من طرف بعض العلماء فوجدوا أن هذه الأخطاء غالبا ما تكون واحدًا من الأربعة الآتية أو كلّها معًا، وهي:

١. إضفاء أهمية مبالغ فيها أحيانا على الملامح الدلالية وحدها دون النظر في طبيعة العلاقة المعقدة بين الصوت والمعنى.

٢. عدم تقدير أهمية علاقة الكلمة بالجملة وعلاقة الجملة بالكلمة.

٣. عدم الفصل بين خصائص الكلمة من الناحية اللغوية وبين أهميتها الدلالية.

٤. الخلط في تعريف الكلمة، واللغة في حالة التطور، وتعريفها واللغة في حالة الثبات.

وبناء على ذلك أخذت فكرة وضع تعريف جامع مانع للكلمة تتراجع وحلت محلها فكرة وضع معايير عامة يتوخاها كل من يتصدى لتحديد ماهية هذا الصوت المعقد الذي يسمى الكلمة، وهذه المعايير هي:

(١) اللغة، فندريس، ترجمة الدواخلي والقصاص، القاهرة، مكتبة الأنجلومصرية ١٩٥٠ (ص ١٢٩).

١-الإدراج Insertion

٢-الإبدال Substitution

٣-التعاقب sequence

٤-الاستقلال independence

٥-التركيب الضوئي Phonemic struture

٦-الجانب غير الفونيمي Nom-Phonemic[(١)]

غير أن هذه المعايير قد لا تستجيب لها بعض اللغات، بل تظل تحمل في طياتها ملامح لغة معينة، ومن المسلم به أن الاختلاف في تركيب لغة ما ينعكس أيضا على الوحدات اللغوية لهذه اللغة.

وعلى هذا الأساس فعلماء اللغة عندما وصلوا إلى التحليل المرفولوجي للغة والكلام استوحوا من مصطلح الكلمة الغامض شديد التعقيد، فهل شاركهم في ذلك علماء المعاجم وأصحاب فن الصناعة المعجمية، خاصة بأن التحليل المورفولوجي للغة قد يضع حدا لفكرة أن يتضمن معجم أي لغة الوظائف الصرفية والنحوية للكلمات إذ هي جزء من دلالة الكلمة التي يضعها المعجمي في مقام رفيع، ومن ثم هل يمكن وضع معجم تُصنف مداخله على أساس من المورفيمات دون الكلمات؟

وقبل الإجابة عن ذلك يجدر بنا أن ننظر إلى علماء العربية القدماء ومن حيث اهتمامهم بمصلح الكلمة وتعريفه ومفهومه.

(١) مقدمة لدراسة التراث المعجمي، حلمي خليل، ص ٣٧.



مصطلح كلمة عند علماء العربية :

أمّا سيبوبه (ت ١٨٠هـ) فلم يحاول وضع تعريف للكلمة ويبدو أنه أحسَّ بما يَعْتَور هذا المصطلح من غموض وإبهام، فبدأ كتابه بتقسيم أجزاء الكلام مباشرة دون الخوض في تعريف الكلمة، فالكلام عنده «اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ليس باسم ولا فعل»[(١)].

واقتفى أثره في ذلك المبرد (ت ٢٨٥هـ)، «فالكلام عنده اسم وفعل وحرف جاء لمعنى»[(٢)].

غير أنه يستخدم مصطلح (الكلمة)، فيما بعد، ويحاول تحديده مُستندا إلى بنيتها واستقلالها يقول: «فأقل ما تكون عليه الكلمة حرف واحد ولا يجوز لحرف واحد أن ينفصل بنفسه لأنه مستحيل»[(٣)].

وهو يقصد بالحرف الواحد، الحرف الذي يمكن النطق به، أي الذي يتألف من صوتين، صائت وصامت مثل حرف الجر، الباء واللام.

أما الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) فيعرف الكلمة بقوله: «هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع»[(٤)].

ويتناول ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) هذا التعريف بالشرح والتحليل حيث يرى أن مصطلح لفظة في هذا التعريف يدل على جنس الكلمة، وهو

---

(١) الكتاب، سيبويه، شرح وتحقيق، عبد السلام هارون، القاهرة، دار القلم، ١٩٧٦ (٢/١).

(٢) المقتضب المبرد، تحقيق، عبد الخالق عضيمية، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٩هـ (٣/١).

(٣) المرجع نفسه (٣٦/١).

(٤) المفصل في العربية، الزمخشري، بيروت، دار الجيل، ط٢، (د،ت) (ص ٦).

يقصد باللفظ النطق وذلك لأن الإنسان قد ينطق بالمهمل، أي الذي لا معنى له، والمستعمل أي الذي له معنى.

الكلمة إذن عند الزمخشري كما شرح ابن يعيش هي ما توافر فيها شروط ثلاثة:

١. اللفظ أو الصوت.

٢. الوضع أو قصد المعنى.

٣. الاستقلال بدلالة محددة.

أمّا جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) فيعرف الكلمة بقوله: «كلمة لغة تطلق على الجمل المفيدة وهذا الإطلاق منكر في اصطلاح النحويين وهو من أمراضها التي لا دواء لها، كما يقال، ثم يرى أن أفضل تعريف للكلمة هو أنها: «قول مفرد أو مَنْوي معه»[(١)].

ويرى أن حروف المضارعة وياء النسب وتاء التأنيث ليست بكلمات لعدم استقلالها أي أنها تستعمل دائما متصلة بغيرها وهو بذلك يحوم حول فكرة المورفيمات المقيدة والمورفيمات الحرة، لأن العناصر اللغوية التي أشار إليها تستدرج جميعا تحت المورفيمات المعتمدة وأما قوله: «مَنْوي معه» فهويُشير به إلى الضمائر المستكنة أو المستترة وجوبًا، مثل: (أنت) في فعل الأمر (قم)، أو جوازًا في الفعل الماضي (ذهب)، ويلخص لنا ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) في ألفيته موقف النُّحاة من مفهوم الكلمة حين يقول:

كَلاَمُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقِم   اسْمٌ وفعْلٌ ثُم حَرْفٌ الكَلِمْ

(١) همع الهوامع، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار المعرفة (د-ت) (١/٣).



وَاحــدةٌ كَلمَــةٌ والقَــولُ عـــَمّ   وكَلمَــةٌ بهَــا كَــلاَمٌ قَــدْ يُــؤَمّ

وهو هنا يفرق بين مصطلحات أربعة شغلت النّحـاة، وهـي: الكلمـة والكلم والكلام والقول.

من هذا كله نستطيع القول بأن الكلمة كما يصورها نحاة العربية عبارة عن صوت منطوق، وتتألف من صامت وصائت على الأقل، وتدل على معنى مستقل مفرد، ولها وظيفة نحوية، أو بعبارة أخـرى، أن تصـورهم يقوم على المعايير الآتية:

١. الصوت

٢. البنية

٣. الدلالة المفردة أو الجزئية كما يقولون.

٤. الاستقلال .

٥. الوظيفة النحوية، هي اسم أو فعل أو حرف جاء لمعنى.

فالكلمة عندهم من حيث هي دالة على معنى، قد تتميز عـن غيرهـا ومن حيث هي صوت فهي ذات قيمة تعبيرية وجماليـة، لأنهـا إذا كانـت غير متنافرة الأصوات أحدثت عند سماعها متعة وسـاعدت علـى تـذوق المعنى وتوصيله، ولها علاوة على ذلك طاقة تعبيريـة، خاصـة إذا كـان جرسهم يتفق مع ما توحي به من دلالة، وكانت أصواتها سـهلة المخـرج سلسلة اللفظ مطابقة لما تدل عليه.

ولعل ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) مـن أوائـل علمـاء البلاغـة العربية، الذين اهتموا بالجانب الصوتي والجانب الدلالي للكلمة بما لهـا

من صلة بمفهوم الفصاحة والبلاغة، وذلك إذ يقول : «والفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني، ولا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يَفْضُل عن مثلها بليغة، وإن قيل فصيحة»(١)، أي: أن الفصاحة وصف للألفاظ المفردة أو الكلمات في حين أن البلاغة وصف للتراكيب أو الجمل.

وعليه فقد حاول ابن سنان أن يحدد بطريقة منهجية المفهوم الدقيق لفصاحة الكلمة كما يراه، فقال: «إن الفصاحة على ما قدمناه نعت للألفاظ إذ أو جدت على شروط عدة ومتى تكاملت تلك الشروط، فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ، يحسب الموجود منها، تأخذ القسط من الوصف، وبوجود أضدادها، تستحق الإطراح والذم وتلك الشروط تنقسم قسمين: فالأول منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن ينظم إليها شيء من الألفاظ وتؤلف معه. والقسم الثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض»(٢).

- أما فيما يتصل بفصاحة اللفظة المفردة فثمانية أشياء:

١. أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة.

٢. أن نجد لتأليف اللفظة في السمع حسنا ومزية على غيرها.

٣. أن تكون الكلمة غير متوعرة أو وحشية.

٤. أن تكون الكلمة غير ساقطة أو عامية.

(١) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق علي فودة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م (ص ٥٩-٥٦).

(٢) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (ص ٤).



٥. أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح، غير شاذة ويدخل في هذا القسم كل ما ينكره أهل اللغة، ويرده علماء النحو و التصريف.

٦. ألا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره، فإذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قَبُحَت وإن كَمُلتْ فيها الصفات التي تبناها.

٧. أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة قَبُحَتْ وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة.

٨. أن تكون الكلمة مصغرة في موضوع يعبر بها فيه عن شيء الطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك، فإما أراها تحسن به.

ثم يختم حديثه عن شروط الفصاحة بعد أن يفصل في كل واحد منها ويمثل له قائلا: «وهذه الأقسام الثمانية هي جملة ما يحتاج إلى معرفته في اللفظة المفردة بغير تأليف، فَتَأَمَّلْها، وقس عليها ما يرد عليك من الألفاظ، فإنك تعلم الفصيح من غيره»(١).

تلك هي شروط فصاحة الكلمة كما تصورها ابن سنان، فإذا استبعدنا من هذه الشروط كل ما له صلة بتقييم الكلمة من الناحية التعبيرية والجمالية، لأن المعجمي لا يلتفت عادة إلى هذا الجانب من الكلمة، وجدنا أن تصور ابن سنان للكلمة يصل بجوانب أساسية من ماهية الكلمة وحقيقتها وهي:

١. الصوت.

(١) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (ص ٦٠- ٨٤).

٢. الصيغة

٣. الدلالة.

٤. الاستقلال.

ومثل هذا التصور للكلمة تجده أيضًا عند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) على الرغم من هجومه الشديد على فكرة فصاحة اللفظة المفردة كما نادى بها ابن سنان وغيره من علماء البلاغة.

فالكلمة المفردة عنده من حيث هي صوت لا وزن ولا قيمة لها في فصاحة أو بيان أو بلاغة[1]، وعليه فالكلمة عنده أصوات ودلالة، بل هي رمز أو صورة ذهنية نتعرف بواسطتها عن الوجود خارج اللغة[2].

الكلمة إذن عند البلاغيين لها وجود واضح بعيدا عن اللغة المكتوبة، فهي أصوات ذات دلالات وصيغ، بل هي كما قال عبد القاهر رمز لما في خارج اللغة، غير أنهم لم يحاولوا وضع تعريف نظرية عامة للكلمة، كما لم يحاولوا النظر إليها خارج إطار اللغة العربية، ولعل السبب في ذلك أنهم رأوا أن اللغة العربية لها خصوصية تنفرد بها عن كل اللغات الأخرى، وهذا غير صحيح من الناحية اللغوية الخالصة.

أما علماء العربية المحدثون فلم يحاول أحد علم وضع تعريف للكلمة فيما نشروه من دراسات أو أبحاث، في علم اللغة، والتعريف

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق، أحمد مصطفى المراغي، القاهرة المكتبة العربية، ط١، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م (ص ٣٧، ٤٢، ٦٨، ٢٣٢، ٢٥٩، ٢٦٢).

(٢) المرجع نفسه (ص ٣٣٧).



الوحيد، - فيما يعلم- للكلمة، هو ما قدمه تمام حسان في كتابه مناهج البحث في اللغة، وهو تعريف خاص بالكلمة العربية، وليس تعريفا عاما للكلمة بشكل عام، يقول: إن الكلمة: «صيغة ذات وظيفة لغوية معينة في تركيب الجملة وتقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح أن تفرد أو تحذف أو تحشي أو يتغير موضوعها أو تُستبدل في السياق، وترجع مادتها إلى أصول ثلاثة وقد تلحق بها زوائد»[١].

وعلى الرغم من خصوصية التعريف على هذا النحو فإن المعايير المتقدمة فيه يمكن رصدها في ما يلي :

١. وحدة من وحدات المعجم

٢. السياق سواء بالحذف أو الاستبدال أو الإفراغ.

٣. الدلالة من حيث هي وحدة من وحدات المعجم.

٤. الوظيفة الصرفية

٥. الوظيفة النحوية.

أما المعيار الصوتي فلا يكاد يذكر عنه شيئا، كأنما تتمثل الكلمة المكتوبة أكثر من المنطوقة[٢].

ليس إذن للكلمة حد عام يصدق عليها في كل اللغات، ومع ذلك فهناك لغات، كما يقول فندريس vandryes يسهل فيها تحديد الكلمة من حيث

---

(١) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦م (ص ٢٢٦).

(٢) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل (ص ٤٩).

هي وحدة لا تتجزأ بينما هناك لغات أخرى تذوب فيها الكلمة في الجملة على نحو ما، بحيث لا يمكن تحديدها مثل اللغة الفرنسية والتركية وبعض اللغات الإفريقية. أما اللغات السامية واللغات الهندية الأوروبية القديمة مثل السنسكريتية أو اليونانية القديمة، فالكلمة فيها استقلال واضح يظهر في كثير من جوانبها الصوتية والصرفية والدلالية»[١].

والبديل الحقيقي لمصطلح الكلمة، على الأقل على مستوى التحليل اللغوي هو المورفيم بأنواعه الثلاثة، ومع ذلك يستعمل علماء اللغة بالإضافة إلى ذلك مصطلحات يرون أنها أكثر دقة من مصطلح الكلمة، مثل، المفردات أو الوحدات اللغوية، أو الوحدات المعجمية.

غير أن دراستهم تلك حول الكلمة كشفت عن أهمية المعلومات الصوتية والصرفية والنحوية فيما يتصل بفن صناعة المعجم من حيث ضرورة إضافة مثل هذه المعلومات في المعجم، لأنها تتصل بأهم جانبين في جوانب المادة المعجمية وهما، النطق والدلالة.

ولعل هذا هو السبب وراء تمسك علماء المعاجم بالمفهوم التقليدي للكلمة حتى الآن ومن ثم ينطلقون في صناعة المعجم من وجهة نظر مخالفة لوجهة نظر علماء اللغة لأن مهمة المعجم الأولى كما ينظرون إليها هي بيان وشرح معاني الكلمات وطريقة نطقها، لذلك فإن فن صناعة المعجم Lexicography يولي أهمية خاصة للكلمة سواء من ناحية المبنى أو المعنى نظرا لأهميتها في هذه الصناعة، من ناحية تحديد المداخل.

(١) اللغة، فندريس (ص ١٢٢-١٢٤).



مصطلح الكلمة في القرآن :

إن الغموض الذي يكتنف الكلام في كل مجالات الحياة قد وجد دافعا قويا من التعاليم الدينية، ويظهر ذلك بوجه خاص من السطور الافتتاحية لإنجيل يوحنا: «في البدء كان الكلمة، والكلمة عند الله، وكان الكلمة الله»، ومن الملاحظ أن جوته عندما ترجم هذا الإنجيل نفسه على لسان "فاوست" كان مترددا في قبول هذه النظرة التقليدية، وفي إعطاء الكلمة مثل هذه الأهمية البالغة ن وقد ترجمها بالكلمتين (معنى) و(قوة) يلجأ في النهاية إلى تفسيرها (بالعمل)(1).

وقد ورد لفظ الكلمة في الحديث الشريف عن أبي بكر وعلي بن محمد قالا حدّثنا محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة، قال: قال ﷺ: « كلمتان خفيفتان على اللّسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرّحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(2)، حديث صحيح، أخرجه البخاريّ ومسلم.

كما وردت الكلمة في القرآن الكريم بعدّة معان، وعدّة صيغ، سواء مفردة أو جمعًا أو مثنى أو بصيغة الأمر، فسوف نورد وقوع هذه اللفظة حسب صيغتها في المتن القرآني:

١ . كَلِمَةُ :

(١) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١٢ (ص ٥٧).

(٢) صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة التربية العربية لدول الخليج العربي، الرياض، ط٣ (١٤٠٨هـ،١٩٨٨م)، رقم الحديث: ٣٠٦٨ (ص ٣١٩).

أ . قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [هود]، يُخبر تعالى: أنه قد سبق في قضائه وقدره لعلمه التام وحكمته النافذة أنّ ممّن خلقه مَن يستحق الجنة، ومنهم من يستحق النار، وأنه لابد أن يملأ جهنم من هذين الثقلين(١).

ب. قال الله عزّ وجلّ: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الزُّمَر]، أفمن كتب الله أنه شقي هل تقدر أن تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك ؟

ج. وقال أيضًا: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشورى]، أي لَعوجلوا بالعقوبة لولا ما تقدم من الانتظار إلى يوم الميعاد(٢) .

٢ . كَلِمَةٌ :

أ. يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [يونس]، لولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه.

ب. وقال جل ثناؤه: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ ﴾ [هود]، يقول

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الثقافة، الجزائر، ط١ (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م) (٣/٣٧٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/١١٧).



ابن جرير في هذا الشأن، لولا ما تقدم من تأجيله العذاب إلى أجل معلوم لقضي بينهم ويحتمل أن يكون المراد بالكلمة أنه لا يعذب أحدًا إلَّا بعد قيام الحجة عليه.

ج. ويقول الله تعالى أيضا: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ١٢٩﴾ [طه]، أي: لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يعذّب أحدًا إلَّا بعد قيام الحجة عليه

د. ويقوا الله عزّ وجل: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون]، كلاّ حرف ردع وزجر، أي لا نجيبه إلا ما طلب ولا نقبل منه، وقوله تعالى ﴿ إنها كلمة هو قائلها ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أي لا بُدّ أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم، ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله كلا، أي: لأنها كلمة، أي: سؤاله الرّجوع ليعمل صالحاً هو كلام منه وقول لا عمل معه(١).

هـ. ويقول الله تعالى أيضا: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ٤٥﴾ [فصّلت]، أي بتأخير الحساب إلى يوم الميعاد ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾، أي: لعجل لهم العذاب، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا.

و. ويقول جلا وعلا: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾ [الشورى]، أي: لولا الكلمة السابقة

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥/٢٢-٢٣).



من الله تعالى بإنذار العباد بإقامة حسابه إلى يوم الميعاد لعجل عليهم العقوبة في الدنيا سريعا.

٣. كَلِمَةَ :

أ . يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة]، قال ابن عباس: «يعني بكلمة الذين كفرو ا: الشرك، وكلمة الله: هي لا إله إلا الله»، وفي (الصحيحين): عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال : سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الرّجل يُقاتل شجاعةً، ويُقاتل حميةً، ويقاتل رياءً، أيّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: «مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا؛ فهو في سبيل الله»[(١)].

ويقول الله تعالى أيضا: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح]، كلمة التقوى ويعني بها: قول (لا إله إلا الله)، وكذا رواه الترمذيّ: عن الحسن بن قزعة، وقال: «غريبٌ لا نعرفه إلا من حديثه». وقال مجاهد: «كلمة التقوى الإخلاص»، وقال سعيد بن جبير: «هي: لا إله إلا الله، والجهاد في سبيله»، وقال عطاء الخرساني: «هي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، وقد تعددت آراء العلماء في هذه الآية[(٢)] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/ ٢٦٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٢٠٥).



٤ . كَلِمَةً :

أ. يقول عزّ وجلّ : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم]، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: قوله ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ شهادة أن لا إله إلا الله.

ب. ويقول جل ثناؤه ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف]، نصبٌ على التمييز تقديره كبرت كلمتهم هذه كَلِمَةً، وقيل : على التعجب تقديره أعظم بكلمتهم كلمة، كما تقول: أكرم بزيد رجلا، قال بعض البصريين، وقرأ ذلك بعض قراء مكة : كبرت كلمة، كما يقال: عظم قولك، والمعنى على قراءة الجمهور أظهر، فإن هذا تبشيع لمقالتهم، واستعظام لإفكهم، ولهذا قال: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾، أي: ليس لها مستند سوى قولهم، ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم[1].

ج. ويقول الله أيضًا: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّخرُف]، قال عكرمة ومجاهد والضّحاك وقتادة والسّدي وغيرهم في قوله عزّ وجل: ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾، يعني: لا إله إلا الله، لا يزال في ذريته من يقولها، وروي نحوه عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقال ابن زيد: «كلمة الإسلام»، وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة.

٥ . كَلِمَةٍ :

أ. يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جز٤، ص١٣٥

ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران]، هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم، ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ﴾، والكلمة تُطلق على الجملة المفيدة.

ب. ويقول الله تعالى أيضا: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم]، هذا مثل الكافر لا أصل له ولا ثبات، مشبه بشجرة الحنظل، ويقال لها الشريان، ولا يصعد للكافر عمل، ولا يتقبل منه شيء.

٦. كَلِمَةُ :

أ. يقول الله تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام]، قال قتادة: صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم، يقول صدقا في الأخبار، وعدلا في الطلب، فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولاشك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة .

ب. ويقول أيضا: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف].

ج. ويقول أيضا: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس].

أي كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرزاق المتصرف في الملك



وحده الذي بعث رسله بتوحيده، فلهذا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء من ساكني النار.

د . ويقول جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦﴾ [يونس].

هـ . ويقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٦﴾ [غافر]، أي: حُقّت كلمة العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يا محمد بطريق الأولى والأخرى لأن من كذلك فلا وشوق له بتصديق غيرك .

٧ . كَلِمَات :

يقول الله عزّ و جل: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة]، الكلمات وتعني هنا الرجاء وطلب المغفرة، وقد نقل ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: «الكلمات هي: اللهمّ لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إنّي ظلمتُ نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين».

٨ . كَلِمَتُنَا :

أ . يقول الله عزّ وجل: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١﴾ [الصافات]، أي تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعه في الدنيا والآخرة .

٩ . كَلّمَهُ :

أ . يقول الله تعالى أيضًا : ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤﴾ [يوسف]، أيخاطبه الملك، وعرفه،

ورأى فضله وبراعته، وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكمال، قال له إنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة .

وبناء على ذلك سلّم علماء المعاجم بوجود شيء اسمه الكلمة من حيث هي جزء من النظام اللغوي لأي لغة، ولكن كما يستعملها ويُدركها المتكلم بهذه اللغة سواء في النطق أو الكتابة، ولذلك قالوا إننا لا نستطيع أن نتجاهل وجود شيء اسمه الكلمة سواء، عن علم المعاجم أو فن صناعة المعجم أو حتى علم اللغة، لسبب بسيط وهو أن كل متكلم بلغة ما لديه فكرة واضحة ومحددة عن الكلمة، يستوي في ذلك مع من يعرف القراءة والكتابة أو الذي لا يعرفها[١].

ومن ثم انطلق علماء المعاجم في التعامل مع الكلمة وما يتصل بها في العمل المعجمي، خاصة فيما يتصل بعلاقة الكلمات بعضها ببعض من حيث الأصل والاشتقاق أو السوابق Pre Fixes أو اللواحق Suffixes أو الدواخل (المُقْحَمات) infixes ولذلك فإن الرجوع إلى الجذر Root للكلمات يساعد إلى حد كبير في الكشف عن معالمها ولذلك يعد الجذر ركنا أساسيا في العمل المعجمي، إذ هو الوسيلة التي تتحقق بها الصلة بين الكلمات، وهذه الصلة قوامها اشتراك الكلمات في جذر واحد ثابت لا يتغير، وهو ما يعبر عنه المعجميون بالاشتراك في المادة Basicform حيث يجعلون حروف هذا الجذر مدخلا Entryform إلى شرح أو تعريف دلالات الكلمات التي ترجع إلى جذر أو أصل واحد ثابت وهو يشكل- في الحقيقة - البنية الأساسية للكلمة والمعجم معًا، وتختلف اللغات فيما بينها في طريقة صوغ الكلمات من

(١) مقدمة لدراسة التراث المعجمي، حلمي خليل (ص ٥٢-٥٣).



هذا الجذر[١]، ولكن معظمها تشترك في شيء واحد، وهو ثبات هذا الجذر في معظم الكلمات المشتقة بحيث يمكن الاعتماد عليه في تحديد العناصر اللغوية الطارئة على الكلمة وبالتالي التثبيت في بنيها الأصلية.

ففي بعض اللغات يقوم نظام الاشتقاق على السوابق واللواحق و الدواخل كما في معظم لغات العائلة الهندية الأوروبية، أما في اللغة العربية واللغات السامية بشكل عام فإن الاشتقاق في هذه اللغات يقوم على حركات الجذر من حيث التبديل والتغيير ويتكون الجذر فيها غالبا من ثلاثة أصوات صامتة Consonant ويحدث التغير بواسطة تغير حركاته Vowels أو صوائته، فإذا تغيرت تكونت كلما زادت دلالات مختلفة، فكل تغير في الأصل يعقبه تغير في الدلالة، وهكذا.

ومنذ أن أصبحت الدراسة اللغوية دراسة علمية موضوعية تقوم على دراسة اللغة المنطوقة Poxone Language فقد وجد علماء اللغة أن هناك فروقا واضحة بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة Written Language وقد فطن كثير من علماء اللغة العربية القدماء إلى هذه الفروق ونبهوا عليها واستخدموا مصطلحات للدلالة عليها مثل: التصحيف والتحريف وغيرها[٢].

وليس العربية بدعا في ذلك، إذ لا يوجد شعب يشكو من مشكلة الفرق بين النطق والكتابة، إن قليلا وإن كثيرا، وما تعانيه اللغتان

(١) مقدمة لدراسة التراث المعجمي، حلمي خليل (ص ٥٣).
(٢) أدب الكاتب، ابن قتيبة تحقيق، محمد محي عبد الحميد القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ط٤، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م (ص ١٨٢).

الإنجليزية والفرنسية من ذلك قد يفوق ما في غيرهما، حتى أن بعض علماء اللغة الفرنسيين يعدّون طريقة الكتابة في اللغة الفرنسية كارثة وطنية(١).

الخاتمــة :

وخلاصة القول من هذه الشواهد القرآنية أن مفردة كلمة قد تعدّدت معانيها ومواضعها بحسب مقتضى الحال، وموقعها في الآية القرآنية وملازمتها للأحداث، ومهما يكن فإن الحدث اللغوي (كلمة كان أو عبارة أو جملة) وحدة متكاملة لا انفصام بين جانبيها ومن ثم وجب تحليلها على هذا الأساس.

ومعنى هذا أن الكتابة في أية لغة لا تعكس طريقة النطق بشكل دقيق إذ هي وسيلة عاجزة عن تصوير كافة الخصائص الصوتية للغة التي تحتفظ بها اللغة المنطوقة وخاصة من ناحية اختلاف النطق بين الأفراد واللهجات ومن ثم فإنه عندما يتحول الصوت المنطوق إلى حرف مكتوب letter يصبح رمزا وتسقط كل الاختلافات.

ونتيجة لمثل هذه الاختلافات بين النطق والكتابة في اللغات المختلفة واجه المعجميون مشاكل جمَّة عند وضع المعاجم خاصة فيما يتعلق بنطق الكلمات والمشتقات سواء في العربية أو غير العربية كذا نطق المداخل في غير العربية لأن المدخل في المعاجم العربية القديمة وبعض المعاجم الحديثة يعتمد على جذر الكلمة، وجذر الكلمة لا ينطق إلا صوتا.

(١) اللغة، فندريس (ص ٤٠٥).



ولذلك نجد أغلب المعاجم الآن تقدم معلومات صوتية تتصل بطريقة النطق، بل لقد بلغ الاهتمام بطريقة النطق أن وضعت بعض المعاجم على أساس بيان النطق وحده دون التطرق للشرح أو التعريفات.

موارد البحث ومصادره :

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

- أدب الكاتب، ابن قيتبة تحقيق، محمد محي عبد الحميد القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ط٤ ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الثقافة، الجزائر، ط١(١٤١٠هـ، ١٩٩٠م).
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق، أحمد مصطفى المراغي، القاهرة المكتبة العربية، ط١ ، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.
- دور الكلمة في اللغة، أولمان ستيفن، ترجمة كمال بشر، القاهرة مكتبة الشباب، ١٩٥٧م.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق علي فودة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١ ، ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م.
- صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض، ط٣ (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م).
- الكتاب، سيبويه، شرح وتحقيق، عبد السلام هارون، القاهرة، دار القلم، ١٩٧٦م.
- لسان العرب، ابن منظور، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د، ت)، مادة (ك، ل، م).



- اللغة، فندريس، ترجمة: الدواخلي والقصاص، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية ١٩٥٠م.
- المفصل في العربية، الزمخشري، بيروت، دار الجيل، ط٢، (د،ت).
- المقتضب المبرد، تحقيق، عبد الخالق عضيمية، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٩هـ.
- مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦م.
- همع الهوامع، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار المعرفة (د-ت).
- .The wala asa linguistic Nuit, Prais, Mouton the hagere, 1959.

الاستشراق

وأثره في الدّراسات اللغوية، وعلاقته بالسياسة

مقبل بن علي بن مشيعل الدّعدي

جامعة أمّ القرى - مكة المكرمة



السيرة العلمية:

مقبل بن علي بن مشيعل الدّعدي

- بكالوريوس في اللّغة والنّحو والصّرف من جامعة أمّ القرى.
- ماجستير في اللّغة العربية والنّحو والصّرف من جامعة أمّ القرى: العلاقة بين أحرف الصّفير وأثرها في اللّفظ والمعنى.
- يعمل حاليًّا محاضرًا في قسم اللّغة والنّحو والصّرف بجامعة أمّ القرى بمكة المكرمة.

خلق الله عز وجل الخلق، وجعلهم شعوبا وقبائل وأمما مختلفة ومتباينة في النَّسَب واللغة والدين تقرّب بينها المصالح تارة، وتباعد بينها العداوات تارات و تسود أمة، وتفرض سيطرتها على الأمم، وتهيمن حضارتها على الأرض، وتسعى لنشر ثقافتها بين الناس إلى أن يشاء الله، ثم تقوم أمة أخرى لتقوم ما قامت به الأمة السابقة، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١٤٠].

و قد أسهمت الأمة الإسلامية في بناء الحضارة الإنسانية، وسيطرت على أجزاء كبيرة من المعمورة، ونشرت ثقافتها ودينها ولغتها العربية، فأصبحت لغتها لغة العلم والفكر والثقافة، يتنافس أعداؤها وأبناؤها على تعلمها، وشاركت الأمة الإسلامية في ميادين العلوم، وخلّفت تراثا ضخما في شتى مجالات المعرفة، و لكن مع أفول نجمها، وضعفها وبزوغ نجم الغرب برزت ظاهرة تكاد تكون سمة لتلك الحقبة، هي توافد علماء الغرب من كل فج قاصدين الشرق. توافدوا لدراسة حضارة الشرق، ولغاته، وثقافته، و عاداته الاجتماعية، وجغرافيته، وتاريخه، وقد تركت هذه الظاهرة تراثًا ضخمًا لا يمكن تجاهله، فيما بين عامي ١٨٠٠م – ١٩٥٠م يقدر تراثها بحوالي ستين ألف كتاب، ومئات المجلات المتخصصة في الاستشراق تناولت كل ما يتعلق بالشرق، وطبقت عليه مناهجها، وما توصلت إليه من نظريات علمية.

هذه الظاهرة سُميت بـ (حركة الاستشراق)، فالاستشراق كما يقول بعض الباحثين: «علم يدرس لغات الشرق، وتراثهم، وحضارتهم،



ومجتمعاتهم، وماضيهم، وحاضرهم»[١]، والمستشرقون هم: «الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي، والحضارة العربية»[٢].

وكلا التعريفين - في نظري- قاصر، فالاستشراق ليس علمًا، أو لنقل ليس كلّه علمًا، فالعلم يُعنى بمطابقة الواقع، والتجرد في وصف الظواهر، ومحاولة تفسيرها وفهمها على ما هي عليه دون تزييف، أو تبديل، أو تحريف، وهو ما نجده في بعض الدراسات الاستشراقية، لكن الاستشراق أوسع دائرة من هذه الدراسات، فإلى جانب الدراسات العلمية نجد الروايات، والقصص، والخرافات المبنية على الخيال، وعلى ازدراء ما عدا الأوروبي، وهذه الروايات أسهمت في رسم صورة الشرق، وأثرت في تناول القضايا العلمية المتعلقة بالشرق، يقول: «دنيس هاي المؤلف الإنجليزي المعاصر: إن الاستشراق هو: رأي أوروبا ووجهة نظرها بالنسبة للشرق»[٣].

وفي البحث سأتحدث عن الموضوعية، وعدمها في البحث الاستشراقي، لكن أود التنبيه هنا على أن إطلاق لفظة العلم على الإنتاج الاستشراقي يخرج الكثير من الدراسات الاستشراقية التي بنيت على الخرافة والأوهام والتصورات المسبقة.

---

(١) سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، دار المنهاج للنشر والتوزيع، عمان (ص ١٣).

(٢) مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت (ص ٥).

(٣) محمد حسن زماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ترجمة محمد نور الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة (ص ٥٩).

كما أنّ تعريف مالك بن نبي يخرج الدراسات التي قام بها العرب في مؤسسات استشراقية، فما الفرق بين دراستين في مؤسسة استشراقية كأقسام الدراسات الشرقية تناولت لهجتين عربتين بالوصف في الأصوات، والتراكيب، والدلالة إحداها قام بها أوروبي، والأخرى قدمها عربي مبتعث!

من وجهة نظري لا فرق بين الدراستين، فالباحث يُوظف أحيانًا في خدمة أهداف ليس بالضرورة أن يكون مدركًا لها سواء الباحث الغربي، أو العربي، ولا يعني هذا وصف الباحث العربي بالمستشرق، بل نقتصر على وصف دراسته بالدراسة الاستشراقية، وذلك بالنظر إلى المؤسسة الراعية للدراسة.

ومن الباحثين من يتوسع في مفهوم الاستشراق، فيجعل ضابطه دراسة غير المسلم للعلوم الإسلامية، فالاستشراق عنده: «تصدي علماء غير مسلمين، سواء من الشرق، أو الغرب، وسواء كانوا عربًا، أو غير عرب لدراسة علوم المسلمين وحضارتهم، ومعتقدهم، وتقاليد شعوبهم، وعاداتها، سواء كانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض المتوسط، أو الجانب الجنوبي منه، وسواء كانت لغة هذه الشعوب العربية أو غير العربية، كالتركية، والفارسية، والأردية، والبشتو وغيرها من اللغات التي تتحدث بها شعوب المسلمين، وكان لها آثار علمية أخضعها المستشرقون للدراسة والتحليل. وعليه فإن غير المسلم المشتغل بعلوم المسلمين يعتبر مستشرقا عندي، وذلك لأن المعيار هنا هو الكتابة عن الإسلام والمسلمين من قبل أولئك الذين لا يدينون بالإسلام»[1].

(١) علي النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث، الرياض (ص ١٧).



وإن كانت التعريفات السابقة قاصرة، فأخرجت ما يدخل في الاستشراق، فهذا التعريف أدخل في الاستشراق ما ليس منه، فمصطلح الاستشراق مصطلح علمي أُطلق على دراسات محددة، ومن الخطأ تعميمه وإدخالُ غيره فيه إلا بضابط يكون مراعًى في المصطلح، والضابط الذي ذكره الباحث فيه إشكالات منهجية، فلو كتب بوذي عن عادات قريته التي أسلمت، وتقاليدها هل نعده مستشرقًا؟ وهل تعد دراسته دراسة استشراقية؟ وقل مثل ذلك في التركي غير المسلم الذي يدرس لغته التركية. ولو أسلم مستشرق هل نجعل دراساته لعادات بعض الشعوب الإسلامية قبل إسلامه استشراقية، وبعد الإسلام لو قام بدراسات مماثلة هل نعدها غير استشراقية!

ومن الإشكالات في هذا التعريف أنّه يجعل النصارى العرب الذين دافعوا عن العربية من المستشرقين، ومنهم من خاض معارك من أجل العربية، منها على سبيل المثال معركة مارون عبود مع طه حسين في الدراسة التي قدمها الأخير عن المتنبي، ، وبناءً على تعريف الباحث نجعل دراسة مارون عبود التي يدافع فيها عن التراث العربي دراسة استشراقية، ودراسة طه حسين التي ردد فيها أقوال المستشرقين غير استشراقية. ويلزم من هذا التعريف الحكم على إدوارد سعيد بالمستشرق، و هو الذي يكاد يكون مشروعه في حياته تفكيك الاستشراق، وبيان زيف الصورة التي رسمها عن الشرق. والسبب الذي جعل الباحث يوسع مجال الدراسات الاستشراقية صرّح به: «فلتكون [أي هذه الدراسات] موضع نظر، وتخضع لشيء من الدراسة والتحليل»[1]. وكأن الدراسات

(١) السابق.

الاستشراقية هي الجديرة وحدها بالدراسة والتحليل، وغيرها نسلم به. إنّ الدراسة والتحليل صفة لازمة لأي تراث، إسلاميًا كان أو غير إسلامي.

والتعريف الأقرب لتلك الحركة الاستشراقية، وتراثها هو: حديث الغرب عن الشرق. الحديث الذي يشمل كل إنتاج غربي عن الشرق، سواء الدراسات العلمية، أو الإبداعات الفنية، والغرب يشمل المؤسسات وكذلك الجهود الفردية.

هذا فيما يتعلق بتعريف تلك الظاهرة أمّا بداياتها وتطورها فقد تعددت آراء الباحثين وتباينت فيها، فمنهم من أرجع الاستشراق إلى زمن بعثة الرسول ﷺ، وذلك في مراسلة قيصر الروم، وفي هجرة الصحابة رضوان الله عليهم إلى الحبشة، والغزوات والفتوحات، وبالاطلاع على الكتب التي تحدثت عن بدايات الاستشراق نجد تواريخ ممتدة كلها زُعم أنها بداية للاستشراق، فقد قيل في: القرن الثامن الميلادي، وقيل في العاشر، وقيل في الثالث عشر(١).

أمّا مصطلح الاستشراق الذي أطلق على الظاهرة الجماعية، لا الوقائع الفردية المختلفة المتفرقة، فإنه بدأ في القرن الثامن عشر يقول السباعي: « لم يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن المؤكَّد أنَّ بعض الرهبان الغربيِّين قصدوا الأندلس في إبَّان عظمتها ومجدها، وتثقَّفُوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتلمذوا على علماء

(١) انظر: كتاب علي النملة، الاستشراق في الادبيات العربية (ص٢٣) وما بعدها.
وانظر: كتاب أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي/القاهرة (ص ٥٤) وما بعدها.



المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات ... ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا القرآن وبعض الكتب العربية العلميَّة والأدبية، حتى جاء القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق، ويصدرون لذلك المجلاَّت في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية، فيشترونها من أصحابها الجهلة، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوروبا بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلدًا، وما يزال هذا العدد يتزايد حتى اليوم. وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣، وتتالى عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضارته»[(١)].

إذا نستطيع تحديد هذه الظاهرة بالقرن الثامن عشر، ولا يعني ذلك إغفال الإرهاصات التي سبقتها كصدور قرار مجمع فيينا الكنسي بإنشاء كراسي للغة العربية في الجامعات الأوروبية في القرن الرابع عشر، ولكن العمل المؤسسي الضخم كان بعد ذلك.

يقول إدوارد سعيد: «فإذا اعتبرنا القرن الثامن عشر نقطة انطلاق عامة إلى حد بعيد، استطعنا أن نناقش، ونحلل الاستشراق بصفته

(١) مصطفى السباعي، الاستشراق والمُسْتَشْرِقُونَ (ما لهم وما عليهم)، دار الوراق للنشر والتوزيع (ص ١٧) وما بعدها.

المؤسسة الجماعية للتعامل مع الشرق، والتعامل معه معناه التحدث عنه، واعتماد آراء معينة عنه، ووصفه، وتدريسه للطلاب، وتسوية الأوضاع فيه، والسيطرة عليه»(١).

وبعد هذه المقدمة نأتي لمشكلة البحث التي أحاول حلها، ولفرضياته التي أسعى لتأكيدها أو نفيها بالأدلة العلمية. فمشكلة البحث مركبة من جزأين. الأول: أثر الاستشراق في الدراسات اللغوية العربية، هل حركة الاستشراق أثرت في الدراسات اللغوية العربية ؟

وأنا أتحدث هنا عن مطلق التأثير، وعن وقوعه دون الحكم عليه بالقبول أو الرفض.

وما أبرز ملامح تأثير الاستشراق على الدراسات اللغوية العربية؟ أهو تأثير على مستوى منهج البحث أم هو تأثير في القضايا العلمية، أم يشمل هذا وذاك؟

أما الجزء الآخر فهو ما يتعلق بعلاقة الاستشراق بالسياسة الغربية، فهل الاستشراق وجه الاستعمار الثقافي الفكري؟ هل نشأ الاستشراق لخدمة الاستعمار؟ هل نحكم على كل مستشرق بأنه عميل للاستعمار؟ أليس من بينهم المنصف الموضوعي؟ كيف أفادت الدراساتُ اللغوية، والآراء العلمية السياسيةَ الاستعماريةَ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في الصفحات التالية؛ لنصل في النهاية إلى تأكيد الفرضية التالية أو نفيها:

(١) إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (ص ٤٥).



إذا استطعنا أن نربط الاستشراق بالسياسة، ونثبت علاقته بها، واستطعنا كذلك رصد تأثير الاستشراق على الدراسات اللغوية العربية نقول: إن السياسة لها تأثير على الدراسات اللغوية، وذلك من خلال الأنموذج المدروس.

وبناء على مشكلة البحث، وفرضياته قسمت البحث إلى العناصر التالية:

١- أثر الاستشراق في الدراسات اللغوية العربية.

٢- علاقة الاستشراق بالسياسة.

٣ أهداف الاستشراق.

٤- الخاتمة.

١- أثر الاستشراق في الدراسات اللغوية العربية.

تحدثنا في المقدمة عن تناول المستشرقين العلوم الإسلامية والتراث العربي بالدرس والتأليف، ولم يخلُ فرع من فروع العلوم الإسلامية من تناول المستشرقين، والقارئ للدراسات الحديثة يدرك ذلك، فأصبح الاستشراق نقطة تحول في مسار تاريخ هذه العلوم لا يمكن تجاهله، بل أثر المستشرقين في التفكير الإسلامي بينٌ لكل متابع لتطورات الفكر الإسلامي، كيف وقد هُيأت لهم المنابر الإعلامية، والمؤسسات العلمية، والاستعانة بهم في مناقشة قضايا الأمة المتعلقة بالتعليم وغيرها من القضايا الخاصة بنهضة الأمة! فالمستشرقون شاركوا في المجامع العلمية العربية، ففي مجمع دمشق مثلا « قائمة أعضاء المجمع التي ظهرت في الجزء الأول من المجلد السابع(كانون الثاني) ضمت ثمانية وثلاثين اسمًا. وكانوا يتفاعلون مع الكتّاب والمؤلفين والباحثين والمفكرين العرب في القراءات والدراسات والنتاجات المشتركة والمؤتمرات والندوات، ويقيمون معهم شتى الحوارات»[(١)].

و قل مثل ذلك في الجامعات العربية، فإنها استقدمت المستشرقين، واستقطبتهم للتدريس في كلياتها، ومكنتهم من عقول أبنائها، وطَبعت محاضراتهم. يقول أحد المستشرقين: «وقد أحس رجال الأدب في مصر بهذه الحاجة الماسة - دراسة اللغات السامية - يوم إنشاء الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨م، فاستقدموا كبار المستشرقين لتدريس اللغات

(١) محسن الموسوي، الاستشراق في الفكر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (ص١٢٠).



السّامية بكلية الآداب، وكان ذلك بداية العناية بدرس اللّغات السّامية بجانب اللّغة العربية»[١].

هذا النّصّ يؤكد ما ذكرناه سابقًا، ويبيّن قناة من قنوات التّأثير على الدّراسات اللّغوية العربية إلى جانب المجامع العلمية فالجامعة المصرية «كانت منبرًا من منابر رواج المناهج الغربية في الفكر المصري، وخاصة الأدب ونقده، واللغة وعلومها، و كان هذا أثرا من آثار أولئك الأساتذة المستشرقين الذين استعانت بهم الجامعة لإلقاء المحاضرات على طلابها»[٢]. هذا ما أورده أحد الباحثين ممن كتب عن اتجاهات الدّرس اللّغوي في العصر الحديث، وبعد أن سرد بعض أسماء المستشرقين الذين درّسوا في الجامعة المصرية يقول: «ويطول بنا الحديث لو استعرضنا أسماء هؤلاء المستشرقين؛ إذ إنه ما من قسم من أقسام الجامعة المصرية إلا وفيه أستاذ، أو أساتذة زائرون»[٣].

والقناة الثّالثة التي استطاع الاستشراق من خلالها التّأثير على الفكر الإسلامي بصفة عامة، والتفكير اللغوي بصفة خاصة البعثات العلمية، فإلى جانب التأليف العلمي، واستقطاب المستشرقين في المؤسسات العلمية يأتي ابتعاث الطلاب؛ لإكمال دراستهم في الجامعات الأوروبية، وتتلمذهم على أيدي المستشرقين؛ ليسجل جانبًا من جوانب التّأثير على الدّراسات اللّغوية العربية، ودارسيها، وازداد تأثيرهم على الدّراسات

(١) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مقدمة المؤلف.

(٢) عبد الرحمن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، الكتاب الجديد، الطبعة الأولى (ص ٤٣).

(٣) السابق (ص ٤٦).

اللّغوية العربية؛ لأنّ هؤلاء الطلاب العائدين من الابتعاث تسلموا مناصب تعليمية مكنتهم من تعديل المناهج وتغييرها، متأثرين بما رأوه في الجامعات الغربية.

إذًا فالتأليف العلمي، وتحقيق الكتب ونشرها، واستقطاب المستشرقين في المؤسسات العلمية، والبعثات العلمية هي قنوات التّأثير ومنابره، وهذه حقيقة لا يسع الباحث إلا قبولها.

ولكن ما الأثر المترتب على اتصال اللغويين العرب بالمستشرقين من خلال هذه القنوات ؟

يكاد يجمع الباحثون ممن تناولوا الدرس اللغوي العربي الحديث، ورصدوا تحولاته وتغييراته، وعوامل التأثير فيه، وجوانب التجديد، على تأثر الدراسات اللغوية العربية في العصر الحديث ودارسيها بالمستشرقين، ودراساتهم.

يقول أحدهم: «لا أحد يمكنه أن ينكر أن المستشرقين دشنوا مرحلة جديدة في قضايا لغوية ذات أهمية بالغة بالنسبة للغة العربية»[(١)].

ويقول آخر وهو يرصد تأثر اللّغويين العرب بالمستشرقين، والإعجابَ بطرحهم، وتناولِهم للقضايا اللغوية: «يكفي أن نعلم أن هذه الدراسات الجديدة قد أثارت إعجاب بعض اللغويين الأدباء، مما جعلهم يحضرون الدروس التي يعطيها هؤلاء المستشرقون لطلاب الجامعة المصرية، ومن هؤلاء إبراهيم مصطفى، وأحمد أمين، وبذا يتضح لنا

(١) مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، شركة النشر والتوزيع المدارس/الدار البيضاء (ص ٩١).



مدى إسهام المستشرقين الزائرين للجامعة المصرية في تطـور الدراسـات اللسانية المعاصرة في مصر»[١].

ويدل هذا النص دلالة واضحة على مكانة المستشرقين في الجامعة، وفي نفوس أساتذتها، وهم يحضـرون مسـتمعين منصـتين بإعجـاب مـع النشء جنبًا إلى جنب، وغيرُ خافٍ الأثرُ النفسـي، والتربـوي في نفـوس الطلاب بسبب حضور كبـار الأدبـاء تلـك الـدروس ممـا يكسـب كـلام المستشرق قداسة وهيبة.

ومما يؤكد مكانة المستشرقين في الجامعـة مـا ذكـره أنـور الجنـدي حيث يقول: «كانت الجامعة المصـرية في الثلاثينـات قـد وقعـت تحـت سيطرة المستشرقين ودعاة التغريب، ولذلك عمدت إلى مصادمة مشـاعر العرب والمسلمين والمصـريين احتفلـت بمـرور مائـة عـام علـى مـيلاد الفيلسـوف الملحـد أرفسـت رينـان صـاحب نظريـة (الآريـة والسـامية) والكاتب الغربي الاستعماري الذي هاجم التراث أشـد هجـوم واتهمهـم بالضعف في النقل والقصور في الـتفكير والـذي هـاجم الإسـلام أعنـف هجوم»[٢]. رينان الذي يستحي بعض المستشرقين من ذكر أقوالـه، فهـي جلية في التعصب على الإسلام، تحتفل جامعـة عربيـة بـه، وهـو يراهـا متخلفة بالفطرة!

ومن قبل يؤكـد عبـد الصـبور شـاهين تـأثير المستشـرقين في عقـول الأجيال من أعمالهم و تآليفهم، فيقول: «كما كانت أعمـال المستشـرقين الأوروبيين من عوامل التأثير في توجيه أجيال العلماء إلى معالجـة قضـايا

(١) اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر/ص ٤٨

(٢) أنور الجندي/ المعارك الأدبية/ المكتبة الشاملة/ ٤٩٠

اللغة، وكنوز التراث بعقلية جديدة»[١]. و كلامه لا يحتاج لمزيد بيان، فنمط جديد قد أحدثه المستشرقون في معالجة اللغة، وقضاياها.

أما عن أثر الابتعاث العلمي فانظر إلى كلام أنيس فريحة عند حديثة عن النزعة التجديدية في الدرس اللغوي، ويعزوها لهؤلاء الذين درسوا في الجامعات الغربية، يقول: «يتزعم هذه الحركة في بلادنا جماعة ممن درسوا علم اللغة الحديث في الغرب ثم عادوا إلى بلادهم؛ ليطبقوا هذا العلم الجديد على العربية»[٢].

وأمر تأثير البعثات العلمية على دارسي اللغة العربية أشهر من أن أدلل عليه، فجل من تحدث عن تطوير المناهج اللغوية وتغييرها هم من هؤلاء الطلاب المبتعثين.

هذه شهادات من رَصَدَ تطور الدرس اللغوي في العصر الحديث،والعوامل التي ساعدت على ذلك، والظروف التي هيأت لتلك التغيرات.

وإلى جانب تلك الأقوال العامة في تأثر دارسي اللغة العربية بالاستشراق هناك أقوال توكد التأثير، وتحدد اسم الباحث الذي تأثر بالدراسات الاستشراقية، كطه حسين، وسلامة موسى، ومندور، وإبراهيم أنيس، وجرجي زيدان، وأنيس فريحة، ومهدي المخزومي، وغيرهم من دارسي اللغة العربية وآدابها.

(١) في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة/ بيروت، الطبعة السادسة (ص ١٣).
(٢) نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني/ بيروت، الطبعة الثانية (ص١١٥).



فجرجي زيدان متأثرٌ بالمستشرقين وآرائهم، بل يقول مَنْ تتبع آراءَه، ودراساتِه: إنه «لم يعارض المستشرقين مثلا في أي أمر من أمور اللغة، أو يحاولْ الرد على ما افتراه هؤلاء»[(١)].

وذُكر كذلك تأثر الناقد محمد مندور في كتابه (النقد المنهجي عند العرب) بالمستشرق بلاشير الذي تأثر به كذلك طه حسين في كتابه (مع المتنبي)[(٢)].

وانظر لوصف رمضان عبد التواب المفتونين بالمستشرقين الذين نَصَبوا العداء للغة العربية: «وقد قاد هذه الحملة الشرسة أقوام من المستشرقين، وتعاون معهم ذيولهم في الوطن العربي، ممن يتسمون بأسماء عربية: سلامة موسى، وعبدالعزيز فهمي، وأنيس فريحة، وسعيد عقل، وغيرهم، ومالهم من العروبة إلا هذه الأسماء، أما قلوبهم، وأما اتجاههم فإلى الغرب، ضد العربية وضد الدين»[(٣)].

ومما يؤكد تأثير المستشرقين: المعركة التي دارت بين طه حسين وزكي مبارك، فالأول يمثل الاتجاه المعجب بالمستشرقين، والثاني يمثل

---

(١) أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي/ القاهرة (ص ٣٦٧).

وانظر كذلك: عبد الحسن الزويني، البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان: العربية أنموذجا، جامعة الكوفة. فقد أكّد على تأثر جرجي زيدان بالمستشرقين.

(٢) حسن الإمراني، المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى (ص ٣٩٦-٣٩٧).

(٣) العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق، زهراء الشرق/ القاهرة (ص ٢١).

الاتجاه الرافض. يقول أنور الجندي: «قد اعترف أحد المستشرقين بحقيقة التبعية الفكرية حين قارن بين آراء طه حسين في (الشعر الجاهلي) وآراء زكي مبارك في (النثر الفني) قال: إذا قرأنا فكر طه حسين قلنا: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا﴾، فلما عاد زكي مبارك وعارض اتجاه التغريب لقي العنت في الجامعة وفَصَله طه حسين»[١].

وفي موضع آخر يتحدث عن هذه المعركة وعن تحليل النقاد لها ولأسبابها، فيقول: «وتستمر المعركة بينهما طويلة لا تنتهي ... ويرى النقاد أن هذه المعركة لها صلة بالتغريب ونفوذ المستشرقين وآرائهم وتبعية المثقفين الذين يتلقون دروسهم في (السربون) في ترويج آراء الغرب والإيمان بها ويقولون: إن آراء طه حسين في الشعر الجاهلي كانت آراء مسيو مرسيه وغيره، وأن زكي مبارك حين ناقض هذه الآراء إنما أراد أن يتحرر من سلطان المستشرقين الفكري والتغريبي، ولذلك أغروا به طه حسين الذي فصله من الجامعة، وألجأه إلى العمل في مجال آخر حتى يكون عبرة لغيره»[٢].

وإن صدقت تلك التحليلات التي تربط المعركة بالبعد الاستشراقي فهي دلالة لا لبس فيها على تغلغل المستشرقين في الجامعات العربية في تلك الفترة، والسيطرة عليها، وعلى سيرها، ومناهجها، وأساتذتها، وآرائهم، فهي تملي عليهم ما ينبغي أن يكون، وفيها دلالة خطر الخروج عن الخطة الاستشراقية، فمجابهة الاستشراق وأدواتِه تعرض الأستاذ لأشد العقوبات، تصل ربما للطرد من المؤسسة التعليمية كما فُعل بزكي مبارك.

(١) المعارك الأدبية (ص ٨).
(٢) المعارك الأدبية (ص ٦٧٢).



أما أقوى الأدلة على تأثر الدراسات اللغوية العربية، ودارسيها بالاستشراق فيتمثل في الدعوة إلى الأخذ من الدراسات الاستشراقية، والثناء عليها، فالقول ما قاله المستشرقون، والمنهج ما سار عليه المستشرقون، وسأسرد بعض النماذج لهذه الثناءات:

يقول طه حسين: «كيف تتصوَّر أستاذاً للأدب العربي لا يُلِمُّ ولا يُنتظر أنْ يُلِمَّ بما انتهى إليه الفرنج (المُستَشْرِقُونَ) من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة، وإنما يُلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس، ولا بُدَّ من التماسه عندهم؛ حتى يتاح لنا نحن أنْ ننهض على أقدامنا، ونطير بأجنحتنا، ونستردَّ ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا»[(١)].

يعلق السّباعي على كلام طه حسين بقوله: «ولا ريب في أنَّ هذا الكلام يمثِّل دوراً من أدوار العبودية الفكرية التي مررنا بها في مطلق نهضتنا العلميَّة والفكريَّة الحديثة، وهذه العبودية تتمثَّل في كتاب الدكتور طه حسين نفسه (الأدب الجاهلي) الذي كان ترديداً مخلصاً لآراء غُلاة المُستَشْرِقِينَ المُتعصِّبين ضد العرب والإسلام أمثال "مارجليوث" الذي نقل آراءه كلها في كتابه (الأدب الجاهلي) ونسبها إلى نفسه وليس له في الكتاب رأي جديد نتيجة بحث عِلْمِيٍّ قام به أو تعب في سبيله»[(٢)].

يقول لويس شيخو: «لله دَرُّ المستشرقين ما أعظم كَلَفَهم بأخبار شرقنا العزيز، وأشدَ تنقيرِهم عن لغاتنا، وآدابنا، وعلومنا القديمة»[(٣)].

---

(١) في الأدب العربي، لجنة التأليف والترجمة والنشر/ القاهرة، الطبعة الثالثة (ص١١).

(٢) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم (ص١٠-١١).

(٣) طارق سري، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى (ص ٩٢).

ويقول إبراهيم السّامرائي في حديثه عن المعرّب: إنّ المستشرقين والباحثين في العصر الحديث «أرسخ قدمًا، وأهدى طريقًا في الوصول إلى الحقائق من اللغويين العرب الأوائل الذين كانوا يطلقون الأحكام في الأصول المعرّبة من غير أن يكون لهم علم أكيد»[١].

ويقول رمضان عبدالتواب، وهو يفسِّر سرّ تفوق المستشرقين في دراساتهم: «ونفسّر بهذا الأمر سرّ تقدم المستشرقين، في دراستهم للغة العربية، ووصولهم فيها إلى أحكام لم يسبقوا إليها؛ لأنهم لا يدرسون اللغة العربية في داخل العربية وحدها، بل يدرسونها في إطار اللغات السامية على المنهج المقارن»[٢].

فالكاتب تجاوز مرحلة تقويم عمل المستشرقين، إلى البحث عن أسباب قوة هذه الدراسات، وتميّزها، وكأن تقدمها أمر مسلم به، لا ينكره إلا جاحد مكابر!

قارن هذا القول الأخير بقول رمضان عبد التواب السابق حينما وصف اتباع المستشرقين بالذيول، فهل وقع عبد التواب فيما أخذه على سلامة موسى ومَنْ معه ممن تبع المستشرقين، وأثنى عليهم، وعلى دراساتهم ؟

وبعد أن تحدثنا عن قنوات التأثير والأدلة على ذلك، نأتي إلى أبرز ملامح التأثيرات والتغييرات التي أحدثها الاستشراق في الدراسات اللغوية العربية، وقبل الخوض في غمارها أود التنبيه إلى أمرين:

الأول: لن أتتبع كل تأثير للاستشراق في الدراسات اللغوية العربية، فالدراسة لا تُعنى باستقراء كل تأثير، وليس من هدفها رصد الباحثين

(١) إبراهيم السامرائي، العربية تواجه العصر، دار الجاحظ/ بغداد (ص ٢٨).
(٢) بروكلمان، فقه اللغات السامية، جامعة الملك سعود، مقدمة المحقق (ص ٥).



الذين تـأثروا بالمستشـرقين، وتتبـع آرائهـم، وإنمـا الغـرض ذكـر أبـرز التأثيرات التي تؤيد الفرضية، وتؤكد وجود التأثير.

الثاني : الدراسة غير معنية بالرد علـى آراء المتـأثرين بالمستشـرقين، ومناقشتهم، فمحاولة ذلك يُحمل الدراسة مـا لا تحتمـل، ثم إنّ الـرد لا يؤثر في نتائج البحث التي يسعى الباحث إلى الوصـول إليهـا، فالدراسـة كما ذكرتُ تُعنى برصـد التـأثير، أمـا مناقشـة تلـك الآراء فقـد دُرسـت ونوقشت في كتب المحـدثين، و قامـت رسـائل جامعيـة لمناقشـة تلـك الآراء.

واقتضى الترتيب تقسيم القضايا التي وجدت فيها تـأثير المستشـرقين جليًا إلى قسمين: قضايا منهجية، وقضايا عامة.

القسم الأول : قضايا منهجية :

تعامل اللغويون العرب الأوائل مع اللغـة وَفْـق منـهج محـدد يخـدم الهدف الذي ينشدونه من دراسة اللغة العربية، فالغرض كـان حفـظ لغـة القرآن، وتعليم هذه اللغة الفصيحة للناطقين بغيرها، وتعليمهـا للأجيـال اللاحقة. اقتضى ذلك التقعيد تحديد المكان والزمان لتمحيص من تؤخـذ منهم اللغة، وبناء القواعد على الأشهر في لغة العرب، هذا المنهج حقق لهم هدفهم المنشود، وغرضهم الذي بنوا من أجله هذه العلوم، ولا نزال نلمس ذلك النجاح، فالعربية بعد هذه القرون كلـها ظلـت صـامدة حيـة بفضل الله، ثم بفضل تلك الجهود.

ومن الخطأ المنهجي أن نحاكم الأوائل على مناهج أحدثت بعدهم، وإن كانت هي الصواب والأصلح، كيـف ودون الحكـم علـى تفضـيلها

خرط القتاد! ، فالمناهج الحديثة أقل ما توصف به أنها لا تحقق الأهداف التي سعى من أجل تحقيقها اللغويون الأوائل.

انتقد كثير من اللغويين المحدثين متبعين في ذلك أساتذتهم المستشرقين المنهج الذي سار عليه اللغويون الأوائل، وتكاد تكون هذه الانتقادات الصفة المشتركة في كتبهم.

يقول أحد الباحثين: «وباستعراض آثار فترة هذه الدراسة [١٩٣٢-١٩٨٥] نجد أن جلّها يتفق على نقد منهج النحاة العرب الأقدمين»(١).

وهذه الانتقادات تباينت حسب المنهج المستعار، فأصحاب المنهج التاريخي المقارن مثلا عابوا على اللغويين إهمالهم المنهج المقارن، والنظرَ في اللغات السامية وغيرِها مما سيأتي من انتقادات، أما أصحاب المنهج الوصفي فأخذوا على النحاة عدم تسجيلهم كلَّ اللغات، ووصفها، وغيرها مما سيأتي، وقد ساد المنهج الأول الدراسات اللغوية في أوروبا فترة ثم عَقَبه المنهج الوصفي.

ومن أبرز المآخذ التي وجهت للغويين الأوائل:

جمع المادة :

اعتمد النحاة الأوائل على المصادر اللغوية: القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر، وكلام العرب المنثور مع تحديد المصدرين الأخيرين بزمن ومكان محددين لضمان فصاحتهما، فالمادة المدروسة يشترط فيها الفصاحة، فهي: «ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وهو القرآن، و كلام نبيه ﷺ، وكلام العرب قبل بعثته،

(١) اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصر في مصر (ص ٢٠٢).



وفي زمنه وبعده، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولّدين، نظما ونثرًا عن مسلم، أو كافر»[(١)].

هذا أصل ثابت من أصول بناء قواعد اللغة العربية، وحقيقة مسلمة لم ينكرها أحد على مرّ العصور واختلاف الدهور. نعم، يختلف النحاة أحيانًا في فصاحة شخص بعينه، أما مبدأ التحديد ومحاولة التحقيق والفرز، واختبار الكلام الفصيح، فهو أصل ثابتٌ لا أعلم عالمًا من علماء العربية ينازع فيه.

ولكن في العصر الحديث انتقد اللغويون هذا الأصل متأثرين بمناهج لغوية غربية فرأوا في عمل النحاة الأوائل تقييدًا للغة، وخروجًا عن المنهج العلمي، ف«يقرر الوصفيون أنّ هذا الأصل من أصول النحو العربي جعله نحوًا لا يمثل العربية، وإنما يمثل جانبًا واحدًا منها، فهو لا يصور إلا هذه العربية التي حددوها مكانًا، وزمانًا، ومعنى ذلك أنه نحو ناقص لا يقدم قواعد الكلام العربي في بيئاته المختلفة، بل يذهب بعض علمائنا إلى أنّ هذا الأصل في تحديد البيئة اللغوية لا يقدم العربية الصحيحة»[(٢)].

أطلق أحد المعاصرين على صنيع اللغويين في تحديد الزمان والمكان دكتاتورية الزمان، والمكان[(٣)]!

---

(١) السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: أحمد الحمصي ومحمد قاسم، جروس برس، الطبعة الأولى (ص ٣٦).

(٢) عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية/بيروت (ص ٥١).

(٣) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثامنة (ص ٣١).

ويقول كمال بشر منتقداً منهج اللغويين الأوائل: «لقد تمثل هذا النهج الضيق في وقف الاستشهاد في علوم اللغة بمنتصف القرن الثاني الهجري تقريبًا، وأواخر الرابع للبدو، وكان من نتائج هذا القصر أمـران مهمـان، قادا في النهاية إلى صعوبات جمة في طريق تفسير حقـائق العربيـة، وفي طمس تاريخها الطويـل بعـد هـذا التـاريخ الـذي حـددوه نهايـة لجـواز الاستشهاد»(١).

ما الحقائق الغامضة التي كان يطمح بشر أن يجد لها تفسـيرًا ! ومـن قبله "برجشتراسر" إذ يقول: «إذا نظرنـا إلى مـا وفـق إليـه علمـاء الشـرق والمستشرقون، من الكشف عن اللغـة العربيـة، وجـدناه قليلًـا ناقصًـا، بالنسبة إلى الواجب والكامل»(٢). فلا تـزال العربيـة في نظريهمـا غامضـة تحتاج إلى مزيدٍ من الكشف.

ثم لنأتِ للأمرين اللذين نتجا عـن منـهج اللغـويين مـن وجهـة نظـر "بشر". الأول «لم يحاول العرب إدراك حقيقة واضـحة، هـي أن العربيـة ليست إلا امتداداً لنفسها عبر تاريخ قديم يرجع في قدمـه إلى اللغـة الأم، أو السامية الأصلية. ومن ثم لم ينظروا في هذا التـاريخ ولـو بطريـق غـير مباشر، أي بواسطة النظر في أخواتها الساميات»(٣).

لاحظ - أيها القارئ - هذا الجزم «حقيقة واضـحة»، فهـل تسـتحق فرضية الأصل السامي أن نطلق عليها هذا الوصف! مصطلح السّامية الأمّ

(١) التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب/ القاهرة (ص٣٢١).
(٢) برجشتراسر، التطور النحوي للغـة العربيـة، تحقيـق: رمضـان عبـد التـواب، مكتبـة الخانجي/ القاهرة (ص ٢٠٣).
(٣) التفكير اللغوي بين القديم والجديد (ص ٣٢١).



ومفهومها مصطلح لم يظهر إلا في العصر الحديث، ولم يتلقّفه الباحثون كلهم بالقبول، فهناك من الباحثين من يشكك في هذا المفهوم، ولا يزال فرضية تحتاج إلى أدلة كافية لإثباتها، ولو سلمنا جدلًا بأنه حقيقة علمية ثابتة، فهل يصح منهجيًا أن نحاكم الأوائل على مفهوم ومنهج نشأ بعدهم! وهل يحقق هذا المنهج الأهداف التي سعى من أجلها الأوائل!

ثم يمضي بشر ذاكرًا أهمية هذا النهج: «على حين أن النظر [أي: في الساميات] كان من شأنه أن يلقي بعض الضوء على كثيرٍ من مشكلات العربية التي حار علماء العربية في توضيحها وتحليلها، ولسنا نشك في أن هذه المشكلات كلها، أو بعضها كان من السهل التخلص منها بطريق استشارة اللغات، وليس لدينا الوقت لتحديد هذه المشكلات أو حصرها، فهي كثيرة معقدة تحتاج إلى بحوث خاصة»(١).

أهكذا أصحاب المنهج العلمي يرمون كلامًا بصرامة عجيبة دون تقديم أي دليل! فما هي المشكلات التي حار فيها النحاة، والتي لا يشك الباحث في حلّها بالاستعانة باللغات السامية؟

أما الأمر الثاني فيتمثل أن «الاستشهاد بتاريخ معين معناه إغلاق البحث في هذه اللغة بعد هذه الفترة التي حددوها نهاية لدراستهم، وقد حدث هذا بالفعل، إذ لم يقدم واحد منهم على دراسة اللغة من أي زاوية أو جانب بعد هذا التاريخ، ولم يكتفوا بهذا، بل حكموا على كل الظواهر اللغوية التي وجدت بالعربية بعد هذا التاريخ على أنها أمثلة صريحة للخطأ، والانحراف ... ولقد كان من النتائج المباشرة لهذا النهج غير العلمي أن أصبحنا اليوم عاجزين تمامًا عن إدراك ما أصاب العربية في

---

(١) السابق.

عصورها الطويلة، وأصبحنا مكتوفي الأيدي لا نستطيع دراسة تاريخ هذه اللغة، أو معرفة خطوط التطور الذي لحق بها، أو ظروف هذا التطور وما ارتبط به من أسباب»[(١)].

قارن بين هذا الكلام وكلام المستشرق برجشتراسر، وهو يعلل عدم اعتناء علماء اللغة الأوائل بالتطور اللغوي، ويرجع ذلك إلى سببين: «أولهما: مداومتهم على السؤال عن الجائز في اللغة وضده، وعلى المنع عن كثير من العبارات. وهذا وإن كان واجبًا، فهو عمل المعلّم لا العالم ... فالعالم يفحص ما يكون في الحقيقة، لا عما كان ينبغي أن يكون ... والسبب الثاني: اعتقاد علماء الشرق أن أكمل ما كانت عليه اللغة العربية وأتقنه وأحسنه، ما يوجد في الشعر القديم، وهذا حكم غير علمي»[(٢)].

وهنا تجد اتفاقهما على وصف عمل العلماء الأوائل بغير العلمي، واتفاقهما على نقد مبدأ التصويب، والتخطئة، وهو ما سنتحدث عنه في نقطة مستقلة. ويؤكد المستشرق يوهان فك أن صنيع اللغويين الأوائل في التحديد الزماني والمكاني للمادة المدروسة غير كافٍ لفهم التطور اللغوي، وكان عليهم أن يذكروا شواهد اللهجات الأخرى[(٣)].

وقد تطرق لهذه القضية كثيرٌ من الباحثين اللغويين العرب منتقدين ما قام به العلماء الأوائل، واصفين عملهم بخلوه من العلمية، أو لم يكن المنهج الأنسب في نظرهم كعباس حسن، وتمام حسان، ومحمود فهمي

(١) نفسه (ص ٣٢٢-٣٢٣).

(٢) التطور النحوي للغة العربية (ص ٢٠٤-٢٠٥).

(٣) انظر: مطير المالكي، موقف علم اللغة الحديث من أصول النحو العربي/مخطوط (ص ٣٨).



حجازي، ومحمد كامل حسين، ومحمد عيد، وعلي أبو المكارم، وشعبان العبيدي، ومحمد حسن عبد العزيز[١].

أما المستشرقون فإنهم اطّرحوا منهج العلماء الأوائل في دراسة العربية، ونبذوه وراء ظهورهم، فلم يلتزموا بحدود الاحتجاج التي حدها القدماء يقول عمايرة بعد عرضه لمؤلفات عدة للمستشرقين: «أمّا المادة اللغوية عند هؤلاء المستشرقين، فلم تكن في الغالب الأعم هي الشواهد اللغوية المألوفة عند النحاة العرب، إذ وسّع المستشرقون دائرة مصادرهم ... ولم يلتزموا بمفهوم لغة الاحتجاج التي ألفناها عند العرب[٢].

ومما يتصل بنقد المادة المدروسة انتقاد نوع المادة ومستوياتها، فالمادة اللغوية كما ذكرنا سابقًا: القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر، وكلام العرب المنثور، وقد بُنيت القواعد النحوية على الأشهر والأكثر في القرآن، أو الحديث، أو الشعر، أو النثر.

أما المحدثون فقد عدّوا عمل النحاة الأوائل خلطًا في المستويات، فكان ينبغي دراسة كلّ مستوى على حدة، فمن المآخذ التي ذكرها أحمد مختار عمر على مصادر الدرس اللغوي العربي: «خلطُهم الشواهدَ الشعرية بالشواهد النثرية، ومحاولةُ استخلاص قواعدَ عامةٍ تجمعها مع أنه من المعروف أن للشعر قواعده، ونظمه الخاصة التي ينفرد بها»[٣].

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٣٢) وما بعدها، وانظر: اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر (ص٢٣٦)، وانظر: كتاب منصور الغفيلي، مآخذ المحدثين على النحو العربي وآثارها التنظيرية والتطبيقية، مطبوعات نادي القصيم (ص ١٠٢).

(٢) إسماعيل عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، مؤسسة الرسالة/ بيروت (ص٣٢٥).

(٣) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب/ القاهرة (ص ٥٥).

ويذهب المستشرق فيشر إلى القول بأنّ بناء القواعد اللغوية والوصف النحوي والمعجمي عند العرب قام على مجموعة من المواد اللغوية لنصوص العربية القديمة الشعرية في الأغلب[١].

وسار على هذا النهج في نقد الأوائل كثير من اللغويين المحدثين، كتمام حسان، ومحمد عيد، وكمال بشر، وإبراهيم أنيس، فالشعر في نظرهم «لا يمثل البيئة اللغوية تمثيلاً دقيقًا، ومن هنا لا يجوز الاعتماد عليه في التقعيد للغة عامة»[٢].

و أنّ النحاة الأوائل قد «اكتفوا من كلام العرب بالشعر فحسب، وأهملوا النثر إهمالًا غير مُسوّغ»[٣].

ولكن ما الذي نتج عن خلط المستويات ؟

يجيب عن هذا السؤال إبراهيم أنيس، إذ يقول: إنّ الخلط بين مستوى الشعر، والنثر: «أدى ... إلى اضطراب في بعض أحكامهم»[٤].

وقد غاب عن هؤلاء مفهوم الشاهد، ووظيفته التي سيقت من أجله، فالشاهد يأتي؛ لإثبات قاعدة مختلفٍ فيها، أو ما خرج عن الأصل؛ ليحفظ، ولا يقاس عليه. أمّا القواعد المطردة، والقوانين الكلية، فالبحث عن شاهد لها يُعد عبثًا، و كلام المحدثين عن قيام القواعد اللغوية في

(١) فيشر وآخرون، دراسات في العربية، ترجمة سعيد بحيري، مكتبة الآداب/ القاهرة (ص ١٦).
(٢) محمد عبد اللطيف حماسة، لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشروق القاهرة (ص ٧).
(٣) السابق (ص ٥١).
(٤) من أسرار اللغة (ص ٢٨٨).



اللغة العربية على الشعر وحده دعوى غير صحيحة، فالقواعد بنيت على الأشهر كما بينا سابقًا.[١]

- **المنهج المعياري :**

المعيار فلسفيًا هو: «ما يتُخذ مبدًا أول وقاعدة أنموذجية تقاس الموضوعات بالنسبة إليها؛ لتصبح مبرّرةً ومعقولة؛ لأنه يمنحها دلالتها ونظامها وقيمتها»[٢].

والقاعدة الأنموذجية في اللغة العربية هي لغة الاحتجاج التي بُنيت عليها قوانين اللغة، فالصواب ما وافقها، والخطأ ما خالفها، وقد ذكرنا في النقطة السابقة كلام برجشتراسر، وكمال بشر في نقد الحكم على الظواهر اللغوية بالخطأ أو الصواب، و عدّ ذلك مخالفًا للمنهج العلمي، بل يعود سبب داء النحو العربي وصعوبته والشكوى منه إلى هذا المنهج المعياري، فما برحوا يتهمون النحاة بأنهم تحكموا في الآخرين، وتسلطوا على اللغة، وسيطروا على الكلام، فما وافق القواعد التي وضعوها هو الصواب، وما خالفها فخطأ[٣].

يقول مهدي المخزومي: «ليس من وظيفة النحوي الذي يريد أن يعالج نحوًا للغة من اللغات أن يفرض على المتكلمين قاعدة، أو يخطئ لهم أسلوبًا»[٤].

---

(١) انظر سليمان العايد، موقف النحاة المعاصرين من القراءات: الشيخ محمد عضيمة نموذجًا/ مخطوط (ص ٤٥).

(٢) معن زيادة وآخرون، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي (ص ٧٦٦).

(٣) انظر: تمّام حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب/بيروت، الطبعة الرابعة (ص ١١)، ولغة الشعر (ص ٦٨).

(٤) مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي/ بيروت، الطبعة الثانية (ص ١٩).

أقول: وهذا ما صنعه النحاة الأوائل، فهم لم يفرضوا القواعد على المتكلمين، بل بُنيت القواعد على كلامهم، وما خالف تلك القواعد من الكلام الفصيح أوّلوه إن استطاعوا، أو حفظوه دون القياس عليه. أمّا اتهام النحاة بأنهم صادروا كثيراً من الأساليب اللغوية الصحيحة، فهو اتهام باطل لا يقوم على أي سند تاريخي.

«إنّ القواعد النحوية التقليدية ... عند فيشر [ومن تبعه من اللغويين] لا تنبع من مقتضيات المنهج الوصفي، بل هي معيارية، لا يهمها وصف اللغة بمقدار ما يهمها اطّراد قواعدها، وهذا يعني أن النحاة القدامى كانوا يغضون النظر عن الاستعمالات اللغوية التي تعارض قواعدهم»(١).

لابدّ أن نفرق بين أساليب في عصر الاحتجاج، و أخرى بعد عصر الاحتجاج، فالأولى كان منهج الأوائل واضحًا فيها كما ذكرتُ سابقًا: بناء القواعد على الأشهر منها، وما خالف فمنهجهم فيها التأويل، أو حفظها دون القياس عليها. هذا ديدن العلماء في مثل هذه الظواهر، وما خرج عن هذا النهج نعدّها ممارسات خاطئة من بعض اللغويين، ومن الخطأ المنهجي تعميمها على اللغويين كلهم، أما الأساليب بعد عصر الاحتجاج فخروجها عن القواعد العربية خطأ بالإجماع لا يخالف في ذلك من عرف هدف الأوائل من علوم العربية.

وهذا ما لا يرضاه المحدثون، فبعض المستشرقين درس الفصحى المعاصرة، واعتبر أخطاء المتكلمين تشكّلاتٍ لمرحلة جديدة، وتطوراتٍ في اللغة المعاصرة(٢).

(١) إسماعيل عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، دار حنين/ عمان، الطبعة الثانية (ص ٩٠).

(٢) السابق ص ٨٨



أما المناهج التي يقترح المحدثون تبنيها لدراسة اللغة العربية، فطائفة تؤيد المنهج التاريخي المقارن، وأخرى تطرح المنهج الوصفي منهجًا بديلًا لمنهج النحاة الأوائل، وسنتحدث عن المنهجين عند اللغويين العرب مع ربطها بالتأثير الاستشراقي.

المنهج التاريخي المقارن:

يُعنى المنهج التاريخي بدراسة الظواهر اللغوية في فترتين مختلفتين، أو فترات عدة؛ ليرصد تطوراتها.

أما المنهج المقارن فيُعنى بدراسة الظواهر اللغوية في لغتين من أسرة واحدة، وذلك بعد تقسيم اللغات إلى أسر.

وقد ساد المنهجان التاريخي والمقارن في القرن الثامن عشر والتاسع عشر في أوروبا، وطبقه المستشرقون على اللغة العربية، وظهر ذلك في مؤلفاتهم ومحاضراتهم، فألف المستشرق يوهان فك كتابه« العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب« ودرس فيه العربية وفق المنهج التاريخي حاول فيه رصد تطورات العربية في كل عصر.

وقد تتبع أحد الباحثين المؤلفات العربية التي أُلفت وفق هذا المنهج، وعلى غرار كتاب يوهان فك، فذكر منها: في علم اللغة التاريخي للبدراوي زهران، واللهجة المصرية الفاطمية لعطية سليمان أحمد، وعلم اللغة العربية لمحمود فهمي حجازي، والتطور اللغوي لرمضان عبد التواب، بل يجزم الباحث أن هناك مؤلفات كانت تلخيصًا لكتاب يوهان فك، وهي: مستقبل اللغة العربية المشتركة لإبراهيم أنيس، ودلالة الألفاظ العربية لمراد كامل، وملامح من تاريخ اللغة العربية لأحمد نصيف الجنابي[1].

(١) البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان (ص ٣٥).

أما في المنهج المقارن، فإنّ إسرائيل ولفنسون مدرس اللغات السامية بالجامعة المصرية وضع كتاب (تاريخ اللغات السامية)؛ ليكون «مرجعًا لطبقة المستنيرين[١] من الأدباء والعلماء والمدرسين بالمدارس الثانوية العالية في أقطار الشرق»[٢]. وقد ألّف في هذا الاتجاه نولدكه، وبروكلمان، وبرجشتراسر، وتبعهم طلابهم من اللغويين العرب.

وعدّ المحدثون تركَ القدماء المقارنة بين اللغات والنظر فيها من أبرز الأخطاء المنهجية التي انعكست على غموض بعض القضايا اللغوية، أو أوصلتهم إلى تفسيرات غير صحيحة يقول أحمد مختار عمر: «علماء اللغة لم يكونوا يعرفون شيئًا عن اللغات السامية كالعبرية والسريانية معرفة صحيحة، فنشأ عن ذلك أنهم لم يوفقوا في بيان المعاني الدقيقة التي يؤديها كثير من الكلمات العربية في أصل وضعها، ونشأ عن ذلك أيضًا وقوعهم في أغلاط فيما يتعلق بالاشتقاق. كما أن معرفتهم المحدودة باللغات الأجنبية جعلتهم غير موفقين في رد كثير من الكلمات المعرّبة إلى أصولها الأجنبية»[٣].

وقد علّق أحد الباحثين على هذه الانتقادات التي لم يتفرد بها أحمد مختار، بل قال مثل قوله كثير من اللغويين المحدثين منهم عبد المجيد عابدين، والسيد يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب علق بقوله: «والواقع أن هذا المأخذ أشار إليه بالإضافة إلى اللسانيين المعاصرين في مصر، المستشرقون، وبعض لسانيي الوطن العربي»[٤].

(١) لاحظ كلمة المستنيرين وما تحمله من دلالات، فالنور أتى مع هؤلاء المستشرقين، واتباعهم في الشرق هم من يستحقون هذا الوصف، أما من يخالفهم فهم ظلاميون.

(٢) تاريخ اللغات السامية، المقدمة.

(٣) البحث اللغوي عند العرب (ص ٥٦).

(٤) اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر (ص ٢٤٢).



و المتأثرون بهذا المنهج وصفوا الأوائل بأوصاف لا تليق بهم، فلويس عوض يصف أبحاث القدماء بالساذجة[١]، ويصف إبراهيم السامرائي النحويين الأوائل بأنهم يهرفون يقول: «والنحويون ربما كانوا يهرفون، وذلك لأنهم لم يفطنوا إلى المقارنة في دراسة اللغة، والنحو، ففاتهم علم كثير»[٢].

إنّ أصحاب هذا المنهج يرونه ضرورة حضارية لمعرفة تاريخ الشعوب السامية، وعاداتها، وثقافاتها، وتقاليدها، وضرورة لغوية لتفسير كثير من القضايا اللغوية، وسأذكر بعض النتائج اللغوية التي توصلوا إليها من خلال تطبيقهم هذا المنهج:

يقرر العلماء أن الفعل المعتل العين أو اللام له أصل غير مستخدم، فقال أصلها قوَل، وباع أصلها بيَع، ولكن أصحاب المنهج المقارن يؤكدون استعمال هذا الأصل في مرحلة من مراحل العربية، والدليل النظر في اللغات السامية، فالحبشية لا تزال تستخدم هذا الأصل تقول: بيَن، وديَن.

كلمة (ليس) في العربية كلمة جامدة لا تتصرف عند النحويين، أما عند المحدثين، وبعد الاطلاع على الساميات يقررون أنها مركبة من (لا) و(أيس).

العربية كانت تبدأ بالساكن في مرحلة سابقة، والدليل استساغته في اللغات السامية.

(١) لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، سينا للنشر (ص ١١٠).
(٢) إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين/ بيروت (ص ٧٩).

جمع التّصحيح أحدث عهدًا من جمع التكسير، وهي مرحلة متقدمة من مراحل اللغة التي تتجه إلى الاطراد، فالعبرية اطرد فيها هذا الجمع وهذا دليل المرحلة اللغوية العالية التي بلغتها العبرية[١].

وأكتفى بهذه النماذج التي توضح منهج هؤلاء اللغويين، ومن أراد الاستزادة ففي كتب فقه اللغة المقارن بغيته.

وبناء على معطيات هذا المنهج ومخرجاته، وتعامله مع اللغة، انتقد أصحابه المعجم العربي، وذلك لأنه أهمل اللغات السامية والنظر فيها، ولأنه لم يطلعنا على التاريخ الاستعمالي للألفاظ، وقد ظهرت دراسات عدة تنتقد المعجم العربي، «ومساهمة المستشرقين كانت البداية النقدية لمنهج العرب في معجماتهم، ثم خلف من بعدهم نفر من العرب فكتبوا في الموضوع»[٢]. وكان من بين دعواتهم الدعوة إلى تأليف معجم تاريخي للغة العربية، وأول من دعا إليه المستشرق فيشر[٣]، وتبناه مجمع اللغة العربية القاهري، ولا تزال تتبناه جهات وجمعيات ولمّا يكتمل بعدُ.

و ذهب المحدثون حميةً لتراثهم، والذب عن القدماء من علمائنا الأوائل، يؤكدون أنّ العرب مطلعون على اللغات السامية، بل لهم مساهمات في دراستها، فالدكتور هشام الطعان ألف كتابًا في هذه القضية أسماه (مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية)، وعدّ من ذلك على

(١) انظر رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، الخانجي/ القاهرة، الطبعة السادسة (ص٤٦ وما بعدها)، وانظر: فقه اللغة المقارن إبراهيم السامرائي.
(٢) العربية تواجه العصر (ص ١٣٢).
(٣) عبد العزيز الحميد، أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود (ص ٢٠١).



سبيل المثال تعلّم زيد بن ثابت رضي الله عنه اللغة العبرانية، أو السريانية[١].

فما حقيقة اللغات السامية ؟ ومتى بدأ إطلاق هذا المصطلح؟ ومتى كانت تلك اللغة الأم مستخدمة ؟ ومتى بدأ تحولها إلى لغات؟

أسئلة عجز اللغويون عن إجابتها إجابة مؤيدة بالدليل، فكل ما قيل فيها فرضيات لم ترْقَ لتصبح حقيقة علمية. و يؤكد "رينان" صراحةً في أكثر من مناسبة أنّ الساميين، وصفة السامية من خلْق الدراسة الاستشراقية لفقه اللغة. ولمّا كان رينان هو الذي قام بهذه الدراسة، فإنّ قوله ذلك كان يقصد بوضوح أن يشير إلى الدور الرئيسي الذي اضطلع به هو نفسه في ذلك الخلق الجديد المصطنع[٢].

وعلماؤنا لم ينظروا فيما هو أشرف من اللغات السامية، مثل اللغات التي خالط أهلها غير العرب، ولغة العرب الذين في المدن مثل مكة والمدينة.

المنهج الوصفي :

المنهج الوصفي هو دراسة اللغة بذاتها، ولذاتها، ووصفها دون النظر إلى تاريخها، أو مقارنتها بغيرها، وهذا الوصف لا بد أن يكون في مرحلة زمنية واحدة، وفي بيئة محددة، فعلى الباحث اللغوي:

أولاً: «أن يتعلم علم الأصوات اللغوية العام، الذي لا يختص بلغة بعينها ... ثم يبدأ البحث والاستقراء مستعينًا بـ (مساعد البحث)

(١) هشام الطعان، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية (ص ٩).
(٢) الاستشراق، إدوارد سعيد (ص ٢٣٤).

ولاختياره شروط معينة. وتأتي بعد الاستقراء مرحلة التقسيم« الاصطلاحات الفنية« الشركة في الشكل شركة صرفية، والشركة في الوظيفة شركة نحوية، ثم يأتي بعد ذلك دور التقعيد، فينظر الباحث في أنواع التشابه المطردة بين المفردات التي تم استقراؤها، فيصفها بعبارة مختصرة نحو: حين يقع الاسم مسندًا إليه يكون مرفوعًا، ولا يتحول عن هذا الرفع إلا في حالات خاصة. و ليست القاعدة هنا قانونًا يفرضه الباحث على المتكلمين باللغة فمن وافقه كان محسنًا ومن خالفه كان مسيئًا...فالتقعيد هنا وصفي لا معياري»[(١)].

والنحو في نظر الدراسات الوصفية: علم يصف طرق الاستعمال اللغوي في مرحلة خاصة من مراحل تاريخ اللغة المدروسة[(٢)].

ويتميز المنهج الوصفي بمميزات عدة نستطيع إدراكها من الكلام السابق، ومما سطّره المنظّرون لهذا المنهج، منها:

الاهتمام باللغات الحية، وترك دراسة اللغات القديمة، فصُرفت الأنظار عن دراسة اللغات السنسكريتية، واللاتينية، وبعضهم يلحق بها العربية الفصيحة، وحاول بعض المستشرقين دراسة العربية المعاصرة، فقسموا الفصحى إلى قسمين: كلاسكية، ومعاصرة.

الاهتمام باللغة المنطوقة، والوصفيون ينتقدون النحو التقليدي؛ لأنه لم يفرق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، وأدى ذلك في نظرهم إلى اضطراب؛ لأن لكل لغة نظامًا.

(١) انظر: اللغة بين المعيارية والوصفية (ص ١٥٠)، وما بعدها
(٢) السابق (ص ٣٢).



مهمة الباحث الوصف، ثم الترتيب و محاولة الإجابة عن «كيف»، أما الخروج عن هذه المهمة، ومحاولة التعليل، والإجابة عن لماذا؟ فيعده الوصفيون خروجًا عن المنهج العلمي.

تحديد مكان الدراسة وزمانها، فتُدرس كلّ لهجة مستقلةً في زمن معين[(١)].

هذه أبرز ملامح المنهج الوصفي الذي طبقه بعض المستشرقين على اللغة العربية، وقد ذكر إسماعيل عمايرة عددًا من المستشرقين قاموا بدراسة العربية دراسةً وصفيةً منهم: كروبفتش الذي كتب: الاتجاهات الدلالية في العربية الفصحى المعاصرة، ولهانزفير بحث عن: خصائص الفصحى المعاصرة، ولكانتارينو بحث: تراكيب النثر العربي الحديث، ولستتكيفتش: العربية الفصحى، وغيرها من الدراسات[(٢)].

و على نهج الوصفيين سار لغويون عرب تبنوا المنهج الوصفي، ورأوا أنّه الأصلح في دراسة اللغة، وطالبوا اللغويين أن يسيروا في اتجاه المنهج الوصفي يقول إبراهيم السامرائي: «لا بد أنّ نأخذ شيئًا يصلح في درس لغتنا، وفهمها من العلم الجديد. علينا مثلًا أنّ ندرس لغتنا دراسة واقعية، فنتبع منهجًا وصفيًا»[(٣)]. ويقول: «إذا أردنا أن ننهج نهجًا جديدًا، فنكتب نحواً نوجهه للدارسين في عصرنا هذا فعلينا أن نأخذ بالمنهج الوصفي»[(٤)].

---

(١) انظر: السابق (ص ٥٠-٥٥)، والنحو العربي والدرس الحديث (ص ٤٧)، وما بعدها، والمستشرقون والمناهج اللغوية (ص ٨٨).

(٢) المستشرقون والمناهج اللغوية (ص ١٣٦).

(٣) العربية تواجه العصر (ص ١٩).

(٤) إبراهيم السامرائى، النحو العربي نقد وبناء، دار البيارق/ بيروت، الطبعة الأولى (ص ٦٨).

نتج عن اتباع هذا المنهج نقدٌ لبعض القضايا اللغوية في النحو العربي، وتفكيكها، والتشكيك في علميّتها من أشهرها: قضية العامل النحوي، و القياس اللغوي، والتعليل. ولا تكاد تطلع على كتابٍ في العصر الحديث يتكلم عن القضايا إلا وجدت هذه القضايا ماثلةً أمامك ساقها المؤلف رافضًا أو مؤيدًا، وهي أثر من آثار المنهج الوصفي.

بقيت مسألة قبل أن نختم القضايا المنهجية، وهي مسألة ربط المنهج الوصفي بالدراسات اللغوية العربية التي قام بها الأوائل، و هذا ديدن مفكرينا للأسف كلما ظهرت نظرية أو منهج حاولوا إيجاد شرعية تراثية له، فالمنهج الوصفي بينه وبين منهج الأوائل اختلافات كثيرة في الغاية والهدف والوسيلة، وأوجه الاتفاق لا تعني التماثل، أو كما يقولون تحمل البذور الأولى، فأمر الاتفاق في بعض الوسائل أمر طبعي؛ لاتحاد المدروس (اللغة). ومن أعجب ما قرأته في هذا الجانب ما ذكره أنيس فريحة عن ابن جني، وابن مضاء يقول: «فإن هذين اللغويين يعتبران بحق مؤسسي المنهج الوصفي»[١].

يقول عن فيلسوف اللغة ابن جني إنه مؤسس المنهج الوصفي!

فأين ذهبت تعليلات ابن جني في الخصائص، وتحليلاته في فلسفة اللغة وحكمتها؟

قضايا عامة :

هي قضايا في اللغة العربية شارك فيها المستشرقون، أو شارك فيها اللغويون العرب المستشرقين، ففي الغالب هي إشكالات طرحها الاستشراق، وشغلت الفكر العربي.

(١) نظريات في اللغة (ص ٨٦).



أصالة الدراسات اللغوية العربية :

الدرس اللغوي العربي قام على أصول، ووفق منهج سليم حقق الغرض منه، وقد عظُم على المستشرقين أن ينسبوا هذا العمل الجليل إلى الأمة الإسلامية، وحاولوا التشكيك في أصالته العربية، والتأكيد على تأثره إما باليونان مباشرة، أو عن طريق السريان أو الهنود.

ويُعد رينان أول من شكك في أصالة الدراسات اللغوية العربية، وذهب إلى القول بالتأثير الأجنبي، تأثر النحو العربي بالنحو اليوناني عن طريق السريان، وأيده المستشرقون منهم: نولدكه، وفرانس بريتوريوس، وفرستيغ، وفيشر، وطلمون، وريفيل[(١)]، كلهم يؤكدون على تأثير النحو اليوناني على النحو العربي، وحاولوا عبثًا جمع الأدلة لإثبات ذلك. أما تأثر الدراسات اللغوية العربية بالهنود فقد قال به قلة من المستشرقين منهم هايود[(٢)].

هذا القول بدعة استشراقية، فالقول بأصالة الدراسات العربية لم تكن من الإشكالات الفكرية عند المسلمين، ولم تكن من الأسئلة التي شغلت الفكر الإسلامي، بل إنّ الشعوبيين الذين يناصبون الجنس العربي العداء لم يجرؤ أحدٌ منهم على هذا القول، فهي حقيقة تاريخية، وإرجاعها إلى دائرة الشك والفرضية عبثٌ علمي.

لن أناقش فرضياتهم، أو التكهنات التي قامت عليها فرضياتهم، فقد قام بهذا العمل بعض الباحثين، فإسماعيل عمايرة ناقش أدلتهم من قبل،

(١) إسماعيل عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حنين عمان، الطبعة الثانية (ص ٣٨)، وما بعدها.
(٢) المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية (ص ٤٢).

وبيّن خللها من عشرة أوجة[١]. وما أريد الوصول في هذه الدراسة هو بيان أثر المستشرقين في تلك القضية، فقد رأينا أنّ نشأتها استشراقية، وتلقفها اللغويون العرب، فظلوا يرددون ما قاله المستشرقون.

يقول إبراهيم السامرائي: «ليست مواد النحو القديم مأخوذة من النحو اليوناني على حسب ما يزعم الذين كتبوا في هذه المادة تقليدًا ومحاكاةً لطائفة من المستشرقين»[٢]. يثبت هذا النص أسبقية المستشرقين، وأولويتهم في القول بعدم أصالة النحو العربي، وهو ينكر التأثر بالنحو اليوناني، ولكن يثبته بالمنطق الأرسطي يقول: «إنّ الدارس المنصف لمواد النحو في العربية... ليجد في النحو العربي شيئًا من المنطق الأرسطي الذي أولع به العرب أشد الولوع، فأفادوا منه في كثير من علومهم!»[٣].

أما لويس عوض فإنه يعترف بقوة الدراسات اللغوية العربية وإحكامها، والسبب في نظره: اطلاع العرب على ثقافات الفرس واليونان يقول: «وُفّق العربُ إلى وضع النحو العربي، والصرف العربي، والبلاغة العربية، على أسس علمية بعد ازدهار حضارتهم، واطلاعهم على تراث الأمم المجاورة لهم، ولا سيما اليونان، والفرس»[٤]. وقد ذهب إلى القول بالتأثير كثير من اللغويين العرب، بل ينقلُ بعض الباحثين شبه إجماع من المحدثين على وجود التأثير[٥].

(١) السابق (ص ٤٥).
(٢) العربية تواجه العصر (ص ٣٥).
(٣) السابق.
(٤) مقدمة في فقه اللغة العربية (ص ٩٢).
(٥) اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر (ص ٢٠٢).



ومن هؤلاء: إبراهيم مدكور، وإبـراهيم مصـطفى، وتمـام حسّـان، وأنيس فريحة، وأحمد مختار عمر، وحسن عون، ومحمود السعران.

أختم هذه القضية التي تَبيّن لي فيها أثـرُ الاستشـراق بمـا ذهـب إليـه عبد الرحمن الحاج صالح؛ إذ يقول: «أجمع المستشرقون قبل اليوم على حصول هذا التـأثير، بـل ذهـب بعضـهم إلى أنّ مفـاهيم النحـو العـربي الأساسية كلها مأخوذة من منطق أرسطو. ولم يأت أحد منهم بـأي دليـل اللهم إلا القول باستحالة إبداع العرب لكل هذه المفاهيم الدقيقة الناضجة في مدة قصيرة، وهو دليل واهٍ؛ لأن العرب أبدعوا أشياء كثيرة غير النحو في هذه المدة القصيرة»[1].

الدعوة إلى العامية، والاهتمام بها، والعزوف عن الفصحى:

نتناول هذه القضية مـن الجانـب التـاريخي فنتحـدث عـن بـداياتها، وعلاقة المستشرقين بها، وتأثر العرب بهم، فالقضية كلها أصـبحت مـن التاريخ، فقد تجاوزها الفكر العربي، وإني لأتعجب بحسرة وأنا اقـرأ في هذه القضية على الجهود المضنية الـتي اُسـتنزف فيهـا العقـل العـربي في معركة ليست له، وفي قضية محسومة، فكل الأمم عندها نمطـان في أداء اللغة، ومستويان، نمط عالٍ أدبي، وآخر تواصلي، والأمة العربية ليست بدعًا من الأمم في هذا الشأن فعندها هذان المستويان، ولكنّ الاسـتعمار وأداته الاستشراق ضخّم هذه القضية حتى غدت هي العقبـة بـين العـرب والحضارة والتقدم.

(١) عبد الرحمن الحاج، تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبـادل بـين الشـرق والغـرب: إيجابياته وسلبياته، مجلة مجمع اللغة العربية/ القاهرة (العدد ٩٦/ ١١٥).

ويجمع الباحثون الذين كتبوا في هذه القضية على ربطها بالاستشراق، ومِنْ خلفه قوى الاستعمار، فقد تولّوا كِبَر العزوف عن الفصحى، والدعوة إلى العامية تنظيرًا وتطبيقًا.

تقول نفوسة زكريا: «إذا تتبعنا تاريخ الصراع بين الفصحى و العامية في مصر لا نجد أثرًا لهذا الصراع قبل ظهور الدعوة الأجنبية التي نادت باتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبي»(١).

وقد أيّد قول نفوسة في ربط تاريخ الدعوة إلى العامية بالاستعمار أكثرُ من باحث، منهم محمود شاكر في كتابه أباطيل وأسمار، وأحمد عبدالغفور عطار في كتابه الزحف على لغة القرآن وعبد الصبور شاهين في كتابه في علم اللغة العام، ومحمد المبارك في كتابه فقه اللغة وخصائص العربية.

وكان تأثير هذه الدعوة من جانبين:

الأول: الإبداع بالعامية: من حيث تأليف الكتب، وترجمة الأعمال الأدبية العالمية، و كتابة المسرحيات، و لغة الصحف، والإعلام.

الثاني: دراسة اللهجات العربية، ولا نستغرب من دراسة المستشرق للهجات العربية، والدعوة إليها، فغالبًا هذا المستشرق هو طالب أو متخرجٌ في المدارس الخاصة باللهجات العربية كمدرسة نابولي للدروس الشرقية في ايطاليا، وفينا في النمسا، ومدرسة باريس للغات الشرقية الحية و لاحظ تقييد الحية الذي يقصدون به اللهجات، ومدرسة لازارف في روسيا، وكذلك في ألمانيا، والمجر، وإنجلترا(٢).

(١) نفوسة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار نشر الثقافة بالإسكندرية، الطبعة الأولى (ص ٧٥).

(٢) السابق (ص ٩)، وما بعدها.



يقول المستشرق بروكلمان: «ولم يبحث اللهجات التي تُـتَكّلم اليـوم في الشرق إلا العلماء الأوربيون في القرن التاسع عشر»[١]. وهذا صحيح، فهي من كوارث الاستشراق.

درس المستشرقون ومن اقتفى أثرهم مـن العـرب اللـهجات العربيـة كلها كلهجة بغداد، ودمشق، والصعيد، ومـراكش، وبـيرت، وصـنعاء وغيرها من لهجات العالم العربي.

ولقيـت هـذه الـدعوة تأييـدًا مـن بعـض المـثقفين العـرب كرفاعـة الطهطاوي، وسلامة موسى، و أسعد داغر، وغيرهم من المثقفين، وفي المقابل هناك مثقفون عارضوا هذه الدعوة، وبينوا عوارهـا وهـي - كمـا قلت سابقًا - معركة استنزفت جهد الأمة.

ذكر بعض المؤلفات بالعامية :

أحسن النخب في معرفة لسان العرب، لمحمد عياد الطنطاوي.

الرسالة التامة في كلام العامة والمناهج في أحـوال الكـلام الـدارج، لميخائيل الصباغ.

مميزات لغات العرب وتخريج ما يمكن من اللغة العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك. ألفه حفني ناصف تلبية لاقتراح مرتين هرتمن أستاذ اللغات الشرقية في برلين.

التحفة الوفائية في تبيين اللغة العامية المصرية، لوفاء القوني استجابة لطلب كارل فولرس.

(١) فقه اللغات السامية (ص ٣١).

وليس الغرض استعراض الكتب التي ألفت في العامية، أو حصرها، فكتاب الدكتورة نفوسة جاء على كثير منها.

و لكن لاحظ أيها القارئ أنّ الكتابين الأخيرين كانا بإيعاز مباشر من المستشرقين، وكذلك الكتابان الأولان، فصاحب الكتاب الأول مدرس العربية ولهجاتها في بطرسبرج في روسيا، والثاني يدرس في مدرسة باريس للغات الشرقية الحية، وهذا يؤيد تعريفي للاستشراق، فهي داخلة في الحد الذي وضعته للدراسات الاستشراقية، أما الذين وضعوا قيد الجنس غير العربي في التعريف فكلّ هذه الدراسات ليست من الدراسات الاستشراقية؛ لأنّ كتّابها عرب!

أكتفى بهاتين القضيتين اللتين رأينا دور الاستشراق فيهما، ورأينا فيها تبعية اللغويين العرب لأقوال المستشرقين، وهناك قضايا أخرى لكنّها لم تكن بأهمية هاتين القضيتين في التأثير كقضية الإعراب التي تولى كبرها فولرز، وكوهين، وتابعهما من اللغويين العرب إبراهيم أنيس، وإبراهيم مصطفى، وإبراهيم السامرائي.

ومثلها قضية القول بالأصل الثنائي التي دافع عنها الدومنكي متأثرًا بالمستشرقين، لكنّ هاتين القضيتين تأثيرهما محدودٌ. أضف إليها القضايا الأدبية التي تحتاج إلى دراسة مماثلة تكشف عن تأثير الاستشراق في الدراسات الأدبية.

علاقة الاستشراق بالسياسة :

الحديث عن علاقة الاستشراق بالسياسة مبنيٌ على الحركة والظاهرة الاستشراقية، وليس عن المستشرقين. فالمستشرقون عددهم كثيرٌ، وليسوا سواءً، فمنهم الباحث المنصف، والباحث الجاد الذي يسعى



للوصول إلى الحقيقة، لذلك نجد منهم من يدافع عن الإسلام والمسلمين، ومنهم من أسلم[١]، ومنهم غير ذلك الحاقد المتعصب، وكثيرٌ منهم يوظّف من غير علمه بأبعاد عمله، فالأساطير التي نُسجت عن الشرق هي زاده المعرفي، وهي الحقائق التي لا تقبل النقاش عنده، فالحديث سيكون متوجهًا إلى المؤسسة الاستشراقية.

ارتبطت الحركة الاستشراقية بالسياسة الاستعمارية، وكونتا جبهةً واحدةً؛ للاستيلاء على الشرق، و بات الاستشراق وجه الاستعمار الثقافي، والمؤيد له علميًا، وظلت السياسة الاستعمارية الداعم القوي للاستشراق، والمذلل له الصعاب، وقد صَنّفتُ الأدلة التي تؤكد علاقة الاستشراق بالسياسة، وقسمتها إلى أقسام، وختمت بأقوال الباحثين التي تواترت في ربط الاستشراق بالسياسة استئناسا بها، وهي:

١- اعترافات المستشرقين، وبعض الباحثين الغربيين:

يعترف هاملتون جيب مؤلف كتاب «المجتمع الإسلامي والغرب» مع بون أن الدراسات الاستشراقية من بداية القرن التاسع عشر إلى وقت قريب من تأليف كتابه في القرن العشرين عديمة الجدوى، و ذكر سبب ذلك من وجوه عدة من بينها أنها تمثل وجهات النظر الرسمية[٢]، فهي مبنية على ما تريده المؤسسة الرسمية لا ما يتطلبه البحث العلمي.

وينقل عبد المتعال الجبوري اعتراف ريتشارد بعلاقة الدراسات الاستشراقية بالسياسة الأمريكية، وذلك في دراسة الأخير «التي نال بها

(١) ذكر صاحب كتاب (الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين) قائمةً تضم مئة واثنين وتسعين مستشرقًا أعلنوا إسلامهم (ص ٢٦٢).

(٢) انظر: فلسفة الاستشراق (ص ٢٠٢).

الدكتوراه عن الإخوان المسلمين، والتيار السلفي عند رشيد رضا أنّ هذا الاهتمام بالتاريخ العربي والإسلامي جزء من السياسة الأمريكية العليا، وقد بدأت الحكومة الفيدرالية تهتم بذلك منذ الخمسينيات»[(١)]، ثم يقول: «وظهر بأمريكا برنامج التعليم من أجل الدفاع القومي، أي تعلم لغات وأحوال الدول الأسيوإفريقية للانتفاع بها في خدمة السياسة الأمريكية، وربما كان الاستشراق ستارًا للتجسس»[(٢)].

وفي هذا دلالة على أنّ الاستشراق لا يزال مرتبطًا بالسياسة، وخطأِ من يظن أنّ هذه العلاقة تلاشت بعد زوال الاستعمار.

٢- العلاقة العضوية بين الاستشراق والسياسة :

وذلك أنّ يكون المستشرق مشاركًا في الأجهزة السياسية وموظفًا فيها، فلويس عوض -وهو من الاتباع المخلصين - كان ينتقد الأساتذة المستشرقين الإنجليز الذين يعملون في المخابرات[(٣)].

إنّ هؤلاء المستشرقين ينفذون خطة محكمة للتغلغل في الشرق تحت شعار العلم، ودثار المعرفة، وانظر إلى وصف محمود شاكر لكريستوفر سكيف الذي يعمل أستاذًا، ويقوم بأعمال جاسوسية، وذلك في قوله: «كان أستاذًا في كلية الآداب بجامعة القاهرة ... وجاسوسًا محترفًا في وزارة الاستعمار البريطانية، وأنه كان مبشرًا ثقافيًا شديد الصفاقة سيء

(١) عبد المتعال الجبوري، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، مكتبة وهبة/ القاهرة، الطبعة الأولى (ص ١٢٣).

(٢) السابق.

(٣) انظر: نسيم مجلّي، لويس عوض ومعاركه الأدبية، المجلس الأعلى للثقافة (ص ٦٩).



الأدب، وأنه كان ماكرًا خبيثًا خسيس الطباع، وأنّه كان يفرّق بين طلبة القسم الإنجليزي في الجامعة: يمد يدًا إلى هذا، لأنه تابعٌ له حاطبٌ في هواه، وينفض يده من ذاك؛ لأنه يعتصم ببعض ما يعتصم به المخلصون لدينهم ووطنهم، حميةً وأنفةً، واستنكافًا أن يضع في عنقه غُلًّا للسيادة البريطانية، وللثقافة التبشيرية»[١].

يطلعنا هذا النص حقيقةً على تغلل المستشرق في المؤسسات التعليمية العربية من جهة، وتورطه مع المخابرات من جهة أخرى، وعلى قوة تمكنه وتسلطه على الطلاب، وهي شهادةُ مَنْ عاصَرَ تلك الفترة. وأشار إلى هذا الدور الذي يقوم به المستشرق دي بلو فرانسو، وذكر نماذج على ذلك، منها: «دور المستشرق الهولندي سنوك مرغرونيه في السياسة الاستعمارية الهولندية في إندونيسيا، ودور ماسنيون في خدمة الحكومات الفرنسية المتعاقبة كضابط في الجيش والمخابرات، وهناك اليوم عاملون كثيرون في مضمار ما يسمى بدراسات الشرق الأوسط وضعوا أنفسهم في خدمة الصهيونية بفلسطين المحتلة؛ مثل المستشرق المعروف برنارد لويس، الذي تخرج على يديه عشرات الطلاب العرب واليهود»[٢].

فلويس عوض وهو من أشد المثقفين العرب حماسًا للمستشرقين والثقافات الأجنبية، ومحمود شاكر وهو ممن قاوم المستشرقين، واتباعهم من العرب بكتاباته، ودي بلو وهو باحث غربي، كلهم على

(١) محمود شاكر، أباطيل وأسمار، الخانجي/ بالقاهرة، الطبعة الثالثة (ص ٨).

(٢) نقلا عن صلاح الجابري في كتابه: (الاستشراق قراءة نقدية)، دار الأوائل/ الرباط (ص ١٠٠).

اختلاف ثقافاتهم، وتوجهاتهم أكدوا الارتباط الوثيق بين المستشرقين، وصناع القرار بما لا يدع مجالاً للشك. كما يؤكد روبن ونكس «حقيقة الارتباط الوظيفي، أو المعلوماتي بين أطراف البحث والدراسة، وبين صناع القرار»[١].

وإليك ذكر بعض أسماء المستشرقين الساسة[٢]:

"**هانوتو**" الذي دارت بينه وبين محمد عبده معركة فكرية حول الإسلام، وهو مستشار لوزارة المستعمرات الفرنسية.

"**سوفير**" قنصل فرنسا في دمشق.

"**لويس ماسنيون**" أحد الضباط الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى، ثم عُين مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية، ثم أمينًا للمجمع العلمي المصري، وله مجلة للدراسات الإسلامية تَتَبَّع أخبار الفرق الإسلامية، والدوريات، والمجلات.

"**هنري جيب**" عضو المجمع اللغوي المصري، وكان يعمل مستشاراً في وزارة الخارجية البريطانية.

"**برلاند لويس**" مستشرق إنجليزي يعمل في السياسة الأمريكية، وهو متخصص في الشئون العربية، والإسلامية[٣].

---

(١) انظر: الاستشراق في الفكر العربي (ص ٢٧).

(٢) ومن أراد الاطلاع على نماذج أخرى؛ فليرجع لموسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي، أو: كتاب (المستشرقون) لنجيب العقيقي، أو: كتاب (الاستشراق وجه الاستعمار الفكري) لعبد المتعال الصعيدي.

(٣) انظر: كتاب الاستشراق وجه الاستعمار الفكري،



٣- الهيكل التنظيمي الإداري لمؤسسات الاستشراق :

من الأدلة القوية على علاقة الاستشراق بالسياسة الهيكل التنظيمي لبعض مؤسسات الاستشراق، ومدارسه، فهي تابعة لوزارات الخارجية للدول الغربية، كمدرسة المترجمين في النمسا فهي مرتبطة بوزارة الخارجية، ومدرسة اللغات الشرقية في ألمانيا كذلك التي تتبع وزارة الخارجية، ومثلها مدرسة اللغات الشرقية في باريس(١).

٤- الداعم المادي للاستشراق :

الدعم لا أعني به تقديم المساعدات المالية وحسب، بل يشمل مع هذا الغطاء الرسمي والحماية الأمنية، وإليك اعتراف أحد المستشرقين بالدعم المالي، والمعنوي يقول:« نعترف شاكرين بأن المجتمع ممثلًا في الحكومات، والمجالس النيابية يضع تحت تصرفنا الإمكانيات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق، وللحفاظ على نشاطنا التعليمي في هذا المضمار»(٢).

ومقابل هذا الدعم تتدخل السياسة في الإطار الاستشراقي، وهو ما ينبغي التركيز عليه، ودراسته، وبحثه، «فكانت محاولة توحيد الهدف والرؤية للاستشراق تتم في كثير من الأحايين من خلال دوافع سياسية، حين تتزاحم المشاكل المتصلة بالشرق أمام صناع القرار الغربي، فتستعين بعلماء الاستشراق لكي يكثفوا جهودهم لإضاءة منطقة معينة»(٣).

---

(١) انظر: بحوث في الاستشراق واللغة (ص ٣٠١).

(٢) ردوي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة (ص ١٨).

(٣) أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (ص ٢٠).

ويقول أوليريش هارمان عن ضغوط الداعمين على المستشرقين: «وطبعًا هناك أيضًا الضغط المُلحّ من قبل أولئك الذين يقدمون الأموال لدعم النتائج التي تؤدي إلى احتواء العالم العربي الإسلامي والتشبث به، باعتباره منطقة اضطراب، حيث تكمن اهتمامات الغرب ومصالحه»(١).

فالعملية إذًا تكاملية، ولا فرق بين المستشرق والسياسي، فكلاهما يؤدي دوره خدمةً للاستعمار، بل يصل الأمر إلى التدخل في التعيينات الخاصة بالمؤسسات الاستشراقية.

يقول بيرنارد لويس، وهو يؤكد علاقة المؤسسات الاستشراقية بأصحاب النفوذ، و يصف واقع هذه المؤسسات: «وهؤلاء المتاجرون بالأفكار يخوض بعضهم ضد بعض حروبًا طاحنةً لا علاقة بتكتيكاتها، وأهدافها بحقيقة الواقع في الشرق الأوسط، ولا بمادة الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط. فهذه الصراعات تخضع أحيانًا للولاءات، والمصالح السياسية، ويمكنها أن تشوه جديًا حياة الكليات الجامعية، وتطويرها. وقد وصل الأمر ببعض الإدارات الحساسة حيال الربح والمصالح المنفعية إلى حد التأكيد على ضرورة تعيين الأساتذة الجامعيين طبقًا للاعتبارات الإيديولوجية. بل لقد رأيت بأم عيني أوامر إدارية صادرة عن الهيئات العليا في الجامعات الأمريكية، أو معايير مفروضة من فوق على لجان التعليم الجامعي، وفيها يطلبون من المرشحين للمناصب المتعلقة بدراسات الشرق الأوسط أن يكونوا متعاطفين، ومتفهمين، ومؤيدين (لوجهة نظر) الناس المدروسين، أو لأيديولوجيتهم. وبحسب المعايير

(١) انظر: محمود زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع، دار المعارف (ص ٥٨).



نفسها ينبغي على كراسي الدراسات الروسية والصينية أن تُحتل من قبل الماركسيين من مختلف الاتجاهات. وكذلك الأمر فيما يخص كرسي الدراسات الإيطالية التي ينبغي أن تتعاقب عليها سلسلة من المحاضرين والأساتذة الذين يعكسون كل تلوينات، واتجاهات السياسة الإيطالية»[(١)].

بعد هذه الأدلة التي قدمتها: أعتقد يقينًا أنّ للاستشراق علاقةً وثيقةً بالسياسة، وأنه الوجه العلمي لها، وقد وصل إلى هذه النتيجة باحثون ومثقفون قبلي سأورد أقوالهم استئناسًا بها دون تعليق:

يقول إدوارد سعيد: «تصوير الغرب للشرق كان مبنيًا على مصالح السيطرة الإمبراطورية، وكان من امتياز السلطة»[(٢)].

ويقول كذلك: «إنّ الترابط بين السياسات الإمبريالية والثقافة مباشر إلى درجة مدهشة»[(٣)].

ويقول: «إنّ الاستشراق نفسه كان من ثمار بعض القوى السياسية ... وحجتي تقول: إنّ الاستشراق في جوهره مذهبٌ سياسي فُرض فرضًا على الشرق لأن الشرق كان أضعف من الغرب»[(٤)].

ويقول محمد حسن زماني:« إنّ هؤلاء المستشرقين هم جنود ثقافة الحكومات الغربية، ومخططو الغزو العسكري والسياسي والعقائدي

(١) بحث لبيرنارد لويس بعنوان: حالة الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط، كتاب الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، مجموعة من المؤلفين، دار الساقي (ص ١٤٤).

(٢) إدوارد سعيد، السلطة والسياسة والثقافة، ترجمة: نائلة حجازي، دار الآداب بيروت، الطبعة الأولى (ص ٢٦٢).

(٣) إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب/ بيروت، الطبعة الثالثة (ص ٧٩).

(٤) الاستشراق (ص ٣١٩-٣٢١).

والاقتصادي الذين تخندقوا في الخطوط الأمامية لخوض هذه المعركة الكبرى بين الغرب والشرق»[(١)].

ويقول أحمد السايح: «الاستشراق منذ نشأته وضع نفسه في خدمة الأهداف المشبوهة، التي تعمل لإذابة المسلمين، وانسلاخهم عن شخصيتهم الإسلامية، وما فتئت مدارس الاستشراق تعد التقارير والدراسات لكل ما هو إسلامي، ويتصل بالمسلمين، تضع ذلك أمام المعاهد الصليبية، والصهيونية؛ ليكون القرار السياسي الذي يُتخذ حيال القضايا الإسلامية قائمًا على ما جاء بها»[(٢)].

ويقول زكاري لوكمان: «تتجلى الرابطة بين المعرفة الاستشراقية، وصناعة السياسة الاستعمارية بوضوح في تحقيق أجرته مجلة فرنسية رائدة، هي مجلة (مسائل دبلوماسية واستعمارية) ... في عام ١٩٠١ عن السياسة الاستعمارية والخرجية»[(٣)].

ويقول محمد حسين هيكل عن شباب من الغرب يأتون للسّؤال عن الحضارة: أهي إسلامية أمٍ عربية؟: «أشعر بأنني في حِلٍّ من القول بأن هذه الطليعة الغربية متجهة إلى مثل هذا ربما شابتها غايات سياسية تسوّغ الاعتقاد بأنّ المسألة لم تُثَر للبحث العلمي وحده»[(٤)].

أمّا مالك بن نبي، فيذهب إلى أبعد من ذلك، فيرى تورط بعض المثقفين العرب بالعمل مع الاستعمار، يقول: إنّ بعض «المشارقة

(١) الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين (ص ١٨).
(٢) أحمد السايح، الاستشراق ميزان في نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية (ص ٥).
(٣) زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياساته، ترجمة: شريف يونس، دار الشروق، الطبعة الثانية (ص ١٦٢).
(٤) محمد حسين هيكل، ثورة الأدب، دار المعارف (ص ١٣-١٤).



المتلمذين للمستشرقين يخفون عملهم التخريبي ضد الإسلام، بإيعاز واضح من أوساط استعمارية، تحت رداء تقدمية جوفاء تحاول سلب الإسلام من كل قيمة حضارية، بل تنسب له حالة التخلف الراهنة في العالم الإسلامي»[١].

وبعد ذكر تلك الأدلة وأقوال هؤلاء الباحثين يُعد الحديث عن موضوعية المستشرقين ضربًا من السطحية الفكرية، والسذاجة في التعامل مع المُنْتج الاستشراقي، ومن أهم ما يقدح في موضوعية المستشرقين الصورة المسبقة. فالاستشراق قد جاء بصورة مسبقة عن الشرق يريد إثباتها إن أمكن، وخلق ما يؤكدها، يقول جيرار لكلراك: «وقد كانت آراؤهم في الغالب مثقلة بالأخطاء، والأحكام المسبقة... فهم ينفرون ممن يحاول الوصول إلى آراء موضوعية وعلمية تتعلق بالأشياء»[٢].

وهو قدحٌ في الأمانة العلمية، وشرخ في الأصول التي تقوم عليها الدراسات الاستشراقية يقول أحد المستشرقين، وهو يعترف بهذه النظرة المسبقة: «إنّ النظرة المسبقة، أو الحكم المسبق موجودان على الدوام، ولا يمكن التخلّص منهما؛ إذ إنّ المستشرق أو الباحث ينتمي إلى حضارة أخرى غير الحضارة التي يدرسها... فالنظرة المسبقة موجودة شئنا أم أبينا... موجودة بشكل جبري ولا نستطيع التخلص منها، بل هي السمة المميزة للدراسات الاستشراقية عن الدراسات التي يقوم بها أبناء البلدان الشرقية الإسلامية لحضارتهم وثقافتهم»[٣].

(١) إنتاج المستشرقين (ص ٢٣).
(٢) جيرار لكلراك، الأنتروبولوجيا والاستعمار، ترجمة: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (ص ٦٢).
(٣) رودنسون، نقلاً عن: الاستشراق قراءة نقدية (ص ١٧).

هـذه الإشـكالية جعلتـهم يقعـون في أخطـاء منهجيـة عـدة، منـها: الانتقاء، فالتراث الإسلامي تراث ضـخم ممتـد لقـرون عـدة دخـل فيـه الكذب الصَّرَاح، ودخل فيه الشاذ المنكر، ودخلت فيه أهواءُ فِرَق تَكيـد للإسلام وتتربص به، فهؤلاء يتبعـون القـول المنكـر الشـاذ لأنـه يحقـق الصورة المسبقة، ويؤكدها.

ومن الأخطاء المنهجية كذلك: التعامل مع التراث الإسلامي والفكـر العربي بمنهج الغرب، فالمستشرق ولو كان باحثًا عـن الحقيقـة في نظـره فهو بعيد عن الموضوعية؛ لأنه يطبق منـهجًا مختلفًـا تمامًـا عـن المنـهج الإسلامي، وقد رأينا كيف زلت بهم القدم هم وأتباعهم مـن العـرب في نقد منهج اللغويين العرب، والإشكالات المنهجية في مناهجهم المقترحة كالوصفية، والتاريخية، والمقارن، فأقل ما توصف به أنها بعيدة كل البعد عن غاية الدراسات الإسلامية وأهدافها.

ولا يعـني هـذا الكـلام أنّ المنـهج الوصـفي، ومِـنْ قَبْلـه المقـارنُ والتـاريخي منـاهج لغويـة نشـأت لتحقـق أغراضًـا سياسـيةً، فالباحـث لا يستطيع الجزم بذلك، فنشأة المناهج اللغوية وعلاقتها بالسياسة تحتاج إلى بحـث مسـتقل يتتبـع فيـه الباحـث بيئـة هـذه المنـاهج وخلفياتهـا الإيديولوجية.

يقول رمضان عبـدالتواب: «وعلـى الـرغم مـن النشـأة الاسـتعمارية للاستشـراق، ومـا يكنـه المستشـرقون للإسـلام مـن العـداء والحقـد والكراهية، فإنهم من غير قصـد قـد قـدموا بعـض الخـدمات للعربيـة، وآدابها ... غير أنهـم أو جمهـرة كـبيرة منـهم عنـدما يتنـاولون الإسـلام بالدراسة والبحث ينسون المنهج العلمي الصارم، الذي يتبعونه عـادة في



دراساتهم، وبحوثهم فيما عدا ذلك، ونرى الأحقاد، والكراهية للإسلام وأهله توجه في العادة هذه البحوث والدراسات»[١].

أهداف الاستشراق :

رأينا فيما سبق اهتمام الغرب بالشرق، والدعم السخي للدراسات الاستشراقية، والعدد الهائل من المؤلفات والأبحاث، والتحقيقات التي قام بها المستشرقون، ومن السطحية الفكرية أنّ نظنّ سيرها هكذا دون هدف تسعى لتحقيقه، فالغرب لم يدرس الشرق إلا ليحقق أهدافًا رسمها، وغايات يدركها، وقد أشار المستشرق الأمريكي بيترغران إلى وجود التنسيق بين المدارس الاستشراقية في كل قطر غربي، وتحديد الأهداف[٢].

ومن يخرج عن الخطة الاستشراقية، وأهدافها يكون مصيره كمصير (رايكسه) الذي حورب، واتهم بالزندقة؛ لأنه خرج عن الأهداف الاستشراقية.

وفي هذا المبحث سأتحدث عن أهم أهداف الاستشراق من دراسة العربية وآدابها، وكيف استخدم المستشرق القضايا اللغوية في تحقيق أهدافه:

١- تبرير الاستعمار، والسيطرة على الشرق :

سعى الاستشراق إلى جعل الاستعمار واجبًا إنسانيًا، وضرورة حضارية للبشرية كلها، وسلك في الوصول إلى ذلك طرقًا عدة منها:

(١) العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق (ص ١٠).

(٢) انظر: إسماعيل عمايرة ،المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، دار حنين، الطبعة الثانية (ص ٥٢).

التأكيد على بدائية الشرق، وهمجيّته، وأنه يمثل مرحلة متأخرة في التطور الإنساني، فـ «الدراسات التي يقوم بها عدد كبير من الباحثين الأجانب في العالم الثالث هدفها: البحث عن طفولة البشرية في هذه المجتمعات، والتوقف طويلًا عند الخاص والاستثنائي فيها؛ لأن أبحاثًا من هذا النوع تلبي نزعة ظاهرة أو دفينة في النظرة والعلاقة بين نمطين من المجتمعات، كما تبرر السلوك الاستعماري، والاستغلال الذي مارسه الغرب في علاقته ببلدان العالم الثالث، أي: إثبات تفوقه وهيمنته من ناحية، والتأكيد على أنّ هناك فروقًا بين الأعراق، و الأجناس أكثر مما هو الفرق في التطور الاجتماعي، والموارد وطبيعة الأنظمة السياسية»[١].

وهذا ما سعى إلى إثباته المستشرقون «فإنّ الأقاليم الخارجية من العالم لا تملك حياة أو تاريخًا أو ثقافةً تستحق الذكر، وليس لها استقلال أو اكتمالية جديران بالتمثيل من دون الغرب»[٢].

وإليك بعض أقوال المستشرقين عن التخلف الشرقي:

"**جان باتيست**" سكرتير معهد الاستشراق أيام نابليون: إنّ نابليون باحتلاله لمصر قد أدى خدمة لسكان مصر تجعلهم يحيون حياة أكثر ملاءمة وطبيعة، هذا بالإضافة إلى أنه يضع بين أيديهم كل مزايا الحضارة المتقدمة.

"**ألفونس دي لامارتين**" مستشرق فرنسي: بلاد المشرق عبارة عن صنف من الشعوب التي لا أرض لها ولا وطن، ولا حقوق ولا قوانين

(١) عبد الرحمن منيف، بين الثقافة والسياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الرابعة (ص ١٢٥).

(٢) انظر: الثقافة والإمبريالية (ص ٦٤).



ولا أمن ... وهي تنتظر بفارغ الصبر الملجأ والملاذ، واحتلال أراضيها من قبل الأوروبيين.

"**جو بينو**": ألف كتابًا يثبت فيه تخلف الجنس الشرقي بعنوان: رسالة حول عدم ندية الأجناس البشرية.

"**مارك جرادين**" مستشرق فرنسي: لقد كان على فرنسا القيام بأعباء كثيرة في الشرق ... إنّ بلدان المشرق تضع كل مسئوليات مستقبلها في يد فرنسا عن طيب خاطر... ذلك أن فرنسا ما زالت حتى الآن تتابع قضية الشعوب المحرومة.

"**ماركس**": لا يمكن للشرقيين أن يمثلوا أنفسهم، ولابد من شخص آخر يمثلهم[(١)].

أكتفي بهذه النماذج، وإلّا فالأدلة على هذه القضية كثيرة، «فالبرنامج الفكري المتكامل المكرّس لإثبات انحلال الشرقي(أي السامي) كان فعّالًا في إضفاء الشرعية على احتلال الشرق بأكمله»[(٢)].

وبهذا التفسير وكشف الهدف الاستشراقي نستطيع فهم استبعاد المستشرقين أصالة الدراسات العربية؛ إذ يُعد اعترافهم بأصالة الدراسات اللغوية العربية، وقد بلغت من الكمال والإتقان ما أبهر المتعصب منهم قبل المنصف يُعد ذلك طعنًا في نتائج أبحاثهم التي تؤكد تخلف الجنس الشرقي، فالجمع بين القول بأصالة الدراسات اللغوية العربية، وأنّ العرب هم أصحاب نشأتها، وتطويرها، والقول بهمجية العرب،

(١) انظر: الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين (ص ٢١٤)، وما بعدها
(٢) السلطة والسياسة والثقافة (ص ٥٢).

وبدائيتهم تناقض صريح لا يقبله عاقل، فالحل إذاً التشكيك في أصالة الدراسات العربية، والبحث الدائم، والمستمر عن عنصر خارجي اتبعه العرب، وقاموا باستنساخ تجربته.

فالمسألة تؤخذ في هذا السياق، وأي إخراج لها عن هذا السياق سيخفي جزء الصورة الأهم، ولا يعني ذلك ألا نناقش الأدلة التي قال بها هؤلاء المستشرقون، ومن اتبعهم، بل الواجب مناقشتها، وتفنيدها، ولكن يجب ألا نغفل عن سياق القضية، والخلفية الفكرية للقضية.

يقابل التخلف الشرقي- في نظر المستشرقين- تفوق الجنس الأوروبي، وقد رأينا في النصوص السابقة تعظيمهم للشأن الأوروبي، وأنّه المستحق فطريًا لقيادة العالم، وسيادة الشرق والاستيلاء عليه فالتاريخ الحضاري، والفلسفي، والثقافي أوروبي، أما دور الأمم الأخرى فكانت ناقلة فحسب.

وللأسف وجدنا صدى كل هذه الأقوال عند المثقفين العرب كطه حسين، وإبراهيم السامرائي، ورمضان عبد التواب كما مر معنا في هذا البحث، وانظر إلى وصف أحد المثقفين العرب لأحد المستشرقين:« حضرة مولانا صاحب الشرف الباذخ، والمجد الراسخ، عمدة المدققين المتكلم في اللغات العربية والعجمية على اختلافها وائتلافها أحد علماء فرنسا المكرم، وقاضي قضاتها المعظم مولانا الأستاذ العلامة دي ساسي!»[1].

ومما يتصل بتخلف الشرق تخلف لغتهم،فهي تمثل مرحلة بدائية من مراحل تطور اللغات تتسم بالبساطة، والسذاجة، فهي خالية من ألفاظ

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة إلى العامية (ص ١٦).



الحضارة والفكر، وما فيها من تلك الألفاظ الحضارية راجع لاقتراضها من لغات أخرى، وقاموا بدراسة الألفاظ العربية، وجَهَدوا في ربطها عنوةً بلغات أخرى مستخدمين المنهجين التاريخي، والمقارن.

وممّا يدل على بدائية العربية وعدم منطقيتها تأنيث الكلمات بلفظ مغاير، وكذلك اختلاف العدد والمعدود في التذكير والتأنيث يقول أنيس فريحة: «إنّ بقايا هذا التقعيد وبقايا عدم المنطق لا تزال ظاهرة في لغتنا الحية: خذ التأنيث مثلًا، فإنّ الإنسان القديم كان يؤنث المفردات بلفظ مغاير للفظ المذكر، ففي العربية نقول: رجل - امرأة، خروف - نعجة ... ولكن بعد زمن بدأ التأنيث الصرفي يجد مدخلاً إلى اللغة وأصبحنا نقول: لطيف - لطيفة ... وإليك مثلا آخر على انعدام المنطق في اللغة: تذكير العدد مع المؤنث، وتأنيثه مع المذكر»(١).

وكذلك العربية فقيرة في الدلالة على الزمن، وهي مرحلة بدائية تجاوزتها كثير من اللغات.

٢- قطع صلة المسلمين بالماضي، وقطع المسلمين بعضهم عن بعض في الحاضر:

من أهداف الاستشراق التي سعى لتحقيقها قطيعة المسلمين أفقيًا وعموديًا، قطيعتهم بالماضي، قطيعتهم بهذا التراث الضخم، وذلك عن طريق إظهار الماضي في صورة متخلفة، ومن العار الانتساب إليه، بل من الواجب الحضاري التبرؤ منه ونقده، وهذا ظاهر في كتابات المستشرقين وأتباعهم كمن يريد إلحاق مصر بأوروبا، ومن يريد العودة إلى الحضارة الفرعونية.

(١) نظريات في اللغة (ص ٢٣).

وتجد هذا الهدف حاضرًا وجليًا عند من ينادي إلى اتخاذ العامية لغة علم وتأليف، فالنتيجة الحتمية لهذه الدعوة، والثمرةُ التي يسعى لقطفها الاستعمار هي قطع الأمة عن تراثها فيصبح هذا الكم الهائل من العلم غريبًا لا تجد من يستطيع فك رموزه، والانتفاع بما فيه.

يقول محمد حسين هيكل: «ويكفي أن أذكر ما كان من سعي متصل لجعل اللغة الدارجة لغة الكتابة، وما كان من محاولة قطع كل نسب بين الحاضر والماضي، ومن إظهار هذا الماضي في صورة رزية غير جديرة بالاعتداد بها، أو استلهامها»(١).

إنّ الدعوة إلى اللهجات، ودراستها، والتأليف بها يحقق للاستعمار إلى جانب القطيعة مع التراث ومع ماضي المسلمين يحقق قطيعة بين المسلمين، فكل قطر يتخذ لهجته للتأليف والتدريس والتعليم فيقع الانفصال الثقافي بين الأمة الواحدة. إنّ اللغة من أقوى عناصر الهُوِيّة، ومن أوثق عناصر الوحدة في الأمة، فَهِمَ ذلك أعداء الأمة فخططوا لهدم هذه القوة؛ وحاولوا الوصول إلى غاياتهم بكل ما أتوا من قوة، فدعموا الدراسات اللهجية، واللغات الأخرى في المنطقة العربية، واستمع لتصريح خطير لمستشرق عاش في أوساط الأمة الإسلامية، و احتضنته أشهر المؤسسات الثقافية إنّه هاملتون جيب يقول: «اتحاد المسلمين بمثابة اللعنة على العالم»(٢).

هذا قول من كان يدعو دائما إلى دراسة اللهجات، فالدعوة إلى دراسة اللهجات واتخاذها دعوة استشراقية استعمارية، ودعك ممن

(١) ثورة الأدب (ص ١٥).

(٢) انظر: الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين (ص ١٢٥).



يبحث في التراث الإسلامي ليجد ما يثبت على أنّ العلماء قد بحثوا اللهجات، وأنّ العرب يعرفون هذا الفرع من الدراسة، ويأتي بأقوال ابن خلدون ومؤلفات العلماء في لحن العامة دع عنك هذا كله فابن خلدون وعلماؤنا كانوا أنضج فكرًا من هؤلاء المستشرقين وأتباعهم.

وقد شجع الاستعمار على تنوع الدراسات اللهجية، ودعم بعض اللغات كالبربرية في الجزائر، فقد شجعوا البربرية، وأضعفوا العربية. يقول زكاري لوكمان: «اتساقًا مع الاستراتيجية الاستعمارية الكلاسيكية: (فرّق تسد) سعى بعض الموظفين الفرنسيين إلى جعل سكان منطقة القبائل حلفاء للاستعمار الفرنسي في الجزائر، وبالتالي طبقوا سياسات تحابي القبائليين في التعيين والتعليم، والضرائب ... وفي نفس الوقت شجعوا اللغة البربرية، وقمعوا العربية في مدارس القبائل»(١).

ولا يغيب عنك أيها القارئ أنّ مثل هذه الدراسات اللهجية تُعتبر مادة جيدة في المخابرات، واختراق الاستعمار للمناطق العربية، و تطبيقُ المنهج الوصفي بأدبياته كفيل بتحقيق ذلك كله.

٣- الاشتغال بالآخر، وأسئلته:

من أخطر ما مُنى به الفكر الإسلامي دخول المستشرقين فيه، وطرح إشكالات عديدة هي في حقيقتها إثارة وتشكيك أكثر منها قضايا علمية تهدف للوصول إلى الحقيقة، فكل ما ذكرناه من قضايا في هذا البحث قد دارت حوله معارك ثقافية، ومقالات كتبت فيها، وألفت كتب فيها، وعقدت نقاشات وجلسات، و سجلت فيها محاضر علمية، ولو تأملناها

(١) تاريخ الاستشراق وسياساته (ص ١٦٢).

جيداً لو جدنا أكثرها أسئلة الغرب لا أسئلتنا، كأصالة الدراسات اللغوية، وتقسيم اللغات، والبحث عن اللغة الأم، والتطورات اللغوية، والدعوة إلى العامية، ودراسة اللهجات المختلفة، وغيرها من القضايا التي استنزفت العقل العربي، فأصبح لا يفكر إلا داخل هذا الإطار الذي وضعه الاستشراق، والسياجِ الذي خطط له.

الخاتمة :

وفيها نتائج البحث:

١- للحركة الاستشراقية تأثير على الدراسات اللغوية العربية، ومسيرتها.

٢- للاستشراق علاقة بالسياسة، بل أثبت البحث أنّ الاستشراق حركة سياسية.

٣- بناء على النتيجتين السابقتين يؤكد الباحث فرضيته، وهي: السياسة تؤثر في الدراسات اللغوية.

٤- سعى الاستشراق إلى توظيف القضايا اللغوية في سبيل الوصول إلى أهدافه.



المراجع :

أ – الكتب :

- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثامنة.
- أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- إبراهيم السامرائي، العربية تواجه العصر، دار الجاحظ، بغداد.
- فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت
- النحو العربي نقد وبناء، دار البيارق، بيروت، الطبعة الأولى.
- أحمد السايح، الاستشراق ميزان في نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية.
- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة
- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة.
- إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبوديب، دار الآداب بيروت، الطبعة الثالثة

- السلطة والسياسة والثقافة، ترجمة نائلة حجازي، دار الآداب بيروت، الطبعة الأولى.
- إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- إسماعيل عمايرة، بحوث في الإستشراق واللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، دار حنين، الطبعة الثانية،
- المستشرقون والمناهج اللغوية، دار حنين، عمان، الطبعة الثانية.
- المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حنين، عمان ، الطبعة الثانية.
- أنور الجندي، المعارك الأدبية، المكتبة الشاملة.
- أنيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية.
- برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة.
- بروكلمان، فقه اللغات السامية، جامعة الملك سعود.
- بيرنارد لويس وآخرون ، الاسشتراق بين دعاته ومعارضيه مجموعة من المؤلفين، دار الساقي.
- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الرابعة.



- جيرار لكلراك، الأنتروبولوجيا والاستعمار، ترجمة جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.
- حسن الإمراني، المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.
- رمضان عبد التواب، العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق، زهراء الشرق، القاهرة.
- فصول في فقه اللغة، الخانجي، القاهرة، الطبعة السادسة.
- ردوي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة.
- زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياساته ، ترجمة شريف يونس ، دار الشروق، الطبعة الثانية
- سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، دار المنهاج للنشر والتوزيع، عمان.
- سليمان العايد، موقف النحاة المعاصرين من القراءات: الشيخ محمد عضيمة نموذجًا، بحث غير منشور.
- صلاح الجابري في كتابه الاستشراق قراءة نقدية، دار الأوائل الرباط.
- طارق سري، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى.

- طه حسين، في الأدب العربي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- عبد الحسن الزويني، البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان: العربية أنموذجا، جامعة الكوفة.
- عبد الرحمن السيوطي، كتاب الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: أحمد الحمصي، محمد قاسم، جروس برس، الطبعة الأولى.
- عبد الرحمن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى.
- عبد الرحمن منيف، بين الثقافة والسياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الرابعة.
- عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة.
- عبد المتعال الجبوري، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، مكتبة وهبه القاهرة، الطبعة الأولى.
- عبد العزيز الحميد، أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي.
- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت.



- علي النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث، الرياض.
- فيشر وآخرون من المستشرقين، دراسات في العربية، ترجمة سعيد بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة،
- كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة.
- لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، سينا للنشر.
- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت.
- محسن الموسوي، الاستشراق في الفكر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- محمد حسن زماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ترجمة محمد نور الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- محمد حسين هيكل، ثورة الأدب، دار المعارف- القاهرة
- محمد عبداللطيف حماسة، لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشروق، القاهرة.
- محمود زقزوق، الاسشتراق والخلفية الفكرية للصراع، دار المعارف، القاهرة
- محمود محمد شاكر، أباطيل وأسمار، الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة.

- مصطفى السباعي، الاستشراق والمُسْتَشْرِقُونَ (ما لهم وما عليهم)، دار الوراق للنشر والتوزيع.
- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء.
- مطير المالكي، موقف علم اللغة الحديث من أصول النحو العربي، رسالة جامعية مصورة على الشبكة.
- معن زيادة وآخرون، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي.
- منصور الغفيلي، مآخذ المحدثين على النحو العربي وآثارها التنظيرية والتطبيقية، مطبوعات نادي القصيم.
- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية.
- نسيم مجلّي، لويس عوض ومعاركه الأدبية، المجلس الأعلى للثقافة.
- نفوسة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار نشر الثقافة بالإسكندرية، الطبعة الأولى.
- هشام الطعان، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، الموسوعة الصغيرة، مصور في الشبكة.



ب- المجلات :

- عبد الرحمن الحاج، تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبادل بين الشرق والغرب: إيجابياته وسلبياته، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد ٩٦.



كتابة العربية

بحروف لاتينية

بحث في الأسباب والآثار والحلول

حنين بنت عبد الله الشنقيطي

جامعة أمّ القرى - مكة المكرمة



السيرة العلمية:

حنين بنت عبد الله الشنقيطي

- بكالوريوس في اللّغة العربية وآدابها، من كلية التربية للبنات بمكة المكرمة.
- ماجستير في النّحو والصّرف من جامعة أمّ القرى: العلاقة بين أحرف الصّفير وأثرها في اللّفظ والمعنى.
- تعمل حاليًّا محاضرة في قسم اللّغة والنّحو والصّرف بجامعة أمّ القرى بمكة المكرمة.

ملخّص البحث :

انتشرت بين أوساط الشباب اليوم لغة مستحدثة يختلط فيها اللفظ العربيّ بالأجنبيّ على المستوى المنطوق، ويستبدل فيها الحرف العربيّ بالحرف اللاتيني، على المستوى المكتوب، وفيه أيضًا تستخدم الأرقام للتعبير عن الحروف التي لا مقابل لها في اللاتينية، وتختزل بعض العبارات المستخدمة بكثرة في اختصارات تدلّ عليها.

وقد يبدو الأمر في ظاهره غير مثير للقلق، لأنّه هو مجرّد (موضة) ستزول ليحلّ محلّها غيرها، إلّا أنّ المشكلة في الحقيقة لا تقف عند هذا الحدّ، بل تتجاوزه إلى سؤال يفرض نفسه على كلّ منتم للعربية:

لماذا يهجر العربيّ استخدام حروف وأساليب لغته، إلى لغة أخرى؟ وهل يعتبر هذا الأمر تطوّرًا لغويًا؟ أم خطرًا لابدّ أن يواجه بالصدّ والرّفض؟ وهل تعكس هذه الظاهرة لدلالات مجتمعية معيّنة من مسخ للغة، وضياع للهوية، وانعدام روح الانتماء لكلّ ما يتّصل بالعروبة والإسلام؟ أم أنّ الأمر أهون من ذلك؟

ومن شأن هذا البحث الإجابة عن هذه الأسئلة، مع التركيز على الجانب الكتابيّ لهذه الظاهرة، ليرصد تاريخها، ويحاول الوقوف على معرفة أسباب ظهورها اليوم، ومدى ما تمثله من خطرها على المجتمع واللغة والهوية.



مقدّمة :

الدعوة إلى كتابة العربية بالحرف اللاتيني كانت دعوة من ضمن عـدّة دعوات ولّدها الفكر الاستعماري، لغرض طمس اللغة العربية، وإضعاف شأنها، وزعزعة ثقة أهلها بها، وترجع هذه الدعوة إلى أكثر من مائة عام، وقد سجّل التاريخ أسماء كثير من المستشرقين الذين بثّوا هذه الفكـرة في الأوساط المثقّفة والمعنية بالأمر في المجتمع العربيّ، ومن تلك الأسماء وليام سبيتا Wilhelm Spitta، الذي كان من أوائل الداعين إلى الكتابة باللغة العامية وكان يعمل مديرًا لدار الكتب المصـريّة في عـام ١٨٨٠م، وخلفه كارل فولرس K. Vollers الذي عمل في نفس منصـبه، ووضـع كتابًا أسماه (اللهجة العربية الحديثة) لم يطالب فيه بإحلال العاميـة محـل الفصحى فحسب، بل باستعمال الحـروف اللاتينيـة لـدى كتابـة العاميـة أيضًا، وتبعهم المستشـرق الانجليـزي مـوري هـاريس More Hares، فقال في كتاب له بعنوان: (مصر تحت حكم المصريين): أن اللغة العربية الفصحى غير ملائمة لاستيعاب الفكر الإنساني الحديث والعصري، وقد أصبحت كاليونانية أو اللاتينية القديمة، تحفظ في الكتب والمخطوطـات الأثرية فقط[1].

وفي عـام ١٨٩٢م ألقـى مهنـدس الـرّي البريطـاني ولـيم ولكـوكس محاضرة بعنوان: (لماذا يفتقد المصريون القـدرة علـى الإبـداع)، وكـان الجواب برأيه: لأنهم يتمسكون باللغة العربية الفصحى، وأن اللغة العربية الفصحى لا تصلح للإبداع[2]، أمّا المستشرق الانجليزي سيلدون ويلمور

(١) كتابة العربية بالحروف اللاتينية (ص ٥)، تاريخ الدعوة إلى العامية (ص ١٨).
(٢) تاريخ الدعوة إلى العامية (ص ٢٤-٢٥).

Seldon Willmore الذي تولّى القضاء بالمحاكم الأهلية بالقاهرة إبّان الاحتلال البريطاني لمصر، فقد أصدر في عام١٩٠١م كتابًا بعنوان: (العربية المحلية في مصر) طالب فيه باتخاذ العامية المصرية لغة لتدوين العلم والأدب بدلاً من الفصحى، ودعا إلى كتابتها بالأحرف اللاتينية واقترح قواعد لها[١].

وفي عام ١٩٢٩م ألقى المستشرق الفرنسي لويس ماسينون Louis Massignon محاضرة في جمع من الشباب العربي في باريس محاضرة جاء فيها: (إنه لا حياة للغة العربية إلا إن كتبت بحروف لاتينية)، وفي العام نفسه نشرت مجلة (لغة العرب) السؤال الآتي: «ما رأيكم في تبديل الحروف العربية من الحروف اللاتينية؟». وأردف صاحب السؤال - وهو الأب أنستاس الكرملي - أنه من القائلين بتبديلها؛ لأنها في نظره «عقبة كأداء في سبيل تطورنا الأدبي والاجتماعي».

وأن «تصوير كلامنا العربي بحروف لاتينية له منافع ومضار»، ومن أهمّ ما جاء في ردّه أنه كان واعيًا بدور القوة القاهرة في فرض الهيمنة الثقافية لنمط بعينه، فقال: «ونحن نرى أنه سيأتي يوم تشيع لغة واحدة في العالم كله، وهذه اللغة ستكون لسان الأمة القهارة الجبارة، إذن لابد من كتابة العربية بحروف لاتينية، شئنا أم أبينا»[٢].

هذا وقد أشيعت الشكوى من صعوبات الرسم الإملائي العربي، لدرجة أن لائحة مجمع اللغة العربية نصت على أن من مهام المجمع «البحث في أمر تيسير الكتابة العربية»، وأُعلِن عن جائزة مالية لمن يقدم اقتراحًا جيدًا، وتسابق الناس باقتراحاتهم، وكان من أكثر تلك

(١) كتابة العربية بالحروف اللاتينية (ص٥).

(٢) الدراسات اللغوية في العراق (ص١٩٦)، وكتابة العربية بالحروف اللاتينية (ص٦).



الاقتراحات إثارة للجدل اقتراح العضو في المجمع، ورجل المجتمع المرموق: عبد العزيز فهمي[(١)]، الذي قدّم إلى مؤتمر المجمع في جلستي ٢٤ و٣١ يناير سنة ١٩٤٤م ورقة عنوانها: (اقتراح اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية)، وقد قدّمه في صيغة الجزم واليقين الذي يجافي روح النظر العقلي والتأمل الواقعي للأمور، وصيغ الاقتراح بشكل طموح مبالغ فيه، فقد توقع أن تزول كل الصعوبات دفعة واحدة، وأن تسلس القراءة للصغار والكبار، عربًا وعجمًا، مثقفين وعوام، وتصدى كثير من العلماء وأصحاب الأقلام للردّ عليه، ويبدو من ردودهم أنّ الرجل كان مبجلاً في القوم، فلم يكن متهمًا في دين، ولا خلق، ولا وطنية، لكنه حقًا صدم الناس باقتراحه ذاك أيّ صدمة، ومرد ذلك إلى أمرين، أولهما: أن هذا الاقتراح ليس من ابتكار عبد العزيز فهمي، بل سبقه إليه داود الجلبي الموصلي سنة ١٩٠٥م، فقد نشر في تلك السنة رسالة بالتركية في اسطنبول، حث فيها الترك والعرب والإيرانيين على استعمال الحروف اللاتينية[(٢)]، وثانيهما: أنّ صورة كمال أتاتورك – الذي ألغى سنة ١٩٢٤م الخلافة، والحروف العربية، والأذان – قد صارت مرادفًا للعداء الصريح للإسلام والعروبة، فكيف يجرؤ شخص على اقتفاء آثاره في إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي؟ وإذا كانت المسألة خاصة بحروف الكتابة فلماذا منع صوت الأذان بالعربية؟![(٣)]

وكان من أبرز الذين تصدّوا للرّدّ على الفكرة وتفنيدها عضو مجمع اللغة العربية آنذاك عباس محمود العقاد[(٤)]، ومنير القاضي، ووصف

(١) كتابة العربية بالحروف اللاتينية (ص٧).

(٢) الكتابة العربية (ص ٢٨).

(٣) كتابة العربية بالحروف اللاتينية (ص ٧).

(٤) انظر: اللغة الشاعرة (ص ٦٤-٦٧).

الأسباب والعلل الداعية إلى استبعاد الرسم المعمول به، وإحلال الحروف اللاتينية محله بأنها أسباب «تافهة كل التفاهة، وهي علل وأمراض انتابت قلوب الذاهبين إلى هذا الرأي»[١]، وكتب محمود محمد شاكر رُدودا علمية - في أدب جمّ - أثبت بها أنّ الدّعوة إلى الحروف اللاتينية إنما تأتي بعكس ما يراد من التيسير[٢].

ومن ثم تتابعت الدعوات، فقد نادى الشاعر اللبناني سعيد عقل[٣] بإحلال الحرف اللاتيني مكان الحرف العربي، وبدأ بنفسه فأصدر ديوانًا شعريًا بعنوان: (يارا، ١٩٦١م)، كتبه وطبعه بالحرف اللاتيني، وضمّنه مقدمة يشرح فيها مميزات خطه الجديد.

وقد باءت كلّ تلك الاقتراحات والدعوات في ذلك الوقت بالفشل في العالم العربيّ، وماتت في مهدها، ولم تكن تحلم بالظّهور مرة أخرى، إلا أنها عادت اليوم في مظهر أكثر قوّة، بعد أن تجاوزت كونها دعوة، إلى كونها ممارسة تطبيقيّة عمليّة بين أوساط الشباب، وعلى نطاق واسع، وقد ساعد على ظهورها الاستخدام الواسع لأجهزة التقنية الحديثة، من هواتف جوالة، وحواسيب، وبرامج مختلفة لم تكن تدعم اللغة العربية، ولم تتح للمستخدم في البداية سوى الحروف اللاتينية، ممّا دفع غير المتقنين للغة الانجليزية إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية، ورأى البعض في هذه الطريقة الحلّ الأمثل لحل مشكلة عدم دعم هذه الأجهزة للأبجدية العربية، ومن شأن هذا البحث أن يقف على الأسباب التي كانت وراء استمرار استخدام هذه الطريقة رغم زوال المبرر لظهورها أول الأمر، مع بيان مدى أثرها على اللغة باعتبارها عنوان هويّة وانتماء.

(١) الدراسات اللغوية في العراق (ص ٢١٨).

(٢) كتابة العربية بالحروف اللاتينية (ص ٧).

(٣) التحديات التي تواجه العربية (ص ٢٠).



التعريف بالظاهرة :

كتابة العربية بحروف لاتينية طريقة كتابية مستحدثة، غير رسمية، انتشر استخدامها مؤخرًا بين أوساط الشباب لغرض التخاطب الكتابيّ في ميادين مختلفة: في المحاورات عبر منتديات المحادثات، يستوي في ذلك الجادة وغيرها، وفي الرسائل الإخوانية عبر البريد الشبكي، وفي رسائل الجوال، وفي الرسائل على شريط القنوات الفضائية، وأطلق عليها مسمّى "الأرابيش" أو "الفرانكو آراب"، وهذا المصطلح يقارب مفهوم الصناعة القهرية المستهجنة، حيثُ تتداخل المفردة الأجنبية في نسيج بنية العربية، مما يشكّل ظاهرة وبائية ثقبت ثوب العربية، فصارت اللغة غريبة على ألسنة الشباب، وفي كتاباتهم، وهي ظاهرة متسقة مع كل ما يقربهم من الغرب القوي وينأى بهم عن الحالة العربية المنكسرة (١)، ففي البداية حلّ الحرف اللاتيني محل الحرف العربي، على النحو التالي:

جدول (١) أبجدية العربيزي :

الحرف العربيزي	الحرف العربي
a	ا
a'	أ (همزة)
b	ب
t	ت
th/t'	ث

(١) من استعمالات اللغة المحدثة (ص ٤٥٩.

ج	g/j
ح	th/t'
خ	kh
د	d
ذ	h'
ر	r
ز	z
س	s
ش	s'/s^/sh
ص	s
ض	d
ط	t
ظ	z
ع	a'
غ	g/gh



f	ف
k/q	ق
c/k	ك
l	ل
m	م
n	ن
h	هـ
o/w/u	و
i/e/y	ي

ولم يقف الأمر عند إحلال الحرف اللاتيني محلّ الحـرف العـربيّ في الكتابة، بل اكتملت الصورة الهجين بالرّقمنة التي كانت حيلـة تعـالج افتقار الخط اللاتيني لبعض الأصوات العربية، فقابلوها بأرقـام، يلاحـظ فيها ذكاء المستعمل غالبًا - وأكثرهم من فئة الشباب - في استغلال الشبه بين الحرف والرقم، والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول (٢) رقمنة الحروف :

العدد الذي يمثل الحرف العربي	الحرف العربي
2	ء

3	ع
'3	غ
5	خ
6	ط
'6	ظ
7	ح
٨	ق
9	ص
'9	ض

كما تكثر الاختزالات والاختصارات في هذه الطريقة، ولما كانت السرعة اللاهثة سمة عصر بأكمله، فكيف تنجو منه اللغة؟

ووجد رواد المواقع الشبابية على الشبكة غاياتهم في الاختصارات الأجنبية، فوافق ذلك مطلبًا يلبي احتياجاتهم التي تحقق السرعة واختزال الوقت، والاقتصاد في الجهد العضلي، فأدخلوا تلك الاختصارات بصورتها الأجنبية، ثم تفننوا في اختصارات أخرى على نسقها[١]، مثل:

(١) من استعمالات اللغة المحدثة (ص٤٦٢).



جدول (٣) الاختصارات :

المعنى	الاختصار
be right back سأرجع	brb
I got to go علي أن أذهب	gtg/igtg
See you سأراك	cu
You too أنت أيضا	u2
Laughing out loud الضحك بصوت عال	lol
See you later أراك قريبا	cultr
Thanks شكرا	thx/thnx
Please أرجوك	plz
welcome عفوا	wlc
No problem لا مشكلة	np

ty	شكرا لك thank you
dw	لا تقلق Don't worry

وهناك اختصارات ظهرت لبعض العبارات العربية الشائعة، والترميز للاختصار بحروف لاتينية:

-AA or SA فهي اختصار لعبارة: «السلام عليكم» Assalam Alykom.

-isa اختصار لعبارة: «إن شاء الله» In Sha2a Allah.

-msa اختصار لعبارة: «ما شاء الله» Ma Sha2a Allah.

-jak اختصار لعبارة: «جزاكم الله خيراً» Jazakom Allaho khayran.

-kba اختصار لعبارة: «كله بأمر الله».

- halel اختصار لعبارة: «الحمد لله».

-Lahwlkeb اختصار لعبارة: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

خطر هذه الظّاهرة:

قد يرى بعض التربويين أو الباحثين أنّ الأمر لا ينطوي على خطر يحتاج إلى وقفة جادة في التصدي له، ولهم من الأسباب ما يبدو مقنعًا في ظاهره، ومن ذلك:

- أنّ هذه الطريقة ليست أكثر من "تقليعة" شبابية و"موضة" مصيرها إلى النسيان والزوال.



- أنّ استخدام اللغة هدفه التواصل، وليس التبعية أو القدسية، فمن حقّ الإنسان أن يخترع ويستخدم اللغة الأنسب لظروفه، والأسهل لاستخدامه.

- أنّ اللغة العربية يجب أن تخضع للتطوير والتحرر من تلك الأشكال القديمة التي ظلت عليها منذ قرون، خاصة أن ذلك أدى إلى صعوبة في استيعاب أهل الحضارات والأديان الأخرى لها، أو الاقتراب فكريًا ممن يتحدث بها.

- أنّ أثرها واستخدامها محصوران بمحيط ضيّق، ولا يمكن أن يكون له أثر على تكوين الفكر، أو الثقافة، أو خطر على الهوية والانتماء.

وهذه النظرة بكلّ ما تسوقه من أسباب تركّز على شكل الظاهرة، وتجرّدها من مضمونها وجوهرها الذي يرتبط باللغة العربية، ومكانتها في نفوس أصحابها، وبالهوية ومدى علاقتها باللغة الفردية، والمجتمعية، ومن خطر قبول مبدأ التطوير، الذي لن يقف - بطبيعة الحال - عند حدّ معيّن، أو مدىً معروف، ومن حقيقة أن الكتابة على الورق بدأت تفقد الكثير من أهميتها التي كانت لها من قبل، لتحلّ محلّها الكتابة الالكترونية، التي ستصبح في القريب هي الأساس لبناء التفاهم المشترك، والتواصل مع الآخرين، وإذا ما أدركنا واقعنا الذي نعيشه ونلمسه أمامنا، وما يفرضه علينا تحكّم وسائل الاتصال، ومواقع التواصل وأساليبه في نمط الحياة التي نعيشها، وفي تكوين فكر وثقافة الفرد فاستعمال جيل اليوم - أو معظمهم - لهذه الطريقة في الكتابة فيه دليل على ضياع الهوية، وتفضيل كلّ ما يمتّ للثقافة الغربية شكلاً ومضمونًا، واعتبار أنّ العربية الفصيحة هي شيء من الماضي، والتراث،

وأنّ التمسّك بها رجعية، وتأخر، وهذا بدوره دليل على أنّ هناك خللاً ما في التربية الثقافية، والشعور بالمسؤولية تجاه اللغة التي هي من أهمّ الروابط التي تربط أفراد المجتمع بعضه ببعض، ودافع يثير الأسئلة التي تبحث وراء الأسباب التي تدفع بعض أبناء العربية إلى التنكر لها، وازدرائها، وتفضيل الغريب الأجنبيّ عليها، في حين أنّ الأمم المتحضرة اليوم تقاتل وتناضل من أجل الإبقاء والمحافظة على لغاتها مكتوبة، ومنطوقة من أيّ دخيل يمسّ شكلها أو مضمونها، ولعلّي أذهب في تقدير الخطر على العربية من جراء التوجه إلى استخدام هذه الطريقة إلى أبعد من ذلك، لأراه أشدّ عليها من خطر الدعوة إلى إحلال العامية مكان العربية، لأنّ العامية مهما كان سوؤها تظلّ ابنة شرعية للعربية الفصحى، لكنّ الحرف الأجنبيّ أمام الحرف العربيّ لا يمثّل أكثر من بُغاثٍ مستنسر!

أسباب هذه الظّاهرة:

حاولت في هذا البحث، ومن خلال حوارات شخصية، أو ما قرأته من مقالات حول هذا الموضوع في الصحف، أو على صفحات الشبكة، تقصّي الأسباب التي تدفع شريحة من شباب اليوم إلى استعمال هذا النمط الكتابي، رغم زوال المبرر من ظهوره بداية، فكان ما يلي:

- الحريّة الشخصية، والرّغبة في السريّة، ووجود شعور بالاغتراب يدفع مستخدمي هذه اللغة إلى التمرد على النظام الاجتماعي، وتكوين عالم خاص بعيداً عن قيود الرقابة من قبل الوالدين، وغيرهم.

- جدّة الطريقة، وطرافتها، وما تثيره في نفس المتلقي من دهشة وتساؤل، وفي نفس المرسِل من شعور بالتفوق والذكاء، ومسايرة الدّارج والمنتشر بين أوساط الشباب حتى لا يتّهم بالرجعية أو التخلّف.



- يرجع البعض أن السبب الرئيسي لظهور هذا النوع من الأبجدية مقترن مع ظهور خدمة الهواتف المحمولة (الجوالة) في المنطقة العربية، وذلك لأن خدمة الرسائل القصيرة (sms) كانت تتيح للأبجدية اللاتينية حروف أكثر في الرسالة الواحدة عنها في نظيرتها العربية، ما دفع البعض الذين لا يتقنون الانجليزية إلى الكتابة بالحروف اللاتينية ولكن بصيغة عربية، وسرعان ما انتشرت بين المستخدمين لتوفير أكبر كم من الحروف، كما فضلها المستخدمين الذين اعتادوا علي استخدام الأبجدية اللاتينية، كما أنها تحل مشكلة عدم دعم بعض الأجهزة للأبجدية العربية.

- ويرجح البعض أن نشأتها كانت بسبب ظهور برامج الدردشة في التسعينات عبر أنظمة اليونكس، والتي لم تتح سوى الحروف اللاتينية للكتابة مما أجبر الكثير من العرب على استخدام الحروف اللاتينية، برامج الدردشة هذه ظهرت قبل ظهور التلفون المحمول والرسائل القصيرة في البلدان العربية، حيث لم تكن الحروف العربية متاحة في الأجهزة الموصولة على شبكة الإنترنت، وللعرب سابقة في الكتابة باللاتينية حيث يكتبون أسمائهم في جوازات السفر بالعربية واللاتينية.

- الخجل من الوقوع في الأخطاء الإملائية أو النّحوية أثناء الكتابة بالعربية.

تحليل هذه الأسباب :

أولاً : إنّ الانطلاق من مبدأ الحديث عن الحرية الشخصية، وحفظ الأسرار، يؤيده مفهوم أنّ اللغة ذات وظيفة اتصالية، تساعد الفرد على إيصال أفكاره، ومشاعره، والتعبير عن ذاته، وبالتالي فهو حرّ في استخدام الطريقة التي يريد، ملفوظة أو مكتوبة، مادامت تحقّق له

ما يهدف إليه من غرض التواصل، ولكنّ الأمر الذي لا يدركه هؤلاء هو أنّ اللغة أيضًا ذات كيان جمعي، فهي أشبه بالممتلكات العامة، وتخريبها بأيّ وجه يعدّ تعديًا على حقوق الآخرين، وإذا أخذنا في الاعتبار ما للفضاء الالكتروني - وهو البيئة التي تستخدم فيها هذه اللغة - من أثر على الفكر والوعيّ والتوجّه، أدركنا مدى الخطأ الذي يرتكبه هؤلاء -وهم من أبناء العربية - في حقّ لغتهم، وذلك بإضفاء طابع الازدراء، وقلّة القيمة لهذه اللغة، ولا يمكننا هنا أن نقلّل من خطر الأمر باعتباره مجرّد شكل يحمل الفكرة، وأنّ المهمّ هو توصيل هذه الفكرة، والتعبير عنها، بحرف عربيّ، أو بحرف لاتينيّ، لا فرق، لأنّ الخلفية التي تقف خلف الدعوة - في السابق - إلى إحلال الحرف اللاتيني مكان الحرف العربيّ، وخلف استمرار استخدام هذه الطريقة - في الحاضر- رغم زوال أسباب نشأتها، يدلّ على أنّها أصبحت ذات علاقة بفكر وثقافة معينة نشأت في وسطها، وأنّها صارت تعبيرًا عن هوية الأشخاص الذين يتبنونها، «فهوية الإنسان لا تولد معه، ولا تتشكَّل مرة واحدة، كما أنَّها ليست حراكًا في داخله؛ بل هي ذات علاقة وثيقة بالمحيط، يرسمها ويحدد شكلها وألوانها ما يرد إليه من خارجه، وما تثمره علاقاتُه بالآخرين؛ وهي- ولو في بعض صورها - جزء من هوية مجتمعه، أو تحمل على الأقلِّ بعض ملامح هذا المجتمع»، و«كلَّما اتسعت الهويَّة لتشمل أفرادًا أكثر كانت أكثر تعقيدًا وتشابكًا وتركيبًا؛ لأنَّها تصبح أعمقَ دلالة على أفرادها، وأكثرَ تعبيرًا عن رؤاهم، وأشدَّ التصاقًا بمصالحهم وغاياتهم الجمعيَّة»، و«اللُّغة والهُويَّة وجهان لشيء واحد، وبعبارة أخرى: إنَّ الإنسان في جوهره ليس سوى لغة وهُويَّة، اللُّغة فِكرُه ولسانه، وفي الوقت نفسه انتماؤه»[1].

(١) اللغة والهوية.



لسانُ الفتى نصفٌ، ونصفٌ فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدّم

إذا ما عرفنا كلّ ذلك أدركنا أننا لا نبالغ في تقدير خطر هذا التوجـه، حاضرًا، ومستقبلاً.

ثانيًا: إنّ الحديث عن جدّة الطريقة وطرافتها يؤيده مـا للجديـد مـن إيحاء نفسي يغري بحيازته، واتّباعه، والشّباب بطبيعتهم هم أكثـر النّـاس ميلاً إلى هذا الجديد، لمواكبة عصرهم، وتحقيق الانسجام والتناغم بينهم وبين متطلبات حياتهم، لكنّ الخطر لا يكمن في الرّغبة في التجديد، بل في حقيقة أنّه لا يمكن أن يصل إلى حدّ، أو يقف عند نقطـة معيّنـة، وإن كان مرتبطًا باللغة، فلنـا أن نتسـاءل: إلى أيـن سيصـل بهـم التجديـد في استحداث واستخدام طرق أخرى؟ لعله سيصل إلى مكان أبعد ما يكـون عن العودة إلى استخدام الحرف العربيّ والاعتزاز به.

ثالثًا: إنّ التبرير باستخدام الأجهزة التي لا تدعم اللغـة العربيـة أمـر بات من الماضي خاصة في البلدان العربية الـتي انتشـرت فيهـا الأجهـزة والبرامج التي تدعم العربية كما هو ملاحظ ومعـروف، وإن افترضـنا أن الشباب العربيّ في الخارج مثلاً لا يجدون سبيلاً إلى اقتناء تلك الأجهزة، فقـد قـدّمت بعـض شـركات البرمجيـات والانترنـت خـدمات نوعيـة للمستخدم العربي، تساعده على الكتابة بالعربية حـتى مـع عـدم وجـود لوحة مفاتيح عربية، فهو يستخدم طريقة كتابة العربية بـالحروف اللاتينيـة كوسيلة للوصول إلى النصّ العـربيّ الهـدف، وتوجـد هـذه الخدمـة في مواقع مشهورة مثل خدمة تعريب ta3reeb، وخدمة مارن maren مـن

شركة مايكروسوفت مصر، ومن ذلك أيضًا الجهود التي تقدمها شركة جوجل Google والتي تتمثل مهمتها في تنظيم المعلومات حول العالم وتسهيل الوصول إليها والإفادة منها عالميًا، وضمن هذه الرسالة تأتي جهود الشركة في دعم اللغة العربية، حيث توفر خدمات وبرامج معرّبة وبلغة سليمة وطبيعية، تحترم المستخدم العربي وثقافته، وهذه الجهود ليست محدودة في توفير واجهة مستخدم باللغة العربية لبرنامج ما، وتتضمن توفير الأدوات والخدمات والبرامج والحلول كمنصات للمستخدم العربي لإنشاء وتطوير محتوى خاص به.





ومن ضمن الأدوات التي تساعد المستخدم العربي في كتابة اللغة العربية وبأحرف عربية، أطلقت Google أدوات الكتابة أو تحرير أسلوب الإدخال Google Input Tools والتي تسمح للمستخدمين بإدخال النص العربي باستخدام الأحرف الإنجليزية، أو ما بات يعرف بـ (العربيزي) فمثلا، عند كتابة mar7aba فإن الأداة ستحولها إلى (مرحبا) أو لكتابة (عربي) يمكن كتابة 3rabi أو arabi فالأداة تتعرف على الأرقام المستخدمة حاليًا في العربيزي، وهذه الأداة سهلة الاستخدام وتعمل أيضا بدون الاتصال بالإنترنت، وبذلك تسهل العملية، وتحافظ



على المحتوى العربي بلغة عربية وليس بلغة دخيلة لا تنتمي إلى ثقافتنا وهويتنا، غير أنّ بعض الباحثين يرون أنّ هذه الخدمات تعمل على تكريس استخدام هذه الطريقة، والاطمئنان باللجوء إليها بدلاً من البحث عن حلول ناجعة تحفظ للحرف العربيّ مكانته وقيمته.

رابعًا: أما دعوى الخجل من الوقوع في الأخطاء الإملائية فالحقيقة أنّ استخدام هذا النوع من الكتابة من شأنه أن يزيد المشكلة، ويزيد من الضعف الإملائي لدى مستخدميها، لأنّه يفقد المستخدم التدريب على الكتابة بالعربية، وهو نوع من الهروب لا يمكن أن يدوم، لأنّه سيضطر إلى استخدام الكتابة بالعربية في مجالات أخرى كالعمل، أو التعلم والتعليم.

وبعد تحليل تلك الأسباب يتّضح لنا أنّها مجرّد قشرة تخفي تحتها حقيقة مؤلمة، مفزعة في ذات الوقت، تلك هي حقيقة شعور الازدراء والنفور من اللغة العربية، والذي تمثّل لديهم في الإعراض عن استخدام الحرف العربيّ، واستبداله بحرف أجنبيّ، ومحاولة معالجة قصور التعبير به عن كلّ الأصوات العربيّة بالأرقام - الأجنبية أيضًا - فهو أمر لا يعود في الحقيقة إلى ضعف العربية، وعدم تلبيتها حاجة أهلها، بل إلى الهزيمة النفسيّة والحضارية لأصحابها، يقول ابن خلدون: «المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب، في شعاره، وزيّه ونِحلته، وسائر أحواله وعوائده»[١].

لولا ذلك الانهزام الشعوري، والتراجع النفسي لأدركوا أنّ التعلق بهذه الأشكال السطحية أو تلك القشور الخفيفة المتآكلة ليس من مقومات القوة، ولا من مظاهر المدنية، لأنّ القوة عقل وفكر وعمل وقدرة، تنبثق أولاً وآخرًا من عقيدة الأمة وتراثها، ومما تستفيده وتتمثله من تجارب

(١) المقدمة (١٢٣).

غيرها، فتكون أساسا تبني عليه سلوكها، وتُخضع لـه حياتهـا في جميـع المجالات، وقد هيّأ المجتمع – للأسف - البيئة المناسبة التي تنمو فيهـا تلك الهزيمة وتكبر، بمساعدة عدة عوامل، منها:

- الأيدلوجية العامة التي ترى أنّ اللغة العربية غير قادرة على مجاراة التطوّر في المجالات الحيوية المستقطبة لاهتمـام الشـباب - خاصّـة في مجال الاتصال والمعلوماتية - مما جعلهم يعرضون عنها، ويرون فيها لغة كهول لا تناسب الشّباب.

- غياب قضايا اللغة العربية عن اهتمامات السـلطة و صـانعي القـرار السياسي، والتنفيذي، وهذا من شأنه أن يجعل أي قـرار أو توجـه خـادمٍ للعربية حبيسَ الأوراق، والأسطر، دون تفعيل حقيقي على أرض الواقع.

- المؤسسات التعليمية التي تحصـر العربيـة في مـادة معينـة، غالبًـا ما تدور حول القواعد ومعايير الصواب والخطأ كتابيًـا وأسـلوبيًا، إلا أنّ ذلك المكتسب يظلّ مرتهنًا بفترة الدراسة والاختبار، بعيدًا عـن التطبيـق الفعليّ في الحياة العملية والتعليمية، فالمهم هو توصيل المعـنى، بغـضّ النظر عن ركاكة الأسلوب وتهافته.

- انتشار المدارس الخاصة، والجامعـات الأجنبيـة الـتي تهـدف إلى وضع اللغة الانجليزية، واللغات الأوروبية في مناهجهـا كلغـة أولى، أو إلى التعليم بتلك اللغات، والإقبال عليها من قبل أفراد المجتمع، وخاصّة الطبقات الغنية أو المتوسطة باعتبارها تؤمّن المستقبل المرموق لأبنائهـا، وهذا في حدّ ذاته ليس خطأ، إلا إذا رافقه انفصال عن العربية كلغة أمّ في التعليم، و تركيز على اللغة الأجنبية باعتبارها لغة العصـر، والمسـتقبل، مما يساعد على تعميق الشعور بالغربة تجاه اللغة العربية.

- هيمنة وسائل الإعلام المرئي، والمسموع، والمقـروء علـى ثقافـة المشاهد وفكره، مع عدم مساهمتها بشكل فعال في ترسيخ الوعي لـدى



الناشئة بأولوية لغتهم الأم، وبدورها التأسيسي في صنع الشخصية، وصقل الثقافة، وتعميق مفهوم الانتماء، بل إنّ الصّورة التي ترسمها هذه الوسائل للمتحدثين بالعربية أصبحت لا تتجاوز كونهم مادة لعمل فنّي يثير الضحك والتهكم، وفي المقابل نجدها الرحمَ الحاضن للغات الأجنبية، وتزيينها في عقول وأسماع وعيون المشاهدين، وربطها بكل جديد، ومتطوّر.

أثر هذه الظّاهرة على اللغة، وعلى الفرد والمجتمع :

بناء على ما سبق، يمكننا أن نتلمّس ما سيتركه استعمال هذه الطّريقة من آثار قريبة، أو بعيدة المدى على اللغة ذاتها، وعلى الفرد والمجتمع فيما يلي:

- إيجاد نوع من الغربة بين العربيّ، والكتابة العربية، خاصة وأنّه يستخدم الحرف اللاتيني بشكل شبه يوميّ في المراسلات والمحادثات، وكوسيلة للتفاهم والتواصل، وهذا الاستخدام من شأنه أن ينشئ نوعًا من الألفة بينه وبين ذلك النمط الكتابيّ.

- محو للذاكرة العربية، وقطع الصلة بالميراث الثقافي، و إهدار كل الإنجاز البشري المسجل بالحروف العربية.

- إفساد الذوق العربيّ، الأدبي والفنيّ، وزوال فنون الخط العربي وزخارفه التي تمثل الفن التجريدي للحضارة الإسلامية، وبلغت عبر القرون غاية الكمال الفني.

- ومن ذلك[١] أيضًا الفوضى في محاولة التطبيق، ونشوء الحاجة مجددًا إلى قواعد إملاء معقدة، وقد يصبح لكل قوم طريقتهم في التهجئة بالحرف اللاتيني.

---

(١) انظر: الخط العربي (ص ٨١-٩٦).

- أنّ الشكوى من مصاعب الإملاء لن تختفي، وستبقى الحاجة إلى النقط والشكل قائمة برغم الاقتراحات الكثيرة.

النتائج والتوصيات :

اتّضح مما سبق أنّ إحلال الحرف اللاتيني محلّ الحرف العربي ليس مجرّد موضة شكلية يتبعها الشباب اليوم، بل هو خطر ينطوي على حقيقة الشعور بالغربة تجاه العربية، وعدم استشعار روح المسؤولية نحوها، والتقدير والانتماء لها، وكمحاولة لتصحيح ذلك الاتجاه، وتعزيز ثقة هذا الجيل وغيره بلغتهم، واستعادة الشعور بالفخر والانتماء لها، فإنّ هذا البحث يوصي بما يلي:

- تشجيع تطوير وحل مشاكل التقنية التي قد تقف عائقًا في وجه استخدام اللغة العربية، والاهتمام بالبحوث اللغوية ذات البعد التقني، والتي تهتمّ باستعمال اللغة العربية في تقنية المعلومات والاتصالات وتطبيقاتها في اللغة العربية.

- يرى أ.د. جبريل العريشي[١]: أهمية إدخال منهج الكتابة على لوحة المفاتيح الحاسوبية كأحد المناهج الرئيسة في مراحل التعليم المختلفة، بحيث لا يُتمّ الشباب مرحلة التعليم المتوسط دون اجتياز اختبار لسرعة الكتابة على لوحة المفاتيح الحاسوبية العربية[٢]، ومن شأن ذلك أن يعوّد المستخدم على استعمال الحرف العربيّ، وإيجاد نوع من الألفة بينه وبينه.

(١) عضو مجلس الشورى، وأستاذ علم المعلومات في جامعة الملك سعود.

(٢) من مقال له بعنوان: فرانكو آراب، لماذا يلجأ الشباب للكتابة بها؟ المدينة، ع: ١٧٨٨٣، ت: ٢٠١١/١٢/٣٠م



- أهمية توعية الشباب بهذا الخطر، وتنمية مشاعر الانتماء للغة والوطن في البيت و المدارس والجامعات والإعلام والمساجد.

- حثّ المعلّمين وتوعيتهم في مراحل التعليم المختلفة، وتدريبهم أيضًا على أن تكون لغة التدريس لديهم هي اللغة العربية السليمة الخالية من الشوائب والأخطاء؛ لأنهم، بذلك، سيكونون المثالَ الذي يحتذيه الطلبة، والقدوة التي يتأسون بها.

- الاستفادة من أجواء العولمة المنفتحة والمتطورة التي يمكن أن تعين على إيجاد وسائل وآليات تستخدم في صالح اللغة العربية، سواء من حيث نشرها، أو سهولة التواصل بين الباحثين في قضاياها وبالتالي فإن لغتنا العربية كفيلة بما وهبها الله تعالى أن تُواكب المستجدات والتحديات في هذا العصر (عصر العولمة).

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث لعلّي أقرّ بوجود جانب إيجابيّ يمثّله الكثير من شباب العرب، الذين يجدون في لغتهم العربيّة أُمًّا يفخرون بالانتماء إليها، واستخدامها، حتى وإن أجبرتهم الظروف الوظيفيّة أو العلمية على استخدام لغة أجنبية، فليس الجميع غافلين عن دورهم وواجبهم تجاه لغتهم، لكنّ المأمول أن يكون ذلك هو حال الجميع، أو الغالبية العظمى على أقلّ تقدير، فاللغة العربية هي الرّابطة القويّة التي تربط أبناء هذه الأمّة، و الهويّة الحقيقية لها، وقد كانت ومازالت غنيّة وقادرة على التعبير عن المشاعر والأفكار والحقائق العلمية، ولا تحتاج لأكثر من باحثين جادّين غيورين، عن الدرّ المكنون في ذلك البحر.

مراجع البحث :

- أ. إيمان السويدان. ظاهرة الفرانكو آراب، دعوة للتغيير أم لقتل الهوية العربية، نشر ألكتروني (٢٠١٠/٠٣/٢٨م).(٠٦ : ٥٦) من www5.altwafoq.net .
- د. إيميل بديع يعقوب. الخط العربي، مشكلاته ودعوات إصلاحه. جروس برس. طرابلس، لبنان. ١٩٨٦م.
- أ.د. جبريل حسن العريشي. فرانكو آراب، لماذا يلجأ الشباب للكتابة بها؟ جريدة المدينة، العدد: ١٧٨٨٣، الجمعة ٢٠١١/١٢/٣٠ .
- ابن خلدون، المقدمة «تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر...». مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت. ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- د. رياض محمود قاسم، وأ. عبد الحميد الفراني. التحديات التي تواجه اللغة العربية ودور القرآن الكريم في التصدي لها. بحث مقدم إلى مؤتمر: «الإسلام والتحديات المعاصرة» المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، في الفترة: ٢- ٢٠٠٧/٤/٣م، نشر الكتروني: http: //www.shamela.ws
- عباس محمد العقّاد. اللغة الشّاعرة. مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٨م.
- د. عبد الجبار جعفر وهيب القزاز. الدراسات اللغوية في العراق. دار الرشيد للنشر. العراق.١٩٨١م.



- د. فيصل الحفيان. اللغة والهوية، إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات. نشر الكتروني:
  - http: //www.altasamoh.net/Article.asp?Id=89
- لبنى عبد السميع. «What's Up» أول مجلة «فرانكو أراب» في مصر. الشرق الأوسط، **العدد ١١٥٣٥، الاثنين ١٧ /٧/ ١٤٣١ هـ ٢٨ /٧/ ٢٠١٠م.**
- محمّد سعيد الصاوي. كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية. نشر الكتروني (١٤-٤-١٤٢٦هـ).
  - http: //www.almeshkat.net/books/open.php?book=1813&cat=16
- محمد شوقي أمين. الكتابة العربية. سلسلة كتابك. عدد ٥٢. دار المعارف بمصر. ١٩٧٧م.
- نفوسة سعيد زكريا. تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر. دار المعارف. ١٩٦٤م.
- أ.د. وسمية عبد المحسن المنصور. من استعمالات اللغة المحدثة- العربيزي. من ضمن بحوث المؤتمر الدولي بعنوان: اللغة العربية ومواكبة العصر. مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

مراجعة كتاب

مهارة القراءة الإلكترونية

وعلاقتها بتطوير أساليب التفكير

فهيم مصطفى

دار الفكر العربي ٢٠٠٤

د . ابتهال محمّد علي البار

جامعة الملك عبد العزيز – جدة

السيرة العلمية:

د. ابتهال محمّد علي البار

- ماجستير في النّحو والصّرف من جامعة الملك عبد العزيز بجدة ٢٠٠٦م.
- دكتوراه في اللّغويات من الجامعة الإسلامية العالمية من ماليزيا ٢٠١٢م.
- عضو هيئة التّدريس بجامعة الملك عبد العزيز بجدة منذ عام ٢٠٠٠م.

مقدمة :

قليلة هي الدّراسات في المكتبة العربية التي تناقش قضايا القراءة الإلكترونية وأهميتها في التعليم، وكتاب (مهارة القراءة الإلكترونية، وعلاقتها بتطوير أساليب التفكير) هو من الكتب القيمة والقليلة في هذا المجال؛ إذ ناقش فيه المؤلف مهارة القراءة الإلكترونية ومهارات التفكير في جميع مراحل التعليم العام، ويُعتبر دليلا ومرشدا للمعلمين والمعلمات وأخصائيي وأخصائيات المكتبات المدرسية في جميع مراحل التعليم العام؛ لأنه يتضمن رؤية مستقبلية لتطوير مهارات القراءة وعلاقتها بتنمية أساليب التفكير.

ويهدف إلى تزويد المـتُعلِّم بالخبرات والاتجاهات التي تساعده على اكتساب المهارات المعرفية ومهارات النشاط العقلي ومهارات البحث والتعلم الذاتي، كما يهدف الكتاب إلى تزويد الطالب بالخبرات التي تهيّئه لمواجهة مشكلات الفهم والاستيعاب للمواد المقروءة بطريقة منهجية تستند على التفكير العلمي السليم؛ مما يصعب تحقيقه من خلال الوسائل التقليدية المستخدمة في التعليم في أكثر الدول العربية كالإلقاء والتلقين.

واشتمل الكتاب على أربعة عشر فصلا ناقش فيها عددا من القضايا، أبرزها ما يأتي: **تفعيل القراءة الإلكترونية في المكتبات المدرسية** من خلال استخدام تكنولوجيا التعليم، وضرورة تدريب المعلم وأمين المكتبة التدريب الكافي على استخدام تكنولوجيا التعليم وتشغيلها وإدارتها بكفاءة على مرأى من المتعلم بهدف الاستفادة منها في تنمية مهارة القراءة، وتناول المؤلف **دور قصص وكتب ومجلات الأطفال الإلكترونية** في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية، فتعرَّض للحديث عن مواصفات

قصص الأطفال المبرمجة وتوظيفها في تثقيف الطفل، ومواصفات الكتاب الإلكتروني الجيد، ومعايير اختيار الكتاب الإلكتروني المناسب للطفل في مرحلة رياض الأطفال والمدارس الابتدائية، وأهمية المجلات الإلكترونية في حياة الطفل المعرفية والثقافية والوجدانية، وناقش المؤلف بشكل وافٍ **عناصر الفهم والسرعة في القراءة الإلكترونية** لدى المتعلم في جميع مراحل التعليم العام، واقترح اختبارا يقيس قدرات الطالب في فهم المادة المقروءة بهدف تنمية مهارة الفهم وتطويرها.

وتناول **المهارات الأساسية في القراءة السريعة الإلكترونية** وضرورة تنميتها حتى يستطيع المتعلم أن يواكب برنامج القراءة الإلكترونية، ولا يتخلّف عن استيعاب عناصره، واستعرض **دور القراءة الإلكترونية في علاج مشكلات القراءة** في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية، فتحدث عن مراحل تشخيص حالات التأخر في القراءة، وخطوات برنامج علاجي لمشكلات القراءة، مع التأكيد على أنه ليس هناك برنامج واحد يشتمل على كل أساليب العلاج لجميع الحالات، لذا لابد من إعداد خطة لكل برنامج علاجي، مع مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال.

وأفرد فصلا تحدث فيه عن **أساليب علاج العُسر القرائي (الدسليكسيا) بواسطة توظيف الألعاب الإلكترونية**، والعسر القرائي هو اضطراب يصيب الأطفال يؤدي إلى الفشل في إتقان المهارات اللغوية الضرورية لتهجي الحروف والكلمات والقراءة والكتابة؛ مما يسبب صعوبة في استيعاب المناهج الدراسية، وتناول أبرز الوسائل التي تساعد الطفل على تحسين قراءته، ومنها الاعتماد على الألعاب الالكترونية من خلال الكمبيوتر لتنمية مهارة القراءة لدى الطفل، واستعرض أهم معايير اختيار الألعاب الالكترونية التعليمية لتحقيق هذا الهدف.

وتناول المؤلف **دور القراءة الإلكترونية في تنمية مهارات التعلم الذاتي والبحث في المدارس الثانوية**، فالتعلم الذاتي هو أن يعلم الطالب نفسه من خلال مصادر المعرفة المتنوعة المطبوعة وغير المطبوعة، وهو أسلوب نظام متكامل في التعليم فرضه عصر انفجار المعلومات الذي نعيش فيه، أما مهارة إعداد البحث فيستطيع الطالب أن يتقنها إذا كانت لديه مهارة استخدام المكتبة ونظام التصنيف المتبع فيها، وإذا أجاد مهارة البحث الإلكتروني من أجل الوصول إلى المعلومات المتعلقة ببحثه.

وعالج الكتاب موضوع **القراءة الإلكترونية ومهارات النشاط العقلي في المدارس المتوسطة والثانوية**، مثل: مهارة التفكير العلمي وحل المشكلات، ومهارة التفكير الإبداعي، ومهارة التفكير الناقد، ومهارة التفكير المنطقي، ولا يمكن تنمية هذه المهارات العقلية إلا من خلال البحث والتقصي واستخدام مصادر التعلم المتنوعة المطبوعة وغير المطبوعة، والقراءة الإلكترونية الهادفة لها دور كبير في تنمية مهارات النشاط العقلي.

وأفرد فصلا وافيا للحديث عن **البرامج الإلكترونية وتنمية القراءة الحرة في مراحل التعليم العام، ودور القراءة الإلكترونية في تنمية مهارات التفكير** لدى المتعلم في جميع مراحل التعليم العام، **والقراءة الإلكترونية ونظام التعليم عن بعد**.

وختم الكتاب بنماذج لأنشطة تطبيقية تساعد المتعلمين في جميع مراحل التعليم العام على استخدام مصادر التعلم الالكترونية بهدف تنمية مهارات القراءة ومهارات التفكير.

جاء الفصل الأول بعنوان «**من التعليم التقليدي إلى التعليم في عصر المعلومات**»، تناول فيه المؤلف عددا من القضايا، أبرزها:



وجود فرق شاسع بين الأهداف التربوية في عصر المعلومات وبين واقع التعليم في العالم العربي، فهناك ضرورة ملحّة في الخروج عن أسلوب التلقين في التعليم في العالم العربي، الذي يتناقض مع ثورة المعلومات والانفجار المعرفي، ولم تعد مهمة التعليم في هذا العصر هو تحصيل المادة والمعرفة العلمية، بل المهمة الأولى للتعليم هي تنمية مهارات المتعلم في الحصول على المعلومات عبر مصادر التعلم الهائلة، وتوظيفها في حل المشكلات.

وإعداد المتعلم وتزويده بمهارات التفكير العلمي، ومهارة التفكير المنطقي، ومهارات التحليل والنقد، من خلال استخدام تكنولوجيا التعليم، لما لها من أهمية كبرى في العملية التعليمية، وأبرز جوانب الأهمية تكمن فيما يأتي:

- إثارة الحماس والدافعية لدى المتعلم، وتهيئة المناخ المناسب للحصول على المعلومات بشكل دقيق.
- تنمية مهارات القراءة لدى المتعلم، وتحديد مستواه في اكتساب مهارة القراءة.
- منح المتعلم الفرصة الكافية من أجل الاستمرار في التدريب، وتزويد المتعلم بنتائجه أولا بأول.
- عدم انحصار المتعلم في كتاب واحد هو الكتاب المدرسي، بل الاطلاع على مصادر مختلفة مطبوعة وغير مطبوعة، لمواكبة أحدث التطورات في مجاله العلمي عبر شبكات المعلومات.

ويرى المؤلف أن هناك ضرورة إلى استخدام الكمبيوتر في العملية التعليمية وما يشتمل عليه من برامج حتى يستطيع المتعلم أن يلبي

احتياجاته المعرفية من خلال مهارة التعلم الذاتي. ويعتبر الكمبيوتر أنسب وسيلة يمكن استخدامها في عصر انفجار المعلومات لما يتميز به من قدرة فائقة على تخزين المعلومات والمواد واسترجاعها بشكل دقيق وسريع مقارنة بالمصادر الورقية.

أما عن دور المعلم في توظيف تكنولوجيا التعليم فيرى المؤلف أن المعلم يجب أن يعمل على توظيف التكنولوجيا لتحقيق الأهداف التربوية، ومن هنا يجب أن تكون لديه الخبرة الكافية لاستخدام الوسائل التعليمية وتقويمها ومدى فاعليتها في العملية التعليمية، وانتقاء المناسب منها للمواقف التعليمية.

وبالتأكيد إن وظيفة المعلم تغيرت من مجرد التلقين في التعليم التقليدي إلى مهام أخرى، فعندما يستخدم المعلم الوسائل التعليمية كمساعد في العملية التعليمية داخل حجرة الدراسة فإن دوره ينحصر في التخطيط وإعداد خطة زمنية لا استخدام الأجهزة التعليمية، فهو بمثابة مدير للتعليم ومستشار.

وإذا كانت المدرسة تحتوي على مركز للوسائل التعليمية فإن المعلم يصبح المسؤول عن المركز، وينحصر دوره في الإشراف على المتعلمين الذين يستخدمون المركز في فترات زمنية محددة، وفي حالة استخدام الكمبيوتر بشكل فردي في العملية التعليمية يكون دور المعلم تزويد المتعلمين بالمساعدات الفردية وتقدير احتياجاتهم التعليمية. ويؤكد المؤلف على أن دور المعلم أو أمين المكتبة إذا تم بالشكل الصحيح سيكون أكثر فاعلية وفائدة من الدور التقليدي السائد في التعليم في أكثر الدول العربية.



وأرى أن المؤلف أعطى حجما كبيرا لتكنولوجيا التعليم في نجاح العملية التعليمية وغفل عن أمر مهم وهو وجود الدوافع الذاتية للمتعلمين وحسن توظيفهم للتكنولوجيا في اكتساب المعرفة؛ إذ من المشاهد في كثير من المدارس توفر أجهزة الحاسوب والإنترنت في الفصول الدراسية ومع ذلك لا تتقدم العملية التعليمية ولا تختلف كثيرا عن التعليم التقليدي؛ لأن بعض الطلاب يقوم بالاطلاع على مواقع ترفيهيه مختلفة لا صلة لها بموضوع الدرس، مما يجعل الشكل الظاهر للعملية التعليمية في أحدث صورة مُواكبة للتقدم المعرفي والتكنولوجي وفي جوهر الأمر عملية تعليمية تقليدية.

وجاء الفصل الثاني بعنوان: «**التكنولوجيا وتفعيل القراءة الإلكترونية في مراكز مصادر المعلومات**»، واشتمل على ثلاثة مباحث، هي: ، توظيف تكنولوجيا التعليم في خدمة المتعلم، والتعامل مع المعلومات وبرامج القراءة الالكترونية.

أولا : مراكز مصادر المعلومات

أشار المؤلف إلى ضرورة اتصاف مصادر المعلومات في المدارس ببعض الخصائص، أهمها ما يأتي:

- أن تكون مصادر المعلومات مزودة بوسائل التعليم التكنولوجية لتوظيفها في زيادة فاعلية المناهج الدراسية، وتدريب المتعلم على استخدامها؛ بهدف تمنية مهارات التفكير لديه.
- تحسين وتطوير طرق التدريس التقليدية باستخدام تقنيات التعليم الحديثة ؛ لتدعيم الدرس بالتطبيقات والتدريبات والاستخدامات التكنولوجية التي تثري العملية التعليمية وتجعلها أكثر متعة وتشويقا للدارسين.

وأبرز المؤلف أهمية وجود وسائط التكنولوجيا في المدارس في المجالات الآتية:

- استخدام أمين المكتبة أو المعلم لتقنيات التعليم يجنب المتعلم ترديد بعض الألفاظ التي لا يفهمها أثناء شرح موضوعات القراءة وغيرها من المناهج الدراسية؛ لأنه من خلال تكنولوجيا التعليم يكوِّن صورة ذهنية واضحة عن مجمل الألفاظ فيدرك معانيها، كما يتم تزويده بأساس مادي محسوس للأفكار.
- تقوم هذه الوسائل التعليمية بدور كبير في تنمية الثروة اللغوية عند المتعلم من خلال: دروس اللغة التي تتضمن التخاطب والاستماع والقراءة والكتابة، ويمكن توظيف التكنولوجيا في تيسير تعليم المهارات اللغوية.
- تساعد تكنولوجيا التعليم في جعل الخبرات التعليمة أبقى أثرا في عمليات القراءة وغيرها، إذ أكدت الدراسات أن المتعلمين ينسون حوال ٥٠% من المعلومات التي يدرسونها بشكل تقليدي، على حين أنهم يتذكرون ٩٠% من المعلومات التي تمت قراءتها عن طريق الوسائل التكنولوجية.
- تعمل وسائل التكنولوجيا على إثارة الحماس والدافعية عند المتعلم، وتشجع على النشاط الذاتي لديه، وتحفزه على القيام ببعض الأنشطة القرائية المختلفة.
- تساهم وسائل التكنولوجيا التعليمية في تعزيز الاستجابات الصحيحة، وتأكيد التعلم الصحيح بشكل سريع وفوري، مثل ما يحدث في معامل اللغات، حيث يستمع المتعلم إلى التسجيل

الصوتي لأدائه ويتعرف على أخطائه في النطق، وكيفية النطق بشكل صحيح.

ثانيا : توظيف تكنولوجيا التعليم في خدمة المتعلم

ينبغي أن يتسلح المتعلم بمهارات العصر، وأبرزها مهارات التكنولوجيا ،فالتطورات التكنولوجية متلاحقة ويجب على المتعلمين ألا يكونوا بعيدين عما يطرأ في مستجدات العصر .ومن أهم إيجابيات التعلم من خلال التقنيات الحديثة ما يأتي:

- تنمية فهم المتعلم لبعض القضايا الثقافية والاجتماعية والعلمية.
- تنمية مهارات التفكير العلمي وحل المشكلات.
- تنمية مهارة التعلم الذاتي التي تربط الدارس بالبحث عن المعلومات في المصادر المختلفة المطبوعة وغير المطبوعة.
- تنمية مهارة التفكير الابتكاري.

وتحدث المؤلف عن موضوع **الطفل والألعاب الإلكترونية**، وأكد على دور الألعاب الإلكترونية في تحقيق أهداف تعليمية محددة مثل: التغلب على صعوبة أو أكثر من صعوبات التعلم لدى الطفل التي تؤثر على تحصيله الدراسي، فأثناء اللعب يتفاعل الطفل ويتجاوب مع الكمبيوتر ويمارس مهارة التفكير ويتخذ القرار السريع بنفسه ويتعلم الصبر والمثابرة والوصول إلى النتائج التي يريدها.

كما تهدف الألعاب التعليمية إلى خلق مناخ تعليمي يختلط فيه الترفيه بالتحصيل العلمي، وأكد المؤلف على أهمية توظيف الكمبيوتر في عملية التعلم وعلاج مشكلات القراءة عن طريق مجالات مختلفة، أبرزها:

- إعداد برامج تعليمية على أقراص مدمجة في مناهج اللغة العربية في جميع المراحل كي يستخدمها الدارسون في تحسين تحصيلهم الدراسي داخل المكتبة المدرسية، وبخاصة في موضوعات القراءة المقررة.
- قابلية تكرار درس القراءة أكثر من مرة، لترسيخ المعلومات في ذهن الدارس، بالإضافة إلى سهولة الاستخدام.
- استخدام برامج الكمبيوتر في الكتابة وحل الأسئلة يساعد المتعلمين الذين لديهم إعاقات جسدية أو أصحاب الخطوط الرديئة. لكني أرى أن استخدام الكمبيوتر في الكتابة وإهمال الكتابة بخط اليد يزيد من رداءة الخط السيء، ويقلل فرصة تدريب الطلاب.
- فعالية الكمبيوتر التعليمي في تنمية مهارات القراءة لدى فئة المتأخرين في القراءة، واتضح أن التأخر في القراءة من أكثر صعوبات التعليم تأثيرا على التحصيل الدراسي لاسيما في التعليم الابتدائي.

وتعتبر قراءة المعلومات عبر وسائط التكنولوجيا مهارة يستفيد منها المتعلم في عدة مجالات، أبرزها ما يأتي:

- البحث عن معاني الكلمات الصعبة التي قد تواجه الدارس.
- البحث عن تاريخ ميلاد أو وفاة شخصية شهيرة من الأدباء أو القادة أو البارزين في مجال معين.
- شرح وتوضيح مصطلح لغوي، أو مفهوم علمي، أو معنى غامض.



ثالثا : التعامل مع المعلومات وبرامج القراءة الإلكترونية

تدريب الدارسين على استخدام تكنولوجيا التعليم في الوصول إلى المعلومات له أهمية كبيرة، وغالبا ما تطرح أسئلة يتطلب الإجابة عنها البحث في مصادر القراءة الالكترونية، **ويمكن للمعلم تحديد دور الدارس في التعامل مع برامج القراءة الإلكترونية من خلال الأسئلة الآتية:**

- كيف يستفيد الدارس من هذه المهارة في تنمية قراءاته؟
- متى يلجأ الدار س إلى هذه الوسيلة بهدف الاستفادة منها في تحصيله الدراسي، وفي حياته الشخصية؟
- هل تم إعداد الدارس لاستخدام هذه الوسيلة من أجل توظيفها في مقررات القراءة؟
- ما مدى استفادة الدارس من القراءة الإلكترونية في تنمية الجوانب المعرفية لديه؟

وتناول المؤلف موضوع **القراءة الالكترونية واكتسابها في رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية،** وأكد على دور المعلم في توظيف القراءة الإلكترونية لتدعيم مستويات التفكير لدى الأطفال من خلال الكمبيوتر، وأهمها ما يأتي:

١- مستوى التذكر :

- تساعد القراءة الالكترونية الطفل في تصور أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين الحروف، وتساعد الطفل في تصور وضع الحرف في أول الكلمة ووسطها وآخرها.

- تساعد برامج الكمبيوتر الطفل في تصور الحركات المختلفة الطويلة والقصيرة.
- استماع الطفل إلى قصة مصورة إلكترونيا، وتعلمه كيفية إعادة سردها مما يُنمِّي ثروته اللفظية اللغوية.

٢- مستوى التحليل :

- تدريب الطفل على أن يُحلِّل الجملة إلى كلمات، والفقرات إلى جمل، والموضوع إلى فقرات.
- تدريب الطفل على تحليل بعض الجمل؛ للتعرف على أدوات الربط، وصيغ الأمر والنهي والاستفهام والجمع والتذكير والتأنيث وأسماء الإشارة وغيرها.
- تدريب الطفل على تحليل ما يقرأ إلكترونيا من حيث: العلل والأسباب والنتائج والأفكار، ومدى توافق ما يقرؤه مع ما لديه من خبرات.
- تشجيع الطفل على مناقشة مضمون ما يقرؤه إلكترونيا، خصوصا الموضوعات التي تناسب ميوله واهتماماته.

٣- مستوى التقويم :

- تنمي القراءة الإلكترونية قدرة الطفل على فهم واستيعاب الموضوعات (القصيرة المناسبة لسنه)في سرعة معقولة.
- تساعده على التمييز بين الصواب والخطأ فيما يقرأ إلكترونيا، وأن يُبدي رأيه في المادة المقروءة.



- يعلِّق على رأي غيره، أو ينقده في ضوء معايير تناسب مرحلته العمرية والفكرية.

٤- مستوى التركيب :

- تدريب الطفل على أن يؤلف من الأفكار الجزئية فكرية كلية، وأن ينسق بين عدة جمل، وأن يضع بعض الأفكار بطريقته الخاصة.
- يستنتج التماثل والاختلاف في أشكال الكلمات، والحروف، والحركات القصيرة والطويلة.

٥- مستوى الاستقبال :

- يتابع الطفل قراءة الموضوعات والقصص التي تستهويه من خلال برامج القراءة الالكترونية.
- ينتقي ما يقرأ عن ميل حقيقي واختيار شخصي، ويتفاعل مع ما يقرؤه من خلال البرامج الالكترونية.

القراءة الالكترونية وتصفح المعلومات في المدارس المتوسطة والثانوية

أوضح المؤلف أهمية استخدام القراءة الإلكترونية في تصفح المعلومات في المدارس المتوسطة والثانوية بالنقاط الآتية:

- السرعة واختصار الوقت في الوصول إلى المعلومات المطلوبة.
- الدقة والوضح في ترتيب المعلومات والبيانات.

وتعد قراءة المعلومات من خلال البرامج الإلكترونية في المدارس المتوسطة والثانوية مهارة هامة يجب أن يتزود بها الدارس ؛ لأنها تساعده في الوصول إلى المعلومة التي يبحث عنها سواء أكانت متصلة بالمناهج

الدراسية أو من قراءاته الحرة، وأبرز الأمثلة التي توضح الاستفادة من القراءة الالكترونية هي ما يأتي:

- البحث عن معاني الكلمات الصعبة التي يقرؤها الطالب في المناهج الدراسية.
- البحث عن تاريخ ميلاد أو وفاة أحد المشاهير.
- معرفة معلومات تفيد الطالب في حياته اليومية، مثل: معرفة عنوان مؤسسة أو الحصول على رقم هاتف أو غيرها.

ومن الأمثلة على نماذج علمية يمكن تخزينها واستخدامها بشكل إلكتروني ما يأتي:

- دوائر المعارف ومعاجم اللغة المُبسَّطة.
- الأقراص الممغنطة CD المسجل عليها برامج تعليمية.
- الأفلام التعليمية والوثائقية.

وختم المؤلف هذا الفصل بالتأكيد على أهمية تدريب المعلم وأمين المكتبة على استخدام وتوظيف الوسائط التكنولوجية في العملية التعليمية؛ حتى نحقق أفضل النتائج.

ولم يتعرض لبعض سلبيات القراءة الالكترونية، وكأنها ليست لها سلبيات.

الفصل الثالث: «**مكتبة الطفل والقراءة الإلكترونية**»، واندرج تحته عدة مباحث، هي:

- أهمية وضرورة مكتبة الطفل.



- الوظائف التربوية لمكتبة الطفل.
- معايير اختيار مصادر التعلم لمكتبة الطفل.
- مقتنيات مكتبة الطفل.
- صور الأنشطة القرائية في مكتبة الطفل.
- المدرسة وتنمية القراءة الالكترونية لدى الطفل.
- تطوير مكتبة الطفل إلى مركز مصادر التعلم.

أولا : أهمية مكتبة الطفل

ذكر المؤلف أن مكتبة رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية هي أول مدرسة تصادف الطفل؛ لذا يجب الاهتمام بهذه التجربة الأولى، والحقيقة أني أختلف مع الكاتب؛ لأن مكتبة رياض الأطفال ليست المكتبة الأولى التي يتعرف عليها الطفل، فالبيت والأسرة لهما دور كبير في هذا الجانب، والأسرة المثقفة التي تهتم بالكتاب وتعرف قيمته تغذي علاقة الطفل بالكتاب والمكتبة من الشهور الأولى، فيستطيع الطفل البالغ من العمر ستة أشهر أن يمسك بالكتاب ويتصفح الصور الملونة التي تجذب اهتمامه، ويستمع إلى صوت أمه وهي تقص عليه الحكايات وتستخدم التنغيم في صوتها لجذب اهتمامه.

وأكَّد المؤلف على ضرورة إعداد مكتبة مناسبة للطفل من حيث مرحلته العمرية والعقلية، وأن تشتمل على مصار معلومات متنوعة تجمع بين التثقيف والمتعة والمواقف الإيجابية التي يستفيد منها الطفل في حياته المدرسية وفي حياته الخاصة.

ثانيا : الوظائف التربوية لمكتبة الطفل

- تنمية ميول الطفل نحو القراءة وإشباع حاجته المعرفية والوجدانية بتقديم مواد متنوعة مطبوعة وغير مطبوعة.
- تنمية التفكير الطفل المنطقي لدى الطفل، وإثارة تفكيره تجاه القضايا التربوية والاجتماعية التي تجذب اهتمامه.
- إكساب الطفل مهارة التعلم الذاتي؛ عن طريق وصوله إلى المعلومات التي يريدها بنفسه بأسرع وقت وأقل جهد.
- إكساب الطفل المهارات المكتبية وكيفية التعامل مع المكتبة ومصادر المعلومات المختلفة.

ثالثا : معايير اختيار مصادر التعلم لمكتبة الطفل

من أهم المعايير التي يجب توفرها في مصادر التعلم للأطفال ما يأتي:

- أن تكون الموضوعات التي تعالجها مصادر التعلم قد تم عرضها بأسلوب وشكل مناسب للأطفال.
- أن يتمكن الطفل من قراءة مصادر التعلم بسهولة من خلال الكمبيوتر؛ لاتصافها بالوضوح والسلاسة.
- أن تكون المعلومات صحيحة وتزود الطفل بالقيم التربوية والأخلاقية والمعرفية؛ مما يؤثر إيجابا على سلوك الأطفال.
- أن تساعد الموضوعات التي تشتمل عليها مصار التعلم على تنمية التفكير والخيال لدى الأطفال.



رابعا : مقتنيات مكتبة الطفل

١- الحقيبة التعليمية : أفلام وأشرطة التسجيل وأجهزة معملية تناسب عمر الطفل، وتزوده بخبرات لا تكون متوفرة في الفصل الدراسي.

٢- أجهزة سمعية: هي مواد تعتمد على حاسة السمع، مثل البرامج التعليمية المسموعة والتسجيلات الصوتية وعادة ما تكون مرتبطة بالمناهج الدراسية، وتهدف إلى تعميق المفاهيم وإعطاء التطبيق العملي للموضوع.

٣- أجهزة بصرية: وهي مواد تعتمد على حاسة البصر وحدها، مثل: الملصقات والكرات الأرضية والصور والرسوم التوضيحية وغيرها.

٤- برامج الكمبيوتر: وهي من أهم ما تشتمل عليه المكتبة، مثل : برامج الأقراص الممغنطة CD وهي وسائط تعليمية يتم استخدامها لمساعدة الطفل في استيعاب المناهج الدراسية وتنمية تفكيره.

٥- مجلات الأطفال الإلكترونية والمطبوعة: تسهم المجلات بنوعيها الإلكترونية والمطبوعة في تكوين شخصية الطفل وتزويده بالمعلومات المناسبة لعمره، وتجعله إيجابيا في الأنشطة المدرسية.

٦- قصص الأطفال: تشكل القصص الجانب الأكبر في مكتبة الطفل؛ لأن الأطفال يميلون بطبيعتهم إلى القصص ويتشوقون إلى سماعها، وعن طريقها يتعلم الطفل الكثير من القيم والآداب والمعارف .

ولقصص الأطفال الإلكترونية والمطبوعة مواصفات لا بد من مراعاتها:

- أن تكون القصة سهلة الأسلوب في كلماتها وعباراتها، حتي يفهمها الطفل بدون مشقة كبيرة.
- أن تكون قصيرة؛ حتى لا يمل الطفل من الاستماع إليها حتى النهاية.
- أن تتضمن موقفا أوفكرة تجذب اهتمام الطفل.
- ألا تشتمل على مواقف مخيفة أو مثيرة للانفعالات الحادة كالتعذيب أو الظلم القاسي؛ لأنها تؤثر سلبا على نفسية الطفل وسلوكه وتفكيره، بل يجب أن تتميز بانفعالات المرح والجب والابتهاج، أن تشتمل على مواقف تربوية إيجابية مما يعيشه الطفل في حياته الأسرية والمدرسية.

٧- كتب المعلومات: وهي التي تتناول موضوعا معينا بأسلوب عير قصصي، وتسمى الكتب الموضوعية، وهي تلعب دورا كبيرا في تكوين شخصية الطفل أكثر من كتب المناهج الدراسية. ويجب أن تراعي قدرات الطفل وواقعه، فيتعرف على الأشخاص والمعلومات والأماكن بسهولة.

٨- كتب المراجع: مثل معاجم اللغة المبسطة ودوائر المعارف الأطفال والمعاجم الجغرافية المبسطة والأطالس المناسبة وغيرها.

خامسا : صور الأنشطة القرائية في مكتبة الطفل

من أبرز الأنشطة القرائية الالكترونية في مكتبة الطفل ما يأتي:



- الإجابة عن أسئلة واردة في المواد المقروءة من خلال البرامج الالكترونية.
- التعرف عى كلمات جديدة ومعانيها.
- النقد والتعليق على المواد المقروءة.
- التصفح والقراءة السريعة لمتابعة بعض الأحداث أو الموضوعات.

وأكد المؤلف على ضرورة تقويم أثر القراءة الإلكترونية على الأطفال من خلال ما يأتي:

- متابعة أثر القراءة الإلكترونية على مستوى التحصيل الدراسي ومستوى التثقيف لدى الطفل.
- نوع وكمّ القراءات التي يستوعبها الطفل.
- تلخيصات الأطفال وتعليقاتهم التي يدونونها بعد الانتهاء من قراء الموضوع إلكترونيا.
- مدى قدرة الطفل على استخراج المعلومات بنفسه من مصادر التعلم الالكترونية.

سادسا: المدرسة وتنمية القراءة الالكترونية لدى الأطفال

تستطيع المدرسة تنمية القراءة الالكترونية لدى الطفل في المدارس الابتدائية من خلال تزويد المكتبة بالبرامج الالكترونية المناسبة، واستعرض المؤلف أهم الأساليب التي يجب أن تستخدمها المدرسة لتحقيق هذا الهدف، وهي:

- توعية الأطفال بأهمية الكتاب الالكتروني، وضرورة القراءة في حياتهم.

- عدم تقديم الحلول الجاهزة للأطفال؛ بهدف تحفيزهم على التفكير والبحث بأنفسهم عن الحلول من خلال القراءة والاطلاع.
- تنمية الرغبة في السؤال والاستطلاع لدى الطفل، وإرشادهم إلى ما يساعدهم في جعل أفكارهم إبداعية.
- توعية الأطفال بالواقع الذي يعيشونه والمحيط الذي حولهم.

سابعا: تطوير مكتبة الطفل إلى مركز مصادر التعلم

يتطلب تطوير المكتبة المدرسية إلى مركز مصادر التعلم الخروج بها عن المفهوم التقليدي إلى مفهوم الفكر التربوي المعاصر، الذي يجعل التعلم الذاتي المنطلق الأساسي في التجديد التربوي في ظل التغيرات المتلاحقة في جميع مجالات الحياة. وأكد المؤلف على ضرورة تنوع المواد التعليمية في مصادر التعلم انطلاقا من بعض الحقائق التربوية، وأهمها ما يأتي:

- استثمار جميع حواس الطفل في تنمية قدراته على التفكير والتخيل، من خلال استخدام المواد التعليمية المقروءة والمسموعة إلكترونيا مما يساعد في بناء شخصية الطفل.
- استخدام المواد السمعية والبصرية يحفز الأطفال ويزيد من إقبالهم على القراءة الحرة، وغالبا ما يطلب الطفل الاطلاع على الكتب المطبوعة بعد مشاهدتها مبرمجة إلكترونيا.

الفصل الرابع: «قصص وكتب ومجلات الأطفال الإلكترونية»، واشتمل على ثلاثة مباحث هي:

أولا: قصص الأطفال الالكترونية.



ثانيا: كتب الأطفال الالكترونية.

ثالثا: مجلات الأطفال الالكترونية.

أولا : قصص الأطفال الالكترونية

تظهر الحاجة إلى استخدام القصص المبرمجة إلكترونيا؛ لأن الطفل يبقى بعد دخوله المدرسة فترة من الزمن لا يستطيع الاعتماد على نفسه في قراءة القصة، ومتابعتها بشكل إلكتروني فيه الكثير من المتعة والإغراء والسهولة للطفل.

مواصفات قصص الأطفال المبرمجة :

- أن تتميز برمجتها بالمتعة والتشويق من حيث الحركة والصور والصوت، والحوار والألوان والإخراج الجيد.
- أن تتضمن القصة المبرمجة مواقف وأفكارا تجذب انتباه الطفل.
- أن تكون القصة سهلة الأسلوب في كلماتها، وعباراتها حتى يتمكن الطفل من متابعتها بنفسه.
- أن تكون القصة قصيرة حتى لا يمل الطفل.

متطلبات عرض القصة الإلكترونية

يتطلب عرض القصة الالكترونية من المعلم اتباع ما يأتي:

- عرض ملخص سريع لمضمون القصة قبل عرضها إلكترونيا؛ بهف التعرف على أحداثها وشخصياتها بشكل موجز قبل التفصيل.
- عرض ملخص القصة بأسلوب أسهل ولغة أقرب إلى فهم الطفل قبل أن يشاهدها إلكترونيا.

- إذا كانت القصة تشتمل على حيوانات أو أشياء يألفها الطفل، فيُفضَّل عرض نماذج صور أو مجسمات أو رسومات قبل العرض الالكتروني.
- إذا لوحظ حركة الأطفال أثناء العرض الالكتروني يجب التوقف عن العرض، ثم استئناف العرض في وقت لاحق؛ لأن هذه الحركة غالبا ما تدل على ملل الأطفال بسبب طول العرض.

توظيف عرض القصة الالكترونية

- يستطيع المعلم مناقشة الأطفال في وقائع القصة وطرح الأسئلة عليهم، بهدف تركيز الأطفال واستيعابهم لما يدور في القصة، من أمثلة ذلك: ما اسم شخصيات القصة؟ من فعل كذا؟ كيف عرفت ذلك؟ أين حدث ذلك وكيف؟
- تدريب الأطفال على تقمص شخصيات القصة التي أعجبتهم، ويتم بذلك محاكاة الشخصيات في الحركة والصوت والأداء.
- من الأفضل إعادة عرض القصة على الأطفال على فترات متباعدة؛ لاختلاف الفروق الفردية بين الأطفال في استيعاب أحداث القصة.
- يحفز الأطفال على التركيز أثناء العرض عن طريق تشجيعهم على سرد القصة بأنفسهم بعد مشاهدة العرض، ومكافأة أفضل طفل بهدية.

ثانيا : كتب الأطفال الإلكترونية

الكتاب الالكتروني هو مصطلح يستخدم لوصف نصوص مشابهة للكتاب المطبوع، لكنها في شكل رقمي يُعرض على شاشة الكمبيوتر،



ويمكن توظيف الكتاب الإلكتروني في مدارس الأطفال في عـدة أمـور، أهمها ما يأتي:

- قراءة واستيعاب المقررات الدراسية أو القراءات الخارجية المرتبطة بالمناهج الدراسية.
- القراءة الحرة بهدف التثقيف الذاتي.

وتعرّض المؤلف لمميزات الكتاب الإلكتروني، وأهمها ما يأتي:

- إمكانية تحكم الطفل في الصوت، وحجم الخط الذي يُعرض على الشاشة.
- يمكـن للطفـل طلـب القـراءة بصـوت عـال، أو شـرح بعـض المفردات، أوتقسيم المفردات على مقاطع ليسهل نطقها.
- مساعدة الطفل المعاق، الذي يجد في الكتـاب الإلكتـروني عونـا كبيرا؛ إذ تتوفر فيه إمكانية القراءة وفقا لاحتياجاته الفردية.

مواصفات الكتاب الإلكتروني الجيد

- قابلية المادة التي يشتمل عليها الكتاب الإلكتروني للقراءة، بحيث يتمكن الطفل من مشاهدة المادة المقروءة واستيعابها، فيقرأ بسرعة ويستوعب المادة بشكل جيد.
- أن تتميَّز موضوعات الكتاب بإثارة التفكير لـدى الطفـل، فيصـبح وسيلة تربوية فعالة.
- جـودة الرسـوم والصـوت والصـور، الـتي تلعـب دورا كـبيرا في توضيح مادة الكتاب الإلكتـروني، ممـا يزيـد مـن شـغف الطفـل بالقراءة.

معايير اختيار كتب الأطفال الإلكترونية

- صحة ودقة المعلومات الواردة في الكتاب.
- موضوع الكتاب الإلكتروني يجب أن يمتاز بالتشويق والفائدة للطفل.
- أسلوب الكتاب يجب أن يتميز بالوضوح والسلاسة، فتكون مفرداته اللغوية مألوفة، وموضوعه سهل الاستيعاب على الأطفال.

ثالثا : مجلات الأطفال الإلكترونية

مجلات الأطفال الإلكترونية هي أحد أشكال القراءة التي تناسب إيقاع العصر السريع، إذ تشتمل على القصة والمقالة، والأنشطة الذاتية، والصور والرسوم التي تجذب الأطفال، ولمجلات الأطفال دور حيوي في حياة الطفل المعرفية والوجدانية، وتتمثل في الآتي:

- إتاحة الفرصة للأطفال للابتكار، عن طريق المسابقات التي تجريها المجلات الالكترونية في المجالات الثقافية، والأدبية والفنية، ونشر مساهمات الفائزين.
- استثمار أوقات فراغ الأطفال بما يعود عليهم بالفائدة، بشكل يجمع بين الترويح والمتعة والاستفادة.
- تنمية المفردات اللغوية لدى الطفل، مما يساعده في التعبير عن نفسه، واستيعابه لكل أنواع الاتصال المكتوبة والمسموعة والمرئية.



واقع مجلات الأطفال الإلكترونية في العالم العربي :

- عدم الاهتمام بإنتاج مجلات إلكترونية تشتمل على موضوعات تناسب اهتمامات الطفل العربي، ولا توجد مؤسسات تربوية معنية بهذا الشأن، وجميع المجلات الإلكترونية الموجودة في الساحة تعتمد على القصص المصورة والمترجمة، مع عدم مراعاة خصوصية الطفل العربي.
- يغلب طابع الترفيه والتسلية على المجلات المطبوعة أكثر من الجانب التربوي والتثقيفي، وبذلك تتجاهل هذه المجلات غرس القيم الأخلاقية والاجتماعية، سعيا وراء جذب الأطفال وزيادة المبيعات.
- تستخدم بعض المجلات اللهجات المحلية، ولا تستخدم الفصحى، مما يقلل انتشارها في أرجاء الوطن العربي.
- لا توجد مجلات للنشء في مرحلة المراهقة، رغم أهمية وخطورة هذه المرحلة.
- لا توجد مجلات لأطفال ما قبل المدرسة (رياض الأطفال ، من ٣-٦) سنوات
- الأطفال يكونون حوالي ٤٠% من سكان العالم العربي، والمجلات المطبوعة أو الإلكترونية لا يتناسب عددها مع هذه النسبة الكبيرة للأطفال.
- الملحوظ على الكاتب أنه يطلق أحكاما قطعية مع أنه لم يدعم هذه الأحكام بأي إحصاءات أو أرقام، إذ توجد بعض المجلات

المعنية بمرحلة المراهقة ، ومرحلة رياض الأطفال، فكان الأولى ألا يطلق أحكاما قطعية ولكن يشير إلى قلة هذا المجال، والحاجة إلى تكثيف الجهود فيه.

الفصل الخامس : «الفهم والسرعة في القراءة»، ويشمل مبحثين، هما:

- الفهم في القراءة الإلكترونية.
- السرعة في القراءة الإلكترونية.

إذا لم يتحقق عنصرا الفهم والسرعة في القراءة الإلكترونية فقدت القراءة ميزتها، فلا جدوى بقراءة بدون فهم، ولا جدوى أيضا من قراءة تهتم بالتفاصيل وتكون بطيئة جدا، تستغرق الكثير من الوقت والجهد.

أولا : الفهم في القراءة الإلكترونية

عناصر الفهم في المادة المقروءة

- فهم المعنى اللفظي: بأن يكون لدى الطالب الحصيلة اللغوية الكافية من الكلمات، وأن تكون لديه القدرة على فهم المقروء على الرغم من وجود بعض الكلمات الغريبة التي لم يصادفها من قبل.
- إدراك الهدف من المواد المقروءة: القارئ الجيد يستطيع إدراك أهداف الكاتب، وهل يقصد إقناع القارئ برأي معين؟ أم مجرد جمع المعلومات، ويجب أيضا تدريب الطالب على نقد ما يقرأ من خلال خبراته السابقة، وألا يحكم على فكرة أو موضوع إلا بعد فهمه فهما جيدا.



من أهم قدرات الفهم

- القدرة على التصفح: وهو نوع سريع من القراءة، فيحاول القارئ أن يدرك نوع الموضوع الذي يقرؤه، ولهذه السرعة فائدة كبيرة حيث توفر الوقت لأنه يتجاهل الأفكار التي لا تهمه، ويركز على المهم فيقرؤه بالتفصيل.
- القدرة على الاستيعاب: مثل القدرة على فهم معاني الكلمات، والقدرة على معرفة الأفكار الرئيسة والفرعية، والقدرة على تنظيم عناصر المادة المقروءة.
- القدرة على التذكر: فيحتفظ الطالب في ذاكرته بالمواد المقروءة المرتبطة بالمناهج الدراسية وبالأنشطة التربوية.
- القدرة على معرفة المعنى الإجمالي: فيتمكن القارئ من الوصول إلى الفكرة العامة للموضوع، وهذا النوع من القراءة غالبا ما يتميز بالسرعة، لأن القارئ لا يهتم بالتفاصيل.

الفروق الفردية بين المتعلمين في مستويات الفهم

يجب على المعلم أن تعرف على مستوى الفهم لدى كل طالب حتى لا يكلف الطالب المتأخر قرائيا بقراءة موضوعات أعلى من مستوى فهمه. ويتوقف مستوى فهم المتعلم على عدة عوامل، أهمها ما يأتي:

- الذكاء ومستوى الفهم.
- الحصيلة اللغوية.
- التجارب والخبرات الشخصية.

وتناول المؤلف قضية صعوبات الفهم التي تواجه المتعلمين، وأهم معوقات القدرات الخاصة بالفهم هي:

- عدم القدرة على تحديد مكان المعلومات التي سبق قراءتها، والاحتفاظ بها في الذاكرة.
- عدم القدرة على استخدام مصادر التعلم المطبوعة وغير المطبوعة المرتبطة بالمناهج الدراسية أو المرتبطة بالقراءة الحرة. فلا يستطيع الطالب الوصول إلى المعلومات داخل المكتبة، ولا يعرف استخدام الفهارس، ودوائر المعارف والقواميس.
- اكتساب مهارة تنظيم المادة المقروءة، فيعجز الطالب عن تحديد الأفكار الرئيسة والفرعية، وتصنيف الأفكار الواردة في الموضوع، وإعداد قوائم بالحقائق الواردة.

ثانيا : السرعة في القراءة الإلكترونية

اتساع المدى البصري في القراءة السريعة يؤدي بالقارئ أن يدرك مجموعة من الكلمات في الوقفة الواحدة للعين، وبالتالي تزداد سرعة القراءة وسرعة استيعاب المقروء، ويجب أن يدرب المعلم تلاميذه على السرعة في القراءة حتى يستطيع أن يلاحق برامج القراءة الإلكترونية.

وهي لا تعتمد على الفهم فحسب بل تتأثر بعوامل أخرى، منها: مستوى ذكاء المتعلم، وحالته النفسية والصحية، ومدى خبراته السابقة.

المهارات الأساسية في القراءة السريعة

نمو مهارات القراءة السريعة يجب أن يكون نموا صحيحا، وليس المهم أن يكون النمو سريعا، لأن السرعة في النمو ليست دليلا على



النجاح في تعلم القراءة، وربما يبدأ الطفل بتعلم القراءة غير معتمد على أصول صحيحة ثم لا يكون قارئا جيدا في المستقبل، وفي هذه الحالة يحتاج إلى مجهود كبير لتصحيح المهارات الخاطئة التي اكتسبها.

ومن أهم المهارات التي يجب أن يتقنها الطفل ما يأتي:

- القدرة على القراءة مع الفهم والاستيعاب.
- القدرة على تمييز أشكال الكلمات.
- القدرة على تحليل الكلمة إلى مقاطع وأصوات.
- القدرة على جمع الكلمات لتكون وحدة فكرية.

الفصل السادس: «القراءة الإلكترونية وعلاج مشكلات القراءة في رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية»، واشتمل على خمسة مباحث هي:

- تشخيص مشكلات القراءة.
- ضرورة اختبارات علاج مشكلات القراءة.
- الفروق الفردية في القراءة الإلكترونية.
- خطوات البرنامج العلاجي لمشكلات القراءة الإلكترونية.
- مواصفات البرنامج العلاجي للقراءة الإلكترونية.

تشخيص مشكلات القراءة

اقترح المؤلف خطوات لتشخيص حالات التأخر في القراءة، وهي:

- التعرف على قدرات الطفل: فالأطفال المتساوون في العمر لا يتعلمون مهارة القراءة في وقت واحد؛ لذا يجب على المعلم أن يتعرف على قدرات الأطفال.

- البدء في تنفيذ البرنامج العلاجي: يبدأ المعلم في البرنامج العلاج حين يجد الطفل مستعدا لذلك ، ويجب تجاهل أخطاء الطفل والتركيز على مدحه وتشجيعه.

- اختيار البرامج القرائية المناسبة للعلاج: فتتميز بالسهولة في فهمها، وأن تكون الموضوعات قصيرة، وأن يتم عرضها على الطفل بدون إجبار أو إلزام.

- تطبيق التدريبات العلاجية، مثل: تدريبات لعلاج عيوب الطفل في القراءة الجهرية وتدريبات لعلاج عيوب الطفل في القراءة الصامتة.

الفروق الفردية في القراءة الإلكترونية

أكّد المؤلف على أهمية أن يراعي المعلم العلاقة بين قدرة الطفل على القراءة الإلكترونية وبين مستوى ذكائه، وحدد نوعيات الأطفال المتأخرين في القراءة، ومنها:

- الطفل الذي يعني من صعوبة في النطق والكلام.

- الطفل الذي يعاني من أمراض عصبية.

- الطفل صاحب القدرات العقلية المحدودة.

- الطفل المضطرب انفعاليا.

والمعلم الجيد هو الذي يهيئ لكل طفل من ذوي الحالات السابقة الجو المناسب لكي يكتسب مهارات القراءة الإلكترونية الصحيحة. وتكييف الطرق والمواد القرائية لتناسب الفروق الفرية بين الأطفال هي إحدى المشكلات التربوية.

ومن الصعب أن يقوم المعلم بمعالجة مشكلات القراءة عند جميع الأطفال في وقت واحد، ومن هنا اقترح المؤلف أن يقوم المعلم بإعداد برامج تشخيصية وعلاجية لكل طفل على حدة، ويستطيع كل طفل استخدام هذه البرامج بنفسه.

واقتراحات المؤلف جيدة لكنها بعيدة عن أرض الواقع فالمعلم في العالم العربي يتم إعداده بشكل هزيل في مراحل الدراسة ويخرج إلى ميدان العمل وهو عاجز عن معالجة مشكلات الطلاب الأساسية والبسيطة، فكيف بهذا النوع من مشكلات التأخر في القراءة؟

خطوات البرنامج العلاجي لمشكلات القراءة الإلكترونية

- وضع خطة علاجية لحالة كل طفل: وتقوم هذه الخطة على إدراك السمات العقلية والجسمية لكل طفل، ومن هنا يجب التخطيط لكل حالة بمفرها، حتى تنجح في التغلب على نواحي الضعف.
- اشتمال خطة العلاج على أساليب متنوعة، فالخطة العلاجية الجيدة تتضمن عدة أساليب، مما يجعلها جذابة للطفل، مع مراعاة ألا يحدث التنوع إرباكا للطفل.
- خطة العلاج وتشجيع الأطفال، يشعر معظم الأطفال المتأخرين في القراءة بالإحباط ، ويرافق هذا الإحساس عدم الثقة بالنفس، ومن مسؤوليات المعلم الأولى تشجيع الطفل، وزيادة ثقته بالنفس مما يجعل الخطة العلاجية أنجح.

الفصل السابع : الألعاب الإلكترونية وعلاج العسر القرائي

تعرض المؤلف لتعريف العسر القرائي وهو اضطراب يصيب الأطفال يؤدي إلى فشلهم في المهارات اللغوية اللازمة للقراءة والكتابة، وتهجي

الحروف والكلمات؛ بمعنى أنه نوع من التخلف القرائي يصيب بعض الأطفال في المرحلة الابتدائية. أما مؤشرات العسر القرائي فأهما ما يأتي:

- يلاحظ المعلمون أن تحصيل هؤلاء الأطفال للقراءة الجهرية أقل من عمرهم العقلي.
- يميل الأطفال إلى إبدال حرف مكان الحرف الأصلي في الكلمة، مثل: (قفص- قصف).
- يعانون من شرود في الذهن، والعجز عن الانتباه المتواصل.

وأشار المؤلف إلى أهمية التدخل العلاجي المبكر الذي يساعد في تحسين مستوى الأطفال، ويعتمد بعض المعلمين على الألعاب الإلكترونية في التحقق من مدى فعالية هذه الألعاب في تنمية تحصيل مهارات القراءة لدى الأطفال.

- هذه الفئة من الأطفال لا تعاني من نقص في القدرات العقلية، بل تنقصهم الرعاية التربوية الجيدة.

الفصل الثامن: القراءة الإلكترونية وبرامج التعلم الذاتي والبحث

برامج المكتبة المدرسية والتعلم الذاتي

التعلم الذاتي هو أن يعلم الفرد نفسه من خلال استخدام مصادر التعلم المتنوعة، وأشار المؤلف إلى أهمية التعلم الذاتي لاسيما في عصرنا هذا عصر انفجار المعلومات، وإلى دور المعلم في تعميق عملية التعلم الذاتي من خلال تقليل التلقين والاعتماد على المناقشة، والحوار وتدريب الطلاب على حل المشكلات ،وجمع المعلومات من المصادر الإلكترونية والمطبوعة المختلفة.



كما ناقش المؤلف دور المكتبة المدرسية في التعلم الذاتي، فلها أدوار حيوية في نشر الوعي القرائي، ولا يتم التعلم الذاتي إلا بتدريب الطلاب على استخدام مصادر المعلومات المختلفة المطبوعة والإلكترونية، التي تشتمل عليها المكتبة، ومن خلال تعامل الطالب مع مصادر المعلومات الإلكترونية يدرك أن الكتاب المدرسي ما هو إلا واحد من مصادر شتى، وأن الاقتصار عليه لا يعطيه المعرفة الكافية.

وباستخدام مصادر المعلومات الإلكترونية ينمو لديه الحس النقدي، لاسيما إذا قرأ أكثر من مصدر حول نفس الموضوع فيوازن بين الآراء المختلفة، ويدرك وجهات النظر المتعددة حول نفس الموضوع. وأيضا تنمو لديه مهارة التعلم الذاتي ومواجهة ما يعترضه من مشكلات دراسية عن طريق تنويع مصادر المعلومات التي يعتمد عليها ويجيد استخدامها.

برنامج القراءة الإلكترونية وتنمية مهارة البحث

يلحظ أن المؤلف في هذا الجزء أسهب في الحديث عن نقاط كثيرة ليست في صلب الموضوع، كما أنها من الأبجديات التي لا حاجة لذكرها، مثل:تعريف البحث، وأهمية البحث، وأهداف البحث، كما تحدث عن أدوات البحث: مثل، المقابلات الشخصية والاستبيان وأنواعه، والملاحظة والتجربة وأنواعها، ولم يوضح ما صلة كل هذه الأدوات بالقراءة الإلكترونية، كما تحدث عن مراحل كتابة البحث، من تحديد الموضوع، وتجميع المعلومات، وتدوين الملاحظات، وكتابة البحث، ولم يوضح بشكل تفصيلي صلة كل مرحلة بالقراءة الإلكترونية، فهذه المراحل معروفة في كتابة البحث العلمي فما الجديد الذي أضافه المؤلف؟

وأكّد على أن ورقة البحث هي تغطية شاملة لموضوع معين، تعبر عن وجهة نظر الكاتب، ويتم تدريب المتعلم في كتابة البحث على الاعتماد على مصار المعلومات المختلفة.

الفصل التاسع : القراءة الإلكترونية ومهارات النشاط العقلي في المدرستين الإعدادية والثانوية

مهارة التفكير العلمي وحل المشكلات

يستطيع المعلم تنظيم وإعداد أنشطة مبرمجة إلكترونيا تلبي حاجات الطلاب في هذا المجال، وعلى المعلم مراعاة بعض التوجيهات أثناء تطبيق الأنشطة، منها:

- تدريب الطالب على النظر في المشكلة المطروحة إلكترونيا من جميع الجوانب.
- يطرح المعلم آراءه التي قد تكون موضع نقد أو تعليق أو فحص من جانب الطالب.
- منح الطالب ما يحتاجه من وقت للتفكير، وجمع الأدلة من خلال استخدام البرامج الإلكترونية العلمية.
- تدريب الطالب على المقارنة بين النتائج التي وصل إليها، والنتائج التي اشتملت عليها بعض البرامج الإلكترونية المرتبطة بالموضوع.

مهارة التفكير الابتكاري

أشار المؤلف إلى أن بعض الشركات والمؤسسات قامت بإنتاج برامج إلكترونية على اسطوانات مدمجة تشتمل على برامج تهدف إلى تنمية التفكير الابتكاري بحيث يستطيع الطالب استخدامها، وتناول أهم العناصر الأساسية في برنامج التفكير الابتكاري، ومنها ما يأتي:



- تحديد المشكلة التي تتطلب حلا من خلال جمع المعلومات.
- محاولة الوصول إلى المعلومات المجهولة عن طريق مصادر المعلومات المطبوعة وغير المطبوعة.
- توفر الحافز لفهم القراءات الإلكترونية الموجهة تجاه المشروعات.
- التطبيق العملي للأفكار التي تعبر عن الإبداع عن طريق استخدام البرامج الإلكترونية
- التفكير بأسلوب علمي للوصول إلى حلول مناسبة للمشكلة بهدف إضافة أو توسيع نطاق التفكير الابتكاري.

وتحدث المؤلف عن توظيف الأسئلة في تنمية التفكير الابتكاري، فالبرامج الإلكترونية تتضمن موضوعات علمية أو أدبية تسبقها أسئلة تُطرح على الطالب، ويتم تصنيف هذه الأسئلة وفق المستويات الآتية:

- أسئلة المعرفة، مثل اذكر- عرّف – متى؟
- أسئلة الفهم والاستيعاب: يهتم هذا النوع بالتفسير والاستخلاص، مثل (قارن-اشرح-صف- فّسر؟)
- أسئلة التحليل: يهتم بتحليل عناصر المادة المقروءة ،مثل (حلل- اكتشف- لماذا؟) وتتطلب تحديد الأسباب وتوضيح العلل والدوافع، ولا يمكن الإجابة عنها بمجرد الرجوع إلى الذاكرة، بل لا بد من إدراك العلاقات والوصول إلى النتائج.
- أسئلة التركيب: يهتم هذا النوع بالوصول إلى أفكار جديدة ، مثل (اقترح، صمّم؟) وتتطلب هذه الأسئلة أن يبتكر الطالب أفكارا تؤدي به إلى توقعات مبنية على فرضيات.

- أسئلة التقويم: ويهتم هذا النوع بالحكم على صحة المعايير للقراءات الهادفة، مثل (ما رأيك؟ وهل توافق؟ أيهما أفضل).

مهارة التفكير الناقد

أشار المؤلف إلى أن بعض الشركات أنتجت برامج إلكترونية تشتمل على موضوعات وأفكارا ومواقف تعليمية الهدف منها تدريب الطلاب على التفكير الناقد، وتشتمل على أسئلة تثير تفكير الطلاب، ومن أبرز الأسئلة التي تعمل على تنشيط التفكير الناقد ما يأتي:

- الأسئلة التي تدور حول الملاحظة والمشاهة.
- الأسئلة التي تحتاج إلى عقد مقارنات، يمكن استنتاجها من مصادر المعلومات المتنوعة.
- الأسئلة التي تحتاج تفسيرا أو تعليلا.
- الأسئلة التي تحفز على دراسة وجهات نظر الآخرين وتمحيصها.

المناهج الدراسية والتفكير الناقد

تستطيع المدرسة تحفيز التفكير الناقد عند الطلاب من خلال أنشطة قرائية إلكترونية متنوعة، ويرى المؤلف أنه من الضروري إعداد أنشطة تهدف إلى تنمية التفكير الناقد، مثل:

- تدريب الطلاب على التفكير من خلال جمع الأفكار والاستنباط والاستقراء ثم التحليل والنقد.
- تحفيز الطلاب على الاستكشاف وجمع المعلومات لاختبار صحة الفروض التي وضعوها، وبخاصة عند مواجهة نص علمي من خلال البرامج الإلكترونية.



كما وضح المؤلف أساسيات التفكير، إذ يستطيع المعلم تنمية التفكير الناقد من خلال برامج القراءة الإلكترونية التي تشتمل على أساسيات، منها الآتي:

- تصنيف الأفكار وتنظيمها واستخدامها في القضايا العلمية والاجتماعية.
- إدراك تسلسل الأفكار بشكل منطقي، مثل (قبل- بعد- أثناء..).
- استخدام القواعد السليمة في إصدار الأحكام والقرارات.
- قدرة المتعلم على تكوين نظريات أو فرضيات بعيدة عن الشك.
- قدرة الطالب على فهم كيف يفكر الآخرون.

معوقات التفكير الناقد

- التسرع في فهم المواد المسموعة أو المقروءة إلكترونيا.
- التسرع في إطلاق الأحكام.
- البعد عن الموضوعية عند تقييم الموضوعات المقروءة إلكترونيا
- التعصب لرأي أو فكرة معينة.
- مسايرة الاتجاهات الشائعة دون تحكيم العقل.
- التفكير الجامد المحدود (الروتيني).

مهارة التفكير المنطقي

هو الذي يهتم بالمبادئ العامة للفكر الصحيح التي تساعد على الوصول إلى نتائج صحيحة.



وأورد الكاتب بعض الأسئلة التي تساعد المعلم في إدراكه العلاقة بين القراءة الإلكترونية والتفكير، نحو:

- لماذا وكيف يقرأ الطالب المقرر الدراسي؟ وكيف تساعد القراءة الإلكترونية على تنمية اتجاهات التفكير لديه؟
- ما الهدف من القراءة الحرة والتثقيف الذاتي؟

وختم المؤلف هذا الفصل بالتأكيد على أن المعلم الذي يدرك دوره التربوي يكون نموذجا جيدا في تفكيره واتجاهاته الثقافية حتى يكون قدوة لطلابه.

الفصل العاشر: البرامج الإلكترونية والقراءة الحرة في مراحل التعليم العام

تحدث المؤلف عن أساليب القراءة الحرّة، إذ يستطيع المعلمون بالتعاون مع الأسرة من خلال البرامج الإلكترونية اتباع الآتي:

- مناقشة الطلاب فيما يقرأون للوقوف على مدى فهمهم لما اطلعوا عليه في البرامج الإلكترونية.
- تدريب المتعلمين على القراءة الصامتة للبرامج الإلكترونية مع تكليفهم بتحديد فكرة الموضوع المقروء و أهميته.
- تزويد المتعلمين ببرامج إلكترونية تتضمن معاني المفردات الجديدة والتراكيب والأساليب بهدف تنمية المهارات اللغوية.

كما تحدث المؤلف عن أهمية تدريب الأطفال على التعامل مع الألعاب الإلكترونية التي تناسب مستواهم العمري والعقلي.



وتحدث عن الأهداف المرجوة من القراءة الحرة، مثل:

- الأهداف المهارية، نحو: مهارات الفهم والمهارات اللفظية والطلاقة في القراءة الصامتة والجهرية، ومهارات التعبير الشفوي والكتابي.
- الأهداف المعرفية، مثل: مساعدة المتعلم على معرفة أساليب المناقشة، وإدراك الأفكار الرئيسة والفرعية للمادة المقروءة، ومساعدة المتعلم على التفكير المنطقي.
- الأهداف الوجدانية: مثل تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو القراءة، واستثمار أوقات الفراغ.

وحثّ المؤلف على تزويد الطلاب بالكتب الإلكترونية المساندة للمقررات الدراسية، وتحفيزهم على قراءتها.

الفصل الحادي عشر : القراءة الإلكترونية وتنمية مهارات التفكير

يلحظ القارئ وجود تشابه بين هذا الفصل، والفصل التاسع (القراءة الإلكترونية ومهارات النشاط العقلي) فكان الأولى أن يتم دمج الفصلين لوجود عناصر مشتركة مع حذف الموضوعات المكررة.

تحدث الكاتب في هذا الفصل عن استخدام الكتاب الإلكتروني وتنمية التفكير، الذي يعتبر مصدرا من مصادر المعلومات الورقية، لكن تم تخزينه على وسائط ممغنطة، واستخدام المتعلم للكتاب الإلكتروني يساعده على إدراك وفهم الاتي:

- كيف يقرأ المناهج الدراسية؟
- يدرك الهدف من القراءات الحرة والتثقيف الذاتي؟

- يدرك الهدف من القراءات الوظيفية في المدرسة؟

ويستطيع المعلم أو أمين المكتبة أن يركز على القدرات الآتية لدى الطالب من خلال القراءة الإلكترونية:

- القدرة على التحليل: تحليل الجملة إلى كلمات، أو تحليل ما يقرأ من علل ونتائج، ومدى توافق ما يقرأ قراءة إلكترونية مع خبراته الشخصية، يقارن بين الحقائق التي اكتسبها من القراءة الإلكترونية.
- القدرة على التقويم: فيميز المتعلم بين الصواب والخطأ فيما يقرأ قراءة إلكترونية، ويعلق على رأي غيره، أو ينقده.
- القدرة على التركيب: فيستطيع المتعلم من خلال البرامج الإلكترونية أن يكون من الأفكار الجزئية فكرة كلية، ويضع حلولا لبعض المشكلات السلوكية والاجتماعية من خلال ما يقرأ قراءة إلكترونية.

وأشار المؤلف إلى أهمية تدريب المتعلمين على مستويات الفهم، واسترجاع المعلومات استرجاعا إلكترونيا، لذا يجب على المعلمين في جميع المراحل التعليمية استخدام البرامج الإلكترونية في عمليات القراءة.

الفصل الثاني عشر: الإنترنت وتفعيل الخدمات القرائية في المكتبة المدرسية

تحدث المؤلف عن مجالات توظيف الإنترنت في مجال التعليم في المدرسة، مثل:

- أن تتصل المكتبة المدرسية بمراكز البحوث، والمكتبات الأخرى، بهدف تبادل الخبرة.



- تبادل البريد الإلكتروني، وإمكانية توزيع المعلومات بين المكتبات المدرسية.
- الإشارة إلى مواقع علمية وتربوية تهم الطلاب.
- التعرف على المجلات المطبوعة والإلكترونية، واقتناء ما يناسب المكتبة.

واقترح المؤلف ضرورة إنشاء موقع إلكتروني يشتمل على جميع المناهج الدراسية، ويتاح للأطفال في المدرسة الابتدائية، والإعدادية والثانوية، الدخول على الموقع دون مقابل.

وأشار إلى مبررات تطبيق المناهج عبر الإنترنت، أهمها:

- تخفيف العبء على المدارس في إلقاء الدروس.
- مواجهة التغيرات المتسارعة في جميع مجالات الحياة.
- تلبية متطلبات سوق العمل من خريجي المدارس الثانوية، والجامعات.

والغريب أنه أدرج تحت مبررات تطبيق المناهج عبر الإنترنت بعض العناصر التي تعد عقبات في هذا المجال وليست مبررات، مثل:

- قلة المتخصصين في مجالا الانترنت وضعف أغلب المعلمين بالمهارات اللازمة لاستخدام الإنترنت.
- ندرة وجود الفنيين المشرفين على المختبرات ومعامل الحاسب الآلي.

الفصل الثالث عشر : القراءة الإلكترونية ونظام التعليم عن بعد

تحدث المؤلف عن الوسائط التكنولوجية وأهميتها في التعليم عن بعد، في العناصر الآتية:

- إثارة اهتمام الطلاب تجاه التعلم.
- تفعيل النشاط الذاتي والتطبيق العملي.
- استثمار الطلاب لكل حواسه.
- إشباع وتنمية ميول الطالب المعرفية.
- اكتساب المهارات الحياتية.
- توظيف تكنولوجيا التعليم في تنمية مهارات التفكير.

وتحدث عن الحصة المتكاملة ونظام التعليم عن بعد، إذ تقوم المكتبة بدور حيوي في العملية التعليمية، ولاسيما من خلال استثمار برامج التعليم عن بعد، وبذلك تنتقل العملية التعليمية من مرحلة التلقين إلى مرحلة الاستيعاب والفهم، والمقارنة والنقد، ويتم ذلك عن طريق الخطوات الآتية:

- يقوم أمين المكتبة بالتعاون مع المعلمين بالتعرف على توزيع مناهج القراءة على مدار العام الدراسي.
- يطلع معلم المادة أمين المكتبة بكل تغيير يطرأ على منهج مادته.
- يجهز أمين المكتبة المواقع على الإنترنت التي تتناول المعلومات المرتبطة بالمناهج الدراسية.
- يقوم المعلم بتقديم توجيهاته فيما يتعلق بالمواقع التعليمية على الانترنت، التي يمكن للطلاب الاستفادة منها في إثراء المناهج الدراسية.



- يحدد المعلم أهم عناصر المنهج التي يمكن تدريسها عن طريق التعليم عن بعد، على مدار السنة، حتى يتمكن أمين المكتبة أن يحدد المواد التي تساعد على إثرائها من خلال الإنترنت.

- يوجّه أمين المكتبة الطلاب إلى أهم المواقع التربوية على الإنترنت التي يمكنهم الرجوع إليها لاحقا ليحصلوا بأنفسهم على المعلومات التي يحتاجونها.

ثم تحدث المؤلف عن موضوعات أسهب في الحديث عنها في فصول سابقة ، مثل: أهمية القراءة الإلكترونية، والمهارات المكتبية ، وأهدافها، وأهمية التعلم الذاتي وكلها موضوعات مكررة سبق الحديث عنها، فجاء هذا الفصل طويلا دون وجود إضافات جديدة كثيرة.

الفصل الرابع عشر : نماذج الأنشطة التطبيقية في استخدام المتعلمين لمصادر التعلم الإلكتروني

أدرج المؤلف تحت هذا الفصل نماذج لأنشطة يقوم بها المتعلمون، ومنها ما يأتي:

- استمارة مهارة تحليل مصادر التعلم الإلكتروني، فيقوم الطالب بتحليل المصدر من حيث ارتباطه بالمنهج الدراسي أو بالقراءة الحرة، و تحديد الموضوع الذي عالجه المصدر.

- استمارة مهارة النشاط القرائي اليومي، يسجل فيها الطالب نوع النشاط القرائي الذي يمارسه في جماعات النشاط المدرسي، مثل: الإذاعة، جماعة المكتبة..، ويقدم ملخصا لمساهماته.

- استمارة مصادر التعلم الإلكترونية (في الدراسة والتثقيف): يذكر الطالب مصادر التعلم الإلكترونية المتوفرة في المكتبة، وموضوعاتها.
- نشاط قرائي من خلال مصادر التعلم الإلكترونية حول موضوعات مرتبطة بالمنهج الدراسي: يدوّن الطالب موضوع الدرس المرتبط بالنشاط القرائي، ويستخرج العناصر الرئيسية من الموضوع.

خاتمة

من أبرز السلبيات في الكتاب: تكرار الأفكار والموضوعات الذي وقع فيه المؤلف بشكل ملحوظ، مما جعل حجم الكتاب يتضخم، دون اختلاف أو تنوع كبير في المعلومات الواردة، مثل : ما ورد في (ص ١٤٦) المهارات الأساسية في القراءة السريعة، ثم تكرارها تحت عنوان «نمو المهارات الأساسية في القراءة السّريعة (ص ١٤٨)»، ثم تكرارها تحت عنوان «نمو المهارات الأساسية في القراءة السريعة من خلال برامج القراءة الإلكترونية» في نفس الصفحة.

وأخيرًا .. يُلحظ أن الكاتب استعان بكثير من المراجع العربية، ولم يرجع إلى أي كتاب أجنبي مع أن الموضوع الذي تناوله في كتابه موضوع جديد نسبيا، فكان الأولى الرجوع إلى الكتب الأجنبية لأن الخبرة المعرفية للغرب في مجال القراءة الإلكترونية أعمق من الخبرة العربية، كما أن الدوريات والندوات التي استعان بها المؤلف ليست حديثة، بل أغلبها في التسعينيات، والدورية الوحيدة الحديثة نسبيا (٢٠٠١م) مجلة الثقافة النفسية، وكان الأولى به أن يستعين بدوريات جديدة؛ لحداثة الموضوع الذي عالجه في كتابه.



ومن أبرز الإيجابيات في الكتاب:

- أنه ألحق بكل فصل ما أطلق عليه الصندوق؛ وهو تلخيص جيد لأبرز الأفكار والموضوعات التي تم تناولها في الفصل، مما يسهل على القارئ الوصول إلى المعلومات بشكل سريع ومختصر.
- الاستمارات التي أدرجها في أغلب فصول الكتاب، لتكون دليلا ومساعدا للمعلم، وأمين المكتبة في تطبيق الأفكار الجديدة التي تبناها المؤلف.

القسم الثالث:

المقالات



الدراسات الجزيرية المقارنة في العصر الوسيط
أسبابها الثقافية وبواعثها الدينية

أ. د. عبد الرحمن السليمان
جامعة لوفان – بلجيكا
عضو المجمع

١ . تمهيد :

تطلق تسمية «الأدب اليهـودي العـربي» (Judaeo-Arabic Literature) للدلالة على المؤلفـات العربيـة الـتي كتبـها الكتـاب اليهـود في العصـر العباسـي في الدولـة الإسـلامية عمومًـا وفي العـراق ومصـر والمغـرب والأندلس خصوصـاً، والتي تتعلق مواضيعها بالديانة اليهودية وبشرائعها وباللغة العبرية وآدابها من نثر وشعر ومقامـة ومـا إلى ذلـك مـن الأنـواع الأدبية[١].

(١) من المعروف أن اللغة العربية تنتمي إلى أسرة (اللغات السامية) وأن (اللغات السـامية) تنتمي إلى أسرة لغوية أكبر هي أسرة (اللغات السامية الحامية). وتتكـون هـذه الأسـرة اللغوية الكبيرة من لغات استعملتها مجموعات كثيرة من البشر منذ الألفية الثالثـة قبـل الميلاد ولا تزال تستعملها حتى اليوم، وفي منطقـة تمتـد مـن الجزيـرة العربيـة حـتى المغرب، ومـن جنوب تركيـا حـتى إثيوبيـا. أشـهر تلـك اللغـات العربيـة والأكدية والأوغاريتية والفينيقية والآرامية والعبريـة والحبشـية والمصـرية القديمـة والأمازيغيـة. وبما أن تسمية (أسرة اللغات السامية الحامية) أثارت جدلاً واسـعًا لأسـباب لا تتسـع هذه المقالة لذكرها، فقد استبدلت في الأوساط البحثية بتسمية (أسرة اللغات الأفرو-آسيوية). أما نحن فنستعمل تسمية (اللغات الجزيرية) للدلالة هذه اللغات، ونميز بـين (اللغات الجزيرية الشرقية) كناية عن أسرة (اللغات السامية)، وبين (اللغـات الجزيريـة الغربية) كناية عن أسرة (اللغات الحامية). وهذه التسمية ليست لنا، ذلك أن أول مَـن أطلق مصطلَح (اللغات الجزيرية) هو عالِم الآثار العراقي الأستاذ طه بـاقر في كتابـه =

عاش اليهود في ظل الحضارة الإسلامية عيشًا كريمًا، وعرفت جالياتهم في حواضر الدولة لإسلامية بُحبُوحة من العيش ما عرفوها قط في تاريخ شتاتهم بإجماع علمائهم واعترافهم بذلك قبل غيرهم(١)، فتأثروا

= (من تراثنا اللغوي القديم - ما يسمّى في العربية بالدخيل)، حيث يناقش فيه مصطلح (الأقوام السامية) لشلوتزر بناء على سِفر التكوين، فيقول: «ولذلك، فهي [يقصد التوراة] ليست تأريخًا معتَمَدًا. وإذن، فبماذا نسمّي أولئك الأقوام؟ وموجز الإجابة على ذلك أنه بالاستناد إلى الرأي الذي أصبح حقيقةً مُجمَعًا عليها بين الباحثين الآن، وهي إنّ الجزيرة العربية كانت مهد أولئك الأقوام الذين شملتهم تسمية السّاميين وأبرزهم الأكديون والكنعانيون، والعموريون والآراميون والعبرانيون والفينيقيون وغيرهم، فالاسم الصحيح من الناحية التأريخية والقومية والجغرافية هو أن نُطلق عليهم (أقوام الجزيرة) أو (الجزيريين) أو (الجزريين) أو (الأقوام العربية القديمة)، فقد هاجروا من الجزيرة بموجات مختلفة منذ أبعد من العصور التأريخية إلى الأجزاء المختلفة من الوطن العربي، بحيث يَصحُّ القول: إنّ الأصول العربية فيها تَطغى على تركيب سكّانها وعلى لغاتها». (انظر: باقر طه، ١٩٨٠: ١٧).

(١) نقتصر هنا على ثلاث شهادات لاثنين من علماء اليهود عن حياتهم في ظل الحضارة الإسلامية، مأخوذة من كتابين الأول قديم والآخر حديث. ١. الفاسي (١٩٣٦-١٩٤٥)، المجلد الأول، صفحة ٣٧٥: «فمن وقت قامت دولة إسماعيل [= العرب] وجد إسرائيل [= اليهود] راحة كبيرة بما أكنفوهم واستظلوا بظلهم ثم أصابوا سبيلاً للدخول إلى القدس ليصلوا بهذا الهيكل». ومن المعروف أن البيزنطيين كانوا منعوا اليهود من دخول بيت المقدس. ٢. الفاسي (١٩٣٦-١٩٤٥)، المجلد الأول، صفحة ١١: ומאת אלהינו היתה זות כי הטה עלינו חסד לפני מלכות ישמעאל בעת אשר פשטה ידם ולכדו את הארץ הצבי מיד אדום ובאו ירושלים היו עמהם אנשים מבני ישראל הראו להם מקום המקדש וישבו עמהם מאז ועד היום .. «ومن فضل الله علينا أن من علينا بنعمة [ألا وهي] قيام ملك إسماعيل [= العرب]؛ فعندما ظهر نجمهم وفتحوا فلسطين وحرروها من الأدوميين [= الروم] ودخلوا بيت المقدس، كان معهم نفر من بني إسرائيل دخلوا معهم وأروهم المكان المقدس [= الصخرة] واستقروا فيها [= القدس]منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا». ٣. المؤرخ =



- شأنهم في ذلك شأن النصارى المستعربين - كثيرًا بالحضارة الإسلامية وبعلومها بشكل عام، وبالفلسفة والكلام والدراسات اللغوية، خصوصًا تلك المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة الشريفة والفقه والشريعة بشكل خاص، فبدؤوا يدرسون لغاتهم وكتبهم المقدسة متبعين في ذلك مناهج العلماء المسلمين، خصوصًا الكلامية واللغوية منها.

فأخذ السريان الغربيون عن العرب نظام الإعجام والحركات الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي واستعملوه لضبط أصوات السريانية (أما الكلدان فاستعاروا أحرف الأصوات اليونانية وشكلوا بها كتابتهم المعروفة بالسرطو).

= اليهودي أبراهام س. حالكين (**Abraham S. Halkin, 5726/1966**): «وعمومًا فإن الحياة (حياة اليهود) في ظل الحكم الإسلامي كانت أفضل حياة عرفها اليهود في شتاتهم على الإطلاق، وإن اليهودي العادي لم يكن ليشعر بأي تمييز بسبب يهوديته». الصفحة ١١١٧. ويضيف أيضًا (المصدر نفسه، الصفحة ١١١٩): «ونحن إذا استثنينا الأدب العبري الحديث والأدب المكتوب بلغة البيدش - وهما أدبان لهما أسباب تاريخية مخصوصة بهما فلا يمكن إقحامهما في هذا التعميم - فإن الحقبة العربية كانت الحقبة التاريخية الوحيدة التي أنتج تعايش اليهود مع غير اليهود إسهامًا إيجابيًا في الإرث الثقافي اليهودي وكذلك كتبًا وأعمالاً اعترف بها سائر اليهود في أمكنة وأزمان مختلفة، وعملوا بها». وقائمة شهادات علمائهم طويلة، فنكتفي بهذا القدر. أما موقف اليهود من النشاط العلمي في الدولة العباسية فقد لخصه "جاحظ اليهود" موسى بن عزرا كما يلي: «ومع اقتدار هذه القبيلة [= العرب] على المقالة وسعة بيانها في الخطاب، شنت الغارة على كثير من اللغات وعربتها وانتحلتها بظهور الكلمة وعظم السلطان وغلبتها على ملك فارس بخراسان وعلى ملك الروم في الشام وعلى ملك القبط في مصر. فاتسع نطاقها وفشت المعارف في أقطارها وآفاقها وترجمت جميع العلوم القديمة والحديثة وانتحلتها وزادتها شرحًا وبيانًا؛ فما ألف وترجم في ملة من العلوم ما ألف وترجم في هذه الملة بما وهبت من سعة اللغة، ورزقت من فضل الخطاب». موسى بن عزرا (١٩٧٥: ٣٨).

ولا يعتد في هذا السياق بما نقل فؤاد حنا ترزي[١] عـن مقـال لأنـيس فريحة في أثر لغويي السريان في وضع قواعد الصرف والنحو العربيين من كلام مفاده أن الأسقف يوسف الرهاوي الراحل سنة ٧٠٨ للميلاد أسـهم في الدراسات النحوية السريانية ووضع نظام الحركات السرياني ذا النقط، وأن أبا الأسود كان معاصرًا له وأنه أخذ نظام التنقيط والحركات العربيين عنه. وبما أن علم النحو العربي يختلف كثيرًا عن علم النحو اليوناني، فقد اعتبر الكثيرون من الباحثين الأجانب علم النحو علمًا عربيًا أصيلاً نبت في أرض العرب «كما تنبت الشجرة في أرضها»[٢].

ولم يشذّ عن هذا الإجماع إلا المستشرق ميركس الـذي زعـم سـنة ١٨٨٩ أن النحو العربي مؤسس وفق منطق أرسطو.[٣] لم يأخذ أحـد مـن المستشرقين كلام ميركس بعين الاعتبار لسببين اثنين:

الأول: وفاة الخليل وسيبويه قبل نقل منطق أرسطو إلى العربية.

والثاني: قلة التشابه، بل انعدامه، بين النحو العربي والنحو اليوناني[٤].

ولما استحال إثبات التأثير اليوناني المباشر على النحو العربي، افترض بعضهم التأثير غير المباشر عليه أي عن طريق السريان الذين اتصلوا قبـل

(١) انظر: فؤاد حنا ترزي (١٩٦٩:١١٠)

(٢) محاضرات الأستاذ ليتمان. نقلا عن أحمد أمين (بدون تاريخ)، الجزء الثاني، صفحة ٢٩٢-٢٩٣.

(٣) انظر: **Merx A. (1889)**.

(٤) يزعم فؤاد حنا ترزي (١٩٦٩:١١٢) أن تقسيم سيبويه الكلم إلى ثلاثة أقسام يوناني لأن أفلاطون قسم الموجودات إلى ذوات (= أسماء) وأحداث (= أفعال) ولأن أرسطو أضاف إليهما قسما ثالثا هو الروابط (= الحروف). فإذا كان الأمر كذلك، لماذا قسم اليونان ومن بعدهم الرومان ومن بعدهم جميع شعوب أوروبا كلمهم إلى ثمانية أقسام؟!



العرب باليونان وعلومهم. فزعم ميركس أن حنين بن إسحاق كان قد ألف كتابًا في النحو العربي على الطريقة اليونانية، وأن حنين كان معاصرًا للخليل بن أحمد وأن هذا الأخير أخذ عنه .. [(١)] وهذا افتراء لأن مصدرًا واحدًا لم يذكر ذلك غير ميركس الذي لم يذكر في كتابه المصدر الذي أخذ هذه المعلومة المختلقة منه.

لا تتطلب مناقشة هذه الأقوال وتفنيدها كثير جهد لأن الوهن باد فيها، فكلام ميركس عن كتاب لحنين بن إسحاق في النحو العربي على الطريقة اليونانية محض افتراء، وأبو الأسود الدؤلي توفي سنة ٦٨٨ أي قبل وفاة الأسقف يعقوب الرهاوي بعشرين سنة. فلم لا يكون الرّهاوي هو الذي أخذ نظام الحركات عن أبي الأسود؟ ولماذا لم يفعل السريان ذلك، وهم أقدم تدوينًا للغتهم من عرب الشمال، إلا على زمان أبي الأسود الدؤلي؟ إن في نسبة وضع الحركات السريانية للأسقف يعقوب الرهاوي دليلاً على أنه أخذها عن أبي الأسود وليس العكس لأن في هذا التاريخ ما يثبت أن أبا الأسود كان سباقًا في الوضع وأن السريان ما كانوا يفكرون في ذلك قبل أبي الأسود، تمامًا مثل اليهود المسوريين الذين أخذوا نظامي الإعجام والحركات عن العرب في الوقت ذاته (حوالي ٧٢٥)، مع فارق أن اليهود يقرون بذلك بصريح العبارة[(٢)].

(١) انظر: فؤاد حنا ترزي (١٩٦٩: ١١٠).

(٢) قال موسى بن عزرا: «ولما استفتحت العرب جزيرة الأندلس المذكورة على القوط الغالبين على الرومانيين أصحابها بنحو ثلاثماية سنة قبل فتح العرب لها الذي كان على عهد الوليد بن عبدالملك بن مروان من ملوك بني أمية من الشام سنة اثنين وتسعين لدعوتهم المسماة عندهم بالهجرة تفهمت جاليتنا بعد مدة أغراضهم ولقنت بعد لأي لسانهم وتبرعت في لغتهم وتفطنت لدقة مراميهم وتمرنت في حقيقة تصاريفهم وأشرفت على ضروب أشعارهم حتى كشف الله إليهم من سر اللغة =

والآرامية كانت في ذلك الحين اللغة التي كان اليهود يتكلمون بها قبل استعرابهم، فعلى نطقها اعتمدوا في ضبط أصوات نص التوراة الذي توارثوه دون رواية أو إسناد(١)، لأنهم ما كانوا يعرفون وقتها كيف كان نص التوراة يلفظ؛ لذلك اعتمدوا في تشكيلهم النص العبري للتوراة على النطق الآرامي.

ولو كان لدى السريان نظام حركات وقتها لأخذه اليهود عنهم خصوصًا وأن الآرامية كانت اللغة التي يتحدثون بها قبل استعرابهم في القرن الثامن والتاسع الميلاديين. ثم إن من الثابت أن اللغة السريانية تكتب بكتابتين هما كتابة "السِّرطُو" (= السطر) وكتابة "الإسترانجيلو" (= [الكتابة] المستديرة). ومن المعروف أن السريان الذين يستعملون كتابة

= العبرانية ونحوها واللين والانقلاب والحركة والسكون والبدل والادغام وغير ذلك من الوجوه النحوية مما قام عليه برهان الحق وعضده سلطان الصدق على يدي أبي زكريا يحيى بن داود الفاسي المنبوذ بحيوج وشيعته رحمة الله عليه ما قبلته العقول بسرعة وفهمت منه ما جهلت قبل». المصدر: مخطوط ذكره س. مونك (**Munk S. , 1850**) الصفحة ٢٩. وقال اليروشلمي (أديب يهودي من القرن الخامس للهجرة): «وهكذا كانت اللغويون المتقدمون يعتقدون جميعهم الأفعال الثنائية والأفعال الفردية إلى أن ظهر أبو زكريا حيوج رضي الله عنه وأقام الدلايل والبراهين [على] أنه لا يوجد فعل على أقل من ثلاثة حروف، وبين سر الأحرف اللينية والأحرف المندغمة والأحرف المنقلبة فثبت الحق وبطل كل ما سواه! ثم جاء بعده الشيخ المعظم أبو الوليد مروان بن جناح ז"ל وزاد ذلك بيانا ووضوحا». المصدر نفسه الصفحة ٣٢. وكان اللغويون قبل حيوج، مثل سعيد الفيومي والفاسي القرائي صاحب كتاب «جامع الألفاظ» (معجم عبري عربي كبير)، يعتقدون أن الأفعال المعتلة ثنائية الجذور، فشرح حيوج ذلك في كتابه (الأفعال ذات حروف اللين)، وهو مختصر فبسط ذلك مروان بن جناح في (كتاب التنقيح).

(١) انظر: الحاشية رقم ٢٢.



"السِّرطُو" قد شكَّلوها بالحركات اليونانية فأصبحت كتابتـهم خليطًـا مـن حروف جزيرية ساكنة وحروف يونانية صائتة. فلـو كـان للسـريان الـذين يسـتعملون كتابـة "السـرطو" عهـدٌ بحركـات وضـعها إخـوانهم الـذين يستعملون كتابة "الإسترانجيلو"، التي تشكل بالنقط، لأخذوها عنهم بدلاً مـن إقحـام الأحـرف اليونانيـة في أبجديتـهم الجزيريـة الـتي خسـرت خصوصيتها الثقافية بعد ذلك الإقحام(١).

ويذهب أنيس فريحة إلى أبعد من ذلك ويتبعه في خلطه فؤاد حنا ترزي دونما أي تحقيق، فيقارن بين المصطلحات النحويـة السـريانية ومثيلاتهـا العربية، ويخلص إلى نتيجة مفادها أن العرب أخـذوا مصـطلحاتهم عـن السريان لأنها تدل على المفاهيم ذاتها. مثال:

المصطلح السرياني	النقحرة	المصطلح العربي
ܫܡܐ ܕܥܒܕܐ	شِما ذِي عَبْدا	اسم الفاعل
ܡܠܘܬܘܬܐ	مَلُّوثُوثا	الإضافة
ܫܡܐ ܕܙܒܢܬܐ	شِما ذا زَبْنَتا	اسم المرة
ܫܡܗܐ	شُمّاها	الصفة
ܡܠܬܐ	مِلِّثا	الفعل

(١) لعل هذا المزج بين الأبجدية السريانية (السرطو) والأبجدية اليونانية هو الذي أوحى لبعض العرب في النصف الأول من القرن الماضي بمزج كهذا للتوصل إلى حل لمشكل الكتابة والطباعة آنذاك!

إذن يعتبر أنيس فريحة وجود معاني اسم الفاعل والإضافة واسم المرة والصفة والفعل في العربية دليلاً على تأثير النحوي السرياني في النحو العربي لمجرد ورودها فيه! فماذا نقول عن اللغات التي توجد هذه المصطلحات فيها قبل السريان وبعدهم؟ هل نقيس على منطق أنيس فريحة الأعوج ونقول إنها متأثرة بالنحو السرياني؟! هل نقول إن المقابلات اللاتينية للمصطلحات أعلاه (باطراد: participium activum, status constructus, nomen unitatis, adiectivum, verbum) من السريانية أيضًا؟ وهل نقول إنها في الهولندية، على سبيل المثال لا الحصر، من السريانية أيضًا، لأن هذه المصطلحات موجودة في الهولندية أيضًا؟

إن من يزعم زعمًا كهذا مثل مَن يزعم أن كلمة «أم» عربية وجمعها على «أمهات» سرياني بسبب إضافة /الهاء/ في الجمع[1]، ناسيًا أنه لا توجد لغة على وجه البسيطة يستعير أصحابها كلمات بدائية مثل «أب» و«أم» و«أخ» من لغة أخرى، وجاهلاً أن إضافة الهاء في بعض حالات الجمع ظاهرة جزيرية عامة وليست مخصوصة بلغة جزيرية دون غيرها.

(١) الأب رافائيل نخلة اليسوعي (١٩٥٩: ١٧٣). ويرد رافائيل نحلة اليسوعي كلّ كلمة عربية ذات أصل جزيري إلى السريانية لأنها أقدم تدوينًا من العربية. وهذا مذهب فاسد لأنه يقتضي بالمنطق رد جميع الكلمات السريانية ذات الأصول الجزيرية إلى العبرية لأن العبرية أقدم تدوينًا من السريانية! كما يجوز وفقا لذلك المذهب رد العبرية إلى الأكدية وهلم جرًا. والباحث العربي الوحيد آنذاك الذي تفطن إلى هذا الأمر هو الأب أنستاس ماري الكرملي (١٩٣٨: ٦٧) الذي يقول: «ولا تكون الكلمة العربية من العبرية أو الآرامية إلا إذا كانت تلك الكلمة خاصة بشؤون بني إرم أو بني إسرائيل. أما الألفاظ العامة المشتركة بين الساميين جميعًا، فليس ثم فضل لغة على لغة». والكرملي عالم متمكن من مادته إلا أن معظم كتبه قد تجاوزتها الاكتشافات اللغوية والدراسات الجزيرية التي تمت بعد عصره.



ونحن إذا التمسنا العذر للأب رافائيل نخلة اليسوعي صاحب المقولة الأخيرة لأنه رجل دين تراكمت لديه تراكمات ثقافية معينة استغلها في بعض الكتابات الطريفة التي لا يمكن بحال من الأحوال اعتبارها كتبًا علمية لأنه يورد ما تراكم لديه من معلومات «على البركة» دون إعمال للتأمل العلمي ولآليات البحث الجاد في ما يورد، فإننا في الوقت نفسه لا نستطيع فهم الخلط الشديد الذي يأتي به أنيس فريحة ويورده على علاته فؤاد حنا ترزي وهو أستاذ جامعي .. هذا خلط أنتج آراء فاسدة لا يقول بها عالم بأصول علم اللغة المقارن لأنها آراء مبنية على التخمين والأحكام المسبقة وربما الشعوبية المبطنة، مثل تخمين من ظن أن الخليل ابن أحمد الفراهيدي أخذ ترتيبه الصوتي لكتاب العين عن الهنود فقط لأن معجمه لا يعتمد الترتيب الألفبائي المعهود، مثل أبجدية (ديفاناجاري) الهندية التي لا تعتمد الترتيب الألفبائي المعهود أيضًا، وهو التخمين الذي ما تجاوز قط «كونه خاطرة»[١] لم يلتفت إليها أحد لأنها تفتقر إلى أي أساس علمي، فضلاً عن أن معجم الخليل أقدم معجم في التاريخ[٢].

وأخذ أحبار اليهود المعروفون بالمسوريين نظام الإعجام والحركات عن العرب وضبطوا به أيضًا أصوات لغتهم العبرية، مع العلم أنها كانت في ذلك الوقت (القرن الثاني للهجرة) لغة غير محكية، ثم استعاروا مناهج الدراسات اللغوية العربية ودرسوا من خلالها اللغة العبرية، فكانت كتب سعيد الفيومي[٣] ويحيى بن حيوج[٤] ويهوذا بن قريش[٥] ومروان بن

(١) انظر: (**Versteegh K. en Schippers A. 1987: 71**).

(٢) انظر: (**Haywood J. A. (1960**.

(٣) انظر: سعيد الفيومي (١٩٥٨).

(٤) انظر: يحيى بن حيوج (١٨٧٠) و(١٨٩٧).

(٥) انظر: يهوذا بن قريش (١٨٥٧).

جناح القرطبي[١] وابن برون[٢] وموسى بن عـزرا[٣] وغيرهـم مـن كتـاب العهد العباسي، في نحو اللغة العبريـة ولغتـها. ويعتـبر (كتـاب التنقـيح) لمروان بن جناح أهم كتاب نحو في اللغة العبرية اتبع فيه منهج سيبويه في الكتاب والمعجميين العرب في صناعة المعجم. ويتكون (كتاب التنقـيح) هذا من جزئين كبيرين: (كتاب اللمـع) وهـو نحـو وصـفي شـامل للغـة العبرية، و(كتاب الأصول) وهو معجم فسر فيه ابن جناح غريـب التـوراة بما يقابل ألفاظها من العربية (انظر أدناه).

٢ . الدراسات اللغوية المقارنة :

اكتشف بعض علماء العرب، وأهمهم ابن حزم الأندلسي[٤]، وكذلك السريان واليهود المعتمدون على مناهج العرب اللغوية، القرابـة اللغويـة

(١) انظر: مروان بن جناح (١٨٦٦) و(١٨٧٥).

(٢) انظر: موسى بن عزرا (١٩٧٥).

(٣) انظر: ابن برون (١٨٩٠).

(٤) يقول ابن حزم: «إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينًا أن السريانية والعبرانيـة والعربيـة هي لغة مضر وربيعة لا لغة حِمْيَر، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي، وإذا رام نغمة أهل القيروان، ومـن القـيرواني إذا رام نغمة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتها. ونحن نجد مـن سمـع لغـة أهـل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد أن يقول إنها لغة أخـرى غـير لغـة أهل قرطبة. وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتـها تبديلا لا يخفى على من تأمله. ونحن نجد العامة قد بدلت الألفـاظ في اللغـة العربيـة تبديلا وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق. فنجدهم يقولـون في العنب: العينب وفي السوط أسطوط. وفي ثلاثة دنانير ثلثدا. وإذا تعرب البربري فـأراد أن يقول الشجرة قال السجرة. وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هـاء فيقـول مهمدًا إذا أراد أن يقـول محمـدًا. ومثـل هـذا كـثير. فممـن تـدبر العربيـة والعبرانيـة السريانية أيقن أن اختلافهما إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ النـاس علـى =



الواضحة بين العربية من جهة والسريانية والعبرية من جهة أخرى (انظر أدناه)[1]، فوظفوها في دراساتهم اللغوية الوصفية، ووظفها اليهود على الأخص في الدراسات المقارنة بهدف إلقاء الضوء على نصوص التوراة، ذلك لأنهم واجهوا عند درس اللغة العبرية صعوبات كبيرة لأن النص العبري للتوراة كان يعاني في تلك الفترة من معضلتين كبيرتين هما: «فقدان الإسناد في الرواية»[2]، لأن العبرية التوراتية أصبحت لغة ميتة ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد، ولأن النص العبري للتوراة روي منذ ذلك الوقت حتى وقت أبي الأسود الدؤلي بدون إعجام ولا إشكال، الشيء الذي يعني أن أحدًا لا يعرف على وجه الضبط كيف كانت كلماته تنطق، من جهة، والإهمال من جهة أخرى، لأن التوراة أصبحت في القرن الثاني الهجري نسيًا منسيًا لدى جمهور اليهود بسبب طغيان التلمود البابلي عليها.

وقد أدّى هذا الوضع إلى نشوء فرقة لدى اليهود أطلق عليها فيما بعد اسم «القرائيين»، نسبة إلى كثرة «قراءة المقرأ»، أو كتاب العهد القديم.

= طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل». (ابن حزم ١٩٢٩، جزء ١ صفحة ٣٠). وابن حزم من أوائل العلماء الذين انتبهوا إلى عامل القرابة اللغوية بين العربية والعبرانية السريانية وحاولوا تعليلها علميا.

(١) من أهم الكتب التي عالجت هذه القرابة اللغوية في العصر الحديث: **Brockelmann C. (1913)** و**Bergsträsser G. (1995)** و **De Lacy O. (1923)** و**Wright W. & Smith W. (2002)** و **Nöldeke Th. (1964)** و**Moscati S. (1964)** و**Bennett R. P. (1998)**، وهي من أهم الكتب المرجعية في الدراسات الجزيرية.

(٢) مروان بن جناح (١٨٦٦: ٢): «وإنما استسهلوا [أحبار اليهود] ذلك لقراءتهم ما يقرؤون من الفقه ملحونًا ودراستهم ما يدرسون منه مُصحّفًا وهم لا يشعرون وذلك لعدمهم الرواية وفقدهم الإسناد» (التأكيد من عندي).

أسس هذه الفرقة في بغداد عنان بن داود الذي ظهر زعيمًا للفرقة أيام أبي جعفر المنصور المتوفي سنة ١٥٨ هجرية (٧٧٥ ميلادية)[(١)].

وتركز نقد عنان لأحبار اليهودية في مسائل كثيرة أهمها رفضه كتاب التلمود (التلمودين البابلي والمقدسي) واعتباره إياه بدعة ابتدعها الحاخامات ونسبوها إلى موسى عليه السلام، ومطالبته جمهور اليهود بالعودة غير المشروطة إلى كتاب العهد القديم مصدر الديانة اليهودية الوحيد حسب قوله[(٢)].

ثم أدت حركة القرائين اليهود التي أسسها عنان[(٣)] هذا، إلى الاهتمام بأسفار العهد القديم، فقام المسوريون، وهم من القرائين، بإدخال نظامَي الإعجام والإشكال في عبرية العهد القديم معتمدين في ضبط نطقه على الآرامية اليهودية، وهي الآرامية التي دون كثير من الأدب اليهودي بها، والتي كان اليهود يتكلمون بها قبل استعرابهم بداية العصر العباسي كما تقدم.

انتشرت فرقة القرائين انتشارًا واسعًا بين جمهور اليهود، وكادت أن تطغى على التلموديين حتى قام الحاخام المتكلم سعيد بن يوسف الفيومي وبدأ بمجادلة القرائيين معتمدًا في ذلك على مناهجهم العقلية

(١) القرقساني (١٩٣٩)، المجلد ١، الصفحة ١٣.

(٢) كل المعلومات الواردة في هذا المقال بخصوص القرائين اليهود مأخوذة من الكتابين التاليين: القرقساني (١٩٣٩) وإبراهيم بن دواد (١٩٦٩).

(٣) شكا اليهود التلموديون عنان إلى الخليفة الذي أودعه السجن بتهمة الهرطقة. ويقول القرقساني (المصدر ذاته) أنه التقى في السجن بالإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه، الذي أشار عليه بلقاء الخليفة أبي جعفر المنصور وشرح معتقده له، وهو ما تم بالفعل حسب رواية القرقساني فعفا المنصور عنه وأطلق سراحه. وتعرف فرقته في المصادر الإسلامية باسم (العنانية). انظر أيضًا جعفر هادي حسن (١٩٨٩).



التي أخذوها عن متكلمي المسلمين وخصوصًا المعتزلة منهم. فترجم سعيد العهد القديم إلى العربية ترجمة فسر فيها التشبيه الوارد في التوراة تفسيرًا مجازيًا، وعالج تلك المشاكل العويصة في النص التوراتي معالجة عقلانية، وفسر غريب التوراة من العربية والسريانية، فكانت دراساته الكلامية حلاً وسطًا بين جمهور اليهود الذين يثبتون التشبيه، والقرائين الذين ينفون التشبيه نفيًا مثل نفي المعتزلة، وأتت دراساته اللغوية بمثابة الأساس لتقليد علمي بلغ أوجه في الأندلس في القرنين الحادي عشر والثاني عشر.

وقد أدّى إلى ظهور علوم اللغة عمومًا وعلم اللغة المقارن خصوصًا عند اليهود المستعربين عاملان اثنان. العامل الأول هو استعراب اليهود في الحواضر الإسلامية واكتشافهم القرابة اللغوية بين العبرية من جهة، والعربية - التي أصبحت لسانهم - والآرامية التلمودية - التي هي لغة «الترجوم» ولغة شروح تلمودهم - من جهة أخرى. والعامل الثاني هو ضرورة شرح غريب التوراة والنادر فيها. ويقصد بغريب التوراة، ما يعرف في الدراسات التواراتية بـ hapax legomena[(١)]، وهو مصطلح يوناني الأصل يشار به إلى الألفاظ المفردة التي وردت مرة واحدة أو أكثر في أسفار العهد القديم، والتي لا يُعرف معناها على وجه التحديد. فقام علماؤهم الذين أوتوا نصيبًا كبيرًا من الثقافتين العربية واليهودية بالإشارة إلى هذه القرابة اللغوية كما تقدم، واستغلالها لشرح ما غمض معناه من التوراة (انظر أدناه).

---

(١) من اليونانية (**απαξ λεγομενον**). وفي العبرية: **אין לה אב או אם** "[الكلمة التي] ليس لها أب أو أم، أي اللفظة اليتيمة أو المفردة.
انظر كتاب: **(24 : 1950) .Prijs L**.

لكن إشاراتهم على كثرتها وأهميتها اللغوية بقيت تدور حول شرح غريب التوراة من العربية كما فعل سعيد بن يوسف الفيومي في (كتاب السبعين لفظة المفردة) الذي أفرده لهذا الموضوع، وهي المفردات النادرة في التوراة والتي شرحها الفيومي من عبرية المشناة - مجادلاً بذلك أتباع فرقة القرائين اليهود الذين لا يعترفون بالمشناة وهي سنة اليهود التي جمُعت في القرن الأول للميلاد - ومن العربية كما فعل قبله يهوذا بن قريش في رسالته المهمة.

إذن كان الباعث الأكبر على بدء الدراسات اللغوية المقارنة هو تفسير ذلك الكم الكبير من الكلمات المجهولة المعاني في أسفار العهد القديم، والتي لا سبيل إلى تفسيرها إلا بمقارنتها بالعربية لكونها اللغة الجزيرية الوحيدة الحية التي تحتوي على معجم شامل كبير يضم بين مفرداته معظم الأصول الجزيرية الأصلية إن لم يكن كلها. ونحن لا ندري على وجه الدقة من انتهج هذا المنهج في البداية إلا أن المؤلفات التي تناهت إلينا تشير إلى أن يهوذا بن قريش (القرن التاسع الميلادي) وسعيد بن يوسف الفيومي (٨٩٢-٩٤٢)، أول من مارس علم اللغة المقارن(١) ضمن أصول

---

(١) كان الغربيون إبان تخلفهم في العصور الوسطى يعتقدون أن كل لغات البشر مشتقة من اللغة العبرية. وعندما تعرفوا على اللغتين الجزيريتين المعروفتين آنذاك، وهما العربية والسريانية، ورأوا كم هما قريبتان من العبرية، زعموا أن العربية والسريانية أكثر البنات وفاء للأم التي أنجبتهما .. وأما اللغات التي لا تمت إلى العبرية بصلة، فقد اعتبروها اللغات الأبعد من اللغة الأم، وبحثوا فيها جاهدين ومجتهدين في إيجاد تشابه بين كلماتها والكلمات العبرية، وتعلقوا بالتشابه الصوتي، مهما كان بعيداً، بين كلمات تلك اللغات والكلمات العبرية وذلك بهدف إثبات القرابة منها. وهكذا زعم الإنكليز في الماضي أنهم «بنو العهد»، عهد الله مع بني إسرائيل، مضيفين أنهم القبيلة اليهودية الثانية عشرة الضائعة، وصلت بقدرة قادر إلى جزيرتهم، وتكاثرت فيها. =



علمية واضحة، لذلك سوف أتوقف عند كتابيهما والأسباب الباعثة على تأليفهما، وكذلك عند كتب ابن جناح وابن برون.

١,٢ . الرسالة ليهوذا بن قريش

وكان يهوذا بن قريش، وهو حاخام يهودي عاش في مدينة تاهرت في الجزائر في القرن التاسع أو العاشر الميلادي، أول من أفرد رسالة خاصة من حوالي مائة ورقة يقارن فيها بين اللغة العبرية والآرامية والعربية، إلَّا أنه كان شديد الإيجاز في عرضه المادة وشرحها، فكان لا يشرح إلَّا النادر والغريب من الألفاظ فقط. ونسج يهوذا بن بَلعَم (القرن الحادي عشر) على منواله ووضع ثلاث رسائل في علم اللغة المقارن إلا أن أكثرها ضائع.

وكان يهوذا بن قريش كتب رسالته باللغة العربية ولكن بالحرف العبري، وموضوعها هو مقارنة المادة اللغوية العبرية الموجودة في التوراة بما يجانسها تأثيليًا من السريانية والعربية بهدف شرح غريبها كما تقدم. ولفهم غرض الكاتب منها أنشر مقدمة رسالته كاملة مشيرًا إلى أن ابن قريش كان يكتب بلغة عربية متوسطة (بين الفصحى والعامية) وهو ما يبدو من الأخطاء الكثيرة التي تميز أكثر كتابات الأدب اليهودي العربي:

= وليس من تفسير لهذا الوسواس إلا التشابه الصوتي في بعض الكلمات، وهو تشابه مرده إلى الصدفة وليس غير ذلك. والصدفة في هذا الشاهد هي أن **British** تشبه – صوتيًا – الكلمتين العبريتين: ברית איש = **īš** ﷺ **berīt** (بِرِيت إِيش)، وتعنيان «رجل العهد» (/إِيش/ = «رجل» و/بِرِيت/ = «العهد»)، ويُقصد به عهد الله الأول مع بني إسرائيل). هذا والأمثلة كثيرة جدًا.

«رسالة يهوذا بن قريش إلى جماعة يهود فاس في الحض على تعليم الترجوم والترغيب فيه والتغبيط بفوائده وذمّ الرفض به». وأما بعد فإني رأيتكم قطعتم عادات الترجوم[1] بالسرياني على التوراة من كنائسكم وأطعتم على الرفض به جُهالكم[2] المدعين بأنهم عنه مستغنون وبجميع

(١) «الترجوم» تعني في سياق العهد القديم: «الترجمة والتفسير»، ترجمة التوراة إلى الآرامية من أجل الصلوات والعبادة. وقد نشأ هذا التقليد بعد موت اللغة العبرية التوراتية وطغيان الآرامية عليها وصيرورتها لغة لليهود. وكان اليهود قبل تدوين «الترجوم» يقرؤون التوراة في كنائسهم بالعبرية ثم يشرحونها مباشرة بالآرامية ترجمة وتفسيراً. بعد ذلك دون الترجوم. ويبدو أنه كانت ثمة «ترجومات» كثيرة في الماضي، إلا أن اليهود اختاروا منها «ترجومين» اثنين فقط هما «ترجوم أونقيلوس» للتوراة (الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم) و«ترجوم يوناتان بن عوزيل» لأسفار الأنبياء في العهد القديم.

(٢) يقصد فرقة القرائين اليهود الذين يرفضون المشناه والترجوم والتلمود وسائر أعمال الأحبار اليهود ولا يعترفون إلا بأسفار العهد القديم. وبما أن "الترجوم" - بصفته ترجمة تفسيرية لأسفار العهد القديم - من أعمال الأحبار التي تلقي ضوءاً على نص العهد القديم الذي يعتني به القراؤون أيما اعتناء، فلقد أراد يهودا بن قريش أن يبرهن عليهم بأن «الترجوم» الآرامي اللغة يلقي ضوءاً على العهد من الناحية اللغوية أيضًا. فالمقارنة اللغوية العلمية هنا مدخل واسع لمحاججة القرائين وإفحامهم لأن الأمر يتعلق بنص العهد القديم الذي لا يعترفون إلا به فلذلك نسبوا إليه («قراؤون» نسبة إلى «المقرأ» أي أسفار العهد القديم. وانظر الحاشية رقم ٤٨). أما العربية فلم يحتج إلى البرهنة على ضرورتها لأن القرائين كانوا مستعربين وهم أول من بدأ دراسة عبرية العهد القديم دراسة علمية منهجية بناء على المناهج اللغوية العربية. وعلى الرغم من أهداف بن قريش الجدل مع القرائين إلا أنه وفق في رسالته - لأول مرة - في مقارنة العربية بالعبرية بالسريانية مقارنة علمية بحتة، نجح فيها من اكتشاف الكثير من القوانين الصوتية التي توسع فيها مروان بن جناح ودونش بن لابراط وإسحاق بن برون فيما بعد، وأقرها كلها علم اللغة المقارن الحديث، فيكون ابن قريش السباق إلى تنظيم المقارنات اللغوية بين اللغات الثلاث التي بنى عليها المستشرقون =



لغة العبراني دونه عارفون[١]، حتى انه لقد ذكروا لي رجال منكم أنهم ما قرؤوا قط ترجوم الخمسة [التوراة] ولا النبيئيم [أسفار الأنبياء][٢].

والترجوم أكرمكم الله هو شيء لم يضعه أسلافكم ولا[٣] رفض[٤] به قدماؤكم ولا أسقط بتعليمه علماؤكم، ولا استغنى عنه أوائلكم،

= فيما بعد علم مقارنة اللغات الجزيرية. كما يبدو من رسالته إلى يهود فاس أن القرائيين - وهم فرقة نشأت في بغداد - كانوا منتشرين في فاس، أو على الأقل كان تأثيرهم ملموسًا في فاس، وهذا مجال خصب للدرس والبحث والتنقير في المراجع.

(١) يقر ابن قريش، شأنه في ذلك شأن جميع اللغويين اليهود قديمًا وحديثًا، بأن أسفار العهد القديم لا تفسر من خلال العبرية وحدها، وأنه لا بد من ولا غنى عن تفسير ما غمض منها من اللغات الجزيرية الأخرى عمومًا، والعربية خصوصًا. والباعث الرئيسي على كتابة رسالة ابن قريش هو البرهنة على هذه الحقيقة ضد القرائين الذين يرفضون تراث الأحبار المدون جله بالآرامية (الترجوم وخصوصا التلمود)، إلا أنه شمل العربية في بحثه لأهميتها القصوى في تفسير أسفار العهد القديم. وقوله: «المدعين بأنهم عنه مستغنون وبجميع لغة العبراني دونه عارفون» يشير بصريح العبارة إلى ذلك.

(٢) «ترجوم الخمسة»: هو «ترجوم أونقيلوس» للتوراة (الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم). أما «ترجوم النبيئيم» فهو «ترجوم يوناتان بن عوزيل» لأسفار الأنبياء في العهد القديم.

(٣) (كذا). ورسالة بن قريش، ومنها وهذه المقدمة، مثال أنموذجي «للعربية اليهودية» (**Judeo-Arabic**)، وهي العربية التي كتب بها جمهور اليهود المستعربين. من مميزاتها الرئيسة: (١) استعمال الأبجدية العبرية بدلا من الأبجدية العربية؛ (٢) الكتابة بالعربية كما كانت تحكى وقته وليس بالفصيحة (ويشذ عن ذلك كبار أدباء اليهود مثل مروان بن جناح واسماعيل بن النغريلة وغيرهما).

(٤) يستعمل ابن قريش مصطلح الرفض بمفهومه الإسلامي، ويعتبر بذلك فرقة القرائين «روافض» اليهود لأنهم يعترفون فقط بأسفار العهد القديم ويرفضون جميع سنن اليهود غير المنزلة.

ولا جهل نفعه آباؤكم، ولا فرط في تعليمه سابقوكم بالعراق ومصر وإفريقية والأندلس. ولما ذكرت لبعض من نافر الترجوم منكم ما هو موجود في المقرأ[(١)] [= العهد القديم] من غرائب[(٢)] وما امتزج من السرياني بالعبراني وتشعب به تشعب الغصون في الأشجار والعروق في الأبدان، تيَقّظ لذلك تيقُّظا شديدا وانتبه له انتباه حديدا وفطن لما في الترجوم من فائدة وما يُدرك به من المنافع الزائدة والتفاسير الرافدة والتبيانات الشاهدة، فندم عند ذلك على ما فاته من حفظه وأسف على عدمه لحلاوة لفظه.

فرأيت عند ذلك أن أؤلِّف هذا الكتاب لأهل الفطن وأولي الألباب، فيعلموا أن جميع اللسان المقدس[(٣)] الحاصل في المقرأ قد انتشرت فيه ألفاظ سريانية واختلطت به لغة عربية وتشذذت فيه حروف عجمية وبربرية ولا سيما العربية خاصة فإن فيها كثيرا من غريب ألفاظها وجدناه عبرانيا محضا[(٤)]، حتى لا يكون بين العبراني والعربي في ذلك من الاختلاف

(١) المِقرأ: اسم الآلة من الفعل العبري «قرا» أي «قرأ». وقد اشتقه اليهود المستعربون من العبرية تأثرا بلفظة «القرآن» في العربية. وقد استعملها القراؤون في البداية، كما استعمل جمهور اليهود المستعربين وقها لفظة «قرآن» العربية ذاتها للدلالة على كتب العهد القديم أيضا.

(٢) يريد: الألفاظ الغريبة.

(٣) يسمي اليهود العبرية التوراتية: לשון קדש = /لشون قودش/ أي «اللسان المقدس».

(٤) يقصد أن الفرق بين العربية والعبرية ضئيل جدًا وأنه يمكن استنباط الفروق بسهولة بعد اكتشاف القوانين الصوتية التي أشار إليها بمقارنته بين الحروف العربية والعبرية في الجملة التالية. ويقول (١٨٥٧: ٧٦) بعد ذكره عددا من الألفاظ العبرية التي لها مقابلات تأثيلية دقيقة مثل /מות = مُوت/: «كله عربي»، أي أن מות = مُوت مثل =



إلَّا ما بين ابتدال الصاد والضاد، والجيمل[١] والجيم، والطِت[٢] والظاء، والعين والغين، والحاء والخاء، والزاي والذال. وإنما كانت العلة في هذا التشابه والسبب في هذا الامتزاج قرب المجاورة في البلاد والمقاربة في النسب[٣] لأن تِرَحْ أبو ابراهيم كان سريانيا ولابان[٤] سريانيا.

وكان إسماعيل وقيدار مستعرب من جيل الاختلاف زمان البلبلة في بابل، وابراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام متمسكين باللسان المقدس من آدم الأول. فتشابهت اللغة من قبل الممازجة، كما نشاهد في كل بلد مجاور لبلد مخالف للغته من امتزاج بعض الألفاظ بينهم واستعارة اللسان بعضهن من بعض، فهذا سبب ما وجدناه من تشابه العبراني بالعربي، غير طبع الحروف التي بفتتح بها في أوائل الكلام والحروف المستعملة في أوساط الكلام والحروف التي يختم بها في أواخر

= أختها في العربية «مَوْت»، لذلك ما كان يذكر المقابلات التأثيلية العربية للألفاظ العبرية التي لها مقابلات عربية تقابلها لفظا ومعنى مثل מות = مُوت.

(١) (جيمل): اسم حرف الجيم في العبرية، وينطق كالجيم المصرية.

(٢) (طِت): اسم حرف الطاء في العبرية.

(٣) قارن موسى بن عزرا (١٩٧٥:٢١): «وأما المقاربة التي بين اللغات العبرانية والسريانية والعربية فبسبب تصاقب الديار وتداني الأمصار، حتى أن لا فرق بينها في أكثر أسماء الجواهر إلا بمقدار اليبس والرطوبة، وسببها اختلاف الأهوية والمياه المتقدم ذكرهما. وعلل أبو إبراهيم ابن برون رضي الله عنه هذا التشابه الذي بين هذه الثلاث لغات بغير هذا التعليل، وما أرى ذلك. على أنه ما قصر في أكثر ما أتى به في تأليفه ذاك الملقب بالموازنة من التقارب بين الأنحاء واللغات في الملتين حتى ذكر ألفاظًا قليلة الكم توافقت [العبرية] فيها [مع] اللغة اللطينية والبربرية، وهذا أمر إنما وقع في ما أظن بالاتفاق».

(٤) (لابان): حمو يعقوب عليه السلام.

الكلام[١]. فإن العبرانية والسريانية والعربية مطبوعة في ذلك على قوالب واحدة وسنأتي على شرح ذلك في مواضعه من آخر هذا الكتاب إن شاء الله.

وهذا حين نبدأ بذكر السرياني الممازج للعبراني في المقرأ، ثم نتلو ذلك بذكر الحروف النادرة في المقرأ ولا تفسير لها إلا من لغة المشناة والتلمود، ثم نتبع ذلك بذكر الألفاظ العربية الموجودة في المقرأ[٢] وعند ذلك نشرح الحروف التي تساوت بين العبراني والسرياني والعربي في أوائل الكلام وأوساطها وأواخرها وليس ذلك بموجود في لغة من سائر لغات الأمم سوى لسان العبراني والسرياني والعربي. ونكتب ذلك كله على نظام حروف أبجد ونسقها ليسهل بذلك كل حرف مطلوب بسهولة على موضعه إن شاء الله[٣].

إذن وضع يهوذا بن قريش رسالته عندما بلغه أن قومًا من اليهود المتأثرين بفرقة القرائين رفضوا قراءة الترجوم وهو الترجمة السريانية (الآرامية) المفسرة للتوراة (الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام) ولأسفار الأنبياء (نبيئيم)، فأراد برسالته أن يبرز أهمة اللغة الآرامية وضرورة تعلمها لما في ذلك من فائدة لدراسة النص العبري للعهد القديم وفهمه.

---

(١) يقصد بناء «فعل» في الجذور والأصول اللغوية. ويقصد بقوله: «الحروف التي يفتتح بها في أوائل الكلام والحروف المستعملة في أوساط الكلام والحروف التي يختم بها في أواخر الكلام» فاءات الأفعال وعيناتها ولاماتها.

(٢) يقصد الكلمات المشتركة بين العربية والعبرية وكذلك الكلمات العربية الدخيلة في التوراة خصوصا في سفر أيوب الذي يرجح أنه كتب أولا بالعربية ثم ترجم إلى العبرية فيما بعد.

(٣) يهوذا بن قريش (١٨٥٧: ٢).



ثم وجد أن العربية أيضًا قريبة من العبرية وأنها أكثر فائدة من غيرها لشرح غريب التوراة، فوضع رسالته في ثلاثة أبواب: باب للمقارنة بين الأصول العبرية والأصول السريانية (الآرامية)، وآخر للمقارنة بين العبرية التوراتية وعبرية المشناة والتلمود، وثالث للمقارنة بين الأصول العبرية والأصول العربية. واقتصر في معالجته على وضع قواعد صوتية رئيسية وإيراد المقابلات التأثيلية العربية للكلمات العبرية، كما نلاحظ في هذا المثال:

«الشين [في العبرية] تبتدل بسين في العربي وتبتدل بثاء، فالتي تبتدل بسين مثل שאל [= شأل]: «سأل» [في العربية]» ...[1] وأما الشين التي تبتدل بثاء فهي هذه: האשל [= ها أشل]: «الأثل» وهي شجرة ...[2]

ويبدو من المثال أعلاه أنه أول من استنبط هذا القانون الصوتي المطرد، أي مجانسة الشين العبرية للسين (= شَلُوم/سَلام) وللثاء (= شُوم/ثُوم) في العربية، وأورد عشرات الأمثلة بل جرد تحت حرف الشين (= ש) أكثر الألفاظ العبرية التي فيها شين ومقابلاتها التأثيلية في العربية.

٢,٢ . كتاب السبعين لفظة المفردة لسعيد بن يوسف الفيومي

(كتاب السبعين لفظة المفردة)[3] لسعيد بن يوسف الفيومي كتاب لغوي جدلي في آن واحد، لأنه حاول فيه تفسير سبعين لفظة غريبة في التوراة من كتاب «المشناة» الذي يرفضه القراؤون. و«المشناة» (= المثنى) هي «التوراة الثانية» التي يقول أحبار اليهود بشأنها إن الله سبحانه وتعالى

(١) يهوذا بن قريش (١٨٥٧: ٨٣).
(٢) يهوذا بن قريش (١٨٥٧: ٨٧).
(٣) سعيد بن يوسف الفيومي (١٩٥٨، المقدمة).

أوحى بها إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ شفاهًا، ذلـك أن اليهـود يزعمـون أن الله أنزل عليه توارتين اثنتين: توراة مكتوبة وثانية مروية شفاهًا. فدوّن اليهـود التوراة الكتابية، وتناقلوا الشفهية حتى دونوها في القـرن الثـاني للمـيلاد خشية من ضياعها.

وتشكل «المشناة»، وهي بالعبرية، نواة التلمـود. وهـي التـوراة الـتي يرفضها القراؤون هي وشروحها (= التلمود) معهـا، معتـبرين إياهـا مـن وضع الحاخامات. فأراد سعيد الفيومي، وهـو تلمـودي، شـرح سـبعين كلمة مفردة غريبة في العهد القديم من المشناة بهدف التدليل على أهميتها لفهم ما استعجم من أسفار العهد القديم، مجادلاً بـذلك القـرائين الـذين يرفضونها من أساسها.

وباعثه الأساسي في ذلك لا يختلف كثيرًا عـن باعـث ابـن قـريش في رسالته ذلك أن الاثنين يبرهنان في كتابيهما على أهمية كتاب المشناة ومن ثم على أهمية سنن اليهود المدونة بعد مرحلة الوحي لفهم أسـفار العهـد القديم بشكل عام والديانة اليهودية بشكل خاص.

جاء في مقدمة الكتاب: «كتاب السبعين لفظة [المفردة] مـن مفـردات القرآن[1] وشرحه من تخصيص المشناة بدلائلها مما استخرج ذلك سـيدنا ومعلمنا سعادياهو جاؤون بن سيدنا ومعلمنا يوسف الفيومي [...]. وإني

(١) أي كتاب التوراة وكتب العهد القديم. فقد بلغ تأثير الحضارة الإسلامية في اليهود أن استعاروا الألفاظ الإسلامية القحة للدلالة على مسميات بعينها من الشريعة اليهودية كالفقه «للتلمود» والسنة «للمشناة» الخ. ويسمي سعيد بن يوسف الفيومي العهد القديم في كتابه هذا بالقرآن وبالكتاب أيضًا. وترجم اليهود فيما بعد اسم «القرآن» إلى العبرية هكذا מקרא «مِقرَأ» وهو اسم الآلة من الفعل /قرأ/ الذي يعني «التلاوة» في العبرية.



رأيت قومًا من العبرانيين[١] يجحدون ما نقل عن الأنبياء من الشرائع التي هي غير مكتوبة وكذلك يجحدون بعضهم ما سمعوا من اللغة من كلام الأمة ولم يجدوه في الكتاب ..»[٢].

مثال من كتاب السبعين لفظة المفردة: «وقول حبقوق في ملك [بابل ونظرائه] כי אבן מקיר תזעק וכפיס מעץ יעננה. تفسير וכפיס الآجر كما وجدنا في المشناة حين وصفوا ما يبنيه الشريكان [المشركون؟] מקום שנה גולבנו תגויל גזיתכפוסים [أي] آجر. ومعنى ذلك يقول النبي ظن في نفسه أنه يتخلص من عقاب الله ...».

فكلمة כפיס (سفر حبقوق، ٢: ١١) وردت مرة واحدة فقط في كتاب العهد القديم، ومعناها مجهول فيه حتى اليوم، ففسرها سعيد بن يوسف الفيومي من المشناة حيث تعني هذه اللفظة فيها «الآجر». وترجمها بالآجر في ترجمته العربية. وترجمت هذه اللفظة المفردة في الترجمة العربية الكاثوليكية بالجائز ...، فترجمت الآية كما يلي: «فالحَجَرُ يَصرخُ من الحائِط والجائِزُ يُجيبُ من الخَشب". أما في الترجمة العربية البروتستانتية فنقرأ: "لأن الحَجَرَ يَصرخُ من الحائِط فيُجيبُهُ الجائِزُ من الخَشب»[٣].

٢,٣. كتاب التنقيح لمروان بن جناح القرطبي

يتكون (كتاب التنقيح) لابن جناح من جزئين كبيرين: الجزء الأول: (كتاب اللُّمَع) وهو كتاب في النحو، والجزء الثاني: (كتاب الأصول) وهو معجم عبري عربي لمفردات التوراة فقط. وقد سمّى ابن جناح كتابه

(١) يقصد فرقة القرائين (العنانية).

(٢) يقصد عدم اعتراف القرائين بسنن اليهود ونصوصهم غير المنزلة.

(٣) انظر الآية في (الترجة الكاثوليكية) وباطراد (ترجمة فانديك).

الكبير في النحو على اسم كُتيب مدرسي لابن جني في النّحو أيضاً هو (كتاب اللمع)، كان ابن جني وضعه للطلاب.

وقد استهل ابن جناح كتابه بالدفاع عن الاشتغال بعلم اللغة ضد أصحاب التلمود الذين كانوا يرون أن الاشتغال بعلم اللغة «شيء لا معنى له».

يقول: «ورأيت القوم الذين نحن في ظهرانيهم[١] يجتهدون في البلوغ إلى غاية علم لسانهم على حسب ما ذكرناه مما يوجبه النظر ويقضي به الحق. وأما أهل لساننا في زماننا هذا فقد نبذوا هذا العلم وراء أظهرهم وجعلوا هذا الفن دبر آذانهم واستخفوا به وحسبوه فضلاً لا يُحتاج إليه وشيئاً لا يُعرج عليه فتعروا من محاسنه وتعطلوا من فضائله وخلوا من زينه وحليه حتى جعل كل واحد منهم ينطق كيف يشاء ويتكلم بما أراد لا يتحرجون في ذلك ولا يشاحّون فيه كأنه ليس للغة قانون يُرجع إليه ولا حدّ يُوقف عنده قد رضوا من اللسان بما يَسُر أمره عندهم وقنعوا منه بما سَهُل مأخذه عليهم وقَرُب التماسه منهم لا يدققون أصله ولا ينقحون فرعه، فلهم في اللغة مناكير يُغرب عنها وأقاويل يُزهد فيها. وأكثر من استخف منهم بهذا العلم وازدرى هذا الفن فمن مال منهم إلى شيء من الفقه[٢] تيهًا منهم بيسير ما يحسنونه منه وعجبًا بنزر ما يفهمونه من ذلك حتى لقد بلغني عن بعض مشاهيرهم أنه يقول عن علم اللغة إنه شيء لا معنى له وإن الاشتغال به غير مجدٍ ولا مفيد وإن صاحبه مُعنّى وطالبه متعب بغير ثمرة ينالها منه. وإنما استسهلوا ذلك لقراءتهم ما يقرؤون من

(١) أي العرب.
(٢) أي علماء التلمود.



الفقه ملحونًا ودراستهم ما يدرسون منه مُصحّفًا وهم لا يشعرون وذلك لعدمهم الرواية وفقدهم الإسناد. وقد بعث ذلك أكثرهم على الاستخفاف بتقيد القرآن[١] وتمييز الـ קמץ من الـ פתח والـ מלעל من الـ מלרע. وأما علم التصريف والتكلم فيه فهو مما يتشاءمون به ويكادون يجعلونه من جملة الزندقة!"[٢].

ويدافع ابن جناح في مقدمته عن منهج المقارنة بالعربية لشرح ما غمض من التوراة من خلالها. يقول: «أفلاتراهم [الضمير عائد إلى علماء التلمود] يفسرون كتب الله من اللسان اليوناني والفارسي والعربي والإفريقي وغيره من الألسن؟ فلما رأينا ذلك منهم لم نتحرج [من الاستشهاد] على ما لا شاهد عليه من العبراني[٣] بما وجدناه موافقًا ومجانسًا له من اللسان العربي إذ هو أكثر اللغات بعد السرياني شبهًا بلساننا. وأما اعتلاله وتصريفه ومجازاته واستعمالاته فهو في جميع ذلك أقرب إلى لساننا من غيره من الألسن، يعلم ذلك من العبرانيين الراسخون في علم لسان العرب، النافذون فيه وما أقلهم!»[٤].

ويقول في كتابه الثاني (كتاب الأصول): «قد قدمنا في الجزء الأول من هذا الديوان وهو كتاب اللُّمَع من الأبواب العلمية والفنون الجمليّة والأصول القياسية والآراء النحوية ما لا غنى للناظر في علم الغة عن معرفته والوقوف عليه. ونحن نذكر في هذا الجزء الثاني الذي وسمناه بكتاب الأصول أكثر الأصول الدانية الموجودة في ما بين أيدينا من الـ

(١) انظر الحاشية ٤٨.

(٢) مروان بن جناح (١٨٦٦: ٢).

(٣) أي غريب التوراة.

(٤) مروان بن جناح (١٨٦٦: ٧).

מקרא [= مِقرَأ = "ما يُقرأ" وهو كتب العهد القديم كما سلف] ونبين من تصاريفها ونشرح من غرضها ما تدعو الحاجة إلى تبيينه وشرحه لنبلغ في جميعه الغاية التي نقدر عليها بعد أن نتحرى في ذلك غاية التحري ونتحفظ به غاية التحفظ والذي يلزم فعله في تفسير كلام الله عز وجل، وأسأل الله العصمة من الخطأ والتوفيق إلى الصواب بمنّة».

ويضيف: «اعلم فتح الله عليك كل مشكل ويسر لك كل مقفل أنه كثيراً ما تسمعني أقول فاء الفعل وعين الفعل ولام الفعل؛ فاعلم أن مذهبي في ذلك أني أقتطع لجميع الأفعال الماضية، خفيفها وثقيلها وجميع ما تصرف منها من فعل مستقبل واسم وغير ذلك مثلاً من "الفعل" أعني من لغة פעל [= فعل]»[1].

مثال عن معالجته المادة اللغوية في (كتاب الأصول): «الألف واللام المضاعف: רפאי אליל כלכם. וקסמו אליל. فسر به المحال وبه سميت الأوثان تهجينًا لها كقوله: אל תפנו אלה אלילים المحالات. وجائز عندي، بل هو الأحسن، أن يكون هذا اللفظ مجانسًا للفظ العرب فإنهم يقولون للأنين والتوجع "أليل". ويقولون لما يجده الانسان من ألم الحمى ونحوها "أليلة". والدليل على صحة هذا التأويل قوله: אללילי أي الأوجاع والأوصاب والأحزان حظي وقسمي»[2].

إذن يلاحظ أن אליל من الغريب والنادر في التوراة وأن ابن جناح يرفض التفسير المتفق عليه (المحال) ويفسرها من العربية (بأليل). وعلى هذا المنهج سار أصحاب المعاجم العبرية من بعده حتى اليوم.

(١) مروان بن جناح (١٨٧٥، المقدمة. العمود ٦-٧).
(٢) مروان بن جناح (١٨٧٥ صفحة ٣-٥ و٤٦).



٢,٤ . كتاب الموازنة بين اللغة العبرانية واللغة العربية لابن برون :

تطور علم اللغة العبرية وعلم اللغة المقارن بعد ابن جناح كثيرًا، وكان كتاب الموازنة لابن برون بمثابة التتويج لجهود سابقيه من النحاة واللغويين والمقارنين. يتكون كتاب الموازنة من قسمين اثنين الأول في النحو والصرف والآخر معجم.

يقارن القسم الأول من الكتاب الأسماء العربية والعبرية ببعضها ويسرد تصاريفها وحالات إعرابها، ثم يقارن الأفعال العبرية والعربية ببعضها أيضًا ويذكر تصريفها ويتطرق إلى أهم ما يعتورها في اللغتين من لزوم وتعدٍ وإعلال وما إلى ذلك.

أما القسم الثاني، وهو معجم مقارن، فيحتوي على كل الأصول العبرية التي لها ما يجانسها اشتقاقيًا من العربية، ويذكرها كلها ويشرح الغريب والنادر منها مستشهدًا على معانيها من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الجاهلي. ويستدل من كتابه أنه كان عالماً كبيرًا في اللغتين واثقًا من علمه، فهو النحوي العبري الوحيد من العصور الوسطى الذي تعرض لمروان بن جناح ـ سيبويه النحاة اليهود وخليلهم ـ بالنقد.

والكتاب مهم جدًا وهو أول كتاب شامل في تاريخ علم اللغة المقارن مبني على أصول المقارنة العلمية التي يثبتها علم اللغة الحديث وهي علم الأصوات وعلم الصرف وعلم النحو وعلم المفردات، وذلك في زمن كان الأوربيون يعتقدون فيه أن كل لغات الأرض مشتقة من العبرية وأن اللغات القريبة منها (مثل العربية والآرامية) هي لغات حافظت على قرابتها من الأم، وأن اللغات البعيدة منها (مثل اليونانية واللاتينية والصينية مثلاً)، هي لغات لم تحافظ على قرابتها من الأم. وقد أشار هؤلاء

العلماء، وسبقهم إلى ذلك ابن حزم الأندلسي[1]، إلى أن هذه اللغات (العربية والعبرية والآرامية) مشتقة من لغة واحدة يسميها علم اللغة الحديث «باللغة الجزيرية الأولى» أو The Proto-Semitic Language.

مثال على المقارنة النحوية :

«القول على الخواص التي تلحق الاسم: الخواص التي تلحق الاسم في اللغتين هي النعت والبدل والإضافة والنداء والاستثناء ودخول علامة التعريف وحروف الخفض. ويلحقه عند العرب زيادة على ما ذكرته الخفض والتنوين والتصغير، وليس عندنا شيء من ذلك. وأنا مبينٌ هذه الخواص أولاً فأولاً. النعت عند العرب تابع للمنعوت في حال إعرابه وفي معناه. أما عندنا فلا إعراب لنا والنعت تابع لمنعوته في معناه أعني أن يُنعت المفرد بالمفرد والجمع بالجمع والمؤنث بالمؤنث والنكرة بالنكرة والمعرفة بالمعرفة. هذا هو القياس في اللغتين إلا أنه قد خولف عندنا فتنعت المعرفة بالنكرة والنكرة بالمعرفة في قولهم **הכבש אחד**، **הדוד אחד**، **הרים הגבהים**، وهو خارج عن القياس ولا يستعمل مثله ...».

مثال على المقارنة المعجمية [وما بين قوسين إضافة من عندي للتوضيح]: «**אבח** [= أ ب ح = الجذر: ب و ح].**אבחת חרב** (سفر حزقيال، ٢٠:٢١). هذه اللفظة لا نظير لها في النص [= التوراة، أي

(١) وعندي أن ابن حزم كان عارفًا ببعض تلك اللغات كما يبدو من رسالته (الرد على ابن النرغيلة اليهودي)، وكما يستشف من كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل). وانظر أيضًا: ابن حزم (ابن حزم ١٩٢٩، جزء ١ صفحة ٣٠).

ثم إن ابن حزم اعتمد على ترجمة التوراة العربية لسعيد بن يوسف الفيومي وهي ترجمة عربية بالأبجدية العبرية، وهذا يقتضي معرفة ابن حزم للكتابة العبرية على الأقل.



نادرة]، وترجمها الحكيم أبو الوليد [مروان بن جناح] رحمه الله «بلمعان السيف وبريقه» بحسب المعنى، وأشار يهوذا بن بلعم إلى أن معناها «خوف السيف» دون دليل.

وهي عندي مجانسة للعربي وترجمتها «استباحة السيف»، والاستباحة الانتهاب والاستئصال، قال عنترة:

حتى استباحوا آل عوف عنوة، بالمشرفي والوشيج الذبل

فجعل [كتاب التوراة] الاستباحة بالسيف والرمح وجاز أن ينسب الفعل نفسه إلى السيف فيقال: «استباحه السيف»، كما يقال: «ضربه السيف وطعنه». وقد جاء عندنا مثل ذلك **ואכלה חרבו שבעה** (سفر إرميا، ٤٦:١٠) فنسب الفعلين إلى السيف.

ومما يؤيّد هذه الترجمة ويعضدها قوله: **על כל שעריהם נתת יאבחת חרב** (سفر حزقيال، ٢١:٢٠)، أي: «جعلت على أبوابهم سيفًا يستبيحهم ويستأصلهم»، وأنه ذكر البريق بلفظة **ברק** التي حقيقته [كذا]، ثم ذكر في آخر الآية لفظة **טבח** الذي هو الفعل المختص بالسيف ويؤدي إلى الاستباحة والاستئصال اللذين إياهما يريد [كتاب التوراة]، ولا معنى لظهور لمعان السيف على أبوابهم [كما قال ابن جناح] فيمكن أن [يكون] ذلك لهم وعليهم، والنص لا يقتضي إلا أحد القسمين [= الوجهين].

فإذا لم نجد لهذه اللفظة اشتقاقا [في العبرية] وألفينا لها هذه المجانسة [في العربية] وهي لائقة بالمعنى وسائغة فيه، فأخلق بحمل الترجمة عليها ونسب اللفظ إليها. وقد نحا هذا المنحى وإن لم يكن إياه المترجم [في «الترجوم»] في قوله [بالآرامية] **קטולי חרבא**. وأما **רבנו האיי** فجعله مثل **אבעת** بإبدال العين».

خاتمة :

لاحظنا في هـذه الدراسـة أن الدراسـات اللغويـة المقارنـة نشـأت في الحواضر الإسلامية إبان ازدهار المعـارف والعلـوم في العصـر العباسـي واستعراب أكثر يهود العـالم آنـذاك لأن أكثـرهم كـان يقـيم بـين العـراق والأندلس.

ولم يكن اليهود منعزلين عن محيطهم، بل لقد كان للتسامح الإسلامي الكبير معهم عظيم الأثر في ازدهار دراساتهم الغويـة والدينيـة والفلسـفية التي وظفوا فيها مناهج علماء اللغة والمتكلمين المسلمين توظيفًا ناجحًا، فازدهرت دراساتهم ومنها الدرس اللغوي المقارن الذي لم يكن يستهوي علماء اللغة المسلمين لعظيم اهتمامهم بالعربية فقط.

وعلى الرغم من أن الباعث على البحث اللغوي المقارن كان دينيًـا في بداياته كما لحظنا في رسالة يهوذا بن قريش، إلا أنه أصبح عند ابن برون متعة علمية وأصبح الهـدف منـها أيضًـا تطـوير اللغـة العبريـة واكتشـاف جوانبها اللغوية الغامضة بمقارنتها بالعربية وبالترجمة منها فيما بعد لإثراء المعجم العبري وتوسيع القدرات اللغوية والتعبيرية في العبرية - وهو مـا تم في القرن الثالث عشر للميلاد في جنـوب فرنسـا، حيـث تـرجم أبنـاء طيبون معظم الأعمال المذكورة في هذه المقالـة مـن العربيـة إلى العبريـة لينشئوا بذلك تقليدًا نثريًا عبريًا عبر الترجمة من اللغة العربية.



المراجع :

أ. مراجع باللغة العربية والعبرية :

- إبراهيم بن دواد (١٩٦٩)، ספר הקבלה (سِيفِر ها قَبلاه). لندن.
- ابن برون (١٨٩٠). أبو إبراهيم إسحاق بن برون، "كتاب الموازنة بين اللغة العبرانية واللغة العربية".تحقيق ب. كوكوفزوف، سنت بطرسبورغ (لينينغراد).
- ابن بارون، أبو إبراهيم إسحاق بن برون (١٩٦٤). Ibn Barun's Arabic Works on Hebrew Grammar and Lexicography. By Pinchas Wechter. Philadelphia.
- ابن حزم الأندلسي (١٩٢٩). الإحكام في أصول الأحكام. تحقيق أحمد شاكر. مجلدان. القاهرة.
- أمين، أحمد (بدون تاريخ). ضحى الإسلام. ثلاثة مجلدات. بيروت.
- باقر طه (١٩٨٠). من تراثنا اللغوي القديم؛ ما يُسمّى في العربية بالدّخيل. بغداد. مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- الترجمة الكاثوليكية = الكتاب المقدس. منشورات دار المشرق ش ش م. بيروت، ١٩٨٣.
- ترجمة فانديك = الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، وقد ترجم من اللغات الأصلية وهي اللغة العبرانية واللغة الكلدانية واللغة اليونانية. انتشر على يد جمعية التوراة البريطانية والأجنبية. طبع في بريطانيا العظمى. بدون تاريخ.

- ترزي، فؤاد حنا (١٩٦٩). أصول اللغة والنحو. بيروت، ، دار الكتب.
- جعفر هادي حسن (١٩٨٩). فرقة القرائين اليهود. بيروت/لندن، مؤسسة الفجر.
- داود، أقليميس يوسف (١٨٩٦). اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية. الموصل، مطبعة دير الآباء الدومنيكيين.
- رافائيل نخلة اليسوعي (١٩٥٩). غرائب اللغة العربية. بيروت.
- سعيد بن يوسف الفيومي (١٨٩٣-١٨٩٩). تفسير التوراة بالعربية. تحقيق يوسف ديرنبورغ. باريس. الكتاب مطبوع بالعنواني التالي: Derenbourg Joseph (1893-1899). Œuvres Complètes de R. Saadia Ben Iosef Al-Fayyoumi. Paris. Ernest Leroux, éditeur.
- سعيد بن يوسف الفيومي (١٩٥٨). كتاب السبعين (أو الثمانين) لفظة المفردة. تحقيق ل. ألونوي. القدس. (الكتاب مطبوع باللغة العربية بأحرف عبرية ضمن مجموعة من الكتب التي نشرت في ذكرى رحيل المستشرق اليهودي إسحاق يهوذا جولدزيهر، ظهرت بالعنوان التالي: ספר זכרון לכבוד יצחק יהודה גולדציהר. ירושלים תשי"ח).
- الفاسي، دواد بن إبراهيم (١٩٣٦-١٩٥٤). كتاب جامع الألفاظ. تحقيق س.ل. سكوس في مجلدين. نيو هافن.
- القرقساني، أبو يعقوب إسحاق (١٩٣٩). كتاب الأنوار والمراقب. مجلدان. نيويورك.



- الكرملي، الأب أنستاس ماري (١٩٣٨). نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها.
- مروان بن جناح (١٨٦٦). كتاب اللمع. الكتاب مطبوع بالعنوان التالي: Le Livre des Parterres Fleuris d'Aboul'l-Walid Merwan Ibn Djanah de Cordoue. Publiée par: Joseph Derenbourg. Paris, 1886.
- مروان بن جناح (١٨٧٥). كتاب الأصول. الكتاب مطبوع بالعنوان التالي: The Book of Hebrew Roots by Abu'L-Walid Marwan Ibn Janah, Called Rabbi Jonah. Published by Adolf Neubauer. Oxford, 1875. Amsterdam, 1968.
- موسى بن عزرا (١٩٧٥). كتاب المحاضرة والمذاكرة. تحقيق أ. س. حالكين. القدس. (وللكتاب طبعة ثانية تحقيق اللبنانية م. أبو ملهم ١٩٨٥ وهي بالحروف العربية بينما الطبعة الأولى بالحروف العبرية).
- يحيى بن حيوج (١٨٧٠)، كتاب التنقيط. طبع ملحقًا بالترجمة العبرية لكتابي حيوج في حروف اللين وذوات المثلين. تحقيق ي.و.نوت. لندن وبرلين.
- يحيى بن حيوج (١٨٩٧). كتاب الأفعال ذوات حروف اللين وكتاب الأفعال ذوات المثلين. تحقيق م. ياسترو، لايدن.
- يهوذا اللاوي (١٨٧٧). كتاب الحجة والدليل في نصر الدين الذليل (كتاب الخزري). تحقيق ه. هيرشفيلد. لايبزيخ.

- يهوذا بن قريش (١٨٥٧). الرسالة. الكتاب مطبوع بالعنوان التالي: Bargès, Jean Joseph Léandre et Dov Ben Alexander Goldberg: "Rabbi yahuda ben koreisch, Epistola de studii Targum utilitate, B.Duprat et A.Maisonneuve, 1857, Paris

ب. مراجع باللغات الأجنبية:

- **Bennett, R. P. (1998). Comparative Semitic Linguistics: A Manual. Eisenbrauns.**
- **Bergsträsser, G. (1995). Introduction to the Semitic Languages: Text Specimens and Grammatical Sketches. Translated by Daniels P.T. Eisenbrauns.**
- **Brockelmann, C. (1913).Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen. 2 vols. Berlin, Reuther and Reichard.**
- **Halkin, A. S. (5726/1966). In: L. Frankelstein, The Jews, their History, Culture and Religion.**
- **Haywood, J.A. (1960), Arabic Lexicography: its history, and its place in the general history of lexicography.Leiden.**



- Merx, A. (1889). Historia artis grammaticae apud Syros. Leipzig. (Reprint in 1966).
- Moscati, S. (1964). An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages. Phonology and Morphology. Wiesbaden, Otto Harrassowitz.
- Munk, S. (1850). Notice sur Abou'l-Walid Merwan ibn Djanah. Journal Asiatique, tom. I.
- Nöldeke, Th. (1982). Beiträge und neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft. Neudruck. Amsterdam, APA – Philo Press.
- Prijs, L. (1950). Die grammatikalische Terminologie des Abraham Ibn Ezra. Basel.
- Versteegh, K. en Schippers, A. (1987). Het Arabisch: Norm en Realiteit. Amsterdam.
- Wright, W. & Smith W. (2002). Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages. Cambridge University Press 1890. Reprint.

عولمة اللسان العربي بين الوهم والمأمول

أ. د. صادق عبد الله أبو سليمان[1]
جامعة الأزهر - غزّة

ملخص الدراسة

أمّا قبل؛

فالحمدُ لله ربِّ العالَمين، هو الأول بلا بداية، والآخِرُ بلا نهاية، والصَّلاةُ والسَّلامُ على المَبْعوثِ رحمةً للعالَمين، سيدِنا محمدِ بنِ عبدِ الله، وبعد،

فيتمثلُ قِوامُ هذه الدراسةِ في أنها تقفُ عند مصطلح «العولمة» بوصفها- في أكثرِ وجوهها- الموقفَ الذي يُسخِّرُ طاقاتِ أهلِها ومَنْ وافقهم إلى احتواءِ الآخرين، والتَّغَوُّلِ فيهم؛ وصولاً إلى جعلِهم تبعًا لهم لا حول لهم ولا قوةَ في الاستقلالِ عنهم.

وقفت الدراسةُ عند «عولمة اللسان» بوصفهِ هويةَ أيةِ أمةٍ، وأنَّ تَخلّيَ الأمةِ عنه لَيشكِّلُ تَخَلِّيًا عن أهمِّ مقوماتِها الذاتيةِ المُبْرِزةِ لاستقلالِها، وكذلك فإنَّ التغلغلَ فيهِ يُسَهِّلُ سُبُلَ التواصلِ بين المُعَوْلِمِينَ والمُعَوْلَمين.

سعتِ الدراسةُ إلى بيانِ مفهوم «عولمةِ اللسان»، وأوضحت بالحجةِ والبُرهانِ استحالةَ تحقيقِ عولمةٍ لِسانيةٍ بمفهومِ تَوَحُّدِ ألسنةِ العالَمِ في

(١) أستاذ العلوم اللغوية وموسيقا الشعر/ جامعة الأزهر- غزة/ فلسطين، وعضو مجمع اللغة العربية المراسل(القاهرة)، وعضو مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية (مكة المكرمة)، وعضو مجلس إدارة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية.



لسانٍ واحدٍ؛ أو إفساحِ المجالِ لِسيادةٍ لسانيةٍ واحدةٍ، وَحَـذَّرَتْ في هـذا المضمارِ من احتلالِها لمجالاتٍ في «اللسان» تتمثلُ في ألفـاظٍ وتراكيـبَ يتناثرُ سَمَعُها هنا وهناك دونَ أيةِ مواجهةٍ من أهلِ البيتِ لها.

وفي نهايةِ المطافِ خلصت الدراسةُ إلى توصياتٍ تراها تسهمُ في دعمِ اللسانِ، وتشدُّ من أزْرِهِ في صَدِّ تغلغلِ العولمةِ في الفئاتِ المستهدَفةِ من أبناءِ أيةِ أمة؛ وصولاً إلى قوةٍ لسانيةٍ تعبرُ عن قوةِ أمته؛ فاللسانُ هو الهويةُ الكاشفةُ لأحوالِ أيةِ أمةِ: إيجابًا أم سلبا[١].

عَوْلمةُ اللسانِ العربي بين الوهمِ والمأمول

مفهوم العولمة:

لفظُ مصطلحِ «العولمة» من الألفاظِ الجديدةِ في لغتنا المعاصرة؛ فهـو المقابلُ العـربيُّ الـذائعُ للمصـطلحِ الإنجليـزيِّ "Globalization" أو مقابلِـهِ الفرنسـيِّ "Mondialization". أمّـا عـن معنـاه فـنخلص مـن مطالعاتنا إلى أنَّه يعني فَرْضَ سيطرةِ الأقوى على غيرِهِ في جميعِ الأماكن؛ فهي تَتجاوزُ بأهدافها حدودَ الدولِ أو الشعوبِ أو القوميّـات؛ فالعولمـة - في المُحَصِّلة - تبغي تسخيرَ جميعِ الآخَرين، وجَعْلَهُم- شـاءوا أم أَبَـوْا - عبيدًا يخدمون سَيِّدًا واحدًا يريدُ أنْ يفرضَ سلطةَ بَطْشِهِ على العالَمِ كلِّه.

و«العولمة» أو «الكَوْنَنةُ» أو «الكوكبيةُ» أو «الشُّموليةُ» - بهذا المفهـومِ التَّحَكُّمِيِّ التَّعَسُّفِيِّ ما هيَ إلا تطويرٌ مُنْحازٌ لمصطلحات «النظـام العـالمي الجديد»، و«النظام الدَّولي»، و«الشرعية الدولية» التي رَوَّجَ أصحابُها بها

(١) يُنظر دراسةً مفصلةً لنا في هذا الموضوع بعنوان: (عَوْرَبَة اللسان وجـاءٌ مـن العولمـة) وقد نشرت في: مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة، العدد(١٠٨) القسم الثـاني، ص ٥- ٦٥، رمضان ١٤٧١هـ = نوفمبر ٢٠٠٦م.

لِفَرْضِ- ما أَسْمَوْهُ - إرادة «المجتمع الدولي» على ما اصطلحوا على تسميتِهِ - ظُلْمًا وافتراءً في الأغلب - بـ «الدُّولِ المارقة»، أو «الدُّولِ الراعيةِ للإرهاب».

ولمّا كان الواحدُ الأقوى بَشريًّا في زمانِنا هو دولة «الولايات المتحدة الأمريكية» فقد رادفت جماعةٌ من الدارسين بين «العولَمَةِ»، و«الأَمْرَكَة» "Americanization"؛ فأمريكا والعولمةُ وَجْهانِ لِعُملةٍ واحدة؛ لأنَّها الاسمُ أو المصطلحُ الذي تَتَخَفّى به «الأمركة»، أو إنْ شِئْتَ فقل بلسانِ الثورةِ والثُّوّارِ: هي الاسمُ الْحَرَكِيُّ لها.

و«العَوْلَمَةُ» أو «الأَمْرَكَةُ» - بهذا المفهوم - قد تَكَشَّفَتْ أهدافُها من خلال الحروب في أفغانستان والعراق وفيما نشهده من أحداثٍ وتقلباتٍ في الوطنِ العربيِّ اليوم، وسَعْيِها إلى التحكُّمِ في غيرِها من خلالِ فرْضِ إرادتها على الآخَرين، كرغبتها في تغييرِ خارطة العالم، ويدخل في هذا الإطار طَرْحُها لمشروع «الشرق الأوسط الكبير»، ومن قبلُ «دول حَوْض البحر الأبيض المتوسط»، واستغلالُها لمشكلاتِ بعضِ الدولِ الداخليةِ أو الحدوديةِ مع غيرها.

ويندرجُ في خدمةِ هذا المشروعِ سعيُ أصحابِ العولمةِ بوسائلَ متنوعةٍ إلى احتواءِ الشعوب، ولاسيما جذبِ الشبابِ وتعهُّدِهم بالرعايةِ والدعمِ حتى يكونوا بل نفرٌ منهم عيونَهم وأيديَهم المطاوعةَ لهم في تحقيقِ الأهداف وإنجاحِ المخططات والمشاريع.

عولمة اللسان:

ليس من شكٍّ في أنَّ النهجَ الاستقطابيَّ بل الاحتوائيَّ لأصحابِ العولمة بحاجةٍ إلى تواصلٍ لُغَوِيٍّ لتعميقِ جذورِهِ وتنميةِ سيقانه وإسنادِ



فروعه؛ الأمر الذي يجعله - كما سبق القول - بحاجةٍ إلى لسانٍ مشتركٍ تَتِمُّ عمليةُ التواصلِ من خلاله.

وعلى هذا فَليس غريبًا أنْ يسعى أصحابُ العولمةِ إلى «عولمةٍ لسانية»؛ فالعولمة بأبعادها المختلفةِ من سياسيةٍ واقتصاديةٍ وثقافيةٍ واجتماعيةٍ وغيرِها لا يمكنُ لها أن تُفلِح بدون عولمةِ اللسان.

على أنَّ السؤالَ الذي يَطرَحُ نفسَهُ في هذا المقام يتمثَّلُ في التالي: ما المقصود بعولمةِ اللسان؟. هل هي اتحادُ ألسنةِ أجناسِ العالَم كلِّها في لسانٍ واحدٍ؟.

أقول: هذا حُلُمٌ بل ضربٌ من الأوهامِ يستحيلُ وجودُهُ في الحياةِ الدُّنيا، ولو اجتمعتِ الجِنُّ والإنسُ و﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، فلأهلِ اللسانِ الواحدِ لهجاتٌ ولَغْواتٌ تنتشر في بيئاتها المتنوعة لا يقبلونَ التخليَ عنها أيًا كانت المُغْرياتُ والفوائدُ الإنسانيةُ التي سيحققونها، فما بالنا حين يكون الهدفُ عدوانيًا يريد أهلُهُ طمسَ هويتهم الوطنيةِ المميزةِ لهم.

ونودُّ في هذا السياقِ اللغويِّ المحضِ الوقوفَ عند مجموعةٍ من الأسبابِ والمقوماتِ التي تدعم هذا الرأي، أهمُّها:

أولاً- الجانبُ النُّطْقيُّ لِلُّسان:

ويتمثلُ في مجموعةٍ من المقوماتِ النطقيةِ الموروثةِ يرثها الناشئُ من محيطهِ اللغويِّ سماعًا تدريجيًا منذ الصِّغرِ تعيقُ بل تمنعُ التحولَ من لسانٍ إلى آخَر. ونلمسُ هذه العوائقَ أو المعرقلاتِ الكاشفةَ لغريب الديارِ من اللسانِ واللهجةِ عند السفرِ من مكانٍ إلى آخَرَ؛ فلكلِّ لسانٍ خصائصُهُ

الصوتيةُ المميزةُ له، وكذلك نلمسُها عندَ تعلُّمِنا كبارًا في سِنٍّ متأخرةٍ لأحكام تجويدِ القرآنِ الكريمِ حيثُ نستشعرُ صعوبةَ الانتقالِ من نظامٍ لسانيٍّ اعتدنا عليهِ إلى نظامٍ لسانيٍّ آخَرَ له أحكامه الصوتيةُ المتميزة صامتًا وحركة؛ فامتلاكُ أيِّ لسانٍ يبدأُ من المهدِ سماعًا تدريجيًا.

ومن قبلُ كان هذا البيانُ العربيُّ على لسانِ حكيمِ الشعراءِ أبي العلاء المعري(ت. ٤٤٩هـ)، قال:(بحر الوافر)

وَينشَأُ ناشِئُ الفتيانِ فينا   على ما كانَ عَوَّدَهُ أبوهُ

نعم قد نجدُ مِن بني الإنسانِ مَنْ يتقِنُ التقليدَ فلا تَفْرِقُ بينهُ وبين مَن يقلِّدُهُ أحيانًا، ومع هذا فلابدَّ من أن يخرجَ في مواطنَ وسياقاتٍ عن نمطيةِ التقليدِ، ويتبينَ الخبراءُ أمرَهُ إذا ما استرسلَ في عمليةِ تقليدِه، وهذا هو الجاحظُ أديبُ العربيةِ الأكبرُ(ت: ٢٥٥هـ) يقف في مصنَّفِهِ (البيانِ والتبيين) عند صعوبةِ نطق الأجنبيِّ لِلِّسانِ كأهلِه أيًّا كان تمرسُهُ بغير لسانِ أهلِه الأم، ونراه يمهدُ لرأيهِ في هذه القضيةِ بإشارتهِ إلى قدرةِ بَني الإنسانِ بصفةٍ عامةٍ على التقليد، ونجاحِ بعضِهِ في إحكامِ صنعته، ومع هذا فإنه لا يمكنه إتقانُهُ كأهلِه، وَسَتُكشَفُ مواطنُ خروجهِ عن أهلِه فيها.

يقول الجاحظ: «وقد يتكلَّم المِغْلاق[١] الذي نشأ في سَواد الكوفة بالعربيَّة المعروفة، ويكون لفظُه متخيرًا فاخرًا، ومعناه شريفًا كريمًا، ويَعْلَمُ مع ذلك السامعُ لكلامِهِ ومَخارجِ حروفِهِ أنَّه نَبطيّ، وكذلك إذا تكلم الخُراسانيُّ على هذه الصِّفة، فإنَّك تعلم مع إعرابه وتخيُّر ألفاظِه في مَخرج كلامه، أنّه خُراسانيٌّ، وكذلك إن كان من كتّاب الأهواز، ومع

(١) جاء في مادة (ر. ت. ج) في (الصحاح): «فَيَرْتَجّ الرجلُ في مَنطِقه بالكسر، إذا استَغلَقَ عليه الكلام».



هذا إنّا نجِدُ الحاكية من الناس يَحكي ألفاظَ سُكان اليَمَن مع مَخارج كلامهم، لا يُغادر من ذلك شيئًا، وكذلك تكون حكايتُه للخُرَاسانيّ والأهوازيّ والزِّنجي والسِّنديّ والأجناسِ وغيرِ ذلك، نعم حتَّى تجدُه كأنه أطْبَعُ منهم، فإذا ما حكى كلامَ الفأفاء(١) فكأنما قد جُمِعَتْ كلُّ طُرْفَةٍ في كل فأفاءٍ في الأرض في لسانٍ واحد».

وكذلك نراه يقفُ عند كبار السنِّ وصعوبةِ انتقالِهم إلى لسانٍ غير لسانهم الأول، فقال: «ألا ترى أنّ السِّنْدِيَّ إذا جُلِبَ كبيرًا فإنه لا يستطيعُ إلّا أَنْ يَجعلَ الجيم زايًا ولو أقامَ في عُليا تميم، وفي سُفْلى قيس، وبين عَجُزِ هوازنَ، خمسين عامًا، وكذلك النبطيُّ القُحُّ، خلافُ المِغْلاق الذي نشَأَ في بلاد النَّبَط؛ لأنَّ النَّبَطيَّ القُحَّ يجعل الزّايَ سينًا، فإذا أراد أن يقول: زَورَق، قال: سَورْق، ويجعل العين همزة؛ فإذا أراد أن يقول: مُشْمَعِلّ، قال: مُشْمَئِلّ، والنّخاس يمتحن لسانَ الجارية إذا ظنّ أنها روميةٌ وأهلُها يزعمون أنها مولدة بأن تقول: ناعمة، وتقول: شمس، ثلاث مرّاتٍ متواليات».

ويمضي الجاحظُ ضاربًا الأمثلةَ على عدمِ تمكنِ الإنسانِ من لسانِ غيرِه التمكنَ الأمكنَ الذي يجعلُهُ مثلَهم، فيذكر أن الكتّابَ والشعراءَ والخطباءَ العَجمَ المتضلعين من العربية تنحرف ألسنتُهم، وتظهرُ في كلامهم

(١) الفأفاء: إكثار ترداد المتكلم للفاء، وفي (لسان العرب): «والفَأْفَأَةُ: حُبْسةٌ في اللسان وغَلَبة الفاء على الكلام. وقد فَأْفَأَ. ورَجل فَأْفَأٌ وفَأْفَاءٌ، يمدّ ويقصر، وامرأة فَأْفَأَةٌ، وفيه فَأْفَأَة. الليث: الفأْفَأَة في الكلام، كأنَّ الفاءَ يَغْلِبُ على اللِّسان، فتقول: فَأْفَأَ فلان في كلامه فَأْفَأَةٍ. وقال المبرد: الفَأْفَأَةُ: التَّرْدِيدُ في الفاءِ، وهو أن يَتَرَدَّدَ في الفاء إذا تكَلَّمَ».

اللكنة[١]، ويذكر من هؤلاءِ: زيادَ بنَ سَلْمَى أو أُمامةَ، وهو زِيادٌ الأعجم، قال أبو عُبيدة: كان يُنشِدُ قوله:

فتىً زادَهُ السُّلطان في الوُدِّ رِفعـةً   إذا غيَّـرَ السـلطانُ كـلَّ خليـلِ

قال: فكان يجعل السِّين شينًا والطاء تاءً، فيقول: فـتى زَادَه الشُّـلْتَان، ومنهم سُحَيْمٌ عبدُ بني الحَسحاس، قال له عمرُ بنُ الخطاب، رحمه اللَّه، وأنشد قصيدته التي يقول أوّلُها:

عُمَيرَة وَدِّعْ إنْ تَجَهّزتَ غاديـا   كَفى الشَّيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

فقال له عُمر: لو قدَّمْتَ الإسلامَ على الشَّيب لأجَزتكُ، فقـال لـه: مـا سَعَرْت، يريد ما شَعَرت، جعَـلَ الشـينَ المعجمـةَ سـينًا غـيرَ مُعْجَمـة، ومنهم: عُبيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ، والي العراق، قال لهانئِ بنِ قَبيصةَ: أَهَـرُورِيٌّ سائر اليوم، يريد: أحَرُوريّ، ومنهم: صُهَيبُ بنُ سِنانٍ النَّمَـريّ صـاحبُ رسول اللَّه ﷺ كان يقول: إنّك لهائنٌ، يريد إنـك لَحَـائن، وصُـهَيبُ بـنُ سِنانٍ يرتضخ لُكْنةً روميّة، وعبيدُ اللَّه بنُ زياد يرتضخُ لُكنةً فارسية، وقـد اجتمعا على جعل الحاء هاءً.

وترى الجاحظَ بعد أن يقفَ على ما حَضَرَهُ من لُكْنةِ البلغـاء والخطبـاء والرؤساء ينتقل إلى اللكنةِ عند العامة؛ فيقول: «فأمَّـا لُكنـة العامَّـة ومَـن

(١) اللكنة مصطلحٌ يُطلق ما يقع في حديث مَن يتحدثُ بغير لسانه، فهي تعتري «أصحاب اللَّكَن من العَجَم، ومن يُنشّأ من العرب مع العجَم»، كما قال الجاحظ. وجاء في مادة (ل. ك. ن) في (لسان العرب): اللُّكْنَة: عُجْمَةٌ في اللسان وعِيٌّ. يقال: رجل أَلْكَنُ بـيِّنُ اللَّكَن. ابن سيده: الأَلْكَنُ الذي لا يُقِيمُ العربيةَ من عجمةٍ في لسانه، لَكِنَ لَكَنًـا ولُكْنَـةً ولُكونة. ويقال: به لُكْنة شديدة ولُكُونةٌ ولُكْنُونة.



لم يكن له حظٌّ في المنطق فَمِثْلُ فيلٍ مَولى زيادٍ فإنه قال مَرَّةً لزياد: أَهْدَوا لنا هِمَارَ وَهْشٍ، يريد حمارَ وَحْش، فقال زياد: ما تقولُ، ويْلكَ!. قال: أهدَوا إلينا أيرًا، يريدُ عَيْرًا، فقال زياد: الأوَّلُ أهْوَنُ وَفَهِمَ ما أراد، وقالت أمُّ ولدٍ لجريرِ بن الخَطَفَى، لبَعضِ ولَدِها: وقع الجُرْدَان في عِجان أمِّكم، فَأَبْدلتِ الذّالَ من الجُرذْان دالاً وضمَّت الجيم، وجعلت العَجِينَ عِجانا، وقال بعض الشّعراء في أمِّ ولدٍ له، يذكر لُكْنَتها:

أَكْثَرُ ما أَسْمَعُ مِنْها في السَّحَرْ   تَذْكيرُها الأُنْثى وتَأنيثُ الذَّكَرْ
والسَّوْءةُ السَّوْآءُ في ذِكْرِ القَمَرْ

لأنّها كانت إذا أرادَت أن تقول القمر، قالت: الكَمَر". وإنَّ ما ذكرَهُ الجاحظُ في هذا السياق نلمسه واقعًا في حياتنا في نطقِ الأجانبِ لِلّسانِ العربية.

والسؤالُ الذي يَطْرَحُ نَفْسَهُ في هذا المقامِ دليلاً مؤيِّدًا، هو: هل يستطيعُ أهلُ العربيةِ اليوم مِمَّنْ يَنْطِقونَ الحاءَ هاءً في السودان، أو الجيمَ دالاً في بلادِ الصعيد، أو ياءً في بلادِ الخليجِ العربيِّ التخلّيَ عن هذا الصواب اللهجِيِّ الذي درجوا على سماعهِ في بيئاتهم، وداوموا على نطقهِ منذُ تَوَلُّدِ إحساسِ اللسانِ فيهم؟

وإذا انتقلنا إلى مجالِ الدرسِ اللغويِّ الحديثِ فسنجدُ أيضًا إدراكًا واعيًا لعدمِ إمكانيةِ جمعِ الناسِ على لسانٍ عالَميٍّ واحدٍ، ونجدُ أهلَهُ في هذا السياقِ يقفون طويلاً عند «أصلِ الألسنةِ»، وأيِّ منها «اللسانُ الأم»، و«تفرعاتِ الألسنةِ» منه، وكان تقسيمُهم للألسنةِ إلى «عائلاتٍ» أو «أسرٍ لسانيةٍ» نسبوها إلى لسانٍ أولٍ واحدٍ، وبحثوا في «مظاهرِ التطورِ» أو

«التغيرِ» التي تعتري الألسنة؛ ووقفوا عند «عواملِ التَّغَيُّـرِ اللسـانيِّ» الـتي أوضحوا تأثيرَها في عدمِ ثباتِ أيِّ لسانٍ على حالٍ واحدةٍ صوتًا ودلالة.

وكذلك وقفوا أيضًا عند المزالقِ التي يقع فيها الأفرادُ حين ينتقلون إلى الحديثِ بلسانٍ أو لهجةٍ من غـيرِ مـا درجـوا عليـه، وأوضـحوا صـعوبةَ التَّحولِ من لسانٍ إلى آخَر، أو مـن لهجـةٍ إلى أخـرى، وإذا كـان الأمـرُ كذلك في لهجاتِ اللسانِ الواحدِ فما بالُنا حين يكونُ التحـولُ إلى لسـانٍ من عائلةٍ لسانيةٍ أخرى.

وفي هذا السياقِ وجدنا الدكتور إبراهيم أنيس (١٩٠٦- ١٩٧٧م) مثلاً ينبه إلى اختلافِ أصواتِ اللينِ بين الألسـنةِ، وأنَّ المُحْـدثينَ مـن علمـاءِ الأصوات «لاحظوا أنها تختلفُ من لغةٍ إلى أخرى اختلافًا يجعلُ محاولـةَ النطقِ بلغةٍ أجنبيةٍ عسـيرًا يحتـاجُ إلى مِـرانٍ كـبير؛ فنسـبةُ الخـلافِ بـين أصواتِ اللينِ في اللغةِ الإنجليزيةِ والفرنسيةِ كبيرةٌ تجعلُ نطقَ الإنجليـزيِّ للغةِ الفرنسيةِ شاقًّا مَشوبًا بلهجةٍ غريبةٍ ثقيلةٍ على آذانِ الفرنسيين، وكذلك العكسُ بالعكس ... ومن أعقدِ الصعوباتِ التي يصطدمُ بها المصـريُّ في تَعَلّمِ اللغـةِ الإنجليزيـةِ أصـواتُ اللـين الإنجليزيـة، وكيفيـةُ النطـقِ بهـا صحيحة»(١).

وَيُعَرِّجُ د. إبراهيم أنيس على اللـهجات فيـذكر أن أصـواتَ اللـينِ في «لهجاتِ اللغةِ الواحدةِ لَتختلفُ فيها اختلافًـا يميِّـزُ كـلَّ لهجـةٍ مـن هـذه اللهجات»(٢). وأنها «في كلِّ لغةٍ - أو لهجةٍ - كثيرةُ الـدَّوَرانِ والشُّـيوع؛

(١) أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ملتزمة الطبع والنشر: مكتبة الأنجلو المصـرية-٠ القاهرة، ط٤/ ١٩٧١م (ص ٢٩).

(٢) المرجع السابق (ص ٣٠).



وأيُّ انحرافٍ عن أصول النطقِ بها يُبعِدُ المتكلمَ عن الطريقةِ المألوفةِ بين أهلِ هذه اللغة؛ فأقلُّ انحرافٍ في نطقِنا لأصواتِ اللينِ في اللغةِ الإنجليزيةِ يجعلُ نطقَنا كمصريينَ لهذه اللغةِ غريبًا لا تستسيغه الأذنُ الإنجليزية»(١).

وإذا كان الأمرُ كذلك فإننا نستطيعُ أن نستشعرَ رحمةَ الخالقِ ﷻ بعبادهِ بأنْ مَنَحَهُمْ جهازًا نطقيًا لا خلافَ في مكوناتِهِ العضويةِ عند البشرِ جميعِهم ذُكورًا وإناثًا، وجعلهُ مِطواعًا يلبّي احتياجاتهم في اختلافِ الألسنةِ واللهجات، ويعبِّرُ عن قدرتهِ ﷻ وإعجازهِ في خَلْقِه. قال ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم].

وعليه كانت مراعاتُهُ ﷻ لاختلافِ ألسنةِ الناس، وذلك بعدم إنزال رسالاتهِ السماويةِ بلسانٍ واحدٍ، وجاءَ قولُهُ الكاشِفُ المُستمَدُّ منهُ رأيُنا في هذا السياق قرآنًا بليغًا، قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

وجاء الحديثُ النبويُّ الشريفُ: «أُنْزِلَ القرآنُ على سبعة أحرفٍ» إشارةً مُعَزِّزَةً إلى صعوبةِ التحولِ من لسانٍ إلى آخَر، أو لهجةٍ إلى أخرى؛ وتخفيفًا عَنِ العربِ وغيرِهِمْ منَ المسلمينَ منْ أبناءِ الأجناسِ الأخرى في قراءةِ القرآنِ الكريمِ: هذا الكتابُ المُقَدَّسُ بِلَفْظِهِ ومَعْناه.

ثانيًا - الجانب الاجتماعيّ للغة:

إنَّ القولَ بأنَّ اللسانَ ظاهرةٌ اجتماعيةٌ لَيَعني أنَّهُ مكتسبٌ، ويستحيلُ فَرْضُهُ على أيِّ مجتمع. واستوحى علماءُ العربيةِ تعريفَهم لِلِّسانِ من

(١) السابق (ص ٢٩).

قرآنهم الكريمِ حين ربطوه بكلِّ قومٍ فعرّفَهُ عالمُ العربيةِ أبو الفتح ابنُ جني (ت: ٣٩٢هـ) بقوله: «اللغةُ أصواتٌ يعبّرُ بها كل قومٍ عن أغراضهم».

كما آمن علماؤنا بأن اللسانَ لا يَتَمَكَّنُ في الإنسانِ إلا بالمُعايشةِ والاختلاط، وأَنَّهُ ينتقلُ إليه تدريجا، وأنَّ اختلافَ الألسنةِ لا يرتبطُ باختلافِ الأنساب؛ لذا وجدْنا أهلَ المدينةِ منهم يرسلون أطفالَهمْ إلى الباديةِ لِيَرضعوا لبنَ الفصاحةِ منذ نعومةِ أظافيرِهم، ووجدنا علماءَهُمْ يَنُصّونَ على أنَّ أخذَ اللسانِ لا يَتِمُّ إلا بالدُّربةِ والمُعاودةِ اكتسابًا مُتَدَرّجًا بالاجتماعِ والتَّلَقُّنِ من مُلَقِّنٍ ثقةٍ صحيحِ اللسان. وتمثلت خلاصةُ هذا الرأي بمنهج (اِسْمَعْ وأَسْمِعْ) الذي كثيرًا ما ردّده لسانُ أستاذِ العربيةِ المعاصرُ وكتبهُ الأستاذ الدكتور/ كمال محمد بشر.

إن القول بهذا المنهج الموصلِ إلى الاكتسابِ السليمِ للسانِ لَيعني أن اللسانَ لا يمكنُ فرضُهُ أو صناعتُهُ؛ الأمرُ الذي نبرهنُ عليه بفشَلِ محاولاتِ نشرِ الألسنةِ، أو إنْ شئت فقل هنا: اللغاتِ الاصطناعيةِ: كـ اللغة الموسيقية العالمية، و الفولابيك، وتعني: لغةَ العالَم، والإسبرانتو التي وضعها "لازاروس زمنهوف" وغيرِها. ونؤيّدهُ بالإرادة الإلهيةِ التي اقتضت بأن اختلافَ الألسنِ حقيقةٌ إلهيةٌ ثابتة.

وكذلك من الجوانبِ الاجتماعيةِ المعززةِ لرأينا في بقاء البشرِ مختلِفي اللغات أنك - أيًّا حَلَلْتَ - ترى تَشبُّثَ كلِّ مجتمعٍ بلسانهِ الأمِّ الذي يراهُ مُعَبِّرًا عن هُويتهِ، ويَحوي ميراثَ الأجدادِ الذي يجعله جزءًا لا يَتَجَزَّأُ من تركيبتهِ الفسيولوجيةِ والفكريةِ والثقافيةِ وغيرِها؛ فهو نتاجُ أنفاسِ زفيرهِ الذي يسعى دَومًا إلى سلامةِ تواصلِ استمرارِ جريانهِ فيه.

الجانبُ القَوْمِيّ:

إنَّ شواهِدَ التمسكِ باللسانِ القوميِّ كثيرة؛ فالشعوبُ الإسلاميةُ الكبيرةُ والصغيرةُ مثلاً لم تتخلَّ عن لغاتِها أو قومياتِها لصالحِ عقيدتِها. ولدينا



اللسانُ العِبْرانيُّ مَثَلاً واقعًا، ومن الشواهدِ الحَيَّةِ في هذا المقامِ الشعبُ العربيُّ في فلسطين، ولاسيَّما أولئك الصامدون الذين بَقُوا في بواديهِمْ وقُراهمْ ومُدُنِهِم الفلسطينية بعد نكبة ١٩٤٨م.

وَتَدَبَّرْ حالَ دولِ الاتحادِ الأوربيِّ التي أَعلنت اتحادًا مَصلحيًا بينها، ولكنَّها لم تتنازل عَن مظاهرِ قوميةِ كلٍّ منها؛ فاحتفظت كلٌّ منها بعملتها الرسميةِ، وإن أوجدتْ لهذا الاتحادِ عملةً واحدة، وحرصت كلٌّ منها على نقاءِ لسانِها، وتسابقتْ إلى نشرِهِ في العالم؛ الأمر الذي نلمسه مثلاً واضحًا في مصطلحات «الفرانكفونية»، و«الأنجلوفونية»، و«الإسبانوفونية»، وهرولةِ كلٍّ منها على فتحِ المنتديات والمراكزِ والملتقياتِ الثقافيةِ وتقديمِ المنحِ الدراسية في خارجِ حدودها؛ بغيةَ جلبِ الأنصارِ والمتحمسين لفكرِها.

إنَّ ما نشهدهُ من احتجاجاتٍ وتَظاهراتٍ في أنحاء متفرِّقةٍ من العالَمِ ضدَّ العولمةِ وأخطارها لَيُشَكِّلُ دليلاً صريحًا على رفضِ المجتمعاتِ لَها، وأنَّ فَرْضَ إرادةِ الواحدِ على الجميعِ لَهو مسرحيَّةٌ لا يُمْكِنُ البتة أنْ يُشْهدَ تمامُ فُصولِها ولاسيَّما في مجالِ اللسانِ الذي شاءت إرادةُ اللهِ الواحِدِ القَهّارِ اختلافَ ألسنةِ البشرِ فيها.

الجانبُ العَقَدِيّ:

ارتبطت بعضُ ألسنةِ البشرِ بكتب دينيةٍ- سماويةً كانت أم بشريةً-، وهي عند أصحاب الأديانِ السماويةِ لسانُ أهلِ الجَنَّة؛ الأمرُ الذي يستحيلُ معهُ إِقْناعُ أَصحابِها بالتَّخلّي عنها.

الجانب التقني:

يرى بعضُ الدارسين والمفكرين أنَّ التقدمَ الكبيرَ الذي شهده العالمُ في وسائلِ الاتصالِ في عصرنا سيعززُ إمكانَ اتِّجاهِ البَشَرِ نَحْوَ التَّوَحُّدِ اللسانيِّ، وأنَّ رُجوعَ بَلْبَلَةٍ بابِلِيَّةٍ أُخْرى سَيَكونُ أَمْرًا مُسْتَحيلًا.

وإذا كنا لا ننكرُ ما لهذه الوسائلِ من أثرٍ فعّالٍ في تقريب العلاقاتِ بين الشعوب المعاصرةِ فإننا نرى أنها ليست قادرةً على توحيدها لسانًا أو غيرَه، وذلك في ظلِّ ما نشهدُهُ من صراعاتٍ عسكريةٍ ومذهبيةٍ وفكريةٍ واقتصاديةٍ وتاريخيةٍ وغيرِها، وما تتركُهُ من آثارٍ سلبيةٍ تحتقنُ بها نفوسُ المغتصَبينَ والمعتدَى عليهم، وتغلي مراجلُ صُدورِهم بالتصدّي والردِّ عليها.

وكذلك فإنه يمكن الاستفادةُ من هذه الوسائلِ الحديثةِ في الجانبِ المقاومِ المضادِّ لوحدانيةِ العولمةِ لسانًا كانَ أم غيرَه. وذلك بتسخيرِها لتقريب الضعفاءِ من بعضِهم، وتوعيةِ الأجيالِ الصاعدةِ بأهمِّيَّةِ الحفاظِ على استقلالِها لسانًا وثقافةً واقتصادًا، وما إلى ذلك.

الخلاصة:

نخلص مما تقدم إلى استحالةِ اجتماعِ شعوبِ الأرضِ أو إجماعِها على لسانٍ واحدٍ، وإذا كان الأمرُ كذلك فإننا نرى أنَّ عولمةَ اللسانِ التي يُخَطَّطُ لها الآنَ تتمثلُ في تحقيقِ أحدِ أمرينِ بل فيهما معا، وبتظافرهما يُمْكِنُ أنْ يُشكِّلا مقدمةً لسيطرةِ لسان العولمة وهَيْمنتِهِ على غيرِهِ من ألسنة البشر دونَ إفنائِها، وهما:

الأول - تشجيع نشر مفرداتِ لسانِ العولمةِ وتراكيبهِ في مجالات الحضارة ولغة العامةِ على ألسنةِ أبناءِ الأممِ الأخرى؛ بُغيةَ أنْ يفقدَ اللسانُ الأمُّ خاصةَ التَّمايز، فَيغْدوَ خِلاسِيًّا تختلطُ خصائصُهُ بخصائص لسانِ العولمة. وإنَّ تفحصًا سريعًا لِألسنةِ كثيرٍ من المجتمعاتِ اليومِ لَيُظْهِرُ مدى انتشارِ ألفاظِ العولمةِ وتراكيبها فيها؛ فأسماءُ المأكولاتِ والمشروباتِ والملبوساتِ وما يَخُطّونَهُ على أقمشتِها والمَحِلاتِ التِّجاريَّةِ



والفنـادقِ ودورِ الخيالةِ والمتنزهاتِ وما إلى ذلك مِمّا هُوَ مِـنْ إنتاجِهِـمْ أو صناعتِهِـمْ تتداولُها الألسنةُ بلفظِهـا العَوْلَمِيِّ في الكونِ كلِّـه.

وكذلك فإنَّ من مظاهرِ العولمةِ اللسانيةِ ما أُسميه بـ «تَزْوِيرِ الدلالـة»، أو «تَحريفِ الدلالة»؛ حيثُ يقومُ «المُعَوْلِمون» بتسـميةِ المُسَـمَّياتِ بغـيرِ أسمائها التي تُشكِّلُ جزءاً من ثقافةِ الأمَّة، ويُسَخِّرونَ الطاقــاتِ الكفيلـةَ بإذاعتهـا وجَعْلِها جزءاً من متنِ اللسانِ المعاصر.

ومن أمثلةِ هذا التزويرِ أو التحريفِ في لساننا العربيِّ حَرْفُ الدلالـةِ في إطلاق ألفاظ «الاستعمـار والإعمار والاستيطان»، بدلاً من: «الاحـتلال والتخريبِ الاغتصاب»؛ و«مُسْتَعمَرَة أو مُسْتَوْطَنَة»، بدلاً من: «مغتصَبَة»؛ و«قواتِ التحالف أو التحرير»، بدلاً من: «قـواتِ العـدوان أو التـآمر أو الاحتلال»؛ و«المُخرِّبِ والإرهابي والانتحاري»، بدلاً من: «الفـدائي أو المناضل أو الثائر أو المجاهد أو المقاوم»؛ و«القتيل ومَصْرَع مُخَـرِّب»، بدلاً من: «الشّهيد»؛ و«قُتِل، لَقِـيَ مَصْـرَعَهُ أوْ حَتْفَـهُ، وسـقطَ قتـيلاً أو صريعًا»، بدلاً من: «ارتقى إلى العُـلا، أو ضَـحّى بنفسـه أو جـاد بهـا»؛ و«منظماتٍ إرهابيةٍ أو تخريبيةٍ»، بدلاً من: «منظمات التحرير أو التحرُّر»؛ و«الدولِ المارقة، أو الدولِ الرّاعية للإرهابِ»، بدلاً من: «الدّولِ الوطنية أو الحرَّةِ أو المستقلة» ... الخ.

وممّـا قـد يـدخل في هـذا الإطـار: تلـك الشـعاراتُ المُضَـلِّلَةُ الـتي يطلقونها، ويَنْفُذونَ من خلالها لتحقيق مآربهم في الهيمنةِ، ومـن ذلـك: إذاعــتُهُمْ لمصــطلحات: الديمقراطيــةِ والحريــةِ والعــدلِ والمســاواةِ والمساعداتِ الإنسانيةِ وتحريرِ الشُّعوبِ ودَمَقْرَطَتِها، والفوضى الخَلّاقة، والربيعِ العربي، وما إلى ذلك.

وَنُحَذِّرُ في هذا المجالِ من استعمالِ هذهِ المضامينِ عند الترجمة، ونشددُ على التنبه إلى مزالقِ الترجمةِ الدلالية؛ فلا نترجمُ المضمونَ المُزوَّر، وهذا الحقُّ الوطنيُّ لا أرى فيه خيانةً لأمانةِ الترجمة، وإنما الخيانةُ لِدِهقانِ السياسةِ الأول الذي بَدَّلَ وَزَوَّرَ وَحَرَّفَ المسارَ عن طريقهِ الأصيل؛ فليسَ الثائرُ والمناضلُ المدافِعُ عن حقوق سُلِبَها مُخَرِّبًا أو إرهابيًّا، وليست الثورةُ أو المقاومةُ أو الكفاحُ أو النضالُ أو الانتفاضةُ عنفًا أو إرهابًا أو تخريبًا؛ إنها ليست "Terrorism" ، بل: "Resistance" أو: "Revolution".

الآخرُ - نشرُ لسانِ العولمةِ لفظًا ومضمونًا في المؤتمراتِ والمحافلِ الدّولية، وجَعْلُها لسانَ خواصِّ المجتمعِ من المثقفينَ والمفكِّرينَ وأساتذةِ الجامعاتِ والقادةِ والساسةِ وغيرِهم، وكذلك جَعْلُها لسانَ تدريسٍ لكثيرٍ من العلومِ في الجامعاتِ ومدارسِ اللغاتِ والمدارسِ الخاصةِ.

إنَّ أصحابَ العولمةِ حين يَنْهَجونَ هذا النَّهجَ نراهم يَسْعَوْنَ إلى تَحقيقِ هَدفَيْنِ رئيسين يصبّانِ في خِدمةِ مصالحِهم: يتمثَّلُ الأولُ في جَعْلِ لسانِهم اللسانَ الثانيَ للعامةِ عند شعوبِ الأرضِ. أما الآخَرُ فيتمثَّلُ في جعلِه اللسانَ الأولَ لِخَواصِّ هذهِ الشعوبِ أو للنُّخَبِ بلغةِ اليوم منَ العلماءِ والسّاسةِ والاقتصاديينَ وغيرِهِمْ مِن روّادِ المؤتمراتِ، ومِمَّنْ بيدهِمْ تصريفُ شئونِ بلدِهم في مجالاتِ الحياةِ المختلفة؛ الأمر الذي يتطلب من الأمم الأخرى حماية ألسنتها بل نفسِها.

توصيات :

إنَّ الدراساتِ والندواتِ والمؤتمراتِ التي عُقدت في مجالاتِ الحرصِ على التعريبِ وسيادةِ لسانِ العربِ في دارهِ يصعبُ حصرُها، وكذلك فإن



التوصياتِ التي صدرت عنها كثيرةٌ ومكرورة؛ لذا فإنَّ أهمَّ توصيةٍ يمْكنُ لهذه الدراسةِ توصيتُها هنا تتمثلُ في أننا بحاجةٍ إلى جمعِ كلِّ ما سبقَ إنجازه في هذا المجال، واستخراجِ توصياتهِ وخُططِهِ ومناهجه صيانةِ اللسانِ العربيِّ لوضعِ الخُططِ التنفيذيةِ لها.

وإذا كان من المهمِّ أنْ نقولَ ونذكِّرَ فإنَّ الأهمَّ أنْ نشرَعَ في الفعل، وأستذكر في هذا السياقِ رأيَ الشاعرِ الجاهليِّ الحارثِ بنِ حِلِّزَة(ت. ٥٤ ق.هـ) الذي عبّرَ عن هذا المضمونِ فقال:(بحر الخفيف)

إِنَّما العَجْزُ أَنْ تُهُمَّ وَلا تَفْـ (م) ـعَلَ وَالهَمُّ ناشِبٌ في الضَّميرِ

ومع هذا فإنَ دراستَنا - على سبيلِ التذكيرِ- توصي بما يلي:

- توعيةِ الجماهير العربية بضرورةِ الحِرْصِ على سلامةِ اللسانِ العربيِّ صوتًا وبنيةً وتركيبًا ودلالة.
- استعمالِ المصطلحاتِ والألفاظ الحضارية التي وضعتها مجامعُ اللغة العربية، وضرورةِ توحيدها من خلال إنشاء مجمعٍ لغويٍّ عربيٍّ موحد، أو إسنادِ هذهِ المهمةِ إلى اتحاد المجامعِ اللغويةِ العلميةِ العربية، والاستفادةِ في هذا المجال من منجزات مكتب تنسيق التعريب في الرباط.
- الاستفادةِ من وسائل الاتصال الجماهيريِّ على شبكة «البَرّاق» "Internet" في إجراءِ استفتاءاتٍ لسانيةٍ، ودراستِها الدراساتِ الاستقرَحصائية، ونشرِ نتائجِها للتصريحِ باستعمالِها في أقطارِ العروبةِ كلها.
- التزامِ الدول العربية بالتنفيذ، ومراقبةِ الجامعةِ العربيةِ لمدى التزامِ هذهِ الدولِ بما نصت عليه دساتيرُها بأن اللسانَ العربيَّ هو لسانُ البلاد؛

الأمر الذي يتطلبُ إعمامَ التعليمِ باللسانِ العربيِّ في الجامعات ومعاهدِ التعليم العالي، والاستفادةِ من التجربة السوريةِ في هذا العمل القومي.

وهذا يتطلبُ أيضًا فحصَ لغةِ المعلمينَ في جميعِ مراحلِ التعليم، ومراجعــةَ الجامعــاتِ والمعاهــد لمضــامين مقــرر اللســانِ العــربيِّ، وضرورةَ تطويعِهِ لمتطلباتِ الطلبةِ التخصصية، ووجوبَ حُصولِ كـلٍّ منهم على شهادةِ الكفاءةِ أو الجدارةِ في استعمالِ اللسانِ الفصيحِ نطقًا وكتابةً، وذلك على غرار ما يتمُّ في الدول الأجنبية.

- العنايةِ بالترجمة مـن اللغـات الأخـرى، وربـط الترقيـات الأكاديميـة لأعضاء الهيئة التدريسية في المعاهـد والجامعـات بتقـديم دراسـةٍ أو كتابٍ أو بحثٍ مترجَمٍ في مجالِ تخصصـه، أو تقـديمِ دراسـةٍ عمليـةٍ جادةٍ في تعريبِ المصطلح الأجنبي.

هذهِ هيَ أَهَمُّ القِيَمِ أو النَّتائجِ التي تستطيعُ الدراسةُ استخلاصَها في هذا المقامِ، وترجو أن ينتفعَ أبناءُ العروبةِ بها خدمةً للسانهِمْ العربيِّ وقوميتِهِمْ ودينِهِمْ الإسْلامِيّ.

والله الموفق والمستعان،،



فوضى الأسماء وجناية الآباء

د. فواز بن عبد العزيز اللعبون
جامعة الإمام محمد بن سعود – الرّياض
عضو المجمع المؤازر

اسم الشخص هو الرمز اللفظي الدال عليه، وقد يعطي الاسم نوعًا من التأثير أو الانطباع الحسن أو السيئ عن الشخص المتسمي به كما تدل بعض الإشارات قديمًا وحديثا، ولذا كانت العناية باختيار الاسم منبعثة من أهميته، فهو يلازم الإنسان حيًّا وميتا، ويظل أيضًا متسميًا به حتى في عالمه الآخر.

ولقد نبه نبينا الكريم - ﷺ - لتلك القيمة الرمزية للاسم، فحثّ على اختيار الأسماء الحسنة، واقترح أمثلة عليها، ولم تعجبه أسماء أخرى، فأنكرها أو أمر بتغييرها.

وشيء له هذا الثبات وتلك الديمومة جدير بأن نوليه عناية خاصة، فنحن لن نَعجب من رجل يعتني بمنزل أحلامه، ويستدين الديون الطائلة من أجل إتمامه، وإظهاره بصورة حسنة يرضاها، وهو عَمَلٌ قد يستحق ذلك؛ لأن حقبة طويلة من عمر ذلك الرجل سترتبط بذلك المكان، فكيف والاسم أكثر أهمية وارتباطًا وبلا كُلْفة؟! أفلا نعجب حينئذ من أولئك الذين يسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء لا تدل على الاهتمام، ولا على حسن الاختيار، أو تدل على التبعية العمياء لغير العرب الذين ننتمي إليهم؟!

ولعلكم لاحظتم ما شاع في الأعوام الأخيرة من أسماء جديدة وغريبة لا تتصل بلغتنا، ولا بثقافتنا، وبخاصة أسماء الإناث، فغلبت عليها

الميوعة المتكلفة، والعبثية غير المسؤولة، وتنافس في اختيارها بعض الآباء والأمهات، مما دَفَعَ فئة منهم إلى اختراع أسماء عجيبة لا وقار فيها، أو ذات دلالة عكسية، أو بلا دلالة مطلقا، لا يهمهم من ذلك كله إلا مواكبة (الموضة المحمومة) للأسماء الجديدة والغريبة.

ولأنني وجدت في الأمر ظاهرة تستحق الاستقصاء والعلاج كنتُ -منذ مدة- وما زلت أتتبع مروجي أمثال تلك الأسماء ومخترعيها في الشبكة العنكبوتية بخاصة، فوجدت عددًا من الموسوعات والمؤلفات وجملة من مواضيع المنتديات تتناول هذه الشؤون بالتفصيل والتأصيل، ومن ذلك أطروحات تحمل أمثال هذه العناوين: (أسماء جديدة غريبة جدا وجميلة)، (يا بنات الحقوا على آخر أسماء الدلع)، (أسماء بنوتات رووووعة)، (أسماء بنات جديدة لعام ٢٠١٠) وهي سلسلة من سلاسل تبتدئ بعام ٢٠٠٥.

وتحت تلك المواضيع أسماء عجيبة، المناسب منها قليل، وأكثرها باطل في اشتقاقه وفي معناه وفي ادعاء أصله العربي.

ومن تلك الأسماء المقرونة بمعانيها التي توحي أنها معان عربية وهي ليست كذلك: (رانسي: اسم الغزال)، (كارمن: اسم زهرة برية)، (ميار: ضوء القمر)، (مادلين: اسم فاكهة صيفية)، (تولين: اسم الزهرة)، والأطرف: (هايدي: اسم فتاة الجبل)، ويبدو أن الذي اخترع هذا المعنى نسي أن يُضيف (سالي) و(أَلِيْس)، ويَدَّعي أن معنى سالي: (فتاة الحزن)، ومعنى أَلِيْس: (فتاة العجائب).

وليس هذا وأمثاله فحسب، بل هناك شروحات ومقولات مطولة لا يتسع لها المقال، وحين يقع غير المتخصص على مثل هذا يظن يقينًا



أن أصحاب تلك الأطروحات يتحدثون عن علم راسخ، فيسمي بما فيها وهو مطمئن.

ومن طريف ما مرّ بي من ذلك أسماء استُشِرْتُ في معانيها وفي أصولها العربية، فهذا صديق حميم رزقه الله بمولودة، وأحب أن ينتقي لها اسمًا عربيًّا جميلاً جديدا، فاستشارني في أن يسميها: (ماهيتاب)، فبينت له أنه اسم غير عربي، ولا معنى له في لغتنا، فاستنكر عليّ، وذكر أن معناه مأخوذ من الهيبة كما أفادته زوجته مهيبة الجَناب، فحلفت له بالذي نزع عنه الهيبة في بعض الأمور أن هذا غير صحيح، ثم عاد مرة أخرى يستشيرني في اسم (رَمِيْس)، فأخبرته أنه اسم عربي يعني (المدفون) (أي المقبور)، ونهيته عن اختيار الاسم، وأكدت له أن في الاسم فألاً غير حسن لابنته البريئة، ولكنه ظل يحاول إقناعي بجمال الاسم، وعذوبة إيقاعه، وكأنني ابن منظور أستطيع تغيير معناه لأجل عينيه، ولما أخفقَتْ محاولاته وخاف على ابنته من الفأل السيئ قرر أن يقع في أقل الضررين، فعاد إلى اسم (ماهيتاب) يسأل عنه غيري لعلهم يجدون له مخرجا.

وصاحب آخر استشارني في تسمية ابنته: (رِسَال)، فأخبرته أن معناه (قوائم البعير)، فقال: بل معناه مأخوذ من الرسالة والرسول ومن قولهم: على رِسْلِك، أي تَمَهَّلْ، وظل يقنعني بصحة كلامه، وكأنني أنا طالب الاستشارة لا هو، ولما يئس مني عاد من الغد يستشيرني في اسم (مَيْلاء)، فبينت له أنه وَصْف للأشياء المائلة، فيقال: شجرة ميلاء لكثرة أغصانها، وعمامة ميلاء لما فيها من مَيَل، ووضحتُ أن صفة المَيَل واشتقاقاتها لا تصلح أن تكون اسمًا لأنثى، فوصفني بالتعقيد، وتحميل الأمور ما لا تحتمل، ثم سمى ابنته (دِيَالا) مع أنني نهيته أيضا، ولكنه أصر؛ لأنه قرأ في أحد المنتديات أن معنى الاسم هو النهر، ولا أدري مَن ورطه بذلك!

وهذا صاحب ثالث سألني عن معنى اسم (رَمَاز)، فذكرت له أنه بلا معنى، وألحّ هو على أن معناه مأخوذ من الرمز، وراح يسوق لي أمثلة من ابتكاره، ثم عرض علي اسم (مُوْهَانا)، فأخبرته أن الاسم أعجمي، ولا معنى له في لغتنا العربية، وأصر هو على أنه اسم نوع من أنواع الطيور الهندية التي تمر على الجزيرة العربية في هجرتها الموسمية، فكيف لا يكون الاسم عربيّا؟! ثم عرض علي اسم (رِيْتَاج) فقلت له: لا معنى له أيضا، إلا إذا كنت تقصد (رِتَاج) دون الياء، والرِّتَاج الباب الكبير، واسم من أسماء مكة المكرمة، فقال: هذا ما أقصده، ولكن الاسم بالياء أعذب وأجمل، فسمى ابنته (ريتاج) بعد أن أضاع وقتي، وصَدَّع رأسي.

ألا تلاحظون أن أصحابي عنيدون لا يستجيبون لاستشاراتي المجانية؟! كما أنهم لا يستشيرونني إلا في أسماء الإناث، وهذا يدل على أن الأسماء التي يستشيرونني فيها مفروضة عليهم من زوجاتهم المصونات، ولذا يحاولون إقناع أنفسهم وإقناعي بصحتها (هذه الفقرة أنتقم فيها منهم مع كل الودّ لهم).

ومهما يكن من أمر فلن أنتقد وأسكت، أو أطالب بأن نسمي أبناءنا أسماء تقليدية دائما، بل سأسوق جملة من المعايير التي يتحقق من خلالها جمال الاسم وجلاله، وتتأكد فيه صلاحيته الزمانية والمكانية، والمعايير هي:

١- أن يكون الاسم عربيّا، فالأمة المعتزة بذاتها تحافظ على هويتها، ولا تقلد الآخرين فيما لا موجب له، كما أن معاجمنا العربية تتسع لآلاف الأسماء، ومؤهلة للتوالد والاشتقاق، وهذا معيار لا تنازل عنه مطلقا.



٢- أن يكون الاسم حسن المعنى، وهذا من البدهيات التي لا يختلف عليها ذوو الوعي؛ إذ لا قيمة لأي اسم مهما كان مغريًا إذا كان معناه غير حسن، مثل اسم (شَجَن وشُجُوْن وأشْجَان)؛ إذ إن أشهر معانيها يدل على الهم والحزن، وذلك ما لا يريده أحد لفلذة كبده، ويجب الانتباه إلى أن بعض معاني الأسماء تبدو حسنة في منظور دون منظور، مثل: (هُيَام)، فالهيام هو منتهى العشق، وفي الجملة يبدو معنى غير سيئ، ولكنه ليس مثاليًا، ولا يناسب فتاة يأمل فيها أهلها أن تكون راشدة حصيفة، وكذلك اسم (غُرُوْب)، فمن دلالات الغروب الانتهاء والغياب، ويقال غربت شمسه وغرب نجمه إذا انتهى عمره ومات، وهو كذلك يُشير إلى مشهد شاعري نراه للشمس أثناء غروبها، ولكن الدلالة الأولى أفسدت الثانية، وجعلت الاسم غير مثالي، ومن الجدير ذكره في هذا السياق نقد قولهم: «الأسماء لا تُعَلَّل»، بل تُعَلَّل وتُعَلَّل، ولا يوجد اسم إلا وهناك معنى له، وسبب في اختياره حتى لو خفي علينا بشكل أو آخر، وتلك المقولة يَحتجّ بها من يَجهل معاني الأسماء، أو من يُرَوِّج لأسماء لا معاني لها.

٣- أن يدل الاسم المذكر على مذكر أو صفة يناسبها التذكير، مثل: (مهند)، وأن يدل الاسم المؤنث على مؤنث أو صفة يناسبها التأنيث مثل: (بَتُوْل)، فإذا جرى العرف على أن الاسم المذكر يعود لمؤنث باتفاق فلا بأس، مثل: (أسيل، وأريج، وعبير)، فهذه أسماء لا يتسمى بها إلا الإناث مع أنها تعود لمذكر، فيقال: (هذا خَدّ أسيل، وهذا أريج طيب، وهذا عبير فوّاح)، أما إذا كان الاسم جديدًا لم يُتَعارف عليه فإن الأصل أن يَحتكم الناس في تذكيره

وتأنيثه إلى اللغة، فمثلاً اسم (الجودي أو جودي) يعود على مذكر، وهو جبل رست عليه سفينة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فمن غير المناسب إطلاقه حاليًّا على أنثى إلا إذا انتشر بين الناس على أنه اسم أنثى، وهناك أسماء مشتركة بين الجنسين، والأسلم تجنبها، مثل: (مَلَك، وفَرَح، وتيسير).

٤- أن يكون الاسم مقبولاً في أعراف البيئة المحلية، فقد نجد اسمًا عربيًّا حسن المعنى، ولكن العرف يكاد يحصره على بيئة أخرى غير بيئة المتسمي بالاسم، وهذا من شأنه أن يُعَرِّض صاحب الاسم للنبز واللمز من المراهقين وأمثالهم، ومن تلك الأسماء: (كاظم، ومتولي)، فمن معاني الأول: كظم الغيظ، ومن معاني الثاني: الشخص الذي يتولى القيام بالأمور، والمعنيان جيدان، ولكنّ الاسمين ارتبطا بأقطار أخرى، وأحيانًا تكون للأسماء بعض الخصوصية في مثل هذه الحالات.

٥- أن يكون إيقاع اللفظ مناسبا، فالاسم المذكر يُناسبه الإيقاع القوي أو المعتدل، أما الاسم المؤنث فيناسبه الإيقاع العذب الرقيق، وعلى هذا فمن غير المناسب أن يُسمى الولد (وسيم)، والبنت (عائضة).

٦- أن يُنطق الاسم باللهجة العامية كما ينطق باللغة الفصحى، مثل: (باسل، وزياد، ورزان، وهتون)، وهناك أسماء جميلة المعنى والنطق بالفصحى، ولكنها لا تنطق كما هي في اللهجة العامية المحلية، مثل: (سُهَيْل، وعَمْرو، ومَيْس، وهَيْفاء)، فبعض كبار السِّنّ والموغلين في العامية سينطقونها إما بتغيير الحركات، أو بزيادة الحروف أو نقصانها، وسينطقون (سُهَيْل): (سْهِيل)، بتسكين السّين



وكسر الهاء، و(عَمْرو) سينطقونها بالواو التي لا تُنْطق، وفي (مَيْس) سيقولون: (مِيْس) بإمالة فتحة الميم إلى كسرة، وفي (هَيْفاء) سيحذفون الهمزة: (هَيْفا)، وقد يُمِيْلون فتحة الهاء إلى كسرة أيضًا (هِيْفا)، وهذا من شأنه أن يُفسد بنية الاسم، وإيقاعه.

٧- أن تكون حروف الاسم منطوقة في اللغة الإنجليزية، وذلك مطلب عصري، ويجدر بنا الالتفات إليه وإن كان ثانويًا، ولا سيما أن كثيرًا من تعاملاتنا الحديثة لا تخلو من اللغة الإنجليزية نطقًا أو كتابة، ومن تلك الأسماء الصالحة للغتين: (وليد) و(هشام) و(أماني) و(هند)، ومن الأسماء التي سيتغير نطقها في اللغة الإنجليزية: (صالح)؛ حيث سينطق: (ساله)، و(عواطف) سينطق: (أواتف).

٨- أن يناسب الاسم المراحل العمرية للإنسان، ومؤخرًا غفل بعض الآباء عن هذا الجانب وبخاصة في أسماء البنات، وتَصَوَّرَ أن ابنته ستظل طفلة، فاختار لها اسمًا لا يناسب مراحلها العمرية المتقدمة، مثل: (وَجْد)، (وَسَن)، والأدهى من ذلك أن يكون الاسم غير عربي، فمن منا يتصور أن تكون له جدة اسمها: (جوَانا، أو جُوليا، أو فريال؟!).

وبعد، فهذه جملة من المعايير المثالية يَحسن الأخذ بها كلها أو بمعظمها، فإن لم يكن فلا تتهاونوا في المعيارين الأول والثاني، وليعلم الآباء أنهم سيختارون لكل مولود اسمًا واحدا، ولن يضيرهم لو أطالوا تفتيشهم عن الاسم المناسب الذي يحقق كل المعايير أو أكثرها، ويستطيعون سؤال المتخصصين في علوم اللغة العربية وآدابها، ولكلية اللغة العربية في جامعة الإمام هاتف مخصص للاستعلامات اللغوية،

ورقمه: (٢٥٨٥٥٨٨ ٠١١)، وهناك أيضًا: (مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية www.m-a-arabia.comb)، وسيجدون منهم ومن غيرهم من المتخصصين كلّ ترحيب، ولا تنسوا أن الاسم أجمل إهداء يقدَّم للمولود، فانتقوا هداياكم، وتيقنوا أن أسوأ ما في الهدية بَخْسُها أو رَدُّها، وسيحدث ذلك حين يعي صاحب الاسم أن اسمه غير مناسب، فيصيبه نفور منه، أو يسعى إلى تغييره.

بقي أن أُذَكِّر إدارات الأحوال بضرورة الحفاظ على هويتنا العربية في أسماء أبنائنا وبناتنا، ولهم في وزارة التجارة وأمانات المناطق والبلديات أسوة حسنة، فالقائمون عليها يمنعون المنشآت التجارية المحلية من التسمي بأسماء أجنبية أو عديمة المعنى، والمحافظة على هوية أسماء أبنائنا وبناتنا أولى بكثير من المحافظة على هوية أسماء المخابز والمطاعم، وأخشى إن لم تتخذ إدارات الأحوال موقفًا جادًّا من تلك الظاهرة الدخيلة أن تزداد عامًا بعد آخر، فتنعكس الآية، ثم يصير الاسم العربي نشازًا مثيرًا للسخرية، ولا أظن أن الاستعانة بمتخصصين في اللغة العربية أمر يشق على إدارات الأحوال، وبإمكان أولئك المتخصصين أن يُسهموا في إقرار الأسماء المناسبة، وفي اقتراح أسماء عربية جديدة توافق أهواء محبي التغيير.

جماليات التضاد في الخطاب الشعري الجزائري

الأمير عبد القادر الجزائري أنموذجا

تركي أمحمّد
جامعة تيارت - الجزائر

ملخص البحث :

يُبيِّن هذا البحث ماهية التَّضاد في القول الشّعري الجزائري الذي تكمن جماليته في الجمع بين اللّفظ وضدِّه في التّركيب الواحد، حتَّى تَقوى العبارة، وبالتَّالي تتعدّد معانيها وتكثُر احتمالاتها في البِنية النّصيّة الواحدة.

على هذا الكلام يأخذُ التّضادُ طابعين في البِنية الكليّة للنّصّ؛ أولهما تقويّة المعاني، وتحقيق الاتساق، ويتجلّى الآخر في تحقيقِ المتعةِ وإدهاشِ القارئ من خلال التوفيق بين لفظتين متضادتين في المعنى. ولما كان الأمرُ بهذا الشّكل ارتأينا رَصْدَ وتِبيانَ مستوياتِ هذا المكوِّن الجمالي في أبيات للشّاعر العلم، والفقِيه الصُّوفي الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله تعالى.

كان السَّبب المهمّ لاختيارنا التَّغاضي الذي مسّ شعر هذا العلم، وعزوف الكثير من القراء عن هذا الإرث المنسي، لنحاول إلقاءَ نظرة طفيفة على جماليات هذا الشِّعر وتقريبه من القارئ العربي الكريم.

توطِئة :

لا يخفى على القارئ العزيز أنّ الأميرَ عبد القادر الجزائري شاعر أكثر منه مجاهد، وفقيه متصوِّف أكثر منه جندي باسل. فهو: «سليل النَّسب

رفيع، وفارس بارع، ومجاهد مظفر، ورجل دولة حصيف، شاعر ملتزم، وصوفي متبحر، وفقيه ملم، واجتماعي نشيط»[١].

أي أنّه علمٌ توفَّرت فيه جميعُ الصفات الحميدة، فكان مثله مثلَ شخصيات وأعلام بارزة كعبد الحميد بن باديس (ت: ١٩٤٠م)، والشيخ البشير الإبراهيمي (ت: ١٩٦٥م). وغيرهم من الرّجال الذين ولَّدتهم الثّورة الجزائرية، فكانوا بحقّ كما وصفهم البحتري (ت: ٢٨٤هـ)[٢]:

وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتَتْ   إِلَى الْفَضْلِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ

٠١- النَّسبُ والمولِدُ[*] :

هو: العربي الهاشمي بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار ابن عبد القادر بن أحمد بن محمد بن عبد القوي بن يوسف بن أحمد بن شعبان بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، و زوج علي بن أبي طالب عمّ رسول الله ﷺ[٣]، المولود سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٨م بالقيطنة ولاية معسكر، حفظ القرآن الكريم وهو فتى صغير، وتعلّم فنون وأصناف العربية من بلاغة ونحو وغيرهما، ولما بلغ عوده واستوى سافر إلى وهران، ليتم تشعبه بعلوم أخرى. وما إن أتمّ العشرين من عمره بويع للإمارة من طرف أهله حتى يتسنى لهم الجهاد في وجه العدو الغاشم[٤].

قادَ الأميرُ عبد القادر الجزائري معاركَ عديدة أذاق فيها جيوش الاحتلال الفرنسي هزائم نكراء، فما كان أمام هذه الأخرى إلا التوسّل في إبرام المعاهدات والاتفاقيات مع هذا الشاب الجزائري اليافع، كمعاهدة التافنة، ومعاهدة دي ميشال.

تَفاقمت قوة العدوّ مع قدوم الجنرال "بيجو" وتضايق الخناق على الشّعب الجزائري المقاوِم، فاضطر الأميرُ لطلب المدد والمعونة من



الملك المغربي المراكشي الذي خذله ولم يَنظر إليه، ورغم ذلك ظلّ واقفا ولم يَستسلم إلا بعد أن سلَّمه بعض الخونة(**) للمستعمر الفرنسي وفق شروط اتَّفقوا عليها، منها النَّفيُ إلى تطوان، وعدم الرجوع إلى الجزائر ليختارَ دمشق موطنه ومأواه، إلى أن وافته المنية سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م.

يتأصّل الأميرُ عبد القادر الجزائري بعروبته ويَتشبث بحبالها الوثيقة والعريقة، فهو من أصول عربية بعيدة المدى تعود إلى سلالة أهل الحجاز، وقد اعترف في كثير من مواقفه بأجداده. هذا ما نقله عنه المؤرخ بسام العسلي بقوله: «كان أجدادنا يقطنون المدينة المنورة، و أول من هاجر إليها هو إدريس الأكبر الذي أصبح فيما بعد سلطانا على المغرب، و هو الذي بنى فاس، و بعد أن كثر نسله توزعت ذريته، ومنذ عهد جدي فقط قدمت عائلتنا لتستقر في "آغريس" قريبًا من "معسكر"، وأجدادي مشهورون في الكتب والتاريخ بعلمهم واحترامهم وطاعتهم لله»(٥).

أثرى الأميرُ عبد القادر السَّاحةَ الأدبية بكتب ومؤلفات تُظهر أسلوبَه الرائع المتميِّز، وهذا ما يظهر في كتابه المشهور: (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل) الذي مزج فيه بين أسلوبه الأدبي والآخر الحضاري الاجتماعي، ما يعكس اطِّلاعه الواسع، وتشبُّعه بالثَّقافة الدِّينية العالية، وهذا غيرُ جديدٍ على رجل ولد في أسرة محافظة، متديِّنة جَدًّا عن جدّ، وكابرًا عن كابر.

ترك الأميرُ ديوانًا شعريًا ثريًا بالأغراض والمواضيع، انثالت عليه أقلام الباحثين والدارسين العرب والغرب على السّواء، تحقيقًا وشرحًا، فكان تحقيق "ممدوح حقّي" الصّادر عن دار اليقظة، بيروت، سنة ١٩٦٦م،

وتحقيق "العربي دحو" الصّادر عن دار ثالة للمنشورات، الجزائر، سنة ٢٠٠٧م. الذي نقّحه وشرحه حتّى يسهل على المتلقي قراءة أبياته النفيسة، المغدقة والمنبعثة عن ذات شاعرة متعالية، قادرة على الكتابة والإبداع، وتنميق الأساليب الأدبية ومزجها بشطحات صوفية، ترقى بالذّات إلى عالم الصّفاء والسّمو. وبمعنى آخر إنّ: استناد الأمير على اللُّغة الصُّوفية ليس من قبيل الصُّدفةِ بل لِمَا تحمله هذه اللُّغة من طاقات وكفاءات باطنية تلويحية، افتقدتها لغتنا العادية؛ لغة المباشرة والتقرير التي لا تكفيه في إيصال شعوره وتجربته، ولذلك صدَق النِّفري (ت: ٣٥٤هـ) قوله: «كلَّما اتَّسعت الرّؤية ضاقت العبارة»[٦].

٠٢- جماليّة التَّضاد في شعر الأمير:

نظَم الأمير الشِّعر في أغراض كثيرة ومتعدّدة، فكان الفخرُ والغزل العفيف، والمدح، والرثاء .. وغيرها من الفنون الشِّعرية التي يَكتب على منوالها الشُّعراء، كما أترع شعرَه بفنيات وجماليات أسلوبيّة، لغويَّة، تَعكس ملكتَه على قول الشِّعر، فتَظهر كثافةُ طاقته الشِّعرية - المشرئبة للكتابة والإبداع - من مفارقة وغموض وتناقض وتضاد الذي اكتسح معظم نصوص الأمير عبد القادر الجزائري، كقصيدة: «أَمطنا الحِجاب» والتي يقول فيها[٧]:

أَمَطْنَا الحِجَابَ فَانْمَحَا غَيْهَبُ السِوَى
وَزَالَ أَنَا وَأَنْتَ وَهُوَ فَلا لَبْسِ

وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُنَا وَمَا كَانَ غَيْرَنَا
أَنَا السَّاقِي وَ الْمَسْقِي وَالْخَمْرُ وَالْكَأْسِ



تَجَمَّعَـــتِ الأضْـــدَادُ فِـيَّ وإنّنِـــيْ
أَنَا الْـــوَاحِدُ الْكَثِيْـــرُ وَالْنّـوْعُ وَالْجِنْسِ

وقصيدة «ما في البداوة عيب»، و«عـود وورود»، و«هـو البـاطن هـو الظَّاهر»، و«أنا مطلق»، و«بنت العمّ»، التي يغدو فيها التَّضاد ركنًا أساسيًا تقوم عليه القصيدة، وقد اخترنا منها هذه الأبيات التي يقول فيهـا الأمـيرُ عبد القادر(٨):

أُقاسِـي الْحُـبَّ مِـنْ قَاسِـي الْفُـؤَادِ   وَأَرْعَـــــاْهُ وَلا يَرْعَــــى وِدَادِي
أُرِيْـــدُ حَيَاْتَهَــا وَتُرِيْـــدُ قَتْلِـــيْ   بِهَجْـــرٍ أَوْ بِصـــدٍ أَوْ بُعَـــاْدِ
وَأَبْكِيْهَـــا فَتَضْـحَكُ مِـلءَ فِيْهَـــا   وَأَسْـهَرُ وَهِـيَ فِـيْ طِيْـبِ الْرُّقَـادِ
وَتعْمَـــى مُقْلَتِـــيْ إِمَّـــا تَنَـــاْءَتْ   وَعَيْنَاْهَـــا تَعْمَـــى عَـــنْ بُعَـــاْدِيْ
وَتَهْجُرُنِـــيْ بِـــلا ذَنْـــبٍ تَـــرَاْهُ   فَظُلْمِـــيْ قَـــدْ رَأَتْ دُوْنَ الْعِبَـــاْدِ
أَشْـكُوْهَاَ: لُبُعَـاْدَ وَلَـيْسَ تُصْـغِيْ   إِلَىْ الْشَّكْوَى وَتَمْكُثُ فِـيْ ازْدِيَـاْدِ
وَأَبْـذُلُ مُهْجَتِـيْ فِـيْ لَـثْمِ فِيهَـا   فَتَمْنَعُنِـــيْ وَأَرْجِـــعُ عَنْـــهُ صَـــادِ
وَأَغْتَفِــرُ الْعَظِـيْمَ لَهَـــا وَتُحْصِـــي   عَلَـيَّ الْـذَّنْبَ فِـيْ وَقْـتِ الْعِـدَاْدِ
وَأَخْضَـــعُ ذُلَّـــةً فَتَزِيْـــدُ تِيْهـــا   وَفِـيْ هَجْـرِيْ أَرَاْهَـاْ فِـيْ اشْـتِدَاْدِ
فَمَـــاْ تَنْفَـــكُّ عَنِّـــيْ ذَاتُ عِـــزٍّ   وَمَـــاْ أَنْفَـــكُّ فِـيْ ذُلِّـي أُنَـــادِيْ
فَمَـــاْ فِـيْ الْـذَّلِ لِلْمَحْبُـوْبِ عَـاْرٌ   سَـــبِيْلُ الْحُـــبِّ ذلٌّ لِلْمُـــرَاْدِ

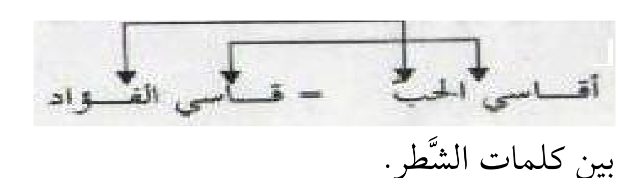
في هذه القصيدة يعبِّر الشَّاعر عن وجـده وشـوقه وآلامـه، إثـر بعـد الأحبة (أم البنين) وتلهفه للقائهم، ولذلك نراه يَنتقِي العبارات والكلمات الشَّفافة التي تقع في قلب الحبيب موقع المطر على التّربة الجافة، فيلجـأ إلى المفارقة والتَّضاد الذي يعكـس أدوار الألفـاظ والكلمـات، ويـوحي بمعاني عدّة ما كان ليستَشفِها القارئ في تعبيره العادي.

٠٣- الشِّعر ولغة التَّضاد والبحث عن النَّقيض :

تقوم النُّصوصُ الشِّعريةُ على التَّضاد والجمع بين المتناقضات، وهذان العنصران لا يكاد يخلو منهما أيُّ نصٍّ شعريٍ سواء كان عربيًا أو غربيًا، يَجذِب المتلقِّي بمعناه الحسن الجميل، وفي هذا النَّص الأميري يبدو هذا الأسلوب واضحًا نستشفُّه بداية من قوله: «وأرعاه ولا يــرعى ودادي».

فبعد أن نبَّأ الشَّاعر القارئَ بأنَّه يُقاسِي أوجاع الفراق والبُعاد والنَّوى والشَّوق، ليخطفه بمراوغة طفيفة نقله فيها من حالة إلى حالة أخرى، وهي قوله: وأرعاه ≠ ولا يـــرعى ودادي. فالقارئ محصور في هذا البيت بين جماليتين:

جمالية التَّساوي يمثلها قوله:



= التَّساوي والتّوازي بين كلمات الشَّطر.

وجماليّة التّضاد والحذف:

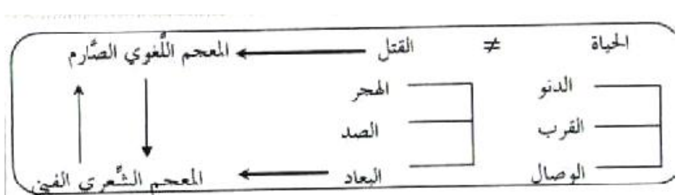
وأرعاه ≠ ولا يــرعى ودادي = التَّناقض والتَّضاد + حذف

فتأمَّل كيف نسجَ الأميرُ كلامَه على هذا النّمط، وهو الجمع بين صنفين من أصناف التَّعبير الشِّعري، لكن في زمن واحد وهو زمن الحاضر أو الآني، وهذا النوع من التَّضاد يُكسب البيتَ رونقًا إيقاعيًا لا دلاليًا، قصد فيه الشَّاعر جذب المتلقِّي وتشويقه بهذه القصيدة والتَّأثير فيه، حتَّى يشعرَ بمدى هذه المعاناة والآلام علّه يرحمه ويجدِّد حبّه له.



هنا، يغدو التَّضاد آليةً من آليات توطيد المعنى وتقويته، وكأنَّ قصدَ الشَّاعر من قوله: (ولا يرعى ودادي) هو أيضًا يحسُّ مثلما أَحُسُّ ويعاني مثلما أُعاني، فهذا القلب في تأدية المعاني هو في الحقيقة جمالية تزيِّن القولَ، وتوسّع درجةَ الاحتمالات فيه. هذا ما توصّل إليه النُّقاد العرب القدامى ومثلَوه بقولهم: «وأمّا المطابقة فلها شعب خفيَّة، وفيها مكامن تَغْمض، وربما التبِست بها أشياء لا تتميَّز إلا للنَّظر الثَّاقب، والذِّهن اللَّطيف، ولاستقصائها موضع هو أملك به»(٩).

شحن الشَّاعر بيتَه الثَّاني بتضاد آخر يُمثِّله وهو قوله:(أريد حياتها وتريد قتلي). فكما حصل التّوازي بين الكلمتين أو الفعلين- حسب الزمن- (أريد = تريد) حصل التَّضاد بين لفظتي (الحياة ≠ القتل) لغرض تجديد وتوليد المعاني، وتفجير الطَّاقات اللغوية الكامنة، فلغة التَّضاد في هذا المثال تدّل على قرب المحِبِّ (الشَّاعر) ودنوِّه من حبيبه ووصاله، وهي حياة تحمل في طياتها بذور الإشراق والتفتُّح، على غرار القتل وهو النَّوى والبعاد وما ينْزَوي تحتَه من ألفاظ موحِيَةٍ جمعها الشّاعر في شطره الثاني:



هذا، وجه من وجوه الشِّعرية العربية المعاصرة، إذ تتعدّدُ المدلولاتُ لدال واحد، فلفظة القتل في المعجم اللُّغوي تَعني نهاية الحياة وصعود الرُّوح، في حين رَمَى بها الشُّعراء الحداثيون والمعاصرون- وحتَّى القدامى- إلى معاني الصَّد والهجران والبعاد والنّوى.

يعبّر الشّاعرُ عن حالاته النَّفسيّة التي يَعيشها ويحسُّ بها، وهو يصارع حتفَه العاطفي الذي بَرَاه فلم يَبْقَ منه شيءٌ إلاَّ اللُّغة التي راح يلاعبها، ويتفنَّن في بعث أساليبها، بطريقة لطيفة تجذِب القارئ وتشدّه للمتابعة والاستمتاع بهذا الوجه من الوجوه الجماليّة - في بلاغتنا العربية - الذي يبرز شوقَه وحنينَه. يقول الشَّاعر:

وَأَبْكِيْهَا فَتَضْحَكُ مِلءَ فِيْهَا   أَسْهَرُ وَهِيَ فِيْ طِيْبِ الرُّقَادِ

إن قارئَ هذا البيت يؤوله لحظة سماعه، فحينما يَتبادر إلى ذهنه لفظة (أبكي) يَستحضر في ذهنه لفظة (الضَّحك) وبذلك نطق القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾[١٠]. هنا تبدو لغةُ التّضاد لعبةً شطرنجيةً قائمةً على تنظيم محاور الكلام حتَّى تُفهَمَ مقاصدُه، فتحصلَ المتعةُ، وتتحقَّق اللَّذةُ النَّصيَّةُ للمقروء.

اشتمل الشَّطر الثَّاني من البيت على تضاد آخر نحدِّده بقوله:

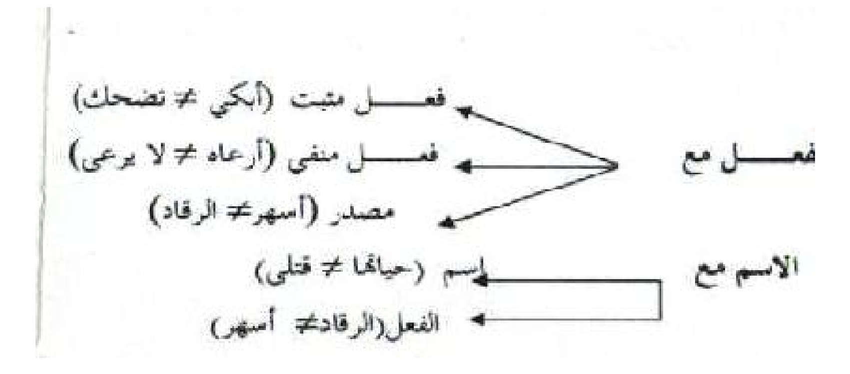
وَأَسْهَرُ وَهِيَ فِيْ طِيْبِ الرُّقَادِ

نجد أنّ لفظةَ (أسهر)، وهي فعل يدل على الزَّمن، تخالف لفظة (الرُّقاد)، وهي مصدر. وهذا النَّوع من التّضاد يسمى بالتّضاد اللُّغوي؛ وهو المهيمن على النُّصوص الشِّعرية والنَّثرية، وقد عُرِف بالطِّباق والمقابَلة وغيرهما، وهو قديمٌ قِدَمَ المصطلح نفسه، كما حظِي بدراسات وبحوث وكان محطَّ أنظارِ البلاغيين واللُّغويين الذين عرَفوه وعرَّفوه بقولهم: «الأضداد جمع ضدّ، وضدُّ كلِّ شيء ما نافاه، نحو البياض والسّواد، والسّخاء والبخل والشجاعة والجبن»[١١].

فمن خلال هذا التّعريف نجد أنَّ كلَّ الكلمات المتضادةِ في نصِّ الأمير عبد القادر الجزائري تمثِّلُ هذا النَّوع مِنَ التَّضاد اللُّغوي البارز؛



بحيث يَتِمُّ تحدِيدَ المصطلحاتِ لحظةَ سماعها (أرعاه ≠ لا يرعى، حياتها ≠ قتلى، أبكي ≠ تضحك، أسهر≠ الرَّقاد ...) وعليه يَأخُذُ هذا التَّضاد اللُّغوي في نصٍّ الأمير عبد القادر حصةً كبيرةً نُمثِّلُه بما يلي:



يَتَشَكَّلُ هذا النَّوعُ من التَّضاد بطريقة سهلة مفهومة لا تُربِك القارئ، وتُخلخِل مفاهيمه، ولا تُحوِجه إلى التَّأمل والمحاورة والبحث عن المقصود المخبأ تحتَ ركامِ هذه الحيلة اللُّغويَّة، فهي مقدَّمةٌ في حلّةٍ واضحةٍ، ووشاحٍ ظاهرٍ يَفْهمها العامّ، ويتجاوزها القارئ النَّوعي الذي يَلِده النَّص، إلَّا إذا كان تضاداً من نوع وشائجي آخر يحثه على البحث ويستفِزُّه على فهم المعنى، وهذا ما عُرِف في النَّقْدِ الحديث والمعاصر بالتَّضاد السياقي أو التركيبي التمويهي.

عرَّف النُّقاد وعلى رأسهم النَّاقد العربي محمّد الهادي الطرابلسي هذا النَّوعَ مِن التَّضاد بقوله: «هو كلُّ مقابلةٍ كانت علاقةُ المتقابلين فيها توزيعيةً، فتقابل الشَّقين في هذا النَّوعِ ليس مرجعَه إلى الوضع اللُّغوي؛ وإنَّما إلى أسلوب الشَّاعر وحده، فالشَّاعر في إخراج المقابلة السياقية لا يخضع لضغط المعجم المشترك بقدر ما يستجيب لملكته الخاصَّة في الخلق الفنِّي، ففي هذا الأسلوب تُقدّرُ جهودُه وتُقاس عبقريتُه»(١٢).

يَأخذ هذا النَّوع صوراً متعددةً في شعر الأمير عبد القادر الجزائري منها قوله:

وَأَخْضَعُ ذُلَّةً فَتَزِيْدُ تِيْهًا وَفِيْ هَجْرِيْ أَرَاْهَاْ فِيْ اشْتِدَاْدِ

يُلاحظ قارئُ هذا البيت مدى اتساع وانفتاح اللُّغة الشِّعرية التي يَمتلكها الأمير، إذ جَمَع في شطر واحد وفي سياق واحد بين لفظتين - الأولى (ذلة) والثَّانية (تِيها) - يَعْجِز المتخيِّلُ عن الجمع بينهما لتباينهما في الدَّلالة؛ وهو يَقصُدُ التَّضادَ فلفظة (الذّلة) توحي بمعاني الضُّعف والهوان والاحتقار، وحكم القوي على الضَّعيف، وكلّ معاني الدناءة وقلَّة الشَّرف، والشَّاعر استعملها هنا بمعنى التودّد، وكان لزامًا على الشَّاعر في موقفه هذا أن يقابلها بلفظة الكِبر وعدم التفاني في حين أنَّ لفظةَ (تيها أو التِّيه) بعيدة على السِّياق، فقد عبّر بها الشَّاعر عن موقفٍ نفسيّ مزدوج يجمع بين الهجران والاستعمار؛ وهي في معجمها دالة على الضَّياع و اتساع المنافذ.

وعليه كانت لصرامة الموقف الشّعري يدٌ في تشكيل بنية هذا التَّضاد المزدوج-في اعتقادي- تضاد لغوي محتوى تضاد تركيبي يَفْرِضه الموقف المعبّر عنه، ويَتجاوز بدوره التَّضادَ القديمَ الممثَّل في الطِّباق والمقابلة.

إنَّ المسألةَ إذن ليست مسألةَ لغة ؛ وإنَّما مسألةُ مهارةٍ في الأساليب وطرق التَّعبير عنها، والنَّص الجميل هو ما يحدث الرَّعشة للمتلقِّي ويُخلخل مفاهيمَه. فكيف يُعقل للشَّاعر أن يُناطِحَ بين كلمتين، ويَأتِيَ بنصٍّ جميلٍ راقٍ دَسِمٍ كقوله(١٣):

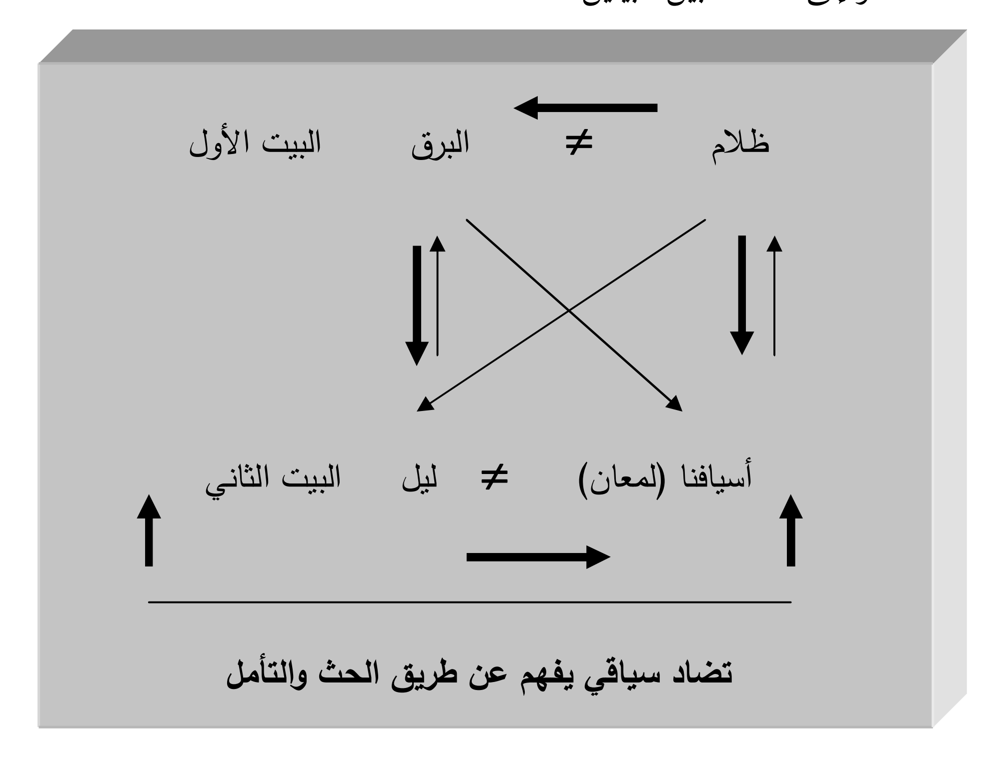
وَأَرْجَاؤُهُ أَضْحَتْ ظَلَاْمًا وَبَرْقُهُ سُيُوْفًا وَأَصْوَاتُ الْمَدَافِعِ كَالرَّعْدِ



إنَّ أوَّلَ ما يُلْفِتُ نظرَ وانتباهَ القارئ هذه الثُّنائية المتضادة (ظلاما وبرق). فالظَّلام دليلٌ على كلِّ ما ليس فيه نورٌ وضياءٌ وانعدام الضَّوء، إلا أنَّ الأميرَ قرنها بلفظة أقْحَمَهَا في سياق جديد وهي لفظة (البرق) لِمَا بين الضِّياءِ والبرق من مقاربة لغوية يَفهمها المتلقِّي الذي يَعتمد على السِّياق في تفتيتِ الدَّلالة، فقد يكون القصدُ من وراء توظيف الشَّاعر للفظة الليل؛ وهو مُحدّد زمني يقيس الوقت، ليفهمه الآخر على أنه همومٌ ورزايا، وقد يُقصد بالبرق الفرج وانجلاء الهموم، وهي نفس الصُّورة التي أتى بها بشار بن برد في قوله(١٤):

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوْسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ

فانظر إلى العلاقة بين البيتين:



وعليه يكون التضادُ المُكوِّنَ المحوريّ الذي ينظمُ ويرتِّبُ المحاورَ الكبرى للنَّص الإبداعي، وهو بالتالي مثيرٌ أسلوبيٌ يتحكَّمُ في قوانين النَّص ويُحقِّقُ له الدينامية والحركة، فيصبح في تجدُّدٍ مستمرٍ يضمن له الأبدية والخلود.

يَزيد الشَّاعر جرعةَ الكثافة الشَّعرية، ويَشحنها بالمثيرات الأسلوبيّة (مجاز، استعارة، كناية، تكرار، تضاد، توتر...)، حتَّى يغدو وكأنَّه يَستفِز قارِئَه، ويُحيِّره بنصِّه ذي الأبعاد الدّلالية المفتوحة على عددٍ لا متناهٍ من احتمالات وتأويلات، وتوليد لمعاني مترامية الأطراف متداخلة الزوايا والرؤى، وكأنّ النَّصَّ الشِّعري الأميري نصٌ ملغمٌ، وعلى المتلقِّي الاستعداد للولوج إلى ساحته بطريقة ذكيَّة.

مجمل القول:

يُشكل التّضادُ نسبةً كبيرةً في الشّعر العربي عموما، وفي شعر الأمير عبد القادر الجزائري خصوصًا؛ وهو مثيرٌ أسلوبيٌ مراوغٌ، يحقِّق للنَّص جماليتَه كما يضمن له الديمومةَ والاستمرارَ والتجدُّدَ، كما أنّه أسلوبٌ يَكشف عن قدرة وبراعة الشَّاعر الأدائية التي تحكم له أوعليه بالشِّعرية أو انعدامها.

يغدو التّضادُ صفةً متشابكةً تُشكِّل النّصَّ من خلال التّوتر الذي يُحدِثه في السِّياق، وهو بالتالي الركنُ المؤسِّس لشعريّة النّصِّ، وأحد مكوناته الكبرى، هذا ما أشار إليه النَّاقد العربي "كمال أبو ديب" في كتابه (في الشِّعريّة)؛ إذ يقول: «يتمثَّل أحدُ المنابعِ الرئيسيةِ للفجوة: مسافة التوتر في لغة التّضاد وبلغة التّضاد، أقصد جمع أشكال المُغَايرة والتَّمايز المتقابلين في اللُّغة وفي الوجود (...) وإذا استطعنا في خاتمة المطاف أن نموضِع



أنفسَنا في مكان هو الأكثر امتيازًا وقدرةً على معاينة الشّعرية و فهمها من الداخل وكَشْفِ أسرارِها»[١٥].

هنا، تلعب الكفاءةُ القرائِيَةُ دورَها في تفسير وتوليد معاني هذا التّضاد المغدَق، وبلورة معانيه الجوانية الخفيَّة، فـيَحُسُّ القارئُ في كلّ تفسير بذوق جديد لم يَشعُر به في القراءة الأولى، وبذلك كان التضادُ مثيرًا أسلوبيًا جوهريًا يؤسِّس لشعريَّة النَّصّ ؛ فهو «المنبعُ الرئيسي للفجوة: مسافة التوتر وبالتالي للشِّعريّة»[١٦].

فالتَّضاد والنَّقيض يزيد نقيضه جمالاً وحُسنًا ووضوحًا في المعنى، وهذا ما نطق به الشعراءُ[17]:

ضِدَّانِ لَمَّا اسْتَجْمَعَا حَسُنَاْ وَالْضِّدُ يُظْهِرُ حُسْنَه الضِّدُ

وأيّدهم الأمير أيضا بقوله[١٨]:

وكلُّ العَوالِمِ طَوْرًا أَنَا فَقَد جَمَعَ الضِّدُ لِيْ مَجْمَعُ

الهــوامش :

(١) عبد الرزاق بن السبع. الأمير عبد القادر الجزائري و أدبه. مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري؛ ٢٠٠٠م، ص: ٠٣.

(٢) أبو عبادة الوليد البحتري. الديوان. تح: حسن كامل الصيرفي. دار المعارف، مصر، ط٣؛ ج١، ص: ٦٢٥.

(*) قصدت إلقاء نظرة طفيفة على مولد الأمير عبد القادر الجزائري، حتى يترسّخ في أذهان إخوتنا الأعزاء ، وقد رأينا أن الكثير منهم لا يعرف من هذه الشخصية إلا اسمها، وجهل أن قادة كبار في الجيش الفرنسي شهدوا له بالحنكة السياسية والشكيمة القيادية.

(٣) بسام العسلي. الأمير عبد القادر. دار النفائس. د ت. ج٤، ص: ٣٤. كما ينظر: محمد الطمار. تاريخ الأدب الجزائري. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م، ص: ٣٢٨.

(٤) ينظر: أبو القاسم سعد الله. خلاصة تاريخ الجزائر. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١؛ ٢٠٠٧م، ص: ٢٨.

(**) لا أعتقد أنّ بطلا صنديدا مثل الأمير عبد القادر الجزائري يستسلم؛ وإنما لتصحيح هذه المعلومة الخاطئة والمسيئة لروح الشهيد الطاهر، والظالمة بحق تاريخنا العريق الحافل بالبطولات نقول استُلِمَ -ولم يَستَسْلِمْ- من قبل الخونة، وعديمي الشرف.

(٥) بسام العسلي. الأمير عبد القادر. ص: ٣٤.

(٦) محمد بن عبد الجبار النفري. المواقف والمخاطبات. تحقيق: آرثر أربرى. تقديم وتعليق: عبد القادر محمود. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة؛ ١٩٨٥م. ص: ١١٥.

(٧) الأمير عبد القادر الجزائري. الديوان. تحقيق: العربي دحو، منشورات ثالة، الجزائر، ط٣؛ ٢٠٠٧م. ص: ١٢٥.

(٨) نفسه، ص:٥٨، ٥٩.

(٩) القاضي عبد العزيز الجرجاني. الوساطة بين المتنبي وخصومه. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيد، بيروت، ط١؛ ١٤٢٧هـ ،٢٠٠٦م. ص: ٤٧، ٤٨.



(١٠) سورة التوبة. الآية: ٨٢.

(١١) ينظر: أبو الطيب اللغوي. الأضداد في كلام العرب. تح: عزة حسن. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط٢؛ ١٩٩٦م، ص: ٣٣.

(١٢) محمد الهادي الطرابلسي. خصائص الأسلوب في الشوقيات. منشورات الجامعة التونسية، تونس؛ ١٩٨١، ص: ١٠٢.

(١٣) الأمير عبد القادر الجزائري. الديوان. تحقيق: العربي دحو. ص: ٦١.

(١٤) بشار بن برد. الديوان. جمع وتحقيق: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية؛ ٢٠٠٧م، ج١. ص: ٣٣٥.

(١٥) كمال أبوديب. في الشعرية . مؤسسة الأبحاث العربية، ش.م.م، بيروت، ط١؛ ١٩٨٧، ص: ٤٥.

(١٦) نفسه، ص: ٤٦.

(١٧) هذا البيت من قصيدة عربية غزلية جميلة سميت بالقصيدة الدعدية أو اليتيمة، وقد اختلف المصنفون في ناظمها فمنهم من نسبها إلى أبي نُواسٍ (الحسن بن هانيء) ومنهم من ضمها إلى الشاعر العباسي عليّ بن جَبَلَة، أو أبو الشيص، كما نسبها الآخرون إلى الحسن بن وهب المَنْبِجِي ، وهو شاعر لم يقف عنده التاريخ الأدبي إلا نادرا.

وسبب تسميتها باليتيمة لأنها كانت سببا في قتل ناظمها، يقال دعد أميرة عربية شاعرة ساحرة الجمال، أقسمت لا ترضى بالرجل زوجا إلا إذا كان أشعر منها ، فنظَمَ شاعر تهاميٌّ هذه القصيدة يتغزل فيها ، وانطلق إليها ليفوز بيدها ، ولكن التقى به في طريق السفر شاعر آخر، فلما قص عليه التهاميّ قصته ، وقرأ عليه القصيدة فُتن بها الشاعر فقتل ناظمها ، ونحلها لنفسه، وانطلق إلى الأميرة ليفوز بها ، فلما أنشدها القصيدة صاحت: «هذا الرجل قتل بعلي».

ينظر القصيدة في كتاب: ابراهيم النّجار. شعراء عباسيون منسيون(مسالك الغزل). دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١؛ ١٩٩٧م، ج٢، ص: ٢٦. كما ينظر: شعر علي بن جبلة الملقّب بالعكوك. تحقيق: حسين عطوان. دار المعارف، مصر، ط٣؛ ١٩٩٦م، ص:١١٥.

(١٨) الأمير عبد القادر الجزائري. الديوان. تحقيق: العربي دحو. ص: ١٢٦.

منهج البحث العلمي

أ. د. محمّد جمال صقر
عضو المجمع

تَأَنَّقْ	الإِخْراجُ	١١
أَوْجِزْ	العَنْوَنةُ	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أَكْمِلْ	التَّحْشيةُ ، والخَتْم ، والإلحاق ، والفَهْرَسَةُ ، والتَّقْديمُ	٨
حَلِّلْ	الاسْتيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقْدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتِّباعُ انْقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَبْطيقُ المادة المناسبُ ، وتَوثيقُها ، وعَنْوَنَتُها	٥
تَخَيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحَّته ، وزَمَنُه	٤
آمِنْ	اتِّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدَّةُ ، أَو النَّقْصُ	١

ابنُ السَّبيل
عِلْمٌ
أ. مَسْأَلَةٌ
ب. مَصادِرُ
ج. مادَّةٌ
د. تَصْنيفٌ
هـ. بِناءٌ
ابنُ سَبيل

مَنْهَجُ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ الصَّحيحِ لَا الرّائِعِ
أُصولٌ ، وَفُروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحْسوبَةٌ
تَكونُ بِالتَّقْليدِ ، وَتُسْتَوْعَبُ بِالتَّعَلُّمِ
(خطة الدكتور صقر)

خطة الدّكتور صقر :

دُعِيتُ في ٢٤/٤/٢٠٠١ إلى المحاضرة في منهج البحث العلمي، فخططت هذه الخطة المصورة الملحقة، وقدمتها بين يدي محاضرتي بكلية الآداب من جامعة السلطان قابوس. ثم كُلِّفْتُ بعد ثلاث سنوات تدريس ما يسمى في دبلوم دار العلوم «قاعة بحث ١»، فلجأت إلى خطتي القديمة، وصورتها للطلاب، ثم جعلتها محور المقرر، أبدأ لهم منها، وأنتهي إليها، وأدور عليها.

وقد كُلِّفْتُ ذلك التكليف ثلاث مرات؛ فتيسَّر لي أن أستفيد من تكرار النّظر في تلك الخطة ومن نظر ثلاث فرق من تلامذتي النجباء الذين اتخذوها حَنانًا يَأْوُون إليه، ما لا غنى عنه بالباحثين المبتدئين في علوم الثقافة العربية الإسلامية، ولاسيما علوم اللغة العربية.

وعلى رغم شَكْلِي كلَّ حرف تَنبيهًا على وجه كل كلمة ووجاهتها، تركتُ العبارة الأولى غير مشكولة «**خطة الدّكتور صقر**»، تَمسُّكًا بدلالة «خُطَّة» المضمومة الخاء على التخطيط المعنوي، ودلالة «خِطَّة» المكسورتها على التخطيط المادي، ودلالة «خَطَّة» المفتوحتها على عدد ما يكون ويتوالى من التخطيطات المعنوية والمادية.

«تَكُونُ بِالتَّقْلِيدِ وَتُسْتَوْعَبُ بِالتَّعَلُّم»

لمنهج البحث العلمي أصولٌ وفروع وعلامات تُعْرَض وتنقد في أثناء تعليمه حتى تُستوعبَ؛ إذ تمتزج هي ومُستوعِبُها؛ فلا يَرَى إلا بها، ولا يَصدُرُ إلا عنها، ولا يَحتكِم إلا إليها.

وأَلْطَفُ ما في علمها أنه يشترك فيه المعلمُ والمتعلمُ كلاهما؛ فكما يستفيد المتعلمُ علمَ ما لم يعلم، يستفيد المعلمُ إحكامَ ما يعلم وضبطَ

بعضه ببعض وتحسينَه، حتى ربما حَمَلَ نفسه على تعليمها حتى يتعلمها به.

ولا ريب في أن الاطلاع على الأبحاث السابقة وتحصيل ما فعل بها أصحابها، وَسيلةٌ مجرَّبة ناجحة إلى إنجاز مثلها على جهة التقليد، على ما فيها من اختلاف المطَّلعين بين مَنْ حَظِيَ بأبحاث الكبار فكَبُرَ بها تقليده، ومن ابتُلِيَ بأبحاث الصغار فصَغُرَ بها تقليده!

وليس الاستيعابُ كالتقليد؛ فإن المقلِّد أَسيرُ المقلَّد محدود به منسوب إليه، فأما المستوعب فَحُرٌّ طَلَيقٌ مُمتلئٌ بنفسه جَرِيءٌ مُبادرٌ مُغامرٌ مُجددٌ مُبتكرٌ.

«أُصُولٌ وَفُرُوعٌ وَعَلامَاتٌ مَحْسُوبَةٌ»

ما أكثرَ أعمالَ البحث العلمي المنهجية وما أهمَّها! ولكنها على رغم هذا وفي أثنائه، مُتفاوتةُ الأهمية على ثلاثة أنواع: أُصولٌ تَأْسيسيَّةٌ، ففُروع تَكْميليَّةٌ، فعَلامات تَنْبيهيَّةٌ.

وليس أدلَّ على منزلة بعضها من بعض من تمثيلها بمثال الطريق الذي تَظهَرُ به الخطةُ في صورتها الملحقة؛ فإن الأصول المرادة هنا بمنزلة الميدان المستولي على الطريق، وإن الفروع بمنزلة الشارع المتفرع من الميدان، وإن العلامات بمنزلة اللافتات المنصوبة على جانب الشارع!

وإذا كرهنا من الرائد المُسافِر بنا أن يجهل اللافتات ذَمَمْناهُ بجهل الشارع، وأَبَيْنَا عليه أن يجهل الميدان، فإن فعلَ اطَّرَحْناه عنا إلى غيره؛ إذ قد كَذَبَنَا، والرائدُ لا يَكْذِبُ أهلَه.



«مَنْهَجُ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ الصَّحِيحِ لا الرَّائِعِ»

ما أَصْرَحَ دلالةَ المنهج على الطريق وقد خَطَّطَتْهُ الخطةُ المُلْحَقَةُ، فأما أن يكون طريق بحث والبحث حفر فلا يخلو من تنبيه على أنه كُلَّما كان أعمق كان أَوْصَلَ وأَنْجَحَ؛ فليس المقام لجمع المعلومات، فما جمعُها إلا معرفةٌ غيرُ منتجة، بل لِتَنْسِيقها وتصنيفها وتنظيمها والاستنباط منها، وهذا هو العلم المنتج.

والبحث المطروح هنا هو البحث العلمي الصحيح المجرَّب الناجح، الذي تَواتَرَ عليه الباحثون وأيدته تجاربهم، حتى استطاعوا أن يُميِّزوه ويَضْبِطوه ويُعلِّموه.

أما البحث العلمي الرائع فلا موضع له هنا؛ إذ لا يُعلِّمه المعلمون، بل يُفاجَأُ به المتلقون جميعًا مُعلِّمين ومُتَعلِّمين، فإذا أعجبهم، فتمسَّكوا به، وضبطوه، وعلَّموه- فَقَدَ رَوْعَتَه!

وليس أَشْبَه بالبحث العلمي الصحيح مِنَ الحِصانِ الإِنْسيِّ المُستأنَس، ولا أَشْبَه بالبحث العلمي الرائع منَ الحِصان الوَحْشيِّ المُسْتوحَش؛ فلا نَرْكَبُ إلا الأول، وإن انْبَهَرْنا بالثاني!

«ابْنُ سَبِيلٍ»

ربما اهتدى بعضُ طلاب العلم إلى ما يلائمه مما يستطيع إذا ما بذل فيه وُسْعَه، أن ينتفع به وينفع غيره ويتقدم به إلى الأمام، في رحلة الحياة هذه الجبلية الصعبة التي لا تتكرر. ولكنَّ أكثرَ طلاب العلم لا يستغنون عن تنبيه من حولهم آباءٍ وإخوةٍ وأساتذةٍ وزملاءَ ...

يُولَدُ أبناؤنا بمواهب واحدة معروفة على اختلاف استعداداتهم بينها، فإذا نُبِّهوا أو انْتَبَهُوا إلى ما لهم فيه استعدادٌ وأُعِينوا عليه كانت لهم فيه

قُدْرَةٌ ثُمَّ مَهَارَةٌ ثُمَّ إِبْدَاعٌ، وإلا خَبَتْ جَذْوَةُ الاستعداد، وجَفَّتْ زَهْرَتُه، وفقدوا مواهبهم فيه من أصلها.

وإذا أَخْطَؤُوه إلى غيره وأُعِينوا عليه كانت لهم فيه قدرة، ولم يكد يكون لهم فيه مهارة، واستحال أن يكون لهم فيه إبداع. ولَكَنَّاسُ شَوارعَ مُبْدِعٌ أَهَمُّ لنا وأفضل عندنا وأحب إلينا من أستاذ جامعات غير مبدع، ولا سيما في زماننا هذا المفتون بالقُمامات، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

«عِلْمٌ»

لن يكون بحثٌ ولا منهجٌ، حتى يكون عِلْمٌ؛ ففيه سيكون البحث والمنهج. ولن يَتَعَرَّفَ أيُّ ابنِ سبيل حتى يهتدي إلى علمٍ يَنقطعُ له حتى يستوعب قطعة منه كبيرة، يقف منها على أرض ثابتة.

فإذا اهتدى أيُّ ابنِ سبيل إلى عِلْمٍ ملائم وجب أن يجتهد في تحصيله على كل وجه. وربما كان الوجهُ الرَّسْميُّ أَجْدَى عليه، وربما لم يكن؛ فما أَكْثَرَ المعاهدَ العلمية، وما أَقَلَّها!

ولا غِنَى له عن تحديد مَظانِّ هذا العلم الملائم وتنظيم أَوْرَادِ استيعابها على مَنَادِحِ ليله ونهاره؛ فأَصْعَبُها لِأَقْواها، وأَسْهَلُها لِأَضْعَفِها، وأَوْسَطُها لِأَوْسَطِها.

وكلُّ مُجْرٍ في الخلاء مَسرورٌ بما يُسابقُ نفسَه؛ فمن ثَمَّ ينبغي أن يُذاكِرَ في هذا العلمِ غيرَه؛ ففي المُذاكرة تَلْقِيحُ الألباب، يَطْرَحُ ما عنده، ويَطْرَحُ غيرُه، فيَتبيَّنُ له مَبْلغُ ما حَصَّل، ويدُ الله مع الجماعة.

«أ=مَسْأَلَةٌ»

أَوَّلُ أصول المنهج التأسيسية مَسْأَلَةٌ لا تَنْبُتُ لسائلها إلا في منبتها الصالح، أي: العلم الذي حَصَّلَه، دَلالةً عليه؛ فليس أدلَّ على العلم من



الأسئلة التي يثيرها، وأعظمُ العلوم وأخلدها أكثرُها إثارةَ أسئلةٍ، فأما أكثرُها إجابةً فيُوشك أن يُكتَفى منه ويُستغنَى عنه.

وكلمة مَسْأَلَة في علم الصرف من باب المصادر، تُصنَّف على أنها مصدر مِيميّ يبالغ به في معنى المصدر الصريح ثم يبالغ فيه بزيادة تاء الجَماعة؛ فهي إذنْ مُبالغةٌ في مُبالغة؛ ومن ثَمَّ ينبغي ألا تُطلَق إلا على ما تكثر فيه الأسئلةُ كثرةً كاثرةً أو ما يُنزَّل هذه المنزلة.

يجوز أن يُكلِّفَ الباحثَ المسألةَ مَنْ لا يَعْصِيه، فيَحْمِلَها. ويجوز أن يَجِدَها ظاهرةً مطروحةً في الكتب والمحاضرات والمناظرات، فيَختطِفَها. ويجوز أن يَفْتَقِدَها، فيَستنبطَها. ولكن إذا دلّت الحال الأولى على بِرِّه، ودلّت الحال الثانية على فَتْكِه- فلقد تدُلّ الحال الثالثة على عَقْلِه!

«ب = مَصَادِرُ»

ثاني أصول المنهج التأسيسية مَصَادِرُ تنبُع منها المسألة وتصدر عنها. وعلى حسب هذه المسألة تكون المصادر، كما على حسب هذه المصادر تكون المسألة، ولا مُعْضِلَةَ!

رُبّما غَمَضَ مَجيءُ المصادر في الأصول بعد المسألة التي إنما نبعت منها وصدرت عنها، حتى يتضح أن للمصادر عَمَلَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ على فترة: أولُهما فيما يَطلُبه أيُّ ابن سبيل من علم أَوَّلِيٍّ يُثير أسئلتَه، وثانيهما فيما يَطلُبه من جواب المسألة التي ينقطع لها دون غيرها.

ولقد ينبغي التنبيه على أن حال المصادر في عملها الثاني غير حالها في عملها الأول؛ فإنها إن تكن في الأول عَفْوِيَّةً عامَّة تثير أسئلة كثيرة مختلفة وتجيب بعضها دون بعض، فهي في الثاني قَصْدِيَّةٌ خاصَّة تثير المسألة المختارة وتجيبها.

يرجع الباحث إلى المصادر في هـذا الأصـل الثـاني رجوعـا خاصـا؛ فلا يَعْبَأُ منها إلا بمصادر مسألته القصدية الخاصـة، وإن أَحاطَهـا أحيانـا بهالةٍ من المصادر العفوية العامة.

«ج = مَادَّةٌ»

ثالثُ أصول المنهج التأسيسية مَادَّةٌ يَستمدُّها الباحث من مصادر مسألته القَصديَّة الخاصَّة استمدادًا كاملا ما استطاع إليه سبيلا، يُغْريـه بـه ويُعِينـه عليه ما في كلمة مَادَّة نفسها من دلالة على أنها سِرّ حيـاة البحـث الـذي يستمر إليه من مصادره استمرارَ النُّسْغ من جَذْر الشجرة إلى فرعها.

وكما يَرِدُ العطشانُ عين المياه ويَنْهَل منها يَرِدُ الباحث مَصْـدَرَ مسـألته ويستفيد منه. وكما تهتدي النَّحْلَةُ من زهر البستان إلى ذَواتِ الرَّحيق دون غيرها يهتدي الباحث من مواد المصدر إلى مادة مسألته دون غيرها.

وما استحضار مثال النحلة إلا من باب التقريب وحسن الظن بالباحث؛ فقد أُوتِيَتْ هي حاسَّةَ الاهتداء إلى الرحيق، ولم يُؤْتَ هو حاسَّةَ الاهتـداء إلى المادة؛ ومِنْ ثَمَّ يظلُّ يُخْطِئُها أو يجمع معها غيرها -وإن قلَّ ذلك منه على الزمانِ والمُحاولةِ والمُزاولةِ- فأما هي فلم تخطـئ قَـطُّ ولـن تخطـئ أبدًا؛ لا تَبْديلَ لخلق الله؛ فتبارك الله أحسن الخالقين!

«د = تَصْنِيفٌ»

رابعُ أصول المنهج التأسيسية تَصْـنيفٌ تنقسـم فيـه المـادة بمـا تُؤدِّيـه طبيعتُها وخصائصها، على أقسام متميزة تميزا منطقيا واضحا.

ولا تستعصي على الانقسام مادة -وإن قَلَّتْ- إلا أن يَغْفُلَ الباحـثُ أو يكسَلَ أو يُهمِل، وهي أحوال لا يستقيم عليها عمله أصلا، ولا يستمر إلى غايته.



أما الباحثُ الواعي النشيط المعتنِي فلن يعدم ما يَدْخُلُ منه إلى تقسيم المادة وتصنيفها على حسب ظاهرها وحده، أو باطنها وحده، أو ظاهرها وباطنها جميعا معا- وعلى حسب ما يراه هو فيها، أو على حسب ما دَرَجَ غيرُه على رؤيته فيها، وإن خالفهم فيه.

ربما كان في تصنيف المادة وَجْهٌ من مُبادَرة الباحث إلى عرض رأيه الذي سينتهي إلى إثباته، ولكن لا يمتنع أن يكون فيه وَجْهٌ من مُبادَرته إلى رأي غيره الذي سينتهي إلى دَحْضِه.

«هـ = بِنَاءٌ»

خامسُ أصول المنهج التأسيسية بناءٌ تَتَرَكَّبُ فيه صنوف التصنيف بحيث تستوي بنيانا محكما يشد بعضه بعضا، على مثل بنيان الباحث نفسه، يظلّ يدلّ عليه ويُشير إليه.

إن كلّ عمل مُتقَن يعمله الإنسان لا يخلو من بُنْيَانيَّتِهِ هو نفسه أي تَرَكُّب أجزائه ظاهرا وباطنا وارتباطها حتى لَتُظَنّ كيانًا واحدًا صُلْبًا مُصْمَتًا، وما ذاك إلا أنها بُنْيان كبُنْيان الإنسان.

ولا ريبَ في تَفاوُت مُدْرِكي هذه البُنيانيّة مُتلقينَ وباحثينَ؛ فمِنْ أسرار التركب والارتباط ما لا يَتيسَّر لأيِّ أَحَدٍ؛ فلا يقدر أيُّ باحث على إضماره في بحثه، ولا يقدر أيُّ متلق على إظهاره منه.

ولكنْ لا غِنى عن مبادئ المنطق الطبيعي التي يتمثل بها أيُّ شيءٍ أمامَنا بُنيانًا سَوِيًّا بلا اضطِراب ولا تَنافُر ولا تَناقُض، لا في التحديد ولا في الترتيب ولا في التهذيب.

«ابْنُ السَّبِيلِ»

الآنَ بعدما اهتدى طالبُ منهج البحث العلمي إلى علمه الملائم واشتغل بتحصيله، ثم تَبيَّنتْ له وتميزت أصول المنهج التأسيسية الخمسة- لم يَعُدْ أيَّ ابنِ سبيل، بل صار ابن هذه السبيل دون غيرها.

قَبْلَئِذٍ كان يَهْرِفُ بما لا يَعْرِفُ، فلا يؤخذ عليه خطأٌ عِلْمي لا قَوْلي ولا فِعْلي، بل يُعْرِض عنه أبناءُ السبيل سلامًا مِنْ فَرَطاتِ جهله! فأمّا الآن بعدما صار من أبناء هذه السبيل، فينبغي له أن يَتَأَدَّبَ بأدبهم لأنه سيكون مِلاكَ ما بينه وبينهم، يُحاكمونه إليه، ويُحاكمهم.

ومِنْ أَدَبِ أبناء هذه السبيل أن يَتَواصَوْا باليقين بالحق -فلا يَقرّ لهم قرار على غيره- وبالإخلاص للحق -فلا يكون لهم قصد إلى غيره- وبإتقان العمل -فلا ينقطع لهم دَأَبٌ دونه- وبالثبات على اليقين والإخلاص والإتقان -فلا يكون منهم تَحوُّل عنها- وبالرضا بعواقبها؛ فلا يكون منهم سخط عليها، ولا يأس منها.

«تَبَيَّنْ = الْجِدَّةُ أَوِ النَّقْصُ =١»

أولُ فُروعِ المنهج التَّكْميليَّة الجِدَّةُ أو النقص، وعَلامتُه التَّنْبيهيَّة تَبَيَّنْ؛ إذ ربما بَذَلَ الباحث من وُسْعِهِ وعمره، ثم ذهب ما بذله أدراجَ الرياحِ هَباءً منثورًا، حين يطلع فجأة أو يتجلى لغيره أنه مسبوق إلى مسألته، وأنه إن لم يكن سرقها فلم يزد على أن كَرَّرها أو كَدَّرها!

لقد ينبغي للباحث أن يَتبيَّنَ أولًا أنَّ المسألة التي سيجعل فيها بحثه، جَديدةٌ لم يُبْحَثْ عنها مِنْ قبلُ، أو ناقصةٌ لم يكمل بحثها؛ فإنْ يَستصعبْها جديدةً يَستسهلْها ناقصةً. ولا غِنَى به في تَبيُّن ذلك عن تفتيش خزائن



المسائل بالمعاهد العلمية وهي متاحة الآن ورقيةً ورقميةً، ولا عن سؤال أهل العلم المتحققين المُتحرِّجين.

وإن من فِطْنة الباحث أن يعثر للمسألة القديمة على وجه جديد يوجهها عليه ويبحث بها عنه، حتى لَيَرَى المتلقون أنْ لو لم يبحث بحثه لَخَسِروا عملًا مفيدًا مُهمًّا. وليس أعون له على ذلك من مُلْتَقَيَاتِ العلوم المختلفة؛ فأكثر الباحثين مُشغولونَ بالمسائل التي يَستقلّ بها كلُّ علم من العلوم القديمة المستقرة الحدود، فأما مسائلُ العلوم الجديدة المتحرِّكة الحدود التي تَشتجِرُ فيها علومٌ مختلفة، فلا يَصْمُدُ لها إلا أهل العزم من الباحثين.

«حَدِّدْ = الْكِفَايَةُ وَالِانْحِصَارُ = ٢»

ثاني فُروع المنهج التَّكْميليَّة الكفايةُ والانحصارُ، وعَلامتُه التَّنبيهيَّة حَدِّدْ؛ إذ ينبغي للباحث أن يحدد مادة بحثه بحيث تنفرش على فضائه وتنحصر بحدوده، أي أن تملأ أَقْطارَه بلا إفراط ولا تفريط.

إنَّ في انخداع الباحث لكثرة مادته مَهْواهُ في هُوَّةِ الإفراط، والإفراط إسرافٌ، والإسرافُ سَفَهٌ. وإن في انخداعه لقلة مادته مَهْواهُ في هُوَّةِ التفريط، والتَّفْريط تَقْصيرٌ، والتَّقْصيرُ عَجَزٌ.

وعلى حسب شروط البحث مَدًى وسعةً وعُمقًا، ينبغي للباحث أن يُحدِّد مَادته؛ فلا مِراءَ في اختلاف شُروط أبحاث الماجستير والدكتوراة وما قبلهما وما بعدهما، ومن ظن أنه يَتفضَّل على المتلقين بإقامة أحد هذه الأبحاث على مادة غيره، فقد أخطأ، ومَنْ أخطأَ لم يَستحقَّ التقديرَ، وإنْ أَهلَكَ نفسَه!

«آمِنْ = اتِّصَالُ الْمَسِيرَةِ =٣»

ثالثُ فُروع المنهج التَّكميليَّة اتصالُ المَسيرةِ، وعَلامتُه التَّنْبيهيَّة آمِنْ؛ إذ ينبغي أن يَستقرَّ في وعي الباحث استقرارَ العقيدة في قلب المؤمن، أنَّه أحد أبناء هذه السبيل السائرين على الدرب، لا يعمل وحده.

وعلى رغم اشتغالنا هنا بالبحث العلمي الصحيح الذي يُحافِظ فيه الباحثُ على تراث غيره من الباحثين، فيستوعبه، ويعرضه، وينقده، ويضيف إليه مؤمنا بأنه تراث متراكم يصل إليه ثم يستمر به - لا نرى البحث العلمي الرائع يَنْخَلِعُ الباحثُ فيه من تراث غيره.

ربما تَوهَّمَ بعضُ الباحثين أَلَّا إبداعَ إلا بالانخلاع من السبيل ومن أبنائها جميعا، وهَيْهَاتَ! ما أَبْعَدَ ما انْتَجَعَ! وما أَشْبَهَهُ بمن يريد الانخلاع من إرث طبيعته! كيف وهو إن تَنَفَّسَ فَبِزَفِيرِهِمْ يَتنفَّسُ، وإن تَحدَّثَ فَبِكَلامِهِم يَتَحدَّثُ!

«تَخَيَّرْ = نَوْعُ الْمَصْدَرِ = ٤»

رابعُ فروع المنهج التكميلية نَوْعُ المصدر وصحتُه وزمنُه، وبحسبنا الآن نَوْعُه، وعلامته التنبيهية تَخَيَّرْ؛ إذ ينبغي للباحث الذي تَبيَّن مسألتَه ألا يغفل عما تحتاج إليه من مصادر ملائمة مسموعة أو مقروءة أو ملموسة أو مشمومة أو مشهودة أو مركبة.

كيف لمن يبحث عن حقيقة مسألة شفاهية أن يتخير لها مصادر كتابية، والعكس بالعكس! أم كيف لمن يبحث عن حقيقة مسألة فنية أن يتخير لها مصادر علمية، والعكس بالعكس! أم كيف لمن يبحث عن حقيقية مسألة شعرية أن يتخير لها مصادر نثرية، والعكس بالعكس! وهلم جرًّا ...



ومِن شُجون هذا المقام اضطرابُ الباحثين من قديم إلى حديث في ملاحق أبحاثهم بين المصادر والمراجع والمجلات والدوريات والمخطوطات والأقراص المدمجة والمواقع الإنترنتية إلى آخر ما كان ويكون، وما مِنْ مُضْطَرب؛ إذ هي كلها إما مصادر نبعت منها مادة المسألة، وإما مراجع تَردَّد فيها كلام باحثين آخرين عن حقيقة هذه المسألة، وما سوى هذا مظاهر نشر لا أثر لها في تمييز المنشور.

«تَخَيَّرْ = صِحَّةُ الْمَصْدَرِ = ٤»

رابعُ فروع المنهج التكميلية نوعُ المصدر وصحته وزمنه، وبِحَسْبِنا الآنَ صحتُه، وعَلامتُه التنبيهيةُ تَخَيَّرْ؛ إذ كيف للباحث أن يستمد مادة مسألته من مصدر غير صحيح ويستقيم بحثه ويحظى عند المتلقين!

ومن صحة المصدر وجودُه على الحقيقة؛ فلا يكون مِنِ اخْتلاق الباحث - فالاختلاقُ كَذِبٌ- أو تَوَهُّمِه -فالتَّوَهُّم عَبَثٌ- أو انخداعه - فالانخداعُ غَفْلة- وأيّةُ استقامة وحَظْوة تُرْجَيَان بالغَفْلة أو العَبَث أو الكَذِب!

ومن صحة المصدر كذلك وُضوحُ مادَّته على الحقيقة؛ فلا يكون من قَسْر الباحث -فالقَسْر ظُلم- أو تَزْييفه -فالتَّزْييف خِداع- أو تصرفه - فالتصرُّف تَكلُّف- وأيّةُ استقامة وحَظْوة تُرْجَيَان بالتكلُّف أو الخِداع أو الظُّلم!

«تَخَيَّرْ = زَمَنُ الْمَصْدَرِ= ٤»

رابعُ فروع المنهج التكميلية نوع المصدر وصحته وزمنه، وبِحَسْبِنا الآنَ زمنُه، وعَلامتُه التنبيهيةُ تَخَيَّرْ؛ إذْ ينبغي لمصدر المسألة أن يكون من

زمنها - وإلا كان في نُبُوعُها منه نَظَرٌ - فأما كونُه من زمنِ ما قَبْلَها فَدَلِيلُ عَدَمِ صحته قَطْعًا، وأما كونُه من زمنِ ما بعدَها فَدَلِيلُ ضعفه.

أَلَا ما أَشْبَهَ استمدادَ مادة المسألة من مصدر لاحق بَعِيد زمان صدوره عن زمان حدوثها بالاستشهاد بالحديث المنقطع السَّنَد بهُوَّة خاوية ليس فيها من الرواة الذين سمعوه من يستقرُّ به الاطمئنانُ!

كيف للباحث أن يَزْهَدَ في مُعاينة مسألته رَأْيَ العين، وليس الخبر كالمعاينة! أم كيف يَرْكَنَ إلى وَساطة مُتَوَسِّط يَدَّعي على مسألته الدعاوى ويمُنّ عليه من مادَّتها بما لا يُسْمِنُ بحثه ولا يُغْنِيه!

«جَهِّزْ = تَبْطِيقُ الْمَادَّةِ الْمُنَاسِبُ = ٥»

خامسُ فروع المنهج التكميلية تَبْطيقُ المادة المناسب وتَوْثيقُها وعَنْونتُها، وبِحَسْبِنا الآنَ تَبْطيقُها المناسِبُ، وعَلامتُه التنبيهيةُ جَهِّزْ؛ إذْ لا غِنَى بالباحث عن تَجْرِيد المادة من مصادرها حتى ينقطع لِتأمُّل مسألته فيها هي وحدها ويقف على طبيعتها وخصائصها وجوامعها وفوارقها، وما أَشْبَهَها مُجرَّدةً بتلامذتنا في فَصْلِهم الدراسي، وما أَشْبَهَها مُتَلبِّسةً بتلامذتنا في بيوتهم العائلية، وهيهات أن تُؤلِّف قلوبَهم دُروسٌ خُصوصيةٌ!

ينبغي للباحث أن يَنقُل كلَّ فكرة واحدة إلى بطاقة واحدة قُصاصة ورقية أو مِلَفّ رَقْمي، بحيث تَنْطوي الفكرةُ في البطاقة، ولا تَنْطوي البطاقةُ في الفكرة، لِتَتَحَيَّز هي من بطاقتها في حَيِّز محدود يُتيح له أن يَرْتَع في فضاء البطاقة بما يَعِنُّ له من تعليقات.

كذلك ينبغي له أن يلتزم نوعًا واحدًا من البطاقات الورقية أو الرقمية، يتيح له أن يَمُرَّ فيها مُرورًا واحدًا فيستوعبها استيعابا واحدا؛ فإنه إن عَدَّدَ



أنواعها التبستْ عليه، وأَفلتَتْ من ضَبْطه، وكَلَّفَتْه كلَّ مرة ما يُلهيه عن غايته.

«جَهِّزْ = تَوْثِيقُ الْمَادَّةِ = ٥»

خامسُ فروع المنهج التكميلية تَبْطيقُ المادة المناسب وتَوثيقُها وعَنونتُها، وبِحَسْبِنا الآنَ تَوثيقُها، وعَلامتُه التنبيهيةُ جَهِّزْ؛ إذ لو لم تُوثَّق لم تَتجرَّدْ من مصادرها للباحث، واضطُرَّ إلى إهمالها مِنِ اعتماده أَصْلاً أو إلى تَفْتيش كلِّ ما عَرَضَ له من مصادر حتى يعثر على مواضعها منها، وهما أَمْران أحلاهما مُرّ.

ولا قيمةَ لمادة غير مُوثَّقة؛ فسواءٌ هي والعدم. وليس أبلغ احتجاجًا لضرورة توثيقها، من أنه يُقدَّم بين يديها كثيرا حتى يَطمئِنّ إليه مَن سينظر فيها، وإلا لم يُؤْمَنْ أن يَتجاوزَها مُعْرِضًا عنها بما انخلعتْ مِنْ مصدرها الذي تَنتسبُ إليه ويُعتمد في تقديرها عليه.

ومِنْ بِطاقات الأفكار يَبدأ تَوثيقُ المادة بلونٍ غير لون كتابة أفكارها، حيث يُثبت الباحثُ عن يمينِ أعلى كل بطاقةٍ اسمَ صاحبِ فكرتِها المشهورَ، وبين قوسين بعده بقية اسمه، ثم اسم مصدرها، ثم طَبْعته، ونَشْرته، ويثبت عن يسارِ أسفلِها موضعَ الفكرة من مصدرها.

«جَهِّزْ = عَنْوَنَةُ الْمَادَّةِ = ٥»

خامسُ فروع المنهج التكميلية تَبطيقُ المادة المناسب وتوثيقُها وعنونتُها، وبِحَسْبِنا الآنَ عنونتُها، وعَلامتُه التنبيهيةُ جَهِّزْ؛ إذ لا سبيل للباحث إلى تمييز مواد بطاقاته الكثيرة ورقيةً ورقميةً إلا بعَنْوَنَتِها، أي: تسميتها بعبارة موجزة واضحة، وإلا عَجزَ عن معاملتها؛ فيئس منها، وأعرض عنها.

ولن يستقيم للباحث عنوانٌ على مادةٍ حتى يقرأ بطاقتها، ويقف على فكرتها؛ فيعنونها بها مِنْ فَوْرِهِ قبل أن تُفْلِتَ منه، في مُنْتَصَفِ أعلاها بلون غير لَوْنَيْ كتابتها وتوثيقها كليهما، وهو العنوانُ الذي سيُسمِّي به رَقْمِيَّتَها على حاسوبه.

لا ريب في أن العنونة مِنْ أصلِها إما صريحةُ الدلالة على فكرة المادة، وإما مُوحية غيرُ صريحة، ربما اشتملتْ على طبيعة إحساس الباحث بها. ولكن لا موضعَ هنا إلا للعنوان الصريح الذي يدُلّ على فكرة المادة دَلالةَ اسم الباحث على الباحث. ومَنْ شاءَ الإيحاء بإحساسه فَدُونَه فَضاءَ البطاقة مُتاحًا يَرْتَعُ منه ما شاء!

إنَّ عناوين البطاقات ورقية ورقمية هي التي ستُمكّن الباحث من أن يَمُرَّ في مادته سريعا كلَّما شاء أن يفتشها لِيتأمَّل ويجمع ويفرق. ومن ذَكَرَ لها هذه الجدوى عَمِلَ لها في مَشْغَلَةِ التَّجْهيز ما لا يَنْدَمُ عليه في مَعْمَعَةِ التَّمْييز!

«انْتَبِهْ = اتِّبَاعُ انْقِسَامِ الْمَادَّةِ = ٦»

سادسُ فروع المنهج التكميلية اتباعُ انقسام المادة، وعلامتُه التنبيهية انْتَبِهْ؛ إذ ينبغي للباحث أن يَخْضَعَ لما بين مفردات مادته من فروق، فيُراعِيها في تقسيمها وتصنيفها.

وقد استقر مِنْ قبلُ أنْ ليس في هذا المنهج العلمي مادَّةٌ لا تنقسم، وأنها إن لم تَنقسمْ باختلاف طبائعها انْقسمتْ باختلاف خصائصها، وإن لم تَنقسمْ في رأيه انقسمتْ في رأي غيره- وأنَّه لا غنى به عن أقسامها فيما سيُبَوِّبُه بها من أبواب عمله، ويُفَصِّلُه من فصول ومباحث ومطالب.



ولكن ينبغي هنا تنبيه الباحث على أنْ يَلينَ لِمادته، فلا يَأْبى ما تجري عليه من انقسام، أو يتغافل عنه تَحْكيمًا لانقسام غيرها فيها أو انْخداعًا بتقسيم غيره لها، بل يُنصت لصوتها هي، ويُصدّقها؛ فإنها المادة التي لم يَستمدَّها من مصادرها إلا هو، ولن تَكْذِبَه.

«حَلِّلْ = الِاسْتِيعَابُ = ٧»

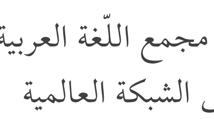
سابعُ فروعِ المنهج التكميلية الاستيعابُ والعرضُ والنقدُ والفصلُ، وبِحَسْبِنا الآنَ الاستيعابُ، وعلامتُه التنبيهيةُ حَلِّلْ؛ إذ لن يتيسر للباحث بحثٌ حتى يستوعب ما اجتمع له من مادة، ولن يستوعبها حتى يُحلِّل مُركَّباتها وَيَتَدَسَّس إلى مُضْمَن طواياها ويَطَّلِع على مكوناتها.

ولْتَكُنْ هذه المادةُ من مظاهر الظواهر الطبيعية أو الاصطناعية، أو من آراء المتأملين المتفكرين، أو أَيًّا ما تكون؛ فلابد للباحث أن ينقطع لها مفرداتٍ وأقسامًا مثلما ينقطع الناسكُ، ويتأملها مثلما يتأمل العاشقُ، حتى تَتَكشَّف له مثلما تَتَكشَّف في ظهيرة النهار شمسُ الصحراء؛ فعندئذ يستوعبها مثلما يستوعب الوعاءُ مُوعَبَهُ؛ فلا يذهب ولا يؤوب إلا بها، ولا يقوم ولا يقعد ولا ينام ولا يصحو، وتبوح له بأسرارها، وتَتَأَتَّى حتى يسجلها!

ولا حَرَجَ على الباحث أن يَتَّهِمَ هو نفسُه استيعابَه لمادَّته قبل أن يتهمَه غيرُه، فيُراجعها مرةً أخرى، حتى يستقرَّ استيعابُه- بل الحرجُ أنْ يظل معها على قلق، كأنه أَسيرٌ ينتظر الإطلاق، ولا استيعابَ مع قَلَقٍ.

«حَلِّلْ = الْعَرْضُ = ٧»

سابعُ فروعِ المنهج التكميلية الاستيعابُ والعرضُ والنقدُ والفصلُ، وبِحَسْبِنا الآنَ العَرْضُ، وعلامتُه التنبيهيةُ حَلِّلْ؛ إذ ينبغي للباحث أن



يُحْسن عَـرْضَ مادَّتـه علـى مُتلقِّيهـا مثلمـا تُعـرَضُ علـيهم مطـالبُهم في مَعَارِضِها، عَرْضًا ذكيًّا يجذبهم إليها ويُقْنِعُهُمْ بها.

وأحسنُ مَعارض مادة البحث الجداولُ الإحصائيةُ الـتي يَحْـدِسُ فيهـا الباحثُ بأهم مظاهرها دلالة على ظواهرها؛ فيُجَدْوِلُ مفرداتها بحيث تدُلّ عليها نِسَبُها منها دلالةً واضحةً، ثم إذا شاء استفاد من بيانات الجداول في صناعة رسوم بيانية أوضح دلالة وأسرع إقناعا.

وليس أدلَّ تعبيرا عن قُدْرة الجداول ثم الرسوم البيانية على عَرْضِ مادةِ أيِّ بحثٍ - مهما كانت - من قول المصريين: «الفِيل في المنديل»، الذي يصفون به إحاطةَ الصغير بالكبير، وما أَشْبَهَهُ عندهم بعَمَلِ السَّحَرَةَ!

«حَلِّلْ = النَّقْدُ = ٧»

سابعُ فروعِ المنهج التكميلية الاستيعابُ والعـرضُ والنقـدُ والفصـلُ، وبِحَسْبِنا الآنَ النقدُ، وعلامتُه التنبيهيةُ حَلِّلْ؛ إذ ينبغي للباحث أن يُقَلِّـبَ مادتَه المعروضة على كلِّ ما تحتمله من وجوه قريبة كانت هذه الوجوه أو بعيدة، وقوية أو ضعيفة، وحسنة أو قبيحة.

لقد حَدَسَ من قبل بأَدلِّ مظاهرها على ظواهرهـا، وجَـدْوَلَ مُفـرداتِ هذه المظاهر، وحَدَّدَ نسَبَ بعضِها من بعض؛ فالآن يَستخرجُ مُعطياتِها، ويَتأمَّلها، ويَتذوَّقُها، ويُمَيِّزُ بعضَها من بعض بكل ما تتميـز بـه، ويُفسّـر حدوثها بكل ما يصح لديه، مما ثبت في كلِّ علمٍ تَعَلَّمَه.

ولا ريب في أن العرض هو باب النقد؛ ومن ثم لا حَرَجَ على الباحث في أن يضبط بعضهما ببعض، فيعتني في العرض بما يحتفي به في النقد، ويوضح في العرض ما يسهل عليه في النقد، فإذ استترتْ عنـه في النقـد



مُعطياتٌ أو غَمَضَتْ عليه، عاد إلى العرض، فعالجه بما يُبْرِزُها ويُبَدِّدُ غُموضَها.

«حَلِّلْ = الْفَصْلُ = ٧»

سابعُ فروع المنهج التكميلية الاستيعابُ والعرضُ والنقدُ والفصلُ، وبحسبنا الآن الفصلُ، وعلامتُه التنبيهيةُ حَلِّلْ؛ وإنما حَلَّلَ الباحثُ ما حَلَّلَ مِنْ أجل هذا الموقف الذي يبدو فيه كأنه يُركِّبُ ما حَلَّلَ؛ فتستبين له ملامحُ وجهِ الرأي الصحيح، فيقطع به دون غيره قولًا واحدًا لا ثاني له؛ فإنه إن لم يفعل كان كأنه عَبِثَ عَبَثًا، ولم يُحلِّل، ولَهُوَ أَشْبَهُ عندئذ بالطفل الطُّلَعَةِ الذي لا يترك جهازا إلا فَكَّكَه، ولا يُفَكِّك جِهازًا إلا تَرَكَه!

ربما رأى بعض الباحثين أن في النقد، أَيْ: تَقْليب المادة وتمييز وجوهها، إيحاءً بالفصل أو إغناءً عنه - وأن في الاقتصار عليه وجهًا من حسن سياسة المتلقي؛ إذ يُوهِمُه عندئذ بأنه هو الذي فَصَلَ، وهو إنما وُجِّهَ فاتَّجَهَ. ولكنها حالٌ لا تخلو من شكٍّ ورياءٍ وإهمالٍ وقلقٍ وبَرَم، فأما اليقينُ والإخلاصُ والإتقانُ والثباتُ والرضا فهي كلُّها في مجاوزة النقد إلى فَصْلِ الرأيِ الصحيحِ الواحدِ.

«أَكْمِلْ = التَّحْشِيَةُ = ٨»

ثامنُ فروع المنهج التكميلية التحشيةُ والختمُ والإلحاقُ والفهرسةُ والتقديمُ، وبحسبنا الآن التحشيةُ، وعلامتُه التنبيهيةُ أَكْمِلْ؛ إذ ينبغي للباحث أن يُخْلِيَ مَتْنَ بحثه مِمّا يَعوقُ انطلاقَ فَهْمِ المتلقي، فأما ما لا فائدة فيه ولا منفعة به فلابد له من مَنْعِه أنْ يُغَافِلَه إلى المتن، أو حذفه إذا غَافَلَه إليه- وأما ما فيه فائدةٌ وبه منفعةٌ فلابد له من نقله إلى حاشيته.

إن تحشية متن البحث هي إحاطته من خارجه بكل ما يفيده وينفعه، حتى إذا ما ارتاح منه المتلقي إلى قرارٍ انصرف إلى حاشيته؛ فازداد بما فيها فائدة ومنفعة.

وربما حَرَصَ بعض الباحثين على ألا تتجاوز الحاشية بِضعَ كلمات، وأَدْرَجَها في أَثْناء المتن بين شَرْطَتَيْنِ حتى يستوي البحثُ إراحةً للمتلقي كأنه مَتْنٌ لا حاشيةَ له. أما إذا زادت الحاشية على ذلك فلابد له من تأخيرها إلى هامش الصفحة، وهذه هي الحاشية السُّفْلِيَّة- أو إلى ما بعد البحث أو بعض أبوابه أو فصوله، وهذه هي الحاشية البَعْدِيَّة.

وقد التزمتْ بعضُ منابر النشر بعضَ أنواع الحواشي دون بعض، وألزمتْ باحثيها، ولا ريب في أن المُدْرَجَةَ أَخَفُّ على الباحث، والبَعْدِيَّة أخفُّ على الناشر، والسُّفْليَّة أخفُّ على المتلقي، إلا أن تَسوءَ التَّحْشِية، فيستخفّ بها الناشر والمتلقي كلاهما، ويَندمَ الباحث!

«أَكْمِلْ = الْخَتْمُ = ٨»

ثامنُ فروع المنهج التكميلية التحشيةُ والختمُ والإلحاقُ والفهرسةُ والتقديمُ، وبِحَسْبِنا الآنَ الختمُ، وعلامتُه التنبيهيةُ أَكْمِلْ؛ إذ ينبغي للباحث أن يجمع خيوط نتائج بحثه ليعقد بها عُقْدَةَ خاتمته -والأعمال بخواتيمها- فيَدُلّ على عمله، ويُدِلّ به، ويُثبت وفاءَه بما سَيَعِدُ في المقدمة.

ومما يُعينه على حسن الخَتْم أن يَشفَعَ كلَّ ما يكتمل من أجزاء بحثه أبوابًا كانت أو فصولًا أو مباحث، بملخَّص ما حصل له فيها من نتائج، حتى إذا ما قائم قائم الختم وأَزِفَ الترحل اعتمد على ملخصات نتائج الأجزاء، ولم يَجْنِ عليه تَعَجُّلُ الفراغ.



ولا ريب في أنه إذا كَثُرَتْ نتائجُه الكبيرةُ استغنى بها في الخاتمة عن الصغيرة، وأحقُّ الأفكار بمقام النتائج الكبيرة تلك التي فَصَلَ فيها بالرأي الواحد. وإذا أَعْوَزَتْهُ النتائجُ الكبيرة التجأ إلى الصغيرة حتى تكتمل الخاتمة؛ فكما يَحْذَرُ أن تَطُولَ فتُظَنّ أحدَ فصول بحثه، يَحْذَرُ أن تقصُرَ فتُظَنَّ إحدى حواشيه.

«أَكْمِلْ = الْإِلْحَاقُ = ٨»

ثامنُ فروع المنهج التكميلية التحشيةُ والختمُ والإلحاقُ والفهرسةُ والتقديمُ، وبِحَسْبِنا الآنَ الإلحاقُ، وعلامتُه التنبيهيةُ أَكْمِلْ؛ إذ ربما احتاج الباحث إلى إضافة مجموعات تَوضيحيّة من المعلومات المُنظَّمة المتعلقة ببحثه، التي لا تتسع لها حواشيه ولا تناسبها؛ فسَلَكَها في ملحقات، وأَضَافَها إلى بحثه من آخره.

مِنْ هذه الملحقات مُلْحَقُ مُفْرَدات المادة التي كان فيها البحثُ من أصله، ومُلْحَق مُصطَلَحات مجال البحث الذي يُقابَلُ فيه أحيانا بين اللغات المختلفة، ومُلْحق الصورِ والرسوم والخرائط والجداول، وغير ذلك.

ولا تستوي هذه الملحقاتُ، لا أهميةً ولا إمكانًا؛ فبعضُها أهمُّ في بعض الأبحاث منه في بعض، وبعضها أظهر إمكانا في بعضها منه في بعض. وربما اقتضى بعضُ الأبحاث من الملحقات ما لم يُعْهَد في غيره؛ فكان من فطنة الباحث وتوفيقه.

«أَكْمِلْ = الْفَهْرَسَةُ = ٨»

ثامنُ فروع المنهج التكميلية التحشيةُ والختمُ والإلحاقُ والفهرسةُ والتقديمُ، وبِحَسْبِنا الآنَ الفهرسةُ، وعَلامتُه التنبيهيةُ أَكْمِلْ؛ إذ البحثُ

بيتٌ مُغلق على ما فيه لا يعرفه ويحسن وصفه إلا صاحبُه الذي بناه وعاش فيه، فأما زائرُه الذي يمر عليه مُروراً فلا يستطيع وصفه حتى يُعْطَى مَفاتيحَه، وما مفاتيحُ البحث إلا فهارسُه.

إن فهرسةَ البحث هي جمعُ عناوينِه الداخلية وكلِّ ما أَشْبَهَها من دقائقه المهمةِ المُؤَثِّرة في حركته، وترتيبُها على حسب وُرودها فيه أو على حسب علاقة بعضها ببعض، ثم مُقابلتُها بأرقام صفحات ورودها فيه حتى يستطيع المتلقي أن يَتَخَيَّل باجتماعها في الفهارس أمامه بُنيانَ البحث، وأن يتتبع منها ما شاء. وليس الباحث نفسه بعد حين بأغنى عنها من المتلقي.

وأصلحُ مواضع الفهارس من البحث أن يَتَقَدَّمَ فهرسُ العناوين إلى عَقِبِ صفحة عنوان البحث نفسه، وتَتَأَخَّرَ سائرُ الفهارس إلى ما بعد البحث، ويشار إليها في فهرس العناوين.

ولقد ينبغي للمتلقي أن يعرف وللباحث أن يعترف، أن ليس كل ما يُنْشَرُ يُطَّلَع عليه كاملا، وإلا ما صَحَّ استقراءٌ مع استقصاءٍ- وأنَّ من مَناقب الفهارس المُتْقَنَةِ أن تُعينَ المتلقيَ على اختيار أَحَدِهِما (الاستقصاء والاستقراء). وما أَشْبَهَ الفهارسَ المُبْتَسَرَةَ أو المضطربةَ بالمفاتيح الناقصة أو الصَّدِئة، يُعطيها صاحبُ البيت زائرَه عفواً أو قصداً؛ فيَعرف منه، ويُنكر، ويَرتاب!

«أَكْمِلْ = التَّقْدِيمُ = ٨»

ثامنُ فروع المنهج التكميلية التحشيةُ والختمُ والإلحاقُ والفهرسةُ والتقديمُ، وبِحَسْبِنا الآنَ التقديمُ، وعَلامتُه التنبيهيةُ أَكْمِلْ؛ إذ لن يتحدث عن البحث مثل صاحبه، فيُفْسِح بين يديه الطريقَ إلى إقناع المتلقي



وإقباله، مثلما تفعل نَشْرَةُ الدواء الملفوف بها في عُلبته بِمُتَناوِلِـه؛ فعلـى رغم أنها ليست من الدواء لا يرتاح إليه مُتناوِلُه إلا بها.

إن تقديم البحث هو سَبْقُه بعد الفراغ منه بما يُشيرُ إلى طبيعته ويَطمـحُ بجسارته ويُنبهُ على قيمته، من عرض مسألته ودواعيها ومناقبها ومواعدها ومصادرها ومصاعبها ومسالكها، وشكر كل من ساعد على إنجاز بحثها، من غير إكراه هذه المقدمة على ما أغناها عنه قبلها فهرسُ العناوين.

وإن من حكمة الباحث أن يؤخر كتابة مقدمة بحثه حتى يفرغ منه كله، فيحرص على أن تَتلاءمَ هي وخاتمتُه مثلما تتلاءم نغمتا القـرار والجـواب في اللحن المستقيم الواحد، من غير حِنْثٍ بموعدة، ولا حَيْدةٍ عن قصد.

«هَذِّبْ = إِعَادَةُ الْكِتَابَةِ = ٩»

تاسعُ فروع المنهج التكميلية إعادةُ الكتابة، وعلامتُه التنبيهية هَذِّبْ؛ إذ ما كتابة البحث الأولى إلا تحقيق صورته المتخيلة، وهـو العمـل العظـيم حقا، ولكنه لا يخلو من اضطراب علاقة الحقيقة بالخيال.

إن في الإعادة ولادةً أخرى حقيقية، لا إفادة فقط؛ ومن ثم يخافها كثير من الفنانين حرصا على براءة الصورة الخياليـة وطراءتهـا، ويَسْترخصـونَ إليها كلَّ ما تَلِدُهُ الإعادةُ من استقامةٍ واتساقٍ واتزانٍ وانضباطٍ. فأما العلماءُ -وطلابُ العلم هم العلماءُ- فلا يصبرون على اضطراب، ولا يعالجونـه إلا بإعادة الكتابة.

يفرح الباحث بالكتابة الأولى أيَّما فرح؛ فهي الشَّبَكة التي اصـطاد بهـا سَمَكَه، ثم ينصرف بإعادة الكتابة إلى تهذيبها مثلما ينصـرف الصـياد إلى إصلاح سمكه لأكله أو بيعه؛ فيقدم، ويؤخر، ويضيف، ويحذف، حتى لا يبدو له فيها عمل.

ولا حَرَجَ على الباحث الذي أعاد الكتابة -ثم بدا له- في أن يعيدها مرة أخرى أو مرارا؛ بل الحرج في أن يكسل عن ذلك، فيظل طوال عمره يُعاقِرُ اللَّوَّ واللَّيْتَ! وبئستْ معاقرتُهما صحبةً؛ فإنَّ لها لَنَهْشةً ولا نَهْشَةَ الأفعى، وصَحوةً ولا صحوةَ الموتِ!

«أَوْجِزْ = الْعَنْوَنَةُ = ١٠»

عاشرُ فروع المنهج التكميلية العَنْوَنَةُ، وعَلامتُه التنبيهية أَوْجِزْ؛ إذ ينبغي للباحث أن يقدر أن المتلقي سيمر سريعا على بحثه مستقلًّا كان بحثُه هذا أو غير مستقل، لينتقل إلى غيره في فترة جَمْعِهِ المحددة.

إن العنونة هي تسمية البحث كله بعد الفراغ منه، اسمًا يدل عليه ويشير إليه؛ فما أكثر العناوين التي سُمِّيتْ بها الأبحاثُ قبل الفراغ منها، ثم أَخْلَفَتْها بعدئذ؛ فحار فيها الباحثون وكأنَّ تغييرها عملٌ مَهينٌ من أعمال التَّفْريط، وهو حقُّ اليَقين!

وأحسنُ أحوال العَنْوَنَة أن تكون بمسألة البحث موجزةً صريحةً. ولا يُقْنِعُ الباحثَ مثلُ أن يَذْكُرَ ما لقيه هو نفسه في أثناء جمع مادته من الأبحاث القبيحة العناوين، كيف ضَلَّلَتْه، وكيف عَطَّلَتْه! فإن أَبى إلا الإِيحاء فَلْيَجْعَلْه بعنوان آخر مع العنوان الصريح.

ومن وُجوه العَنْوَنَةِ بمسألة البحث أن يكون العنوانُ نفسُه هو الرأيَ الذي انتهى الباحث إلى قبوله في المسألة أو إلى رفضه؛ فهو عنونة بالمسألة وزيادة، وإن لم يستقم في أوهام السياسيين!

«تَأَنَّقْ = الْإِخْرَاجُ = ١١»

آخرُ فروع المنهج التكميلية الأحدَ عَشَرَ الإخراجُ، وعلامتُه التنبيهيةُ تَأَنَّقْ؛ إذ ينبغي للباحث ألا يُخْرِجَ بحثَه إلا في أبهى حُلَّة؛ فلا يترك شيئا



يستولي على إقبال المتلقي على بحثه وارتياحه إليه وقبوله لـه واسـتمراره فيه إلا صنعه به، من نوع الحبر ولونه ونوع الخـط وحجمـه، إلى تـرقيم الجمل وتنسيق الفقر والعنـاوين والصـفحات، ثم اختيـار ورق الطباعـة والتغليف، وما إلى ذلك مما لا تنقضي عجائبه.

إن الله يحب إذا عمل أحـدكم عمـلا أن يتقنـه. وإن تـأنق الباحـث في إخراج بحثه لهو شعار الإتقان؛ فلم تعـد جـودة البحـث في نفسـه كافيـة ولا مستقلة عن جودة إخراجه، بل صار حُكْمُ المتلقي على البحث وعلى إخراجه حُكْمًا واحدًا، يقول: لو كان جيدا لأجاد إخراجه، ولو كان مهما لاهتم بإخراجه.

وإن من تأنق الباحث في إخراج البحث أن يختار له أفضل نَشْرَةٍ تُوصِلُه إلى المتلقي. وإذا كانت المكتبـات درجـات بعضُـها فـوق بعـض، فـإن المجلات كذلك درجات بعضها فوق بعض، حتى صار مُحكّمو الأبحاث وَهُمْ سَادَةُ الْمُتَلَقِّينَ، يراعون درجات المجلات في تقدير المقالات، كما يراعون درجات المكتبات في تقدير الكتب.

وإنما يوفق من يستحق التوفيق!

والحمد لله رب العالمين!

مهارة الحفظ في تراثنا

أ. د. رياض بن حسن الخوّام
جامعة أمّ القرى - مكة المكرمة
عضو المجمع

الحمد لله على كثرة آلائه، والصلاة والسلام على سيد أنبيائه، محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأوفيائه، وبعد:

فلعلي لا أكون بعيدًا عن الحقيقة ولا مجانبًا للصواب، إن زعمت أن مهارة الحفظ هي من أرقى المهارات التي تجب العناية بها، لأنها تاج البراعات، فهي في سلم درجات الوصول إلى العلم تأتي في قممها، قال ابن المبارك: أولُ العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم العلم ثم الحفظ ثم النشر[١]، وإنما جاءت مرتبتها في القمة، لأن العلم هو ما خزنته الصدور لا ما خزنته الدفاتر[٢]، وقد أشار إلى هذا الشاعر محمد بن بشير الخارجي بقوله:

ليس بعلمٍ ما حوى القِمطرُ   ما العلمُ إلا ما حواه الصدرُ

لقد أدرك أسلافنا رحمهم الله تعالى قيمة هذه المهارة، لأنها العلم كله، فأرهقوا لتحصيلها أجسامهم، وقضوا لتزكيتها أعمارهم، وأشغلوا لتثبيتها أوقاتهم، ووفقهم الله في مسعاهم، حتى صارت علوم الحضارة الإسلامية كلها في صدورهم وعقولهم، وها هي آثارها الآن حاضرة متجسدة فيما خلفوه لنا من تآليف وتصانيف، يعجز العادُّ عن عدّها،

(١) الديباج المذهب (٤٠٨/٢).
(٢) المستطرف (٤٣/١).



وتقصر - فيما أحسب - حواسب الحاسبين والحاسبات عن حصرها، رحمهم الله تعالى.

فما حقيقة هذه المهارة ؟ وما وسائل هذه البراعة ؟ وما مظاهرها عند حذاقها وصناعها ؟ وكيف سار القوم في حفظها وتثبيتها، وهل من سبيل إلى الرجوع إليها؟ هذا ما أردت بيانه في هذا البحث الموجز، فلعلنا نوفق.

الحفظ لغة واصطلاحًا: أجمعت المعاجم اللغوية على أن (الحفظ) يقابل الضياع، فهو مصدر حَفِظَ، يَحْفَظُ، حِفْظًا، كعلِمَ ، ، يقال حفِظ المال، أي رعاه وحرسه ومنعه من الضياع والتلف وصانه عن الابتذال[١]، ويقال: حفظ القرآن إذا وعاهُ على ظهر قلبه[٢]، ويقال: تحفَّظتُ الكتاب، أي: استظهرته شيئًا فشيئًا، وحَفّظته الكتاب، أي: حملتُه على حفظه، واستحفظته، أي: سألته أن يحفظه[٣]، ويقال أيضًا: رجلٌ حافظ لدينه وأمانته ويمينه، وحفيظ، والجمع: حَفَظَة وحُفَّاظ، مثل: كافر، في جمعيهِ[٤]، والحفظة: هم الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم[٥]، والحِفْظ: التيقظ، وقلّة الغفلة، يقال: قد أحفظته فاحتفظ، أي: أغضبته فغضب، والحفيظة: الغضب والحمَّية[٦].

والمستفاد مما قدمته المعاجم عن هذه المادة واشتقاقاتها ما يأتي:

---

(١) انظر: الصحاح والقاموس المحيط والمصباح المنير (حفظ).

(٢) المصباح المنير (حَفِظ).

(٣) الصحاح والقاموس المحيط والمصباح المنير (حفظ).

(٤) المصباح المنير (حفظ).

(٥) الصحاح (حفظ).

(٦) الصحاح (حفظ).

- أنّ دلالة هذه المعاني كلّها تعود إلى أنّ الحفظ هو عدم الضياع أو التلف أو الابتذال، والأمر ظاهرٌ في كلّ ما ذكرناه، إلا الدّلالة على الغضب، فبالتأمل نلحظ: أن هناك صلةً بين الضياع والابتذال والغضب، فالغاضب إنما يغضب ليحافظ على حقيقته ونفسه من الضياع والابتذال.
- أنّ هذا الحفظ قائم على إرادة الاستمرار والديمومة، كما هو الحال حين أطلقوا على الملائكة الكاتبين أنهم حفظة، لتسجيلهم أعمال الناس إلى يوم القيامة .
- أنّ دلالة الحفظ ظهرت واضحة في البيئة الدّينية، فالرّجل الحافظ هو الحافظ لدينه وأمانته ويمينه، وحَفِظَ القرآنَ: إذا وعاه عن ظهر قلب.
- أنّ العربية نشطت في توليد اشتقاقات من هذه المادة، تصور الواقع الذي اتضحت منه ظاهرة الحفظ، فهناك عبارات تتعلق ابتداءً بحفظ النّصوص، نحو: تحفَّظت الكتاب، أي: استظهرته شيئا فشيئًا، وما أحسنَ قولهم: شيئًا فشيئًا، لما فيها من دلالة تشير إلى وسيلة من وسائل الحفظ، فبالتدريج والتكرار تُكتسب هذه المهارة، وتظهر هذه البراعة.
- أنّ الحفظ عندهم هو الحفظ مع الفهم، بدليل قول الفيومي: حَفِظَ القرآنَ: إذا وعاه، أي: فهمه، ووقف على معانيه.

أما في الاصطلاح: فلم نظفر على مصطلح محدد للحفظ، ولعلنا لا نبعد عن الصواب إن قلنا: إن الحفظ المراد هنا: هو حفظ نصٍّ ما عن ظهر قلب، ووعيه، لاستظهاره دائمًا، لاكتمال العلم فيه، ولعلّ هذا التعريف ينطبق على تفسير هذه المهارة التي برزت في سماء ثقافتنا العربية الإسلامية.



وأحسب أنه لا بدّ أيضًا لفهم الظّاهرة من أن نعرض لمعنى النسيان الذي هو ضد الحفظ، فهومصدر الفعل نسِي الشيء نسيًا كرمى رميًا، ونسيانًا ونساية ونساوة بكسر النون فيهن والنّسي بالكسر ويفتح ما نُسي، والَنَّسي للَكثير النسيان بالكسر والفتح(١)، و بيَّن الفيوميّ: أنّ النسيان مشترك بين معنيين:

أحدهما: ترك الشيء على ذهول وغفلة، وذلك خلاف الذكر له.

والثاني: التّرك على تعمّد، وعليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[البقرة: ٢٣٧]، أي: لا تقصدوا الترك والإهمال.

وأضاف قائلاً: إنّ هذا الفعل يتعدى بالهمز والتّضعيف(٢).

وفرّق أصحاب المعجم الوجيز بين الفتح والكسر، بأنّ: الفتحة للكثير الغفلة والنسيان، أمّا الكسر؛ فهو فقدان مؤقت لما حفظه الذّهن من صور وأفكار وكلام (٣)، والواضح من هذا كلّه: أنّ النسيان سواء أكان بفتح النّون أم بكسرها هو ضدّ الحفظ، وهذا الضّدّ - أي: النّسيان - تنوّع إلى نوعين، فهو إمّا عن ذهول وغفلة، وإمّا عن قصد وعمد.

أسباب نشوء مهارة الحفظ وانتشارها :

ترجع هذه المهارة إلى عاملين:

الأول : تلك الموهبة التي يمنحها الله بعضَ عباده.

والثانية : الهمّة العالية التي قد تتحقق عند شخص ما، فتدفعه إلى القيام بأسباب عناية هذه الموهبة، وتنمية هذه البذرة حتى تصير شجرة مثمرة يانعة.

(١) الصحاح، والقاموس المحيط والمصباح المنير (مادة: نسي).
(٢) المصباح المنير (نسي).
(٣) المعجم الوجيز (نسي).

وقد أشار العلماء القدماء إلى هذين العاملين حين تحدثوا عن العقل وحقيقته قال الأبشيهي: «واعلم أنّ العقل ينقسم إلى قسمين: قسم لا يقبل الزّيادة والنّقصان، وقسم يقبلهما. فأمّا الأوّل: فهو العقل الغريزي المشترك بين العقلاء. وأمّا الثّاني: فهو العقل التجريبي وهو مكتسب، وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع»[١].

ولذا فهذه المهارة أصلها موهبة من الله تتجلى في حدّة الذّكاء وفطانة القلب، ثم تنمو بالمران والممارسة، فتصير بذلك مهارة من أرقى المهارات، وأمرها كأمر رياضة الأعضاء، فبالرياضة المتكررة يقوى الجسم ويكتمل.

أمّا انتشار هذه المهارة وتحققها عند العرب المسلمين فلها عدد من الأسباب، إضافة إلى العاملين اللذين ذكرناهما من قبل، هذه الأسباب هي:

أنّ العرب في الأصل أمّة أمّية لا تقرأ ولا تكتب، فليس أمامهم إلا الاعتماد على الحفظ، وقد وهبهم الله هذه المنحة، وفضَّلهم بهذه الخِصِّيصة، وهذا الأمر بيِّنٌ واضح.

رغبة بعض الموهوبين أن يكونوا شعراء، والمعلوم أن الشاعر لا بُدّ له في الأصل من موهبة، يردفها مخزون لغوي شعري، وحينئذٍ عليه أن يحفظ الكثير من الشِّعر ليكوِّنَ مخزونًا لغويًا منمقًا بتفاعيل وموسيقى راتبة، فيختمر هذا المخزون، ثم يجيش الصّدر بها لحدثٍ ما، فينفجر ينبوع الشِّعر وينسكب، قال أبو نُوَاس مشيرًا إلى ذلك: ما قلتُ الشِّعرَ حتى رويت لسِّتين امرأةً منهنّ الخنساء وليلى، فما ظنّك بالرّجال[٢]،

(١) المستطرف (١/٢٩).
(٢) المستطرف (١/١١٠).



وكان أبو تمّام الطّائيّ الشّاعر المشهور يحفظ أربعة آلاف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع[(١)].

ولقد أشار ابن خلدون إلى فائدة هذا الحفظ، فبيَّن أنّه يُنتج الأساليب اللّغوية الرّاقية، لأنّ كثرة المحفوظ تؤدّي إلى محاكاة هذا المحفوظ، قال: «ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها، أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن الكريم والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم وكلمات المولدين أيضًا في سائر فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم»[(٢)].

أنّ هناك حثًّا على رواية الشعر، ورواية الشعر، لا شك تستلزم حفظ ما يراد حفظه، الأمر الذي يدعم هذه المهارة ويقويها وما أكثر الأقوال التي تحث على رواية الشعر وترغب فيه، قالت عائشة رضي الله عنها: «رَوّوا أولادكم الشعر تعذبْ ألسنتهم»[(٣)]، وقال سيدنا عمر: «أُرووا الشعرَ فإنه يدلُّ على محاسن الأخلاق وينفي مساويها»[(٤)]، وتحدث ابن رشيق القيرواني عن فائدة رواية الأشعار، التي قد تكون سببًا في اتجاه الشعراء والعلماء إلى الحفظ، قال: فقد وجدنا الشاعرَ من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر ومعرفة الأخبار، أنه إذا كان راوية عرفَ المقاصد، وسهلَ عليه مآخذ الكلام، ولم يضق به المذهبُ، وإذا كان

(١) شذرات الذهب (١٨٧/٢).
(٢) المقدمة (٥٢٦ ـ ٥٢٧).
(٣) العقد الفريد (٢٥٨/٥، ٩/٦).
(٤) المستطرف (١١١/١).

مطبوعًا لا علم له ولا رواية، ضلَّ واهتدى من حيث لا يعلم، وربما طلبَ المعنى لم يصل إليه وهو ماثل بين يديه، لضعف آلته، كالمُقعد يجد في نفسه القوة على النهوض، فلا تعينه الآلة [١].

ومن القصص الدالة على ترغيبهم في حفظ الشعر وروايته أن زياد بن عبد الله وفدَ على معاوية، فقال له: أقرأتَ القرآن ؟ قال: نعم، قال: أقرضتَ القريضَ ؟ قال: نعم، قال: أَرويت الشعرَ ؟ قال: لا، فكتب إلى عبد الله: أبا زياد، بارك الله لك في ابنك، فاروه الشعرَ فقد وجدته كاملاً[٢]، فالظّاهر من هذا كلّه أنّ رواية الشِّعر كانت سببًا من أسباب اتّساع ظاهرة الحفظ، وتأكيدها.

لعل إكرام الخلفاء والسلاطين للأئمة المشهورين من الحفظة كان سببًا من أسباب انتشار هذه المهارة، فها هي قصة حماد الرّاوية الدّيلمي الكوفي (المتوفى سنة ١٥٥هـ)، مع الوليد بن يزيدِ الأموي تفيد ذلك، قال له الوليد: لِمَ سُمِّيتَ الرَّاوية ؟ قال: لأني أَروي لكلّ شاعر سمعتُ به أو لم أسمعْ، وأُميز بين قديمها وحديثها، قال له: كم تحفظُ من الشِّعر ؟ قال: كثير، لكنني أُنشدُ على كلّ حرف مئةَ قصيدة، سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون الإسلام. فامتحنه في ذلك فوجده كما قال، فأمر له بمائة ألف درهم، ووهبه هشام مائة ألف درهم[٣].

ومن ذلك: ما ذكروه عن أبي محلّم الشيباني الرّاوية المعروف (المتوفى سنة ٢٤٥هـ)، قال المرزباني: أخبرني محمد بن يحيى، حدثنا الحسين

---

(١)العمدة ١/ ١٩٧

(٢) المستطرف ١/ ١١١

(٣)) شذرات الذهب ١/ ٣٩٠



ابن يحيى، قال: رأى الواثق بالله في منامه كأنه يسأل الله الجنّةَ، وأنّ يتغمده في رحمته، ولا يهلك بما هو فيه، وأنّ قائلاً قال له: لا يهلك على الله من قلبه (مَرْتٌ)، فأصبحَ فسأل الجلساءَ عن ذلك، فلم يعرفوا حقيقته، فوجَّه إلى أبي محلِّم فأحضره، فسأله عن الرُّؤيا والمَرْت، فقال أبومحلِّم: المَرْتُ من الأرض: القفرُ الذي لا نبتَ فيه، فالمعنى على هذا: لا يَهْلَكُ على الله إلَّا مَن قلبه خالٍ من الإيمان، خلو المَرْت من النَّبات، فقال الواثق: أريد شاهدًا من الشِّعر في المَرْت، فأفكرَ أبو محلِّم طويلاً، فأنشده بعض مَن حضر بيتًا لبعض بني أسد:

ومَرتِ مرورات يَحارُ بها القَطَا ويصبح ذو علْمٍ بها وهو جاهلُ

فضحك أبو محلِّم، ثمّ قال للذي أنشده: ربما بَعُدَ الشيء عن الإنسان وهو أقربُ إليه مما في كُمِّه، والله لا تبرحْ حتى أُنشدك، فأنشد للعرب مائة بيت معروف، لشاعر معروف، في كل بيت منها ذُكِرَ المَرْتُ، فأمر له الواثق بألف دينار، وأراده لمجالسته، فأبى أبو محلِّم[١].

وقد وردت آثار كثيرة تحث على إكرام الحفظة وتشجيعهم بالمال، من ذلك قول سيدنا علي: «ما من رجلٍ يحفظ القرآن إلا كان حقه في بيت المال كل سنة مائتي دينار أو ألفي درهم، إن حُرِمَهُ في الدنيا لم يحرمه في الآخرة وإن حفظ نصف القرآن فمائة دينار أو ألف درهم، يؤاخذ به الوالي على بيت المال يوم القيامة، فإن كان له حسنات، أخذت من حسناته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من أوزار هذا العبد فحُمل على الوالي»[٢].

(١) البغية (١/٢٤٤) (علي عمر).
(٢) بستان العارفين (٩٣).

ويندرج تحت هذا أن بعض الحفظة كانوا يعتقدون فيما يبدو أن للكتاب المحفوظ بركة، فربما جلب لهم الرزق، نزعم ذلك مما ذكره السيوطي عن الصّاغاني صاحب (مجمع البحرين، والتكملة على الصّحاح)، قال السّيوطي: إنّ الصّاغاني كان يقول لأصحابه: احفظوا غريبَ أبي عبيد، فمَن حفظه مَلَك ألف دينار، فإنّي حفظته فملكتها، وأشرتُ على بعض أصحابي بحفظه، فحفظه وملكها(١).

ولعلّ بعضهم كان يطمح في أن يتحقق فيه ما قاله ابن عباس، وهو أنه يولد في رأس كلّ سبعين سنة مَن يحفظ كلَّ شيء، فلعلّ هذا القيل دفع بالكثيرين منهم إلى محاولة الوصول إلى هذه المرتبة العالية، نزعم ذلك ممّا ذكره ابنُ العماد صاحب (شذرات الذهب): عن أبي محلَّم الشّيباني، قال مؤرج متحدثًا عن أبي محلَّم: أخذ منّي كتابًا، فحبسه ليلةً، ثم جاء به وقد حفظه، وقال له سفيان بن عيينة: لا أراك تخطئ شيئًا ممّا تسمع، ثمّ قال له: حدثني الزُّهريّ، عن عكرمةَ، عن ابن عباس: أنه قال: يولد في كلّ سبعين سنة مَن يحفظ كلَّ شيء، قال: وضرب بيده على جنبي، وقال: أراك منهم(٢).

أنّ هناك اعتقادًا جازمًا عند العلماء: أنّ العلم الحقيقي هو ما حوته الصّدور لا السّطور(٣)، ولقد جاءت الأشعار والرّوايات التي تؤكّد على هذا الاعتقاد، قال الشافعيّ:

علمي معي حيثما يممتُ يتبعني
صدري وعاءٌ له لا بطنُ صندوقِ

(١) البغية (١/٥٠١) (تحقيق علي عمر)
(٢) شذرات الذهب (٢/٢٤٤).
(٣) انظر: المستطرف (١/٤٥).



إن كنت في البيت كان العلمُ فيه معـي
أو كنتُ في السوق كان العلم في السوق(١)

وقال الشاعر محمد بن بشير الخارجي:

لـيس بعلـمٍ مـا حـوى القِمَطـرُ   ما العلـمُ إلا مـا حـواه الصـدرُ

ونقل ابن قتيبة عن كتاب الهند قولهم: العالم إذا اغتربَ فمعه من علمه كافٍ كالأسد معه قوته التي يعيش بها حيث توجه(٢).

لقد روت كتب التّراجم ما حصل للإمام الغـزاليّ حـين قـال لـه كـبير اللّصوص هذه الحكمة، فامتثل لها، وراح يحفظ الكتبَ التي كان يحملها معه، قال الغزالي: قُطِعَتْ علينا الطريقُ، وأخذَ العيارون جميعَ مـا معـي ومضـوا، فتبعتـهم، فالتفـتَ إليَّ مُقـدمهم، وقـال: ارجـعْ، ويحـك، وإلَّا هلكت، فقلتُ له: أسألك بالذي ترجـو السّـلامة منـه أن تـردَّ علـي تعليقتي فقط، فما هو بشيء تنتفعون به. فقـال لي: ومـا هـي تعليقتـك؟ فقلت له: كتبٌ في تلك المخـلاة، هـاجرتُ لسـماعها وكتابتـها ومعرفـة علمها، فضحك، وقال: كيف تدَّعي أنّك عرفتَ علمها؟ وقـد أخـذناها منك، فتجردتَ من معرفتك، وبقيتَ بلا علـمٍ، ثم أمـر بعـضَ أصـحابه فسلَّم إليَّ المخلاة.

قال الغزاليُّ: هذا مُستنطقٌ أنطقه الله ليُرشدَني به في أمري، فلما وافيتُ (طوس) أقبلتُ على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظتُ جميعَ ما علَّقتُه، وصرتُ بحيث لو قُطِعَ عليّ الطريق لم أتجرَّد من علمي(٣).

(١) انظر: فقه العصر (١١٩).
(٢) عيون الأخبار (١/١٢١).
(٣) أيها الولد والقواعد العشر للإمام الغزالي، تحقيق: محمد أديب كلكل (المقدمة: ٨).

أن طبيعة بعض العلوم تعتمد على الحفظ فلابد لطالب العلم من «متنٍ» يحفظه، يستفاد ذلك من توصية الدّمياطي لأهل القراءات بأن يحفظوا كتابًا في هذا العلم، قال: مَن أراد علم القراءات عن تحقيق، فلا بدَّ له من حفظ كتاب كامل يستحضر به اختلاف القُراء[(١)]، وعلى هذا النّحو سارت العلوم الشرعية واللّغوية أيضًا، إذ لا بدّ من حفظ كتاب يكون طريقًا للتمكن وسبيلا للتثبت، فصنعوا المتون النثرية والشعرية لكلّ فنٍّ من فنونهم، فمن مالت نفسه إلى النّثر وجد متنًا نثريًا كـ (المفصل، والكافية) عند أهل النحو، ومن رأى نفسه تميل إلى الشِّعر وجد عنده (وافية ابن الحاجب، وألفية ابن معط، وألفية ابن مالك) وغيرها من المنظومات الشّعرية التعليمية المعروفة، وقس على ذلك متون العلوم الأخرى.

والحقّ أنّ هناك عاملاً تفسر به هذه الظاهرة أحسن تفسير وأقواه، وهو العامل الديني نريد به ما ورد من آيات كريمة وأحاديث نبوية وأقوال للخلفاء والتابعين تحضّ على حفظ القرآن الكريم، وتحثّ عليه، الأمر الذي جعل هذه المهارة من أهم المهارات ومن أوسعها انتشارًا وظهورًا، فقد اتفق الأئمة على أن حفظ القرآن الكريم فرض كفاية على الأمة، والغاية من ذلك أن لا ينقطع عدد التواتر من الحفظة فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف[(٢)]، أي: يُفترَضُ وجودُ حُفَّاظٍ يبلغُ عددهم حد التواتر في الأقطار بحيث تتيسر مراجعة القرآن الكريم عندهم[(٣)].

(١) الإتحاف (١٧).

(٢) الإتحاف (٥).

(٣) ترتيب العلوم ١٠٨أ، بتصرف.



وقد وردت الأحاديث الكثيرة المرغبة في حفظ كتاب الله فضلاً عن تلاوته من ذلك قول الرّسول ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارقَ، ورتل، كما كنت ترتل في الدّنيا، فإنّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[١]، ومن ذلك قوله ﷺ: «إنّ من إجلال الله تعالى: إكرامُ ذي الشّيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامُ ذي السّلطان المقسط»[٢].

ويندرج تحت هذا الترغيب النبوي ذلك الثناء العطر الذي نقرؤه في مقدمات كتب التفسير لحملة القرآن الكريم وحفّاظه، من ذلك: ما ذكره القرطبيُّ حول مكانة هؤلاء الحفظة بقوله: «فقرأة القرآن حملة سرِّ الله المكنون، وحفظة علمه المخزون، وخلفاء أنبيائه وأمنائه، وهم أهله وخاصته وخيرته وأصفياؤه، قال رسول الله ﷺ: إنّ لله أهلين منّا، قالوا: يا رسول الله مَن هم؟ قال: هم أهل القرآن، أهلُ الله وخاصَّتُه. وعن عاصم بن حمزة بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ القرآن، وتلاه، وحفظه، أدخله الله الجنة، وشفَّعه في عشرة من أهل بيته كلٌّ قد وجبت له النّار»[٣].

وامتدّ هذا الثناء لمعلمي القرآن الكريم ومحفظيه، فقد قال رسول الله ﷺ: «خيرُكم مَن تعلَّم القرآن، وعلَّمه»[٤]، وروى زيدُ بن أسلم، عن

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (٢٢)، والإتقان (٢/٢١٠٩)، وانظر: تخريج الأحاديث في الكتابين المذكورين.

(٢) التبيان (٣١)، والجامع للقرطبي (١/٤٧)، وانظر: تخريج الحديث فيهما.

(٣) الجامع (١/٦-١٧). وانظر: تخريج الحديثين في هامش المرجع المذكور.

(٤) انظر: التبيان (١٥).

أبيه، عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ، قال: أَحبُّ العباد إلى الله تعالى بعد الأنبياء والشهداء: المعلمون، وما في الأرض من بقعة بعد المساجد أحبّ إلى الله تعالى من البقعة التي يُتلى فيها الكتاب[١].

ولا ريب بعد ذلك كلّه: أن مثل هذه الأحاديث والأقوال التي تحضّ على حفظ القرآن هي من أقوى الأسباب التي تدفع المسلم إلى حفظه وتعهده، ليكون المرء ممّن تشملهم هذه المنازل التي تحدثت عنها الأحاديث النبوية الشريفة وما أكثرها.

تلكم هي الأسباب التي وجدتها دوافع تشحذ الهمة، وتقوي العزيمة للحفظ، إذ يترقى الإنسان بها ليكون متميزًا متألقًا في علمه الذي تخصص فيه. والآن ننتقل إلى الوسائل التي اعتمد عليها الحفظة في حفظهم:

وسائل الحفظ وطرقه

إن الناظر في كتب التفسير واللغة يستطيع أن يلتقط الوسائل التي اعتمد عليها الحفظة لحفظ ما يريدون حفظه وعدم نسيانه، فهي في آنٍ واحد وسائل تساعد على الحفظ من جهة، وتثبت المحفوظ من جهة ثانية، وهي:

التكرار بأن يعيد الحافظ ما حفظ ويكرره، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الوسيلة بقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة]، قال الآلوسي: وقيل: اتبع قرآنه بالدّرس على معنى كرِّره؛ حتى يرسخ في ذهنك، ونقل عن ابن عباس قوله: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدةً، فكان يحرِّك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه، يريد أن يحفظه فأنزل الله تعالى: (لا تحرك به لسانك)[٢].

(١) بستان العارفين (٩٢).
(٢) روح المعاني (١٧٨/٢٩).



وذكر أبو حيان عن الضّحاك قوله: السّبب أنه كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يخاف أن ينسى القرآن، فكان يدرسه حتى غلب ذلك عليه، وشَقّ، فنزلت[١]، وهذا يعني: أنّ معاهدة المحفوظ واستذكاره فيه مشقة وتعب وإجهاد، لكن تكرار هذا المحفوظ يؤدّي إلى ثباته، ونقل أبو حيان عن بعضهم في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾: بأنّ هذا أمرٌ للرّسول ﷺ على أن لا ينسى على معنى التثبت والتأكيد، وقد علم أنّ النسيان ليس في قدرته فهو نهي عن إغفال التعاهد[٢]، وأشار القرطبيُّ - وهو بصدد حديثه عمّا ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به - إلى وسيلة التّكرار هذه؛ لئلا ينسى، قال: فأوّل ذلك أن يخلص في طلبه لله عزّ وجلّ، وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله ونهاره في الصّلاة أو في غير الصّلاة؛ لئلا ينساه[٣].

وقد نصّ أهل القراءات كثيرًا على أنّ من أحبّ حفظ القرآن؛ فعليه أن يتعاهده، كما قال الدّمياطي، لأنّ نسيان شيء منه كبيرة، مؤكِّدًا ذلك بقول الرّسول ﷺ: «عُرضت عليّ ذنوبُ أمتي فلم أر ذنبًا أعظمَ من سورة أو آيةٍ أُتيها رجلٌ ثم نسيها»، وليقل ندبًا: أُنسيتُ كذا .. لا نسيته، للنهي عنه في الحديث[٤].

وقد وردت أحاديث كثيرة تحذر من نسيان ما حفظ من القرآن فهي من جانب تحذيرٌ ومن جانب آخر ترغيبٌ، فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قال: تعاهدوا هذا القرآن، فو الذي نفسُ محمد بيده، لهو

(١) البحر المحيط (٢/٣٨٧).
(٢) البحر (٨/٤٥٨).
(٣) الجامع (١/٣٧).
(٤) الإتحاف (١٧)، وانظر: الإتقان (٢/٦٦٦).

أشد تفلتًا من الإبل في عُقُلها، وعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنما مَثَلُ صاحب القرآن كمثل الإبل المُعْقَلَةِ، إن عاهدَ عليها أمسكها، وإن أطلقَها ذهبتْ». وعن سعد بن عبادة عن النَّبيِّ ﷺ: «من قرأ القرآن ثم نسيه؛ لقي الله عزّ وجلّ يوم القيامة وهو أجذم»[١].

وقد ذكر أهل الحديث للترغيب في معاهدة القرآن واستظهاره بعض الرؤى المنامية التي تشير إلى فضل المثابرة على مراجعته وتكراره وعدم نسيانه، فعن سليمان بن يسار قال: قال أبو أُسيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: نمت البارحة عن وردي حتى أصبحتُ، فلما أصبحت استرجعتُ، وكان وردي سورةَ البقرة، فرأيت في المنام كأنّ بقرة تنطحني [رواه ابن أبي داوود]، وروى ابن أبي الدنيا عن بعض حفاظ القرآن: أنه نام ليلة عن حزبه، فأُري في المنام كأن قائلاً يقول له:

عجبتُ من جسم ومن صحةٍ ... ومن فتًى نام إلى الفجر
والموت لا تؤمن خطفاتُه ... في ظلمِ الليل إذا يسري[٢]

ونصّ النّوويُّ أنه يكره أن يقول الإنسان: نسيت آية كذا .. بل يقول: أُنسيتُها، أو: أسقطتها[٣].

و بدهي أن عدم مذاكرة المحفوظ يؤدي إلى نسيانه وتشتته، وهو أمر بينٌ واضح في كل العلوم، يروى عن هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل أنه كان يقول: أعرفُ عشرين علمًا أُنسيتُ بعضَها لعدم المذاكرة[٤].

(١) انظر هذه الأحاديث وتخريجاتها في: التبيان (٩٦-٩٨). وانظر: الجامع للقرطبي (٣٧/١)، والإتقان (٦٦٧/٢).
(٢) التبيان (٩٨)، وانظر: تخريج الحديث في الهامش.
(٣) انظر: التبيان (٢٥)، والإتقان (٦٦٦/٢).
(٤) البغية (٣١٤/٢).



والخلاصة: أنّ التكرار ومراجعة المحفوظ والحرص عليه من الوسائل المهمة التي تؤدّي إلى الثمرة، وهي تحقيق الحفظ وضبطه وعدم ضياعه، قال الأصمعي حين سأله المازني عن كثرة محفوظاته ما نصّه: «إنه كان همَّنا وسدَمنا»، قال أبو الطيب اللغويّ: والسَّدَمُ ها هنا: الحرص[١].

وأشار الشّافعيُّ إلى هذا الحرص بقوله:

أخي لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة أستاذ وطول زمان[٢]

ومراده من الحرص هو حرصه على الحفظ والفهم وعدم نسيان المحفوظ، ولا يتحقق ذلك إلا بتكراره واستظهاره دائمًا.

ومن الوسائل التي ذكروها لتثبيت الحفظ وتسهيله: الابتعاد عن الذنوب والمعاصي، وهذه الوسيلة من أهم الوسائل التي يجب على طالب العلم أن يسلكها، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، قال بعضهم: اذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت[٣]، وقال ابن مسعود: إني لأحسبُ الرجلَ ينسى العلم بالخطيئة يعملها، وكتب رجل إلى أخ له كما قال ابن قتيبة: إنك قد أُوتيت علمًا فلا تطفئن نورَ علمك بظلمة الذُّنوب[٤].

وقد شاعت نصيحة الإمام مالك للشافعيِّ حين قدم عليه حافظًا موطأه في تسعِ ليالٍ، قال له مالك: يا محمد .. اتقِ الله، واجتنبِ المعاصي،

(١) المراتب (٩٥).
(٢) المستطرف (١/٤٣).
(٣) روح المعاني (١٥/٥).
(٤) عيون الأخبار (٣/١٢٥).

فإنه سيكون لك شأنٌ، إنّ اللهَ قد ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بالمعصية[(١)].

ولعل هذه الإضاءة أبرقت في عقل الشافعيّ البيتين الذين سارت بهما الرُّكبان مضافًا إليها قول شيخه وكيع بن الجراح، حين شكا له سوء حفظه فقال له: استعن على الحفظ بترك المعاصي[(٢)]، والبيتان هما:

شكوت إلى وكيع سوءَ حفظي   فأرشدني إلى ترك المعاصي
وخبرني بأن العلمَ نورٌ   ونورُ الله لا يهدى لعاصي

وفي رواية الأبشيهي[(٣)]:

وذلك أن حفظ العلم فضلٌ   وفضل الله لا يؤتى لعاصي

فنصّ على لفظ الحفظ للاهتمام به.

اتجه بعض العلماء لتسهيل الحفظ وعدم النسيان إلى استثمار ما قيل حول بعض السور القرآنية أو الآيات الكريمة أو الأدعية والآثار الواردة عن بعض العلماء والزهاد والصالحين، وأحسب أن ما ورد من ذلك لو جمع لبلغ مئات الصفحات، أكتفي منها ما ذكره الأبشيهي في كتابه (المستطرف)، قال: «وجد في بعض الآثار عن بعضهم أنه قال: إذا أردت أن تكون أحفظَ الناس فقل: عند رفع الكتاب أو المصحف أو ابتداء القراءة في كل شيء أردت: بسم الله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عدد كل حرف كُتِبَ ويُكْتَبُ أبدَ الآبدين ودهر الدّاهرين وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(١) الفقه المبسط، لمحمد أديب كلكل (المقدمة: ٨).
(٢) المستطرف (١/ ٤٢).
(٣) المستطرف ١(/ ٤٢).



وصحبه وسلم[١]، وقيل: إذا أردت أن لا تنسى حرفًا فقل قبل القراءة: اللهم افتحْ علينا حكمتك، وانشر علينا رحمتك يا ذا الجلال والإكرام، وقيل: إذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة: آمنت بالله الواحد الأحد الحق، لا شريك له وكفرت بما سواه، ونقل عن الشيخ ابن عجيل للحفظ أن يقرأ الإنسان في كل يوم عشر مرات: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء]، ثم يقول: يا حيُّ، يا قيوم، يا ربَّ موسى وهارون، ويا ربَّ إبراهيمَ، ويا ربَّ محمّدٍ - عليه وعليهم الصلاة والسلام -، ألزمني الفهمَ، وارزقني العلم والحكمة والعقلَ، برحمتك يا أرحم الراحمين[٢].

ولا شكّ أن كثيرًا ممّا ذكر لم يرد به نصّ شرعيّ يقطع في هذه المسألة، لكن هذه الآثار تدلّ على الجو الثقافي الذي كان يعيش فيه بعض العلماء في نظرتهم إلى هذه المهارة، ويصوِّر أيضًا: كيف حاولوا علاجها في المجتمع عند أولئك الذين تبلدت عقولهم، وتوقفوا عن تنمية هذه المهارة.

استعمال بعض النباتات والأعشاب التي تساعد على الحفظ، لقد استقر عند القدماء هذا الاعتقاد بسبب التجارب التي حُدثوا عنها أو أشار إليها الحكماء .. فضلاً عن الأحاديث الواردة في الطبّ النّبوي الشّريف، قالوا عن ابن داوود صاحب (المسند) (المتوفى سنة ٢٠٤هـ): إنه أكل حَبَّ البلاذُر لأجل الحفظ والفهم، فأحدث له جُذامًا وبرصًا، فكان

(١) المستطرف (١/٤٢).

(٢) المستطرف (١/٤٣).

يحفظ أربعين ألف حديث[١]. أما الشافعي فقد نقل عنه قوله استعملت اللُّبان سنة للحفظ فأعقبني صبُّ الدم سنةً [٢].

وتروي لنا كتب التراجم أن بعض الحفظة اعتمد نظامًا غذائيًا حافظ به على محفوظه، من هؤلاء: أبو بكر محمد بن قاسم الأنباري (المتوفى سنة ٣٢٨ هـ)، هذا الرجل كان فريد دهره ووحيد عصره، كان يحفظ ثلاث مئة ألف بيت شاهد في القرآن، ويحفظ مائة وعشرين تفسيرًا من تفاسير القرآن بأسانيدها، قال عنه أبو الحسن العروضي: اجتمعت أنا وهو عند الرّاضي بالله على الطعام، وكان قد عرف الطباخُ ما يأكل فكان يسوِّي له قليةً يابسةً، قال: فأكلنا نحن من ألوان الطعام وأطايبه، وهو يعالج تلك القليَّةَ، ثم فرغنا وأُتينا بحلوى فلم يأكل منها، فقام وقمنا إلى الخَيش[٣]، فنام بين يدي الخَيْشِ، ونمنا في خَيْشٍ يُنَافَسُ فيه، فلم يشربْ ماءً إلى العصر، فلما كان بعد العصر قال: يا غلامُ الوظيفةَ، فجاءه بماءٍ من الجُبِّ[٤]، وترك الماء المزمَّلَ بالثلج. فغاظني أمره .. فصحت صيحة: يا أمير المؤمنين .. فأمر بإحضاري، وقال: ما قصتك؟ فأخبرته، وقلتُ: يا أمير المؤمنين .. يحتاج هذا إلى أن يحال بينه وبين تدبير نفسه، لأنه يقتلها، ولا يحسن عُشرَتَهَا، فضحك، وقال: له في هذه لذّة، وقد جرت له به عادة، وصار آلفًا لذلك، فلن يضره، ثم قلت: يا أبا بكر .. لمَ تفعل هذا بنفسك؟، فقال: أُبقي على حفظي، قلت له: قد أكثرَ النّاس في حفظك، فكم تحفظ ؟ فقال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقًا.

---

(١) شذرات الذهب (٢/ ٨٥).

(٢) شذرات الذهب (٢/ ٨٠).

(٣) الخيش: ثياب في نسجها رقّه (القاموس المحيط: خيش).

(٤) في الأصل: الحُبّ، بضم الحاء: إناء معروف للماء، والصّواب: ما أثبتناه؛ لأن مراده أنه وعاء غير مثلج.



ولقد كان هذا الرّجل آية من آيات الله تعالى في الحفظ، ذكر حمزة بن محمد الدقاق قال: كان يملي كتبه المصنفة ومجالسه المشتملة على الحديث والأخبار والتفاسير والأشعار كلُّ ذلك من حفظه، وأملى كتاب غريب الحديث، قيل: إنه خمسٌ وأربعون ألف ورقة ،وكتاب في شرح الكافي وهو نحو ألفِ ورقة، وكتاب الهاءات نحو ألف ورقة، وكتاب الأضاد وشرح الجاهليات سبعمائة ورقة، وكتاب المشكل أملاه وبلغ فيه إلى طه وما أتمه وقد أملاه سنين كثيرة [(١)]

وفي عصرنا الحاضر رأيت الشيخ الفاضل العلامة الرّاوية النّسابة سعيد الطنطاوي - وهو شقيق الشيخ علي الطنطاوي يرحمه الله - يسلك هذا المسلك في اعتماد نظام غذائي واجتماعي للحفاظ على محفوظه، وهو القرآن الكريم مع خمسة عشر ألف بيت من الشِّعر، يستشهد به على كلّ ما يقع بصره عليه أو يُحَدِّث به، لقد ابتعد عن تناول اللّحوم وأكثر من أكل الخضراوات والفاكهة، وأعرفه منذ ثلاث سنوات يقتصر على التّمر والحليب وبرتقالة واحدة عند الصباح وشرب الماء فقط .. مع صوم الاثنين والخميس دائمًا.

ولعلّ هذا النّظام الغذائيّ جعله محافظًا على مخزونه المحفوظ حتى الآن بعد بلوغه الخامسة والثمانين سنة - أمدّ الله في عمره وشفاه من العلل والأوصاب -.

ولقد قدَّم ابن القيم في كتابه القيم (الطبّ النّبوي) حديثًا قيّمًا نافعًا عن النسيان، فبيَّن أسبابه حين تحدث عن فائدة اللُّبان (الكُندُر)، قال: إن النسيان إذا كان لسوء مزاج بارد رطب يغلب على الدّماغ، فلا يحفظ

(١) نزهة الألبا (٢٣٢- ٢٣٣).

ما ينطبع فيه، نفع منه اللُّبان، وأما إذا كان النسيان لغلبة شيء عارض، أمكن زواله سريعا بالمرطبات، والفرق بينهما، أن اليبوسيَّ يتبع سهر وحفظ الأمور الماضية دون الحالية، والرطوبي بالعكس(١).

ثم عرض يرحمه الله إلى بعض مضار ما يعتقده الناس أنه مفيد لذهاب النسيان، فقال: وقد يحدث النسيان أشياء بالخاصية، كحجامة نقرة القفا، وإدمان أكل الكسفرة الرطبة، والتفاح الحامض، وكثرة الهم والغم، والنظر في الماء، والبول فيه، والنظر إلى المصلوب، والإكثار من قراءة ألواح القبور، والمشي بين جملين مقطورين، وإلقاء القمل في الحياض، وأكل سؤر الفأر، وأكثر هذا معروف بالتجربة(٢).

وذكر يرحمه الله كثيرًا من الآثار التي تدل على فوائد اللّبان في تقوية الذاكرة وعدم النسيان، قال: يروى عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال لرجل شكا إليه النسيان: عليك باللُّبان، فإنه يشجع القلب ويذهب بالنسيان، ثم ذكر عن ابن عباس قوله أيضًا: إن شرب اللّبان مع السّكر على الرّيق جيد للبول والنّسيان، ونقل عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوله لرجل شكا إليه النسيان، فقال: عليك بالكندر، وانقعه من اللّيل، فإذا أصبحت فخذ منه شربة على الريق فإنه جيد للنسيان(٣).

ولقد رجعت إلى مواقع الخزانة العالمية كـ (ملتقى أهل الحديث، والألوكة) فوجدت أصحابها يفيضون في ذكر الأعشاب والنباتات التي تساعد على الحفظ وتقوي الذاكرة، ذاكرين أن بعضها منقول عن الطبّ

(١) الطب النبوي لابن القيم (٣٥٥).
(٢) الطب النبوي (٣٥٥).
(٣) الطب النبوي (٣٥٥).



النبوي لابن القيم، منها: العسل والزنجبيل والميرمية والزبيب وحبوب اللَّقاح والفلفل الأبيض والقرفة والكُنْدُر والجوز (عين الجمل) وحبُّ الفهم - المسمّى البلاذُر - والهندباء البرية والخميرة، ثم يوصون طالب العلم بالإكثار من تناول الخضراوات والفاكهة الطازجة.

وذكر بعضهم: الحجامة، لكن صاحب (بستان العارفين) وابن القيم ذهبا إلى أنها مكروهة وتورث النسيان إن كانت في نقرة القفا[(١)]، وذكر واحد منهم: أنه حضر دورات لتعليم الحفظ، فعلَّموه التَّنفس العميق، وشجَّعوه على الجلوس في الصّفوف الأولى، وعدم إشغال الفكر بشيء إلَّا بالمحفوظ.

هذا ما ألفيناه من حديث القدماء والمحدثين حول وسائل الحفظ وتثبيت المحفوظ.

أوقات الحفظ والمذاكرة

عرض أهل القرآن الكريم المشتغلون بحفظه أوقاتًا فُضِّلتْ على غيرها لأجل سرعة الحفظ والفهم، وهي :

- بعد صلاة الفجر؛ لأنّ الذّهن يكون نشيطًا، وعملاً بقول الرسول ﷺ: «اللّهمّ، بارك لأمّتي في بكورها»[(٢)].
- قبل النّوم، أفدت ذلك مما ذكروه في ترجمة الفيروز أبادي، فقد نقل السّيوطي عنه أنه كان يقول: ما كنتُ أنام حتى أحفظ مائتي سطر[(٣)].

(١) بستان العارفين (٥٧)، والطب النبوي (٣٥٥).
(٢) التبيان (٦٩).
(٣) البغية (١/٢٥٩).

وقد تحدث الأبشيهي عن أوقات فضيلة يستحسن فيها قـراءة القـرآن - وأرى أنه يستحسن فيها الحفظ أيضًا - قال: وأمّا في غير الصّلاة فأفضلها قراءة الليل والنّصف الأخير أفضل من الأوّل، والقراءة من المغرب والعشاء محبوبة، وأمّا قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الصّبح(١).

وهذه الأوقات تضمنتها الآية القرآنية: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ [طه: ١٣٠].

وألفيت في موقع (ملتقى أهل الحديث، والألوكة) تأكيدًا على هذه الأوقات، وأضافوا إليها: أنّ على القارئ أن يختار الوقت الذي ليس فيه أشغال وأعمال. وذكروا بعض الخطوات التي تساعد على هذه المهارة وهي:

- تصحيح ما يراد حفظه؛ لئلا يحفظ الطالب الغلط فيرسخ الغلط في ذهنه.
- حفظ اليسير الذي يقدر عليه.
- مراعاة وقت الحفظ التي أشرنا إليها.
- كثرة التكرار مع المراجعة الأسبوعية والشهرية.

وقد أشار الشيخ محمد الحسن الدّدو الشنقيطي إلى طريقة يتبعها أهل شنقيط للحفظ، فقال: من الطّرق في الحفظ: طريقةُ الجهات الأربع، وحاصلها أن الطالب بعد أن يحفظ الدرس يكرره عشرين مرّة إلى كلّ جهة من الجهات الأربعة، فيتجّه إلى الشّرق فيقرؤه عشرين مرّة، ثم إلى الغرب كذلك، ثم إلى الشّمال كذلك، ثم إلى الجنوب كذلك، وبعضهم

(١)المستطرف، ١ / ٣٧



يقرأ على كلّ أصبع من أصابع يديه ما يريد حفظه عشر مرات، وسُئل أحد مشايخهم الذين أتقنوا حفظ مختصر خليل في الفقه المالكي عن طريقة حفظه له، فقال: ألف غياب، ومائة تكريره، أي: إنه كان يقرأ درس المتن ألف مرّة، ويراجع الشّرح من ذهنه مائة مرة[١].

وأضاف الشّيخ محمد الدَّدو - حفظه الله -: أن كتاب مختصر خليل يدرسه الطلاب المتوسطون عندهم إذا كانوا جادين في سنة، لأنه ثلاث مئة وثلاثة وثلاثون درسًا، أمّا ألفية ابن مالك فحفظها يستغرق عشرة أشهر[٢]. وننتقل الآن إلى مظاهر :

مهارة الحفظ عند القدماء والمحدثين

إن الناظر في كتب التّراجم يُدهش لكثرة ما حوت من أخبار هؤلاء النّحارير، وأعاجيب الدّهارير، ولكثرتهم وتنوّع علومهم جعلتُهم في طائفتين:

الأولى : طائفة أهل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقهاء والمفسرين.

الثانية : طائفة اللغويين والرواة والنحاة والشعراء.

أمّا أصحاب الطائفة الأولى: فقد ألَّف كثيرٌ من العلماء معاجمَ تدلّ عليهم، وتشيد بذكرهم من ذلك: (طبقات القراء، وطبقات الحفاظ) للذهبيّ، و(غاية النّهاية) لابن الجزريّ، و(طبقات الحفاظ) للسّيوطي، و(طبقات المفسرين) للدّاوديّ، وغير ذلك كثير، ومن قراءاتنا في كتبهم وقفت على كبارهم الذين نلحظ عندهم هذه الظاهرة واضحة، منهم:

(١) فقه العصر (١٣٨).
(٢) فقه العصر (١٣١).

- الإمام الفقيه الشعبيّ (المتوفى سنة ١٠٣هـ)، قال عن نفسه: لو أن رجلاً حفظ ما نسيتُ كان عالمًا[١].

ونقل الأبشيهي عنه ما نصّه: دخلتُ على الحجّاج حين قدم العراق، فسألني عن اسمي فأخبرته، ثمّ قال: يا شعبي، كيف علمك بكتاب الله؟ قلت: عنّي يُؤخَذُ. قال: كيف علمك بالفرائض؟ قلت: إليَّ فيها المنتهى. قال: كيف علمك بأنساب الناس؟ قلت: أنا الفيصلُ فيها. قال: كيف علمك بالشِّعر؟ قلت: أنا ديوانه. قال: لله أبوك، وفرض لي أموالاً، وسوَّدني على قومي، فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همَدان، وخرجت وأنا سيدهم[٢].

- ابن وهب الفهري (المتوفى سنة ١٢٥هـ)، قيل عنه: حدَّث بمائة ألف حديث[٣].

- يزيد بن هارون (المتوفى سنة ١٨٢هـ)، قيل: إنه كان يحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بإسنادها، ويحفظ للشّاميين عشرين ألفًا[٤].

- الإمام أبو داوود الطيالسي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ)، صاحب (المسند)، قيل: كان يسرد من حفظه ثلاثين ألف حديث، وقيل: أربعين ألفًا[٥].

(١) عيون الأخبار (١٣٠/٢).
(٢) المستطرف (٤٢/١).
(٣) شذرات الذهب (٥٠/٢).
(٤) شذرات الذهب (٩٢/٢).
(٥) شذرات الذهب (٨٤/٢).



- الإمام الشافعي (المتوفى سنة ٢٠٥هـ) عالم قريش الذي ملأ طباق الأرض علمًا، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، و(الموطأ) وهو ابن عشر[١]، قال: عمدت إلى (الموطأ) فاستعرته من رجل بمكة، فحفظته في تسع ليالٍ ظاهرًا، وحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها، ولكثرة حفظه وثبته صحَّح الأصمعيُّ عليه أشعار هذيل، ووصف بأنه ما نَسي شيئًا حفظه، أو سمعه[٢].

- عائلة الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى سنة ٢٤١هـ)، كان رحمه الله من كبار الحفظة، قيل لأبي زُرعة: مَن رأيتَ من المشايخ المحدثين أحفظ؟ قال: أحمد بن حنبل، حُزِرَتْ كتبه في اليوم الذي مات فيه فبلغت اثني عشر حملا وعدلا، ما على ظهر كتاب منها حديث فلان، ولا في بطنه حدثنا فلان كلّ ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه[٣].

وانتقلت هذه المهارة إلى ابنه عبدالله أبي عبد الرحمن (المتوفى سنة ٢٦٠هـ)، قال صاحب (شذرات الذهب) عنه: يقال: إن والده حفَّظه خمسة عشر ألف حديث عن ظهر قلب، ثم قال له: لم يقل النَّبيُّ ﷺ شيئًا من هذا، فقال: ولِم أَذهبت أيامي في حفظ الكذب؟ قال: لتعلم الصَّحيح، فمن الآن احفظ الصَّحيح[٤].

---

(١) شذرات الذهب (٨١/٢).

(٢) الفقه المبسط للشيخ محمد أديب كلكل (المقدمة: ٨)، والأنيس في الوحدة (٢٣٢/١)، وعدد أحاديث الموطأ: ألف وتسع مائة واثنان وأربعون حديثًا.

(٣) شذرات الذهب (٢٢٦/٢)، بتصرف.

(٤) شذرات الذهب (٣٧٦/٢).

- إسحاق بن بهلول (المتوفى سنة ٢٥٢هـ)، قال عنه ابن صاعد: حدث بنحو خمسين ألف حديث من حفظه، وعاش ثمانين سنة[١].

- شيخ المحدثين الإمام البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦هـ)، قال عنه محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلمَ بالحديث، ولا أحفظَ له من محمد بن إسماعيل البخاريّ، حتى كان يقال: إنّ حديثًا لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث، قال البخاري رحمه الله تعالى: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح[٢].

- ومنهم: أبو زُرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقيّ (المتوفى سنة ٢٦٤هـ) المحدث المشهور، قال عنه إسحاق بن راهويه: كلّ حديث لا يحفظه أبو زُرعة ليس له أصل[٣].

- إسحاق بن راهويه (المتوفى سنة ٢٦٤هـ)، قيل: كان يحفظ سبعين ألف حديث[٤].

- أبو قلابة، عبد الملك بن محمد الرّقاشي (المتوفى سنة ٢٧٦هـ)، قيل عنه: إنه روى من حفظه ستين ألف حديث، وكان يصلي في اليوم والليلة أربع مائة ركعة[٥].

(١) شذرات الذهب (٢/٢٦٨).
(٢) المستطرف (١/٤٣).
(٣) شذرات الذهب (٢/٣٠٣).
(٤) شذرات الذهب (٢/٢١٢).
(٥) شذرات الذهب (٢/٣٣٥).



- أبو بكر أحمد بن عمرو الشّيباني (المتوفى سنة ٢٨٧هـ)، قال: ذهبت كتبي، فأمليت من ظهر قلبي خمسين ألف حديث[١].

- يحيى بن محمد العنبري السّلميّ (المتوفى سنة ٣٤٤هـ)، كان من نحارير الحفظة، قال أبو عليّ الحافظ: النّاس يعجبون من حفظنا لهذه الأسانيد، وأبو زكريا العنبريّ يحفظ من العلوم ما لو كلفنا حفظ شيء منه لعجِزْنا عنه وما أعلم أني رأيت مثله[٢].

- ابن الفحام أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر الصّقليّ النّحويّ المشهور (المتوفى سنة ٥١٠هـ)، صاحب كتاب (التجريد بالقراءات)، قال عنه سليمان بن عبد العزيز: ما رأيت أحدًا أعلم بالقراءات من ابن الفحام، لا بالشرق ولا بالغرب. وقيل: كان يحفظ القراءات كالفاتحة[٣].

- ابن القرطبي أبو بكر عبد الله بن حسن الأنصاريّ الأندلسيّ (المتوفى سنة ٦١١هـ)، كان من أهل الحفظ لأسماء الرجال ولم يكن أحد يدانيه في الحفظ والتعديل إلا أفرادًا من عصره، وقد نوظر عليه في (كتاب سيبويه)[٤].

- المرسي المفسر النّحوي أبو عبد الله محمد بن عبد الله السّلميّ الأندلسيّ (المتوفى سنة ٦٥٥هـ)، ذكر الذهبيّ حين ترجم له: أنه قرأ على أبي إسحاق بن إبراهيم بن يوسف ابن دهاق المعروف

(١) شذرات الذهب (٢/٢٨٧).
(٢) البغية (٢/٣٣١).
(٣) العقد الثمين (٦٠).
(٤) العقد الثمين (٦١).

بابن المرأة، قال عنه الذهبيّ: كان لو قال هذه الآية تحتمل ألف وجه لقام بها، وقال ابن دهاق عن نفسه: ما سمعت شيئًا إلّا حفظته، ونقل عنه قوله: حفظت وأنا شاب القرآن وكتبًا، منها: (إحياء علوم الدين) للغزالي[1].

- ابن تيمية الإمام المعروف (المتوفى سنة ٧٣٨هـ)، قال عنه جمال الدّين السّرمدي: ومن عجائب زماننا في الحفظ ابن تيمية، كان يمرّ بالكتاب مرّة مطالعة، فيُنقش في ذهنهِ، وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه[2].

- عمر بن رسلان البلقيني (المتوفى سنة ٨٠٥هـ)، حفظ القرآن وهو ابن سبع، و(الشاطبية والمحرر والكافية والشافية والمختصر الأصلي)، ومما يحكى عن حفظه: أنه أول ما دخل الكاملية طلب من ناظرها بيتًا فامتنع، واتّفق مجيء شاعر النّاظر بقصيدة، وأنشده إيّاها بحضرة البلقيني، فقال للنّاظر: قد حفظتها، فقال له الناظر: إن كان كذلك أعطيتك بيتًا، فأملاها له من حفظه جميعها، فأعطاه البيت، قال له ابن كثير: أذكرتنا ابنَ تيمية، وكذلك قال له ابن شيخ الجبل: ما رأيت بعد ابن تيمية أحفظَ منك، وقال البرهان الحلبي: رأيته رجلاً فريد دهره، لم تر عينيَّ أحفظَ منه للفقه وأحاديث الأحكام. وأضاف الشوكاني قائلاً: وقد كان وقع الاتفاق على أنه أحفظ أهل عصره، وأوسعهم معارف، وأكثرهم علومًا، ولم يزل متفردًا في جميع الأنواع العلمية حفظًا وسردًا لها كما هي حتى توفاه الله[3].

(١) العقد الثمين (١٩٥).
(٢) البدر الطالع (١/٧٠).
(٣) البدر الطالع (١/٥٠٦).



- ابن حجر صاحب (فتح الباري) (المتوفى سنة ٨٥٢هـ)، ترجم له الشّوكانيُّ بقوله: حفظ القرآن وهو ابن تسعٍ، ثم حفظ (العمدة وألفية الحديث للعراقي، والحاوي الصغير ومختصر ابن الحاجب في الأصول والملحة)، وأضاف قائلاً: ثم تصدّى لنشر الحديث، وشهد له بالحفظ حتى صار إطلاق لفظ الحافظ عليه إجماع، ثم قال: ولا ريب أن أجلّ مصنفاته (فتح الباري)، وكان شروعه في تصنيفه سنة ٨١٧هـ على طريق الإملاء[١].

أخيرًا .. أتحفكم بهذه التحفة العجيبة الفريدة، لقد نقل تقيُّ الدّين السُّبكيّ - رحمه الله تعالى -: أنّ كتبَ خِزانة المدرسة النظامية حرقت في زمن حياة نظام الملك، فشقَّ عليه ذلك، فقالوا له: لا تخف إنّ ابنِ الحداد - وهو من فقهاء الشّافعية - يُملي للكُتّاب جميع ما حُرق من حفظه، فأرسلوا خلفه، فأملى جميع ما حرق في مُدّة ثلاث سنين ما بين تفسير وحديث وفقه وأصول، ونحو ذلك[٢].

هذا غيض من فيض، وسطر من كتاب ممّا حفلت به كتب التّراجم حول أعلام وأخبار الطّائفة الأولى، فهم كما ترى فلتات الزّمن، ومحاسن الدّهر، رحمهم الله تعالى، وأنزل على قبورهم شآبيب رحماته، ومزون ألطافه.

أمّا الطّائفة الثّانية؛ فكانوا كأنهم يسابقون الطّائفة الأولى؛ إذ برزت هذه المهارة عندهم واضحة أيضًا، وأخبارهم التي تظهر هذه البراعة عجيبة جدًّا جدًّا، فكأنهم خلقوا لها أيضًا، منهم :

(١) البدر الطالع (١/٨٧).
(٢) الأنيس في الوحدة (١/٢١٨).

- الصّحابيُّ عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (المتوفى سنة ٦٨هـ)، كان أعجوبة في الحفظ، وقصته مع نافع بن الأزرق تدلّ على ذلك، قال المبرّد في (الكامل): بينا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه؛ إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين أو ممصرين، حتى دخل وجلس، فأقبل عليه ابن عباس فقال: أنشدنا، فأنشده:

أَمِنْ آلِ نُعمٍ أنتَ غادٍ فَمُبْكِرُ   غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجّرُ

حتى أتى على آخرها، فأقبل عليه نافع بن الأزرق، فقال: اللهَ يا ابن عباس، إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا، ويأتيك غلام مترف من مترفي قريش، فينشدك سفهًا فتسمعه، فقال: تالله ما سمعت سفهًا، فقال ابن الأزرق: أما أنشدك:

رأت رجلاً أما إذا الشمسُ عارضتْ   فيْخزى وأما بالعشي فيخسَرُ

فقال: ليس هكذا، قال: فكيف قال؟ فقال:

رأت رجلاً أما إذا الشمسُ عارضتْ   فيضْحى وأما بالعشي فيخصَرُ

فقال: ما أراك إلا وقد حفظت البيت، قال: أجل، وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها، قال: فإنّي أشاء. فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها، وفي رواية أخرى: أنّ ابن عباس أنشدها من أوّلها إلى أخرها، ثم أنشدها من آخرها إلى أوّلها مقلوبة، وما سمعها قط إلا تلك المرّة صفحًا، قال: وهذا غاية الذّكاء، فقال له بعضهم: ما رأيت أذكى منك قط، فقال: لكنّي ما رأيت قط أذكى من علي بن أبي طالب.



وكان ابن عباس يقول: ما سمعت شيئًا قط إلا رويته، وإني لأسمع صوت النّائحة فأسدّ أذني كراهة أن أحفظ ما تقول.
وقوله: فيضحى، يقول يظهر للشمس، ويخصر يقول في البَردين[١]. ولا يخفى أنّ هذا الصحابي الجليل تجده حاضرًا في كلّ فنّ، فهو من أهل الطّائفة الأولى في المقدمة، ووضعته هنا لأنّ الحادثة تتصل برواية الشّعر وحفظه، رضي الله عنه وأرضاه .

- يونس بن حبيب البصري (المتوفى سنة ٨٣هـ)، قال أبو عبيدة: اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كلّ يوم ألواحي من حفظه[٢].
- حماد الرّاوية ابن أبي ليلى الدّيلمي الكوفي (المتوفى سنة ١٢٥هـ) قال له الوليد بن يزيد الأموي: لِمَ سُميتَ الرّاوية؟ قال: لأنّي أروي لكلّ شاعر سمعت به أو لم أسمع، وأميز بين قديمها وحديثها، قال له: كم تحفظ من الشّعر؟ قال: كثير، لكنّي أنشد على كلّ حرف مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون الإسلام، فامتحنه في ذلك، فوجده كما قال، فأمر له بمائة ألف درهم[٣].
- أبو عمرو ابن العلاء التّميميّ شيخ القرّاء (المتوفى سنة ١٥٤هـ)، روى أبو العيناء عن الأصمعيِّ ما نصّه: قال لي أبو عمرو ابن العلاء: لو تهيأ أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك لفعلت، ولقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبتْ ما قدر

(١) الكامل (٣/١٢٨).
(٢) مراتب النحويين (٤٤).
(٣) شذرات الذهب (١/٣٩٠).

الأعمش على حملها، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف ثم تنسك فأحرقها كلها[(١)].

- الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب العربية ومؤسس علومها (المتوفى سنة ١٧٠هـ)، قال عنه الذّهبيُّ: كان مفرط الذكاء، والعلماء يغرفون من بحره. ونقل عن السّيرافيّ قوله: كان الخليل يحفظ نصف اللّغة[(٢)].

- خلف الأحمر (المتوفى سنة ١٨٠هـ)، كان أعلم النّاس بالشِّعر، وكان الناس يقصدونه لمّا مات حمّاد الرّاوية، لأنّه كان قد أكثر الأخذ عنه، وبلغ مبلغًا لم يقاربه حمّاد[(٣)]، وقال عنه أبو الطّيب أيضًا: ما ازدحم العلم والشّعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر بن دريد[(٤)].

- الكسائيّ عليّ بن حمزة (المتوفى ١٨٩هـ)، قال أبو الطيب: أخبرنا محمد بن عبد الواحد، أخبرنا ثعلب، قال: أجمعوا على أنّ أكثر النّاس كلّهم روايةً، وأوسعهم علمًا: الكسائيّ، وكان يقول: كلّ ما سمعت في الشّيء (فعلت) إلا وقد سمعتُ فيه (أفعلت)[(٥)].

(١) العقد الثمين (٢٢٦).
(٢) العقد الثمين (٢٢- ١٤٣) بتصرف.
(٣) مراتب النحويين (٨١).
(٤) المراتب (١٣٦).
(٥) مراتب النحويين (١٢٠)، والمزهر للسيوطي (٢/٤٠٧).



- عليّ بن مبارك الأحمر (المتوفى سنة ١٩٤هـ)، قال ثعلب عنه: كان الأحمر يحفظ سوى ما يحفظ أربعين ألف بيت شاهدًا في النّحو[١].
- أبو عمرو إسحاق بن مرار الشّيبانيّ (المتوفى سنة ٢٠٦هـ)، صاحب (كتاب الجيم)، كان عالمًا باللّغة، حافظًا لها، جامعًا لأشعار العرب[٢].
- قطرب محمد بن المستنير (المتوفى سنة ٢٠١هـ)، قال عنه أبو الطيب: وكان حافظًا للغة، كثير النّوادر والغريب[٣].
- الفرّاء يحيى بن زياد (المتوفى سنة ٢٠٧هـ)، قال سلمة: أملى الفرّاء كتبه كلّها حفظًا، لم يأخذ بيده نسخة إلا في كتابين، ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة، وكان مقدار الكتابين خمسين ورقة[٤].
- أبو زيد سعيد بن أوس (المتوفى سنة ٢١٥هـ)، كان أحفظ الناس في اللغة بعد أبي مالك، وأوسعهم رواية، وهو من رواة الحديث، ثقة عندهم، مأمون، وكذلك حاله في اللغة، وقال الذّهبيّ نقلاً عن السِّيرافيّ: كان أبو زيد يحفظ ثلثي اللغة، والظاهر أن أبا زيد ضعفت ذاكرته فنسي بعض ما ألَّف، قال الرياشي: أتيتُ أبا زيد ومعي كتابه في الشجر والكلأ، فقلت له: أقرأ عليك هذا، فقال: لا تقرأه عليّ، فإني قد أُنسيته[٥].

(١) العقد الثمين (١٠٩).
(٢) نزهة الألبا (٨٦)، والمزهر (٢/٤١١).
(٣) مراتب النحويين (١٠٩).
(٤) نزهة الألبا (٣٩).
(٥))مراتب النحويين ٧٤، و العقد الثمين ٢٢

- الأصمعي عبد الملك بن قُريب (المتوفى سنة ٢١٦هـ)، ذكر أبو الطيب اللّغوي عن الهزّاني قوله: سمعت الرّياشيّ يقول: سمعتُ الأصمعيَّ يقول: أحفظ اثني عشرة ألف أرجوزة، فقال له رجلٌ: منها البيت والبيتان، فقال: ومنها المائة والمائتان[١]، وفي رواية أخرى: أنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة، وروى عمر ابن شبَّة، قال: سمعته - أي: الأصمعيّ - يقول: حفظت ستة عشر ألف أرجوزة[٢]، وقال بعض العلماء: كان الأصمعيّ يحفظ ثلث اللغة، وكان أبو زيد يحفظ ثلثي اللغة[٣].

- أبو مسحل عبد الرحمن بن حريش (المتوفى سنة ٢٢٨هـ)، روى عن علي بن مبارك الأحمر أربعين ألف بيت شاهد في النحو، قال أبو بكر ابن الأنباري، سمعت ثعلبًا يقول: ما ندمت على شيء كندمي على ترك سماع الأبيات التي كان يرويها أبو مسْحل عن علي بن مبارك الأحمر[٤].

- أبو تمّام الطّائيّ (المتوفى سنة ٢٢٨هـ)، قالوا: كان يحفظ أربعة آلاف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع[٥].

- وما دمنا نتحدث عن الشاعر أبي تمّام نعرج على ما ذكره ابن نديم حول الشّاعرين الأديبين الحافظين أبي بكر وأبي عثمان محمّد وسعيد ابني هاشم المعروفين بالخالديين، من قرية من قرى

(١) مراتب النحويين (٩٥)، وانظر: شذرات الذهب (٢/١٢٩).
(٢) البغية (٢/١٠٨).
(٣) شذرات الذهب (٢/١٢٤).
(٤) البغية (٢/٣٥ – ٣٨) (تحقيق: علي عمر)، وانظر: تاريخ العلماء للتنوخي (١٨٦).
(٥) شذرات الذهب (٢/١٨٧).



الموصل، قال عنهما: كانا حافظين على البديهة، قال أبو بكر- وقد تعجبت من كثرة حفظه وسرعة بديهته ومذاكرته -: إني أحفظ ألف سمر، كلّ سمر في نحو مئة ورقة[١].

- ابن الأعرابي محمد بن زياد الأعرابيّ (المتوفى سنة ٢٣١هـ)، قال ثعلب: لزمت ابن الأعرابيّ تسع عشرة سنة، وكان يحضر مجلسه زهاء مئة إنسان، وما رأيت بيده كتابًا قط، انتهى إليه علم اللّغة والحفظ)، قال الأزهريّ: ابن الأعرابي ... حفظ ما لم يحفظه غيره، وسمع من بني أسد، و بني عقيل فاستكثر»[٢].
- إسحاق الموصلي (المتوفى سنة ٢٣٥هـ)، حدّث عن حمّاد الرّاوية، ووصفه ابن الأعرابي بالعلم والصّدق والحفظ[٣].
- أبو محلَّم الشّيبانيّ (المتوفى سنة ٢٤٥هـ)، قال عنه مؤرج السَّدوسيّ: كان من أحفظ الناس، استعار مني جزءاً وردّه من الغد، وقد حفظه في ليلة، وكان مقداره نحو خمسين ورقة[٤]. ونقل السّيوطيّ عن المرزبانيّ قصةً تتضمن: أنه أنشد للعرب مائة بيت، في كلّ بيت منها ذكرت لفظة «المرت»، وهي اللّفظة الذي سأل الواثق عن معناها، فأمر الواثق له بألف دينار، وأراده لمجالسته فأبى أبو محلَّم[٥].

(١) الفهرست (٢٤١).
(٢) العقد الثمين (٤٠)، وانظر: مراتب النحويين (١٤٧)، ونزهة الألبا (١٣٤).
(٣) العقد الثمين (٣٦).
(٤) الفهرست (٦٩).
(٥) البغية (١/٢٤٤) (تحقيق: علي عمر)، المَرْتُ من الأرض: القفر الذي لا نبت فيه.



- أبو مالك عمرو بن كِرْكِرَة (المتوفى سنة ٢٤٨هـ)، يقال: إنه كان يحفظ اللّغة كلّها[١].

- بندار بن عبد الحميد المعروف بابن لُرّة (المتوفى سنة ٢٧٠هـ)، قال ياقوت عنه فيما نقله السّيوطيّ: كان يحفظ سبع مائة قصيدة أوّل كلّ قصيدة بانت سعاد، وقال عنه المبرّد: كان واحد زمانه في رواية دواوين شعراء العرب، حتى كان لا يشذ عن حفظه من شعر شعراء الجاهلية والإسلام إلا القليل[٢].

- ثعلب أحمد بن يحيى الشيباني (المتوفى سنة ٢٩١هـ)، ذكر ابن النديم عن ثعلب أنه قال: حفظت كتب الفرّاء حتى لم يشذ عني حرف منها، ولي خمسٌ وعشرون سنة[٣]، وقد أملى مجالسه المطبوعة إملاءً، قال ابن النديم: ولأبي العباس مجالسات أملاها على أصحابه في مجالسه، تحتوي على قطعة من النّحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشّعر ممّا سمع وتكلم عليه، روى ذلك عنه جماعة[٤].

- عبيد الله أبو بكر الخياط (المتوفى سنة ٣٢٠هـ)، قال عنه السيوطي: كان يحفظ الدواوين، قدّم له يومًا أبو الفضل ابن العميد نعلَه، فاستسرفَ من ذلك، فقال أبو الفضل: أألامُ على تعظيم رجل ما قرأتَ عليه شيئًا من الطّبائع للجاحظ إلا عرف ديوان قائله، وقرأ القصيدة من أوّلها إلى آخرها حتى تنتهي[٥].

(١) الفهرست (٦٦).
(٢) البغية (١/٤٥٧).
(٣) الفهرست (١١٠).
(٤) الفهرست (١١١).
(٥) البغية (٢/١٢٥)، واستسرف، أي: زاد في التبجيل.



- ابن دريد صاحب (الجمهرة) (المتوفى سنة ٣٢١هـ)، قال عنه أبو الطيب: ما ازدحم العلم والشّعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر ابن دريد[١]، وقال أحمد بن يوسف الأزرق: ما رأيت أحفظ من ابن دريد، ما رأيته قرئ عليه ديوان إلا وهو يسابق في قراءته[٢].
- نفطويه أبو عبد الله ابن إبراهيم بن محمد بن عرفة (المتوفى سنة ٣٢٣هـ)، كان متضلعًا من العلوم، ومن محفوظه: نقائض جرير والفرزدق، وشعر ذي الرّمة[٣].
- ومن الحفاظ العباقرة: أبو بكر الأنباري محمد بن القاسم بن بشار (المتوفى سنة ٣٢٨هـ)، قيل: إنه كان يحفظ ثلاث مائة ألف شاهد من القرآن الكريم[٤]، وقد سُئل: كم تحفظ؟ فقال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقًا، ثم قال محمد بن جعفر: وهذا ممّا لم يحفظه أحد قبله ولا بعده، وكان أحفظ النّاس للغة والشّعر والتّفسير، وحدّث أنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرًا من تفاسير القرآن بأسانيدها، وقال عنه أبو سعيد ابن يونس، كان أبو بكر آية من آيات الله تعالى في الحفظ[٥]، وممّا قيل في هذا الرّجل الأعجوبة: إنّ هذا الرّجل لو سمع أو قرأ مائتي تفسير بأسانيدها لحفظها، وكان لا يملي إلا من حفظه، ومرض يومًا فجاءه أصحابه، فرأوا من انزعاج

(١) المراتب (١٣٦).
(٢) شذرات الذهب (٢/٤٩١).
(٣) العقد الثمين (٢٣٦).
(٤) نزهة الألبا (٢٣٧).
(٥) نزهة الألبا (٢٣٣).

والده أمرًا عظيمًا، فطيَّبوا نفسه، فقال: كيف لا أنزعج وهو يحفظ جميعَ ما ترون، وأشار إلى خزانة مملوءة كتبًا، وأعجب ما عرف من أمره أن جاريةً للرّاضي بالله سألته يومًا عن شيء في تعبير الرُّؤيا فقال: أنا حاقن، ثم مضى من يومه فحفظ كتاب الكرماني وقد صار مُعبِّرًا للرُّؤيا[١]، وقد ذكرنا من قبل كيف كان يعتمد نظامًا غذائيًا لكي لا ينسى ما حفظ، وكيف ابتعد عن أكل المالح لاعتقاده أنه يورث النّسيان.

- أبو عمر الزّاهد المعروف بغلام ثعلب (المتوفى سنة ٣٤٥هـ)، نقل الذّهبيّ عن الخطيب قوله: حدثنا علي بن أبي علي، عن أبيه، قال: ومن الرُّواة الذّين لم يُرَ قط أحفظ َمنهم أبو عمرو غلام ثعلب، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة فيما بلغني، وجميع كتبه إنّما أملاها بغير تصنيف، ولسعة حفظه اتُّهم. وكان يُسأل عن الشَّيء الذي يقدر أنّ السائل وضعه، فيجيب عنه، ثم يسأله غيره بعد سنة ،فيجيب بجوابه[٢].

- ومن الحفظة المغاربة: إبراهيم بن عثمان أبي القاسم بن الوزان (المتوفى سنة ٣٤٦هـ)، شيخ المغرب في النّحو واللّغة، حفظ (كتاب سيبويه، والمصنف الغريب، وكتاب العين، وإصلاح المنطق)، وأشياء كثيرة[٣].

(١) انظر الأنيس في الوحدة (٢/٤٥).
(٢) العقد الثمين (٢٩).
(٣) الديباج المُذهب لابن فرحون (١/٢٧٨)، والعقد الثمين (٦٨)، والبغية (١/٤٠٣) (تحقيق: علي عمر).



- علي بن عيسى الرّبعيّ (المتوفى سنة ٤٢٠هـ)، قال عنه ابن الخشّاب: كان يحفظ الكثير من أشعار العرب مما لم يمكن غيره أن يقوم به(١).

- أبو العلاء المعري الشّاعر اللّغوي المعروف (المتوفى سنة ٤٤٩هـ)، قال عن نفسه: ما سمعت شيئًا إلا حفظته، وما حفظت شيئًا فنسيته(٢).

- ابن سيدَهْ اللّغوي المعروف (المتوفى سنة ٤٥٨هـ)، كان ضريراً أعجوبة من أعاجيب الدنيا، ويكفي لبيان نباهته وحفظه أن نقول: إنه أملى (المخصص) إملاءً عن ظهر قلب، كما أنه قرأ (غريب المصنّف) على أبي عمر الطَّلمنكي من أوّله إلى آخره من حفظه(٣). ومن عرف المخصص يدرك نباهة هذا الرجل وعبقريته، فحفظ ما هو لغوي أدقّ وأصعب من حفظ ما هو نحوي أو صرفي.

- مكي بن محمد النّحوي أبو الحرم (المتوفى سنة ٥٠١هـ)، قرأ على ابن بابشاذ، وحفظ (شرح الجمل) له، وحلف لا بُدّ لهُ كل يوم من قراءة كراس من (شرح الجُمَل)، وإلَّا تصدَّق بدرهم، ولم يزل كذلك إلى أن مات بالإسكندرية(٤).

- ابن الشّجري (المتوفى سنة ٥٤٢هـ)، وُصِف بأنه كان فصيحًا، حلو الكلام، حسن العبارة والإفهام، قيل عنه: صنّف وأملى كتاب (الأمالي)، وهو كتاب نفيس يشتمل على فنون(٥).

---

(١) البغية (٢/١٨١).
(٢) لزوم مالا يلزم (٢/١٠٠).
(٣) البغية (٢/١٣٨).
(٤) البغية (٢/٢٨٩).
(٥) العقد الثمين (٥٩).

- أحمد بن علي المعروف ببوجعفرك - بكاف في آخره للتّصغير في اللغة الفارسية - (المتوفى سنة ٥٤٤هـ)، نقل السُّيوطيُّ عن ياقوت قوله: قرأ (الصِّحاح) على الميداني، وحفظه عن ظهر قلب(١).
- الخضر بن ثروان بن أحمد الثّعلبي، كان حيًا (سنة ٥٤٤هـ)، نقل السّيوطيّ عن ياقوت قوله فيه: وله محفوظات كثيرة، منها: المجمل، وشعر الهذليين، وشعر رؤبة، وذي الرّمة(٢).
- الحسن بن ظهير النّعمانيّ (المتوفى سنة ٥٨٩هـ)، قال عنه السّيوطيّ: إنه كان يحفظ في كلّ فنّ كتابًا(٣).
- ابنُ الدّهان العلامة وجيه الدّين أبو بكر المبارك بن ا لمبارك (المتوفى سنة ٦١٢هـ)، قرأ على أبي البركات الأنباري جملة من كتب النّحو واللّغة والشّعر من حفظه، و أضاف ابن النّجار قائلاً: وذكر لي أنه قرأ نصف كتاب سيبويه من حفظه عليه أيضًا، وأنه كان يحفظ في كلّ يوم كراسًا في النّحو، ويفهمه، ويطارح فيه حتى برع، وكان شديد الذّكاء ثاقب الفهم، كثير الحفظ(٤).
- الكندي تاج الدّين أبو اليمن زيد بن الحسن (المتوفى سنة٦١٣هـ)، حفظ القرآن وهو صغير، ثمّ حفظ القراءات وله عشر سنين، قال عنه ابن النّجار: أظنّه يحفظ كتاب سيبويه ما دخلت عليه قط إلا وهو في يديه يطالعه، وكان في مجلد واحد

---

(١) البغية (١/٣٣٢).
(٢) البغية (١/٥٣٢).
(٣) البغية (١/٤٨٣).
(٤) العقد الثمين (٥٢).



رفيع يقرؤه بلا كلفة وقد بلغ التّسعين، وقال عنه الذّهبيّ: كان يروي كتبا كبارًا من كتب العلم، وروى عنه كتاب سيبويه عَلَمُ الدّين القاسم بن أحمد الأندلسي، وكان الملك المعظم ابن عم الملك الأفضل الأيوبي يقرأ عليه دائمًا، فقرأ عليه كتاب سيبويه نصًّا وشرحًا، وكتاب الحماسة، وكتاب الإيضاح، وأشياء كثيرة[(١)].

- الطّبيب موفق الدين عبد اللطيف البغدادي المعروف بابن اللبَّاد (المتوفى سنة ٦٢٠هـ)، غلب عليه علم الطّبّ والأدب، قال عن نفسه: سمعت الكثير، وكنت أتلقن، وأتعلم الخط، وأحفظ المقامات والفصيح وديوان المتنبي، ومختصرات الفقه، ومختصرًا في النحو ... وصرت أتكلم على كلّ بيت كراريس، ثم حفظت أدب الكاتب لابن قتيبة، ومشكل القرآن له، واللمع ... وحفظت التكملة في أيام يسيرة، كلّ يوم كراس[(٢)].

- ابن معطٍ النّحوي المعروف (المتوفى سنة ٦٢٨هـ)، قال السّيوطيّ عنه: كان يحفظ شيئًا كثيرًا، ومن جملة محفوظاته كتاب (صحاح الجوهري)، وكانت لديه القدرة على نظم المعاجم والكتب، نظم (كتاب الصحاح) للجوهريّ، ولم يكمله، ونظم (كتاب الجمهرة) لابن دريد، ونظم كتابًا في العروض، وقصيدة في القراءات السبع[(٣)].

(١) العقد الثمين (١٨٠).
(٢) العقد الثمين (١٩٩).
(٣) البغية (٢/٣٣٢).



- محمد بن عمر المعروف بابن المرجل (المتوفى سنة ٧١٦هـ)، وصفه الشّوكاني بقوله: كان أعجوبة في الذّكاء والحفظ، حفظ (المفصل) في يوم، وحفظ (ديوان المتنبي) في جمعة، و(المقامات) في كل يوم مقامة، وكان لا يمرّ بشاهد للعرب إلا حفظ القصيدة كلها[١].
- السّيد علي حسن النّعميّ (المتوفى سنة ١٠٦٧هـ)، قال عنه الشّوكانيّ: كان يأتي على أكثر الكشاف غيبًا[٢].

ولا يفوتنا أخيرًا .. أن نشير إلى أنّ كتب تراجم اللّغويين والنّحويين ذكرت في تراجمها بعض العلماء الذين اشتهروا بالأنساب والتاريخ، وكانوا آيات في الحفظ أيضًا من هؤلاء:

- هشام بن محمد بن السّائب الكلبيّ (المتوفى سنة ٢٠٤هـ)، في خلافة المأمون، كان كثير الرّواية، وأعلم الناس بالنسب، كما قال عنه أبو الطيب[٣]، ونقل الأنباري في (نزهة الألبا): عن محمد بن السّريّ قوله: قال لي هشام ابن الكلبي: حفظت ما لم يحفظ أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد، كان لي عمٌّ يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلتُ بيته وحلفت أني لا أخرج حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام[٤].

(١) البدر الطالع (٢/٢٣٤)، وفي الأصل في مائة يوم، ولعلّ الصواب فيما أثبتناه؛ لأن حجم (المفصل) لا يحتاج حافظه إلى هذه المدة؛ إذا كان قد حفظ (ديوان المتنبي) في جمعة.
(٢) البدر الطالع (٢/١٦٢) الملحق.
(٣) مراتب النحويين (١١٣).
(٤) نزهة الألبا (٨٤).



- ونقل عن الواقديّ قاضي بغداد، أبي عبد الله محمد بن عمرو بن واقد السلمي (المتوفى سنة ٢٠٧هـ): أنه كان يقول: حفظي أكثر من كتبي، وكانت كتبه ١٢٠ حملاً[(١)].

- الطّبريّ أبو جعفر محمد بن جرير (المتوفى ٣١٠هـ)، العالم المشهور، وصفه ابن النّديم بأنه كثير الحفظ، وأن إسحاق بن محمد رأى أبا جعفر الطبري يقرأ عليه شعر الطّرماح وشعر أبي الطيب[(٢)].

هذا قليل من كثير، ونقطة من بحر؛ إذ لو أردنا الاستقصاء لاجتمع لدينا الآلاف من أسماء العلماء الذين وُهبوا هذه المهارة، و ينتسبون إلى فنون العلوم الشرعية واللغوية.

لقد اشتهر القوم الأسلاف بهذه المهارة، فحفظوا لنا العلوم والفنون، ولم تنقطع هذه المهارة عبر التاريخ بل استمرت إلى عصرنا الحاضر، فكلنا يعلم ما وصل إليه إخواننا الشناقطة في هذا الجانب، لقد نقل عنهم الأعاجيب التي يكاد المرء يشكّ فيها، لولا أنّ القوم هم مَن هم في الورع والتقوى والقرب من الله، فوهبهم هذه العطايا، ومنحهم هذه المنح، لقد ذكر الدكتور عبد العزيز الحربيّ: أنّ شيخه العلامة اللّغوي الفقيه أحمد بن محمد حامد الحسني الشنقيطي، نزيل المدينة المنورة، كان حفظه لأشعار العرب أمرًا عجيبًا، لقد حفظ شعر الشّعراء السّتة الجاهليين قبل البلوغ، سماعًا من قراءة الطلاب على أبيه الذي أخذ عنه كلّ علومه، والظّاهر أنّ هذا الشيخ اعتمد أيضًا نظامًا غذائيًا يحافظ به على محفوظه،

(١) شذرات الذهب (٢/٩٦).
(٢)الفهرست ٣٢٦

فكان على مدى أربعة عشر عامًا يكتفي بشرب اللبن (الحليب)، ولا يكاد يطعم شيء غيره معه، إلا إذا أُلجئ ويغنيه ذلك عن الطعام والشراب[١].

وقال العلامة محمد الحسن الدّدو الشنقيطي: بأن أستاذه محمد سيدي عبد الله الحجاج أخبره بأن علوم المذاهب كلَّها لو قُذِفتْ في البحر فلم يبق منها شيء لتمكنتُ أنا وتلميذي ألفَعْ الدّيماني من إعادتها دون زيغ أو نقصٍ، يتولى هو المتون، وأتولى أنا الشّروح، وأضاف قائلاً: وقد ذكروا أنّ محمد محمود بن أحمذية، كان يحفظ (مقامات الحريريّ، والمستطرف، وكامل المبرد، والوسيط، وديوان البحتري، وديوان أبي تمام، وديوان المتنبي)، وهذا كلّه في الأدب وحده، فكيف به في الفقه وعلوم الشريعة، وكان سيدي المختار يحفظ (الإتقان في علوم القرآن، وفتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري)، وتحدث عن جده الشيخ محمد عالي: بأنه كان يسمع القصيدة الطويلة فيحفظها من المرة الواحدة، وقد يسمعها في مناجاة يناجي بها الإنسان آخر فيحفظها هو[٢].

وذكر عن الشيخ ماء العينين الشّريف: أنه حفظ نصف مختصر الخليل في يومين، وحفظ الألفية في جزء يوم، وأضاف قائلاً: وكان آية من آيات الله في الحفظ[٣].

ولم يقتصر هذا التّفرد على الرّجال دون النساء عندهم، قال العلامة محمد الدّدو: إن مريم بنت لّلا كانت تحفظ (القاموس المحيط) عن ظهر

(١) مقدمة (مفاتح المقصورة): (١٠-١١) بتصرف.
(٢) فقه العصر (١٣٠).
(٣) فقه العصر (١٢٤).



قلب حفظته مادةً مادة، عندما كان أبوها يرسلها إلى خيمة جاره لكي تبحث له عن معنى كلمة[١].

وكان بعض النساء عندهم يحفظن موطأ الإمام مالك[٢].

فلله دَرّ أمّة محمد على ما منحهم الله من فضائل ومواهب وشيم، إنه هو المعطي الوهاب.

وبعد هذا العرض لهذه المهارة عند القدماء والمحدثين، لا بُدَّ أن يتساءل المرء هل أهل التراجم كانوا يتسامحون في استعمال لفظة (الحفظ) ومشتقاتها ؟ هل أطلقوها والمراد منها القراءة أو الفهم فقط؟

فالحقّ أقول: إنّي وجدتهم دقيقين جدًّا في وصف مَن يترجمون له، فها هو الذهبيّ نقل عن ابن نجار قوله في تاج الدّين الكنديّ: أظنه يحفظ كتاب سيبويه[٣].

وها هو أيضًا السّيوطي حين ترجم لمحمد بن علي المعروف بالشريف، نقل عن أبي حيّان في النّضار ما يدلّ على أنهم يميّزون بين من يدرس ويفتش ومن يحفظ، قال أبو حيان: كان بمُرّاكش يدرِّسُ كتاب سيبويه والفقه والحديث ويميل إلى الاجتهاد، وله مشاركة في الأصول والكلام والمنطق والحساب، وأضاف قائلاً: ويغلب عليه البحث لا الحفظ، مات عام اثنين وثمانين وستّ مائة[٤].

(١) فقه العصر (١٢٠).
(٢) فقه العصر (١٢٢).
(٣) العقد الثمين (١٨٠).
(٤) البغية (١/١٨٢).

ومن ذلك أيضًا: قول السّيوطيّ في ترجمة محمد بن علي السّلاقيّ النّحويّ الأديب: كانت له شهرة بمُرّاكش، وكان يقرأ كتاب سيبويه، ومن أحفظ الناس للكامل وغيره من كتب الأدب، مات سنة ٦٠٥هـ[١].

وذكر السّيوطي أيضًا في ترجمة سليمان بن مطروح الحجاري (المتوفى سنة ٣٩٠هـ)، نقلاً عن ابن عبد الملك ما نصّه: يكاد يملي (الغريب المصنف) لأبي عبيد وغيره من حفظه[٢].

فقوله: «يكاد يملي» يدلّ على مدى الدّقة التي استعملها القوم في وصف من يترجمون له، فهم على إدراك بوجوب التّفريق بين الحفظ عن ظهر قلب أو الفهم أو التعليم، وتبدو الدّقة واضحة فيما ذكره الشّوكانيّ عن السّيد علي بن حسن النّعميّ، قال: كان يأتي على أكثر الكشاف غيبًا[٣].

وكان ضياء بن سعد القِرْمي العفيفي (المتوفى سنة ٧٨٠هـ)، كما قال السّيوطيّ: يحلّ الكشاف والحاوي حلًّا، إليه المنتهى، حتى يظن أنه يحفظهما، وحُكي عن عبد الله بن الحسن السّعدي اليحصبيّ (المتوفى سنة ٥٥٧هـ): أنه كان يحفظ (كتاب سيبويه) كحفظه للقرآن، عارفًا مع ذلك بالقراءات والفقه[٤].

فانظر كيف استعمل السّيوطيّ الحفظ مريدًا به الحفظ عن ظهر قلب، مفرِّقًا بينه وبين معرفة المترجم له للفقه والقراءات.

(١) البغية (١/١٨٤).
(٢) البغية (١/٥٨٣).
(٣) البدر الطالع (٢/١٦٢) الملحق.
(٤) البغية (٢/٣٥).



كل ذلك يدعونا إلى القول :إن ما ذكروه ليس فيه مبالغة، فهو الحقيقة عينها، والله يعطي الفضل لمن يشاء وكيف يشاء وفي أي وقت يشاء

ورحم الله القائل :

وإذا لم تــر الهـــلال فســـلِّمْ لأُنـــــاسٍ رَأَوه بالأبصــــار

ولله در من قال أيضًا :

إذا قالـــتْ حـــذام فصـــدقوها فـإنَّ القـولَ مـا قالـت حـذام

والآن بعد انتهائنا من تقديم هـذه الصّـورة الجميلـة الرائعـة لأسـلافنا العلماء في شـتى صـنوف المعرفـة، يحـق لنـا أن نتسـاءل لمـاذا بـدأت الجامعات العربية تتخلص مفرداتهـا في أقسـامها العلميـة المتنوعـة عـن ذكرها تلك المتون التي يجـب أن يحفظهـا طالـب العلـم في تخصصـه ؟ لماذا لا نجد لها ذكرًا بين المهارات مع أنّ القدماء أشـاروا إليهـا وحثّـوا عليها ؟

قال ابن قتيبة: كان يقال أوّل العلـم: الصّـمت، والثّـاني: الاسـتماع، والثّالث: الحفظ، والرّابع: العقل، والخامس: نشره[(١)].

وقال ابـن المبـارك: أوّل العلـم: النّيّـة، ثمّ الاسـتماع، ثمّ الفهـم، ثمّ العلم، ثمّ الحفظ، ثمّ النّشر[(٢)].

لقد أثمر المنهج الـذي سـاروا عليـه ثمـراتٍ يانعـة، فلمـاذا لا نتـابع المسيرة؟ فنسير على منوالهم، ونسلك سبلهم، ونهتدي بهديهم، لتبقـى علوم حضارتنا العربيـة شـامخةً وضـاءة، تمـدّنا بـالقوة، وتحصـننا مـن

(١) عيون الأخبار (١٢٢/٣).

(٢) الديباج المذهب (٤٠٨/١).

هجمات أعدائنا، لنبقى غير قابلين للذوبان والانصهار، نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل.

وإنّي بعد تطوافي مع عباقرة هذه المهارة .. أخلص إلى رسم الملامح العامّة لهذه المهارة على نحو ما بدت لي، وهي:

- أنّ هذه الظّاهرة تجلَّت واضحة عند العرب؛ لأنّهم في الأصل أمّةٌ أمّية، فكان لا بدّ من الاعتماد على هذه الموهبة الرّبانية، ثم رعايتها وتنميتها حتى صارت من خصائص علمائنا وصفاتهم.
- أنّ ظاهرة الحفظ توزعت على علوم حضارتنا، فنجدها في العلوم الشّرعية واللّغوية، وأحسب أننا لا نعدم هذه الظاهرة عند علمائنا من أهل العلوم التجريبية، وابن سينا خيرُ دليل على ذلك.
- أنّ القدماء رسموا لنا طريق الحفظ ومنهجه، فتحدَّثوا عن دواعيه وأسبابه ووسائله، وسبل الحفاظ عليه وأوقاته، فصارت هذه المهارة جزءاً من طبيعة العلوم التي تطلبها.
- انتبه القدماء إلى وسائل تقوِّي الحفظ، وتمنع نسيانه، فلجؤوا إلى وسائل كثيرة، بعضها أشار إليها الشارع الحكيم، وبعضها يتعلق بنظام غذائي على نحو ما فصَّلنا.
- أنّ بعضهم بقيت موهبته نشيطة، وحافظ على مخزونه المحفوظ، فحدَّث بمحفوظه بعد بلوغه الثمانين سنة.
- أنّ هناك كتبًا - فضلاً عن القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة - كُتب لها القبول عند العلماء، فحفظوها عن ظهر قلب، منها: كتاب العين للخليل، والكتاب لسيبويه، والمجمل لابن فارس،



وإصلاح المنطق لابن السِّكِّيت، والفصيح لثعلب، والجمهرة لابن دريد، والصّحاح للجوهريّ، والكشاف للزَّمخشريّ، والجمل للزّجاجيّ، وأشعار هذيل ورؤبة وذي الرمة، وديوان المتنبي، ومقامات الحريريّ.

- أنّ بعضهم ظهر حفظه في إملائه وتدريسه كالفرّاء وابن سيدَه.
- اقتصرت دلالة (الحافظ) على الحافظ لكتاب الله، ثم على الحافظ لأحاديث الرسول ﷺ، أمّا أهل اللّغة فغلب على الحفظة منهم أن يقال فيه الرَّاوية - والتاء هنا للمبالغة -.
- أنّ ما ذكره أهل التراجم في وصف الحفظة هو الواقع المشهود، فليس في هذه الأوصاف مبالغة أو بعدٌ عن الحقيقة.
- أنّ الغاية من الحفظ هو ضبط العلم لنشره.
- أنّ بعض العلماء لم يك يكتفي بحفظ كتاب واحد في فنّ واحد، بل تعدّى ذلك إلى حفظ عدد من الكتب المتنوعة.
- لم تكن الغاية من الحفظ، الحفظ عن ظهر قلب بلا إدراك للمعنى، لقد اجتمعت المهارتان - الفهم والحفظ - عند الحفظة، يؤكِّد ذلك أنّ بعض العلماء أملوا محفوظاتهم إملاء في مجالسهم العلمية.

وإن كان ثمّة وصية نوصي بها؛ فهي أنّه يجب علينا أداءً للأمانة أن نبيِّن لطلاب العلم أهميةَ هذه المهارة، ونعرفهم عليها بذكر مظاهرها عند قدمائنا، وأن نشجعهم على القيام بها، سواء عن طريق المكافآت المادية أو المعنوية، وإنّي لأحيي وأشكر بعض الجمعيات العلمية التي لها صلة

بوزارة الأوقاف، لاهتمامها حتى الآن بهذه المهارة، لقد قرأتُ كثيرًا على أبواب المساجد الإعلانات التي تحتوي على بعض الدّروس الشّرعية متضمنة حفظ المتون أيضًا، في الوقت الذي بدت هذه المهارة تنحسر في الجامعات، وتخلو منها مفردات المناهج.

أسأل الله أن يهب هذه المهارة طلبة العلم، وأن يحرصوا عليها لئلا تصير من المهارات المنسية، فهي مهارة يحقّ لنا أن نفتخر بها، وأن تكون رمزًا من رموز معالمنا الحضارية، وقمرًا مضيئًا في سماء تاريخنا العظيم، رحم الله أبا حاتم السجستاني حين قال:

أبرزوا وجهك الجميلَ ولاموا من افتتنْ
لو أرادوا صيانتي ستروا وجهك الحسنْ

نعم، يحقّ لنا أن نكشف عن مآثر الأجداد وشمائل الآباء وفضائل العلماء، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضُّحى].

فأحفادنا سيستضيئون بأنوار هؤلاء، وسيهتدون بهديهم، والأمم القوية هي التي لا يغيب عن بالها شموس علمائها المشرقة، وأقمار رجالاتها المضيئة .. وأخيرًا:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾، وصلى الله على سيدنا محمّد، وعلى آله، وأصحابه، وسلِّم.



المصادر والمراجع

- الأنيس في الوحدة، للشيخ محمد أديب كلكل، نشر مكتبة دار الدعوة حماة – الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- أيها الولد والقواعد العشر، للغزالي، نشر وتحقيق: محمد أديب كلكل – مكتبة دار الدعوة حماه، سورية.
- إتحاف فضلاء البشر، للدمياطي، تصحيح: علي محمد الطباع، دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان، نسخة مصورة عن طبعة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر- ١٣٥٩هـ.
- الإتقان، للسيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، بمجمع الملك فهد، بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، نشر مطابع النصر الحديثة، الرياض.
- البدر الطالع، للشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- بستان العارفين للسمرقندي مع تنبيه الغافلين، الناشر: دار الكتاب العربي – الطبعة الثامنة،١٤٠٨هـ - ١٩٨٨.
- بغية الوعاة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - صيدا - لبنان، وطبعة أخرى: بتحقيق علي محمد عمر - مكتبة الخانجي - الطبعة الأولى - ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥.
- تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان - ١٣٩٩هـ.

- تاريخ العلماء النحويين، للتنوخي، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح الحلو، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، تحقيق: محمد الحجار، الطبعة الأولى، دار الصابوني.
- ترتيب العلوم، للمرعشلي المشهور بساجقلي زاده، دراسة: محمد ابن إسماعيل السيد أحمد ،دار البشائر، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي ومشاركيه، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى – ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الديباج المذهب، لابن فرحون، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطباعة والنشر، القاهرة.
- روح المعاني، للآلوسي، دار الفكر، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٨٧ م.
- شذرات الذهب، لابن العماد، تحقيق: مصطفى عبد القادر العطا، التوزيع دار الباز بمكة المكرمة.
- الطب النبوي، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.
- العقد الثمين في تراجم النحويين، للذهبي، تحقيق الدكتور: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه، شرح: إبراهيم الأبياري، تقديم: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان.



- العمدة في صناعة الشعر ونقده، لابن رشيد القيرواني، القاهرة ١٩٢٥.
- عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتاب العربي، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥ م.
- فقه العصر، للشيخ محمد الحسن الددو، محاورة الدكتور عادل باناعمة، الطبعة الأولى ،مؤسسة طريق الأمة للنشر والتوزيع جدة، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٠م.
- الفقه المبسط، لمحمد أديب كلكل، الطبعة الخامسة، توزيع المكتبة العربية، حماة، سوريا ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
- الفهرست، لابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
- القاموس المحيط، للفيروز أبادي، الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.
- الكامل، للمبرد، دار الفكر للطباعة للنشر ، بيروت لبنان.
- لزوم ما لايلزم، للمعري، عمر أبو النصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م، مطبعة النجوى، بيروت، لبنان.
- المزهر، للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزملائه، مطعبة عيسى البابي الحلبي وأولاده.
- المستطرف من كل فن مستظرف، للأبشيهي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
- مفاتح المقصورة، شرح مقصورة بن دريد للدكتور عبد العزيز الحربي. ط١، ١٣٩٢هـ ـ ٢٠٠٨م.

القسم الرابع:

أنت تسأل .. والمجمع يجيب



٣٠. السّائل (رضوان علاء الدين توركو):

السلام عليكم ورحمة الله، أقـرأ أنّ جملـة صـلة الموصـول يجـب أن تحوي ضميرًا عائدًا على الاسم الموصول، ويمكن حذفه إذا أمن اللّـبس وذلك إذا كان منفصلاً، كما في الجمل التالية:

الْتَقَيْتُ بِصَدِيقِي الَّذِي هُـوَ مِـنْ دِمَشْـقَ: الْتَقَيْـتُ بِصَـدِيقِي الَّـذِي مِـنْ دِمَشْقَ، أَعْطِنِي الْكِتَابَ الَّذِي هُوَ عَلَى الطَّاوِلَةِ: أَعْطِنِي الْكِتَابَ الَّذِي عَلَى الطَّاوِلَةِ، أَعْرِفُ اللَّذَيْنِ هُمَا جَالِسَانِ هُنَاكَ: أَعْرِفُ اللَّذَيْنِ جَالِسَانِ هُنَاكَ، شَكَرْتُ الَّذِينَ هُمْ سَاعَدُونِي: شَكَرْتُ الَّذِينَ سَاعَدُونِي.

أو متصلاً بفعل أو اسم مشتق من فعل:

جَاءَ الَّذِينَ سَاعَدْتُهُمْ: جَاءَ الَّذِينَ سَاعَدْتُ، قُلْ مَا أَنْتَ قَائِلُـهُ:= قُـلْ مَا أَنْتَ قَائِلٌ.

وإذا دخل على الاسم الموصول حرف جرّ، مثل الذي في جملة الصِّلة لفظًا ومعنًى = يحذف في جملة الصلة حرف الجـرّ مـع الضـمير العائـد، سَلَّمْتُ عَلَى الَّذِي سَلَّمْتَ عَلَيْهِ: سَلَّمْتُ عَلَى الَّذِي سَلَّمْتَ.

أسئلتي:

١- هل يمكن حذف الظرف مع الضَّـمير العائـد في جملـة الصِّـلة إذا دخل على الاسم الموصول ظرفٌ، مثل الذي في جملة الصِّـلة، كمـا في الجملة التالية: جانب أي نافذة يجلس أحمد؟ يجلس جانب التي يجلس سمير. أم يجب أن نقول فقط: جانب أي نافذة يجلس أحمـد؟ يجلـس جانب التي يجلس جانبها سمير.

٢- هل يمكن حذف حرف الجرّ أو الظَّرف مع الضَّمير العائد في جملة الصِّلة، إذا دخل على الاسم الموصوف بالاسم الموصول حرفُ جرٍّ أو ظرف، مثل الذي في جملة الصِّلة لفظًا ومعنًى، كما في الجمل التالية :

يَكْتُبُ أَحْمَدُ بِالْقَلَمِ الَّذِي يَكْتُبُ مُحَمَّدٌ، جِئْتُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي غَادَرَ أَحْمَدُ، كُنْتُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كُنْتَ.

٣- لم أجد أمثلةً في أيّ كتاب توضِّح الضَّميرَ العائدَ في جملة الصِّلة التي تكون خبرًا، ومبتدؤها ضمير المتكلم أو المخاطب، لكن بعد البحث في الأحاديث الشّريفة والشّعر توصلت إلى نتيجة :

الضَّمير العائد في جملة الصِّلة يمكن أن يكون موافقًا للمبتدأ، أي : عائدًا على المتكلم أو المخاطب، أو عائدًا على الغائب.

هل أنتَ الذي أتيتَ أمس؟ نعم، أنا الذي أتيتُ أمس.

هل أنت الذي أتى أمس؟ نعم، أنا الذي أتى أمس.

وفي هذا الحديث الشريف :

أنّ نساءً من أهل حمص أو من أهل الشّام دَخَلْنَ على عائشةَ، فقالت : أنتُنّ اللاّتي يدخُلن نساؤُكُنّ الحمّامات؟!، سمعتُ رسُول اللّه ﷺ يقُولُ : «ما من امرأةٍ تضعُ ثيابَها في غير بيت زوجها، إلّا هتكت السِّتر بينها وبين ربّها».

نجد في هذه الجملة : أَنْتُنَّ اللاَّتِي يَدْخُلْنَ نِسَاؤُكُنَّ الْحَمَّامَاتِ.

هل الضمير في (يَدْخُلْنَ) عائد على اللاَّتِي؟ إذا كان كذلك فما محل (نساء)؟



وإذا كان (نِسَاء) فاعل (يَدْخُلْنَ)، أفلا يجب أن يكون الفعل في صيغة المفرد؟

وهل في كلام العرب تطابق الفعل والفاعل بالعدد إذا أتى الفاعل بعد الفعل؟

والضَّمير العائد على الاسم الموصول المشترك (من) أو (ما) يمكن أن يكون مفردًا مذكرًا مع الجميع، ويمكن مراعاة معناه، فيطابقه إفرادًا وتثنيةً وجمعًا، وتذكيرًا وتأنيثًا، أي: يمكن أن نقول: جاء مَن ساعدني للجميع، أو: مَن ساعدني، مَن ساعدتني، مَن ساعداني، مَن ساعدتاني، مَن ساعدوني، مَن ساعدنني.

سؤال:

إذا كان الاسم الموصول خبرًا لمبتدإٍ، فهل يمكن أن يكون مفردًا مذكّرًا مع الجميع، أم يجب أن يطابقه إفرادًا وتثنيةً وجمعًا وتذكيرًا وتأنيثًا فقط؟ أي: هل يمكن أن نقول: أحمد ومحمد هما من ساعدني؟ أم يجب أن نقول فقط: أحمد ومحمد هما من ساعداني؟

وإذا كان الاسم الموصول مبتدأً، فهل يمكن أن يكون خبره مفردًا مذكّرًا مع الجميع، أم يجب أن يطابقه إفرادًا وتثنيةً وجمعًا، وتذكيرًا وتأنيثًا فقط؟ أي: هل يمكن أن نقول: مَن سَاعدني هما أحمد ومحمد؟ أم يجب أن نقول فقط: مَن ساعداني هما أحمد ومحمد؟

وهل يمكن أن نقول: مَن ساعدني هي فاطمة؟ أم يجب أن نقول فقط: من ساعدتني هي فاطمة ؟

وهل يمكن أن نقول: مَن سألْتقي به هي فاطمة؟، أم يجب أن نقول فقط: مَن سألتقي بها هي فاطمة؟

وهل يجب أن نقول في مثل هذه الجملة فقط : مَنِ اشْتَرَتْ مِنْ زَمِيلاَتِكِ الْقَامُوسَ الْعَرَبِيَّ؟ اشْتَرَيْنَهُ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُنَّ هَذَا الْقَامُوسُ.

أم يمكن أن نقول : مَنِ اشْتَرَتْ مِنْ زَمِيلاَتِكِ الْقَامُوسَ الْعَرَبِيَّ؟ اشْتَرَيْنَهُ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهَا هَذَا الْقَامُوسُ.

أو : مَنِ اشْتَرَتْ مِنْ زَمِيلاَتِكِ الْقَامُوسَ الْعَرَبِيَّ؟ اشْتَرَيْنَهُ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ هَذَا الْقَامُوسُ.

أرجو توضيح كلّ ذلك، وأرجو عدمَ إهمال هذه الأسئلة، والإجابةَ قدر الإمكان بسرعة، وجزاكم الله خيرًا، ودمتم عونًا وذُخرًا لخدمة دين الله عزّ وجلّ.

<u>الجواب :</u>

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله:

١- قول السّائل: **أقرأ أنّ جملة صلة الموصول يجب أن تحوي ضميرًا عائدًا على الاسم الموصول، ويمكن حذفه إذا أُمِنَ اللَّبس، وذلك إذا كان منفصلاً.**

هذا غير دقيق، بل لا يحذف العائد على الموصول إذا كان مرفوعًا (يعني في محلّ رفع)، إلّا إذا كان مبتدأً، وخبره مفرد، نحو: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ [الزُّخرُف: ٨٤]، على أنّ إله خبر والجار والمجرور متعلق بها، على تأويله بمعبود، وعلى هذا لا تقول: جاءني اللذان قامَ، والذين قامَ، ولا اللّذان ضُرِبَ، لرفع الأوّل والثاني بالفاعلية، والثالث بالنيابة، بل يقال: قاما، وقاموا، وضُرِبا. وأمّا قولنا: جاء الذي ضرب عَمْرًا،



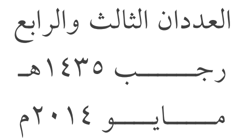
فالعائد مستتر، وليس محذوفًا، والخلاصة: لا يحذف العائد المرفوع إلَّا إذا كان مبتدأ خبره مفرد، ولا يحذف إن كان فاعلا أو نائبًا للفاعل.

٢- ويقول: **كما في الجمل التالية : الْتَقَيْتُ بِصَدِيقِي الَّذِي هُوَ مِنْ دِمَشْقَ : الْتَقَيْتُ بِصَدِيقِي الَّذِي مِنْ دِمَشْقَ، أَعْطِنِي الْكِتَابَ الَّذِي هُوَ عَلَى الطَّاوِلَةِ : أَعْطِنِي الْكِتَابَ الَّذِي عَلَى الطَّاوِلَةِ.**

ليس في المثالين حذفٌ للعائد، ولا يجوز؛ لأنّ الجار والمجرور يصلح صلة، والعائد مستتر في متعلقه (استقرّ)، أو مستتر فيه نفسه على رأي، وشبه الجملة من الجار والمجرور والظَّرف التَّامَّين - أي: الوصلُ بهما فيه فائدة - يصلحان صلةً بدون تقدير ضمير (هو) منفصلاً مبتدأ، ولو جعلنا العائد كذلك، وحذفناه، لم يعلم أنّه حُذف، إذًا فحذفه هنا ممتنعٌ، ومعلومٌ: أنّ شرط حذف صدر الصِّلة ألّا يكون ما بعده صالحًا لأن يكون صلة، ويُغني عن هذا التَّفصيل ما قيل في القاعدة: مِن أنّ الضَّمير المرفوع مبتدأ وخبره مفرد، يعني ليس جملةً، ولا شبهَ جملة.

وحذف هذا العائد المرفوع ليس ضربة لازب؛ إذ لا يحذف صدر الصِّلة مع غير أيّ، إلّا إذا طالت الصِّلَة، نحو: جاء الذي هو ضاربٌ زيدًا، فيجوز حذف (هو)، فتقول: جاء الذي ضاربٌ زيدًا، ومنه قولهم: ما أنا بالّذي قائلٌ لك سوءًا، التّقدير: بالذي هو قائلٌ لك سوءًا، فإنْ لم تطل الصِّلةُ؛ فالحذف قليلٌ، وأجازه الكوفيون قياسًا، نحو: جاء الذي قائمٌ، التّقدير: جاء الذي هو قائمٌ، ومنه: قوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ [الأنعام: ١٥٤] في قراءة الرفع، والتقدير: هو أحسن[1].

(١) راجع ابن عقيل (١/١٦٥، ١٧٦).



٣- وقوله: **أَعْرِفُ اللَّذَيْنِ هُمَا جَالِسَانِ هُنَاكَ : أَعْرِفُ اللَّذَيْنِ جَالِسَانِ هُنَاكَ.**

الضَّمير هنا حذفه جائزٌ؛ لأنَّه مبتدأ وخبره مفرد، أي: ليس جملةً ولا شبهَ جملة، وصِلة اللّذين طويلة بتعلق الظّرف بـ (جالسان)، ولا يشترط طول الصِلة مع (أيّ).

٤- وقوله: **شَكَرْتُ الَّذِينَ هُمْ سَاعَدُونِي : شَكَرْتُ الَّذِينَ سَاعَدُونِي.**

لا يُحذف الضَّمير هنا إذا كان مُرادًا؛ لأنّ خبره ليس مفردًا، ولو حذف فلن يُعلم الحذف، وأضف إلى ذلك أنّ جملة (**ساعدوني**) تصلح صِلة، والعائد هو الواو.

٥- قول السَّائل: **أو مُتصلاً بفعل، أو اسم مشتق من فعل.**

ليس دقيقًا أيضًا، قال ابن عقيل (رحمه الله) عن العائد المنصوب: «شرط جواز حذفه أن يكون مُتصلاً، منصوبًا بفعل تامّ، أو بوصف (غير صِلة لـ أل، [وهذه من الأوضح])، نحو: جاء الذي ضربته، والذي أنا مُعطِيكه درهم، فيجوز حذف الهاء من ضربته، فتقول: جاء الذي ضربتُ، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ [المدَّثر]، وقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]، التقدير: خلقته، وبعثه، وكذلك يجوز حذف الهاء من معطيكه؛ فتقول: الذي أنا معطيك درهم».

ثمّ قال: «فإنْ كان الضمير منفصلاً، لم يجز الحذف، نحو: جاء الذي إيّاه ضربت، فلا يجوز حذف إيّاه، وكذلك يمتنع الحذف إن كان متصلاً منصوبًا بغير فعل أو وصف، وهو الحرف، نحو: جاء الذي إنّه منطلق،



فلا يجوز حذف الهاء، وكذلك يمتنع الحذف إذا كان منصوبا متصلا بفعل ناقص نحو: جاء الذي كانه زيد» انتهى كلامه.

٦- قوله: **جَاءَ الَّذِينَ سَاعَدْتُهُمْ : جَاءَ الَّذِينَ سَاعَدْتُ.**

الحذف صحيحٌ، فالعائد ضمير متصل، في محلّ نصب بفعل تامّ.

٧- قوله: **قُلْ مَا أَنْتَ قَائِلُهُ : قُلْ مَا أَنْتَ قَائِلٌ.**

ليس من أمثلة حذف العائد المنصوب، بل العائد المضاف، والحذف صحيح، فالعائد ضمير متصل مضاف إلى اسم فاعل غير ماض، وهي مثل: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢]، وسيأتي في موضعه بعد قليل.

٨- قول السّائل: **وإذا دخل على الاسم الموصول حرف جرّ مثل الذي في جملة الصلة لفظا ومعنى يحذف في جملة الصلة حرف الجر مع الضمير العائد.**

غيرُ دقيق أيضًا: قال ابن عقيل عن العائد المجرور: «وهو إمّا أن يكون مجرورًا بالإضافة أو بالحرف. فإن كان مجرورًا بالإضافة لم يُحذف إلّا إذا كان مجرورًا بإضافة اسم فاعل بمعنى الحال أو الاستقبال، نحو: جاء الذي أنا ضاربه الآن أو غدًا، فتقول: جاء الذي أنا ضاربٌ، بحذف الهاء، وإن كان مجرورًا بغير ذلك لم يحذف، نحو: جاء الذي أنا غلامُه، أو أنا مضروبُه، أو أنا ضاربه أمس».

ثم قال: «وإن كان مجرورًا بحرف فلا يُحذف، إلّا إنْ دخل على الموصول (أو الموصوف به، [وهذه من الأوضح، أيضا]) حرفٌ مثله لفظًا ومعنًى، واتّفق العامل فيهما مادةً، نحو: مررتُ بالذي مررتَ به،

أو: أنتَ مارٌّ به، فيجوز حذف الهاء، فتقول: مررتُ بالذي مررتَ، قال الله تعالى: ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣]، أي: منه، وتقول: مررت بالذي أنت مارٌّ، أي: به».

ثم قال: «فإن اختلف الحرفان لم يجز الحذف، نحو: مررتُ بالذي غضبتُ عليه، فلا يجوز حذف (عليه)، وكذلك: مررتُ بالذي مررتَ به على زيد، فلا يجوز حذف (به) منه لاختلاف معنى الحرفين؛ لأنّ الباء الدّاخلة على الموصول للإلصاق، والدّاخلة على الضّمير للسّببية، وإنْ اختلف العاملان لم يجز الحذفُ أيضًا، نحو: مررتُ بالذي فَرِحتَ به، فلا يجوز حذف (به).

٩- سَلَّمْتُ عَلَى الَّذِي سَلَّمْتَ عَلَيْهِ: سَلَّمْتُ عَلَى الَّذِي سَلَّمْتَ.

الحذف هنا صحيحٌ؛ لأنّه دخل على الموصول حرفٌ مثل جارِّ العائد لفظًا ومعنًى، واتّفق العامل فيهما مادةً.

ثم قال السَّائل:

أسئلتي:

١- هل يمكن حذف الظرف مع الضمير العائد في جملة الصلة إذا دخل على الاسم الموصول ظرفٌ، مثل الذي في جملة الصِّلة، كما في الجملة التالية: جانب أيِّ نافذة يجلس أحمد؟ يجلس جانب التي يجلس سمير.

المذكور في القاعدة جرُّ الضَّمير باسم الفاعل للحال أو الاستقبال، وليس بشيء آخر، وجرّ الاسم الموصول بجارّ العائد خاصٌّ بحروف الجرّ، ويبقى أنّ العائد المحذوف هنا ليس منصوبًا، وليس مجرورًا



بحرف الجر، وليس مجرورا باسم فاعل للحال والاستقبال، ومع هذا أرى أن الجملة - مع ركاكتها نوعًا ما - يمكن القول بأنه حُذِف منها ما هو معلوم من السؤال، والمحذوفُ وهو (جانبها) فضلةٌ.

أم يجب أن نقول فقط: جانب أيّ نافذة يجلس أحمد؟ يجلس جانب التي يجلس جانبها سمير.

هذه صحيحة تركيبًا.

٢- هل يمكن حذف حرف الجر أو الظرف مع الضمير العائد في جملة الصلة إذا دخل على الاسم الموصوف بالاسم الموصول حرف جر أو ظرف مثل الذي في جملة الصلة لفظا ومعنى كما في الجمل التالية؟

أولاً: لا دخل للعائد المجرور بالظَّرف في المسألة، فقد حُدِّد ما يجرّ العائد الجائز حذفه، وهو الوصف غير الماضي، وحروف الجر.

ثانيًا: بالنسبة للأمثلة التي ذكرتها:

يَكْتُبُ أَحْمَدُ بِالْقَلَمِ الَّذِي يَكْتُبُ مُحَمَّدٌ.

صحيحة، فدخول حرف الجرّ على الموصوف كدخوله على الصِّفة، وبه، مفهومة من السِّياق، وقد نصّ ابن هشام على دخوله على الموصوف، وأنّه كدخوله على الصِّفة.

جِئْتُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي غَادَرَ أَحْمَدُ.

حسب القاعدة: لا يصحّ حذف العائد هنا، لاختلاف العامل في المجرورين مادةً.

كُنْتُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كُنْتَ.

هذه ركيكة، ولا تدخل تحت القاعدة، فلا بد من ذكر العائد مع ما أضيف إليه؛ لأنّ المضاف غير اسم الفاعل الدّال على الحال أو الاستقبال، وهناك لبس لاحتمال مثل: التي كنت تقطعها، أو غير ذلك.

٣- قال: **لم أجد أمثلة في أيّ كتاب توضح الضمير العائد في جملة الصلة التي تكون خبرا** [تقصد: يكون موصولها خبرًا] **ومبتدؤها ضمير المتكلم أو المخاطب.**

هاك من (الهمع للسّيوطي ١/٢٩٨)؛ إذ قال رحمه الله: «وحكم الضّمير: المطابقة للموصول في الإفراد والتّذكير والحضور وفروعها، ويجوز الحضور والغيبة في ضمير المخبر به أو بموصوفه عن حاضر مقدّم لم يُقصد تشبيهه بالمخبر به، والحاضر يشمل التّكلم والخطاب، نحو: أنا الذي فعلتُ، وأنا الذي فعلَ، وأنتَ الذي فعلتَ، وأنتَ الذي فعل، قال: = أنا الذي سَمَّتْنِ أُمي حَيْدَرَهْ =».

ثم أورد: = وأنْتِ التي حبَّبْتِ كلّ قصيرة =.

ثمّ قال: «ومن أمثلة المخبر بموصوفه: أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنة، وأنت موسى الذي اصطفاك الله. وتقول: أنت فلان الذي فعل كذا. وإنما جاز ذلك لأن المخبر عنه والمخبر به شيء واحد، فهل يختص ذلك بالذي والتي وتثنيتهما وجمعهما. ويتعين فيما عدا ذلك الغيبة، أو لا؟ قال أبو حيان الصواب الأول، قال: وزاد بعض أصحابنا ذو وذات الطائية والألف واللام، وأجازه بعضهم في جميع الموصولات، قال: وهو وهم منه. فإن تأخر المخبر عنه، وتقدّم الخبر تعينت الغيبة عند الجمهور، نحو: الذي قام أنا والذي قام أنت؛ لأن الحمل على المعنى قبل تمام الكلام ممنوع. وجوّز الكسائي عودَه مطابقا للمتكلم والمخاطب



كما لو تقدّم، ووافقه أبو ذر الخشني. وإن قصد تشبيهه بالمخبر به تعينت الغيبة اتفاقا، نحو: أنا في الشجاعة الذي قتل مرحبًا، وأنت في الشجاعة الذي قتلَ مرحبًا [مرحب من فرسان يهود خيبر قتله عليٌّ رضي الله عنه]؛ لأن المعنى على تقدير: مِثْل، ولو صرح بها تعيّنت الغيبة. وأوجب قوم الغيبةَ مطلقا، وأوجبها قومٌ في السعة، [يعني: وجائزةٌ في ضرورة الشعر]. وعلى الجواز بشرطه إنْ وجد ضميران جاز في أحدهما مراعاة اللفظ، وفي الآخر مراعاة المعنى، قال: (نحنُ الذين بايعوا مُحَمّدا = على الجهادِ ما بَقِينا أبَدا)، وقال: (أأنت الهلاَلِيُّ الذي كنتَ = سمعنا به، والأرحبيُّ المعلّقُ)، ومنع الكوفيون الجمع بين الجملتين إذا لم يفصل بينهما نحو: أنا الذي قمتُ وخرجتُ، فلا يجوز عندهم: وخرج، والبصريون أطلقوا. قال أبو حيان: والسّماعُ إنما ورد مع الفصل»، انتهى كلام السُّيوطيّ.

وقال السَّائل: **لكن بعد البحث في الأحاديث الشّريفة والشّعر توصلت إلى نتيجة: الضمير العائد في جملة الصلة يمكن أن يكون موافقا للمبتدأ، أي عائدا على المتكلم أو المخاطب، أو عائدا على الغائب. هل أنتَ الذي أتيتَ أمس؟ نعم، أنا الذي أتيتُ أمس. هل أنت الذي أتى أمس؟ نعم، أنا الذي أتى أمس.**

قلتُ: في كلام السّيوطي تفصيل المسألة، وأمثلتك صحيحة بناء عليه.

وبقية سؤال السّائل: **أنّ نساءً من أهل حمص أو من أهل الشّام دَخَلْنَ على عائشةَ، فقالت: أنتُنّ اللاّتي يدخُلن نساؤُكُنّ الحمّامات؟!، سمعتُ رسُول اللّه ﷺ يقُولُ: «ما من امرأةٍ تضعُ ثيابَها في غير بيت زوجها، إلّا هتكت السِّتر بينها وبين ربّها». نجد في هذه الجملة: أَنْتُنَّ اللاَّتِي يَدْخُلْنَ**

نِسَاؤُكُنَّ الْحَمَّامَاتِ. هل الضمير في (يَدْخُلْنَ) عائد على اللاَّتِـي؟ و هـل (نِسَاءُ) فاعل (يَدْخُلْنَ)؟ فإذا كان ذلك أفلا يجب أن يكون الفعل في صيغة المفرد؟

يُحمل قولها رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا على لغة قليلة وهي لغة أكلوني البراغيث، و(نون) يدخلن علامة تأنيث لا ضمير على رأي فلا يكون رابطا، ونساؤكن فاعل، أو النون فاعل، فتكون هي الرابط، ونساؤكنّ بدل منه، وجعلُ (نساء) فاعلاً، والنون في يدخلن علامة تأنيث، يجعل الكاف هي الرابط بين الصلة والموصول، والانتقال من ضمير الغيبة إلى الخطاب التفات، وجملة الصلة معرفّة للموصول، وهي هنا كذلك، وليست منبتة عنه بفضل الضمير، والنحاة سيرضون كثيرًا لو قالت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: (**أَنْتُنَّ اللاَّتِي تَدْخُلُ نِسَاؤُهُنَّ الْحَمَّامَاتِ**).

ونعتقد أنّ حذف العائد جائزٌ إن لم يرتّب عليه أجنبيةُ جملةِ الصِّلة من الموصول، ومن حذفه لأَمْن اللّبس، المثال المشهور: الذي يقوم أخواك فيغضب هو زيدٌ، فجملة (يقوم أخواك) صلة خلت من العائد، وساغ ذلك؛ لأنه عُطف عليها بالفاء جملةٌ حوت العائد.

ختم السَّائل الكريم بقوله: **أرجو توضيح كل ذلك. وأرجو عدمَ إهمال هذه الأسئلة والإجابةَ قدر الإمكان بسرعة. وجزاكم الله خيرًا، ودمتم عونًا وذخرًا لخدمة دين الله عزّ وجلّ.**

ونقول: جُزيت خيرا على سؤالك واجتهادك، ونرجو ألَّا يكون في الإجابة خطأ أو قصور، وألَّا نكون قد تأخرنا عليك كثيرًا، وإليك فائدة أخرى من (الهمع): «يُغني عن الضّمير العائد اسمٌ ظاهرٌ، حُكي أبو سعيد



الذي رويت عن الخُدري، أي: عنه، وقال: (وأنتَ الـذي في رحمـة الله أطمعُ)، أي: رحمتك، قال الفارسي: ومن الناس من لا يجيز هذا». والله أعلم.

اللجنة المعنيّة بالفتوى

أ.د. سعد بن حمدان الغامدي	**أ.د. عبد الرحمن بودرع**
(عضو المجمع)	**(نائب رئيس المجمع)**

د. عبد العزيز بن علي الحربي

(رئيس المجمع)

٣١. السّائل (أبوسعيد الرُّستمي) :

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

لازال غيثكم هتانًا يسقى اليبابَ وتخضر منه الهضابُ ..

ما قول العلماء الكرام في قول الناس : أستاذ زيد، بدل قولهم : الأستاذ زيد، وهم يعنون زيدًا، لا أستاذًا لزيد، فظاهر التركيب هو الإضافة لا البدلية! أم يصح هذا التّركيب على البدل، فإن صحّ، فهل له شاهدٌ من كلام الله تعالى، أو من كلام نبيه عليه السّلام، أو كلام من يصحّ الاستشهاد بكلامه من العرب، على أنني فيما يظهر لي على قصر الباع وقلّة البضاعة أنّه تركيبٌ دخيلٌ غريبُ الوجه بعيدُ القبول، قد تسلل لواذًا من لغة الأعاجم، أو قل : هو لحنٌ سرى في اللّسان العربي من لوثة التّرجمة التي تولاها مَن وهنت لغته العربية، وأصبحت شوهاء خرقاء على لسانه!

فأفتوني .. وأروني وجه الحقّ حيث بَعُد الصّواب، وانقطع الخطاب.

الجواب :

قد يكون (أستاذ زيد) من قبيل النداء (أستاذُ زيدُ) فيكون (أستاذُ) نكرة مقصودة ولذا بني على الضمّ، و(زيدُ) عطف بيان أو بدل.

وقد يكون في سياق غير النّداء كقولهم جاء (أستاذُ زيدٌ) فلا نعلم له وجهًا في العربية، ولكنهم حذفوا (أل) تخفيفًا وهم يريدونها بدليل تجنب



تنوين الاسم، وهذا قريب من استعمال اللغات الأجنبية كما تفضل السّائل، والصّحيح أن يقال جاء الأستاذ زيدٌ.

والحقيقَة أنّ كثيرًا من التّراكيب التي أقْحِمَت على العربيّة - ولا يد للعربية فيها و لا سَماعَ و لا قياسَ - إنما تسربَت قصدًا أو من غير قصد - وتسللت مع العبارات الأجنبية والمترجماتِ الصحفية الرديئة، أو ورَدَ على لسان العامّة تخففا من حرف التعريف الذي أسقِطَ من لفظ الأستاذ. ولكي تصحّ العبارَة يُمكن أن يُقالَ: يا أستاذُ زيد ، أو أستاذُ زيد، في سياق النداء.

أما في الإخبار فليُقلْ : جاء الأستاذُ زيدٌ، أو هذا الأستاذ زيدٌ، أو مرحبا بالأستاذِ زيدٍ .

والله الموفق للصواب..

اللّجنة المعنيّة بالفتوى

أ.د. إبراهيم الشمسان	**أ.د. عبد الرحمن بودرع**
(عضو المجمع)	**(نائب رئيس المجمع)**

د. عبد العزيز بن علي الحربي

(رئيس المجمع)

٣٢. السّائل (طارق الصّاعدي) :

قال ابن المرحل :

وقد خسأت الكلب أي قلت اخسأِ ليبعد الكلـب وللقـط اغسـأِ

وقد انفرد ابن المرحل بهذه الزّيادة عن غيره ممّن نظم الفصيح، كابن جابر الهواري وابن أبي الحديد، وكذلك الشّراح - ممّن وقفت علـيهم - كابن درستويه واللبلي.

والسؤال : هل روى أحد أنّ القطّ يُزجر بهذه الصِّيغة؟

الجواب :

العجب لا ينقضي من بعض قدمائنا حـين ينشـغلون بأصـوات زجـر الحيوان، مع أن ذلك لا يترتب عليه لبس في دلالة ولا يتعلـق بـه حكـم شرعي، أضف إلى ذلك أن البشر قلما يتفقون على أمثال هذه الزجريـات خاصّة، والأصوات المحاكية عامّة. فصوت الطلقة النارية تحاكى بـ قـاح وقح ودُفي، وصوت الانفجار يحاكى بـ بُم ودُبم، هذا في اليمن فحسب. فكيف بنا لو استقرينا أقطارًا أخرى.

أمّا الهرّ الذي يشتهر بكثـرة أسمائـه: دِم ودِمـي وبِـس وبَسَـم ونَسَـم وعَسَن، إضافةً إلى القطّ، فيزجر بـ بسس بسبس، إمّا بتكرار المقطع، أو بمدّ صوت الصّفير، المهم أن ينزجر.

وأمّا الكلب - وليس له غير اسم واحد - فيزجر بـ جررر، أو قصّ - مضمومة الأول – وبـ كُسّ وحِنِه.

وأمّا الحمار فيزجر بـ كُعُه، مكررةً، أو: تُشُه، أو: حَوحَوحَو مفتوحة الحاءات، ويوجّه بـ مِنمِنمِن، إذا أُريد توجيههُ يمينًا، وبـ شِع، إذا أُريـد توجيههُ شمالاً أو يسارًا.



المهم أن ينفذ التّوجيهات، وهو مطيعٌ دائمًا.

وعلى حدّ علمنا وجدنا القُدماء اقتصروا على: اخسأ، لزجر القطّة.

ويروى عن نحوي يمني: اشترى لحمًا، ووضعهُ في زنبيل، فرأى الهرّةَ قد بدأت تأكل منه، وأراد أن يزجرها، لكنه خشي أن يلحن، أيقول لها: بسًّا، أم: بسٌّ، أم: بسٍّ، لكن الدّمّة لا تعرف النّحو، فجاءت زوجة النّحوي، وصرخت في البسّة: بِسْبِسْبِسْبِسْ، فهربت الهرّة تاركةً اللحم. فقال الزّوج: جزاك الله خيرًا حين بنيتِ الكلمة على السّكون. والله أعلم.

اللّجنة المعنيّة بالفتوى

أ.د.عبّاس السّوسوة
(عضو المجمع)

أ.د. عبد الرحمن بودرع
(نائب رئيس المجمع)

د. عبد العزيز بن علي الحربي
(رئيس المجمع)

٣٣. السّائل (كرار شهريار) :

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

الفعل (عيَّ) هو الماضي، فهل يمكن القول أنّ مضارعه (يعيا) ؟

الجواب :

الفعلُ عَيّ و عَيِيَ في الماضي نحو: عَيّتْ جوابًا وما بالرّبْعِ من أَحـد، و يَعْيا في المضارع نحو قولـه تعـالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣)﴾ [الأحقاف: ٣٣].

عَيِيَ يَعْيا عن حُجّته عَيًّا، وعَيّ يَعْيَـا، والمصـدرُ منـه العِـيُّ - بكسـر العين -، واسم الفاعل منه: عَيٌّ وعَيِيٌ وعَيّانُ، مثل: حيّ و حيِيَ يَحْيا.

اللّجنة المعنيّة بالفتوى

د. عبد الله الأنصاري
(عضو المجمع)

أ.د. عبد الرحمن بودرع
(نائب رئيس المجمع)

د. عبد العزيز بن علي الحربي
(رئيس المجمع)



٣٤. السّائل (أحمد عبد الله) :

السّلام عليكم .. بحثت كثيرًا عن منهج متكامل ومختصر في نفس الوقت لدراسة النّحو والصّرف، فلم أظفر بذلك! فهل من طريقة لذلك ؟ وهل تصلح الألفية لغير المتخصص أم يكفي الآجرومية ومتممتها، أم يكفي فقط قطر النّدي؟

وفي الصرف لم أعثر على منهج محدد.

فأرجو من القائمين علي (مجمع اللغة العربية) مدّ يد العون في إيجاد منهج متكامل ومختصر للإلمام بكافة فروع النّحو والصّرف.

وجزاكم الله خيرًا.

الجواب :

أخصرُ منهج متكاملٍ لدَرس النّحو والصّرفِ، تعلُّمُهما في المَصادرِ على مَراحلَ :

- مرحلة الابتداء، و يُقتصَرُ فيها على بعضِ شروحِ الآجروميّةِ.

- مرحلة تاليةٌ يُنتَقَلُ فيها إلى بعض شروحِ الألفية، وأشهر الشّروح شرح ابن عقيل، وأعلاها شرح الشّاطبيّ.

- أمّا الصّرف فيحسُنُ الابتداء بكتاب شذا العَرف في فنّ الصّرف، للحملاوي، وأيسر منه كتاب (القرعبلانة في فن الصّرف) للدكتور عبد العزيز الحربيّ، ثم الانتقال بعدَه إلى شرح شذور الذهَب، وهو في النحو والصّرف.

فإتقان هذه الكتب المُوطِّئَة يُساعدُ - إن شاء الله - على الاستئناف والتعمق.

و يُنصَحُ بالتماس مَجالس تدريس النّحو والصّرف؛ لأنّ سَماعَ العلم على الشيخ المُتقِن يُساعدُ على التعلّم الجيّد.

والآجرومية متْنًا وشروحًا مُفيدةٌ لمعرفة مَبادئ النحو في صورته المبسَّطَة، والإمساك بأصولِه.

أمّا الإشكالاتُ والمَسائلُ والقَضايا كالتنازُع والاشتغال وتَعليق أشباه الجُمَل وصحّة تَقْدير المَحذوفات .. فإن الاطّلاعَ عليْها وعلى طرُق النحويين في مُعالجتها، يَحتاجُ إلى مستوى ثانٍ من الكتب، مثل: شروح الألفية وبعض حَواشيها، ثمّ شروح المفصّل، ثم شروح الجُمَل ..

فكتُبُ النحو ومَصادرُه ومراجعُه درجاتٌ ومستوياتٌ، وكلّها موضوعةٌ رهنَ إشارةِ المتعلّمِ وتابعةٌ لحاجاته من تعلّم النّحو، والحاجاتُ متفاوتةٌ بين معرفة المَبادئ والأصول، ومعرفة القضايا الكبيرَة التي تُثيرُها بعض الشّواهد، ومعرفة التفاصيل والجزئيات التي لا يستغني عن معرِفَتِها المتخصّص. والله أعلَمُ.

اللّجنة المعنيّة بالفتوى

أ.د. عبد الرّحمن بودرع **(نائب رئيس المجمع)**

أ.د. إبراهيم الشمسان **(عضو المجمع)**

د. عبد العزيز بن علي الحربي

(رئيس المجمع)



٣٥. السّائل (أبو سعيد الرستميّ) :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. يا علماء العربية !!

قد حيك في أحنائي سؤال، وهذا أنا أفضي به إليكم، ولست إخالني أرجع بخفي حنين، وأنا أرد نميركم الشّبّم :

قولنا : (زارني المحبوب ليلاً)، كيف نبنيه للمجهول ؟

ولتبين القاعدة في ذلك، بسط الله لكم ما انقبض من العلم .

الجواب :

زِرْتُ ليلاً.

وفاقًا للقاعدة، وهي أن يضمّ أول الفعل الماضي، ويكسر آخره في الأفعال الصحية، أمّا الفعل الأجوف حسب الصّرفيين؛ فإنّ المشهور حذف حركة فائه، وتقديم حركة عينه، فتسكن العين بعد كسرة، فتعل إلى ياء، فالفعل (زار) وأصله (زَوَرَ) بالبناء للمفعول يكون (زُوِرَ)، ثم (زِوْرَ)، ثم (زِيرَ)، فإذا أسند إلى ضمير رفع متحرك سكن آخره، فحذفت العين لالتقاء ساكنين (زير + ت)، فيصير: زِرْتُ.

ويذكر الصرفيون لغتين أخريين، إحداهما: الإشمام، أي نطق الكسرة بعد فاء الفعل مشوبة بالضّمة، أي: تكون كالضّمة الفرنسية u.

واللّغة الثانية: حذف حركة العين ابتداءً، فتسكن وتعل لسكونها بعد ضمّ، ففي (زَوَرَ) يكون (زُورَ)، وعند الإسناد إلى ضمير رفع متحرك تحذف العين لالتقاء الساكنين، فتصير: زُرْتُ، ويلاحظ أنّ هذه اللّغة تطابق صيغة المسند للفاعل، كما أنّ الفعل اليائي العين مثل (باع)،

تتطابق صيغتا المبني للفاعل (بِعْـتُ)، والمـبني للمفعـول حسـب اللّغـة المشهورة (بِعْتُ)؛ ولذلك أوصى ابن مالك بالعـدول إلى اللّغـة الثّالثـة، فيكون الفعل المسند للمفعول من باع: (بُعْـتُ)، ليختلـف عـن (بِعْـتُ). والله أعلم

اللّجنة المعنيّة بالفتوى

أ. د. إبراهيم الشمسان — **أ. د. عبد الرحمن بودرع**

(عضو المجمع) — **(نائب رئيس المجمع)**

د. عبد العزيز بن علي الحربي

(رئيس المجمع)



٣٦. السّائل (علاء أحمد) :

أرجو التفضّل بشرح العبارة التالية من حيث صيغتها الصرفيّة ودلالتها المعجميّة : « هم خليط كسويقاء المرق »، مع الشكر الجزيل.

الجواب :

نقد عبارة « هُمْ خَلِيطٌ كَسَوِيقَاءِ الْمَرَقِ »

إذا اختلط الناس كرامهم ولئامهم قال العرب في جاهليتهم: «هُمْ كَبَيْتِ الْأَدَمِ»، ثم قالوا في إسلامهم: «هُمْ كَنَعَمِ الصَّدَقَةِ».

وقد بقي قَوْلاهم، واستمرّا في أمثالهم، حتى تشاغلوا عن بيت الأَدَم ونَعَم الصَّدَقة كليهما جميعا، بِبَيْتِ الإِسْكَاف في قولهم: «بَيْتُ الْإِسْكَافِ فِيهِ مِنْ كُلِّ جِلْدٍ رُقْعَةٌ!».

ثم جاء في القرن الميلادي العشرين محمود المسعدي الأديب التونسي، فأعرض عن ذلك كلّه، إلى قوله بروايته: «حدّث أبو هريرة قال: ... كَسَوِيقَاءِ الْمَرَقِ»، الذي شاع في المُتَأَدِّبين ولا سيما التونسيون، شيوعَ روايتِه نفسِها، وقد شبه فيه أولئك المختلطين بمدقوق الحنطة والشعير المَسْقِيِّ بالمرق أو المغموس فيه، وفيه من التشبيه إيحاءُ التركيب الغريب!

أمّا كلمة «المَرَق»، فقديمة مكينة في نظام الكلمات العربية، تَتَصَنَّفُ من قسم الأسماء، فيما على «فَعَل»، المنقول عن صفةٍ بمعنى «مَمْرُوق=مَفْعُول»؛ إذ المرقُ هو الماءُ الذي أُغْلِيَ فيه اللحمُ حتى صار دَسِمًا، ولن يصير كذلك حتى يَستخرج من اللحم دَسَمَه. وفي متن العربية: مَرَقْتُ الإهابَ من البَدَنِ والصِّبْغَ من العُصْفُرِ، إذا أَخْرَجْتَهما.

وأمّا كلمة «سَـويقاء» فمـن طرائـف المسـعدي، ينبغـي - لـو كانـت صحيحة مكينـة - أن تتصـنف مـن قسـم الأسمـاء، فيمـا علـى «فَعِيلَاء» الثلاثي المزيد بثلاثة أحـرف، وهـو قليـل نحـو: عَجِيسـاء (اسـم مشـية بطيئة)، وقَرِيثَاء (اسم ضَرْبٍ من النخل).

ولكنها لَحْنٌ مقصود، أراد بـه المسـعدي الإيحـاء المطلـق مـن قيـود الإلف والتقدير، صوابه القديم المكـين هـو «سَـوِيق» (طعـام يتخـذ مـن مـدقوق الحنطـة والشـعير)، علـى «فَعِيـل» المنقـول عـن صـفة بمعـنى «مَسُوق=مَفْعُل (مَسْوُوق=مَفْعُول)»، لانسياقه في الحلق، كأَكِيـل بمعـنى مأكول. والله أعلم.

اللّجنة المعنيّة بالفتوى

أ.د. محمّد جمال صقر (عضو المجمع)

أ.د. عبد الرحمن بودرع (نائب رئيس المجمع)

د. عبد العزيز بن علي الحربي (رئيس المجمع)



٣٧. السّائل (ساري) :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

«أثنيتم عليها شرًّا» .. هل استخدام كلمة الثَّناء في السّوء والشّر سائغ في حياتنا العامّة ؟ حيث إنّ ما اعتدنا عليه : أنّ الثَّناء لا يكون إلّا بالخير، مع شكري وتقديري مقدّمًا.

الجواب :

معنى الثَّناء

الثَّناءُ ممدودًا مع فتح الثّاء المثلثة: هو الذِّكْر مطلقًا، ولكنه غَلَب على ما يوصَف به من مدح أو ذمّ على السّواء، يقال: أثنى فلان على فلان خيرًا، وأثنى فلان على فلانٍ شرًّا، واحتاج إلى التّميز الذي هو (خيرًا) أو (شرًّا)؛ لأنه في الأصل عامّ يدل على مجرد الذّكر والوصف.

فإذا أفْرِد بلا تمييز غلب على المدح، فيقال: أثنى فلان على فلان، بمعنى مدحه وذَكَرَه بخير، فإذا أُريد الذم قُيِّدَ بالتّمييز؛ فيقال: أثنى فلان على فلان شرًّا، بمعنى ذَكَره ووصفه بشرّ، فإذا قُرِن المدح والذّم في سياق واحد لزم أيضًا تقييد كلّ واحد بتمييزه، كما جاء في (صحيح البخاريّ): من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: مَرُّوا بجنازةٍ، فأثنوا عليها خيرًا، فقال النّبيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ»، ثم مرُّوا بأخرى، فأَثْنَوْا عليها شرًّا، فقال: «وجبت»، فقال عمر: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النّار، أنتم شهداء الله في الأرض».

فقيَّد الثّناء بالتّمييز المناسب؛ لأنه استعمله للمدح والذّم معًا في سياق واحدٍ، ولو أطلقه لانصرف إلى المدح وحده، ولذلك ظنّه كثيرٌ من الناس لا يقال إلّا مرادًا به المدح، والصّواب كما ذُكِر. والله تعالى أعلم.

اللّجنة المعنيّة بالفتوى

د. عبد الله الأنصاريّ	**أ.د. عبد الرحمن بودرع**
(عضو المجمع)	**(نائب رئيس المجمع)**

د. عبد العزيز بن علي الحربي

(رئيس المجمع)



٣٨. السّائل (أمل الإسلام) :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته . .

أثابكم الله على اهتمامكم باللّغة، وحرصكم عليها، لكنّي أودّ طرح عدّة أسئلة، هي كالتالي :

- هل كلمة (فلوس) فصيحة، أم لا ؟

- معنى رُبّ، في حديث الرّسول ﷺ : «رُبّ مبلَّغٍ أوعى من سامع»، هل رُبَّ هنا للتّقليل، أم للتّكثير؟

الجواب :

تحريرُ القولِ في الإجابةِ عن سؤالِ الفلوس، وهل هي كلمةٌ عربيّةٌ صحيحَةَ ؟

الفُلوسُ: جمعُ كثرةٍ للفلْس، أمّا جَمعُ القلّةِ؛ فهو: أفلُس، والفلْس: النّقْد، من النُّقودِ، والفَلَس بالتَّحْريك: عَدَمُ النَّيْل، وأفْلَسَ الرجلُ: صار ذا فُلُوس، بَعْدَ أَنْ كَانَ ذَا دَرَاهِمَ وَدَنَانيرَ، فهو مُفْلِسٌ، والجمع: مَفاليسُ، وحقيقتُه الانتقالُ من حالة اليُسر إلى حالة العُسر.

ويُسْتَعْمَلُ مَكَانَ افْتَقَرَ؛ أفلَسَ صار مُفْلسًا لا يملكُ فلسًا، وصارَ إلى حال ليسَ لَه فُلوسٌ، كما يُقالُ: أقْهرَ: إذا صارَ إلى حال يُقهَرُ عَلَيْه، وأحصَدَ الزرعُ: صارَ ناضجًا قابلاً للحَصاد؛ لأنّ صيغةَ «أفْعَل» تدلُّ على الصّيرورة.

والفلْسُ: أقلّ قيمةً من الدّرهم والدّينار، يُقال: فلانٌ لا يَملكُ فلسًا، أي: لا يملكُ أقلّ المالِ.

والغالبُ على اللّفظ أيضًا: أنه يدلّ على قطعٍ بيضاءَ فضّيّةٍ، كفُلوسِ السّمَك، أي: حرْشَفه وقشرُه الذي على ظهرِه، وفُلوسِ الرِّصاصِ التي يُزيَّنُ بها، ويُطلَقُ على الزُّيوفِ، أي: النُّقودِ الزّائفَة ..

فالجوابُ عن سؤال السّائل، أنّ كلمة: «فلوس» صحيحة فصيحة، للدّلالة على معنى من المعاني المشار إليها أعلاه، إذا وَرَدَت في السِّياقِ المناسبِ.

معنى (رُبّ)

تستعمل (رُبّ) مرادًا بها الإخبار عن عددٍ مُبْهَمٍ، ولا تدلّ بنفسها على قلّة العدد ولا كثرته، ولكن يُفهم كونه كثيرًا أو قليلاً من السِّياق والقرائن المصاحبة، وعلى هذا: تُخرج جميع النّصوص الواردة فيها.

ولأجل هذا أيضًا: اختلفت تفسيرات النّحويين لدلالتها، فذهب جمهورهم إلى أنّ الأصل فيها: الدّلالة على التقليل، وهم عامّة المتقدمين، وذهب عامّة المتأخرين إلى أن الأصل فيها: إفادة التكثير، ورأت طائفةٌ من محقّقي النّحاة: أنها تفيد القليل والكثير بحسب ما يُفهم من سياقها، والغرض منها.

وهذا هو اللائق بما ورد فيها من نصوص، كقول العرب: «رُبّما خان الأمين»، و: «ربما سَفِهَ الحليم»، والمعنى: أنّ هذا يقع منهما قليلاً؛ لأنه خلاف الأصل، ومنه قولهم عند المدح: «رُبّه رَجُلاً!» أي: ما أقلّ نظراءه! لأنّ الرّجل لا يُمدح بكثرة النظراء.

ومن المعاني ما لا يليق به إلّا التكثير، مثل المبالغة، والْحَضّ، والتعظيم، والوعد، والوعيد، والافتخار، ونحو ذلك، فإذا جاءت



(رُبّ) في سياق أحد هذه المعاني عُلِم أنّها للتكثير، ومن ذلك هذا الحديث الذي ورد في (الصحيحين) وغيرهما: عن بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خَطَبَنا النَّبيُّ ﷺ، فقال: «لِيُبلِّغ الشاهدُ الغائبَ، فَرُبّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِن سَامِعٍ».

والحديث ورد بألفاظ متعددة، يوجد لفظ الشاهد في أكثرها، و(رُبّ) فيه للتكثير؛ لأنه في مَعرِض الحضّ على الإبلاغ، وحَمْلِ السّامعين عليه، وذِكْر أهميته وأثره، وهذه أغراض لا تكون بالتّقليل، ولا يليق بها.

والواقع يشهد بهذا، فالحديث يدلّ على أن الله تعالى سيفتح على كثير ممّن يُنقَل إليه العلم، فيبرع فيه أكثر ممّن نقله إليه، ويدلّ ذلك على ما ظهر من المستنبطات والمستخرجات التي استُفيدتْ، ويكتشفها الناس ويفهمونها من أقوال الرّسول ﷺ في كلّ عصر.

و(رُبّ) هذه المستعملة للتكثير هي المرادفة لـ (كَمْ) الخبرية التي معناها الكثرة - وقد صرّح سيبويه بذلك - ولذلك تُستعمل إحداهما مكان الأخرى، كما قال عمارة بن عقيل:

فإنْ تكن الأيامُ شَيَّبْنَ مَفْرِقي ... وكَثَّرْنَ أشجاني وقَلَّلْنَ من غَرْبِي

فيا رُبّ يومٍ قد شربتُ بمَشْرَبٍ ... شَفيتُ به غَمَ الصدى باردٍ غَرْبِ

وكمْ ليلةٍ قد بِتُّها غير آثمٍ ... بِشاجيَةِ الحِجْلَيْنِ مُنَعَّمَةِ القَلْبِ

فأخبر عن كثرة الأيام واللّيالي التي فعل فيها ذلك، واستعمل (كَمْ) و(رُبّ) للمعنى نفسه، ووقوع (رُبّ) مرادفة لـ(كَمْ) الخبرية هذه، المتفق على أنها للكثرة، مع ورودها في سياق الافتخار وإظهار التعدد دليلٌ

واضحٌ على عدم دقة مَنْ يمنع ورودها للتكثير، ونظير هذا قول امرئ القيس:

فيا رُبّ يومٍ لك منهنّ صالحٍ ولا سيما يومٌ بدارَةِ جُلْجُلِ

والله تعالى أعلم.

اللّجنة المعنيّة بالفتوى

د. عبد الله الأنصاريّ **أ.د. عبد الرحمن بودرع**

(عضو المجمع) **(نائب رئيس المجمع)**

د. عبد العزيز بن علي الحربي

(رئيس المجمع)



٣٩. السّائل (بديع الزّمان) :

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. أتوجّه إلى السّادة الأعضاء بسؤال : هل يمكن معرفة المسائل التي ذكرها ابن تيمية في ردّه على أبي حيّان : أنّ سيبويه أخطأ في ثمانين مسألة . . أرجو الرّدّ، ولو بالإجمال.

الجواب :

أشكر لك - أخي السائل - إذ جعلت للمسؤول سَعةً في أن يجيب، ولو بالإجمال .. وقد أحيل سؤالك إلى غير واحد من الأعضاء فلم يعثروا على جواب، وحُقّ لهم ذلك ، فإنّه لا وجود لهذه المسائل في شيء من المصادر، وإلّا لطار بها محبوه، وجعلها النّحويون من بعده شغلاً شاغلاً.

والذي أظنّه - اجتهادًا - أنّ ما قاله ابن تيمية في ذلك المجلس نوعٌ من المبالغة بسبب ما طُبع عليه - رحمه الله - من حِدّة ، وليست من باب الكذب، فإنّ أصل الخطإ - في كتاب سيبويه وكتب غيره - موجودٌ، ولكنّ تحديد تلك الأغلاط بثمانين أو مئة هي من باب قولهم: عاتبتك مئة مرَّة، وكلمتك ستّين مرَّة، واذهب في ستّين داهية، والمراد: داهية واحدة، أو دواهي كثيرة.

ولم يزل العلماء يستدركون على سيبوبه ويخطئونه، مع إجماعهم على جلالة قدره وإمامته، وكون كتابه إمامًا للنحاة، ومنهاجًا يسار على طريقه، والواجب علينا: التماس العذر لمن لا نعلم تعمّده الخطأ والإصرار على المكابرة، كما يجب علينا: أن نعرف قدر أهل العلم، ولا نغضي من قدر أحد من أجل أحد، فشيخ الإسلام - وإن كان من أئمة الدّين الذين ندر في علماء المسلمين مثلهم - لا يبلغ علمه بالنّحو

منزلة أبي حيَّان، الذي تشهد له مصنفاته بخدمة العربية أكثر حياته، وشيخ الإسلام لو أفنى عمره فيما أفنى فيه أبو حيان حياته لكان أعلم منه وأنحى، ولكنه كان مشاركًا في علوم الإسلام، مشتغلاً بالإصلاح، والتّجديد، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والرّدّ على أهل البدع، وتصحيح العقائد، وإفتاء الناس، والجهاد في سبيل الله، ونُفي وسُجن وعودي في سبيل الحقّ من أهل العلم المخالفين له في زمانه ومن غيرهم ..

وليعذرني السّائل على هذا الجواب العاجل عن سؤاله، الذي لا أظنّ أن يستطيع أحدٌ أن يجيب عليه جوابًا مفصَّلاً، يذكر فيه تلك المسائل المشار إليها، والله أعلم.

د . عبد العزيز الحربي



٤٠ . السّائل (محمد عبد الكريم) :

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. ما الفرق بين التمهيد والمدخل والتوطئة في البحوث العلمية، وجزاكم الله خيرا

الجواب :

وعليكم السّلام ورحمة الله وبركاته ..

أخانا الكريم محمد عبد الكَريم .. من خَصائصِ البُحوثِ الطّويلَةِ والمؤلّفاتِ والتّصانيفِ أنّها لا تُدرَكُ مَقاصدُها وأهدافُها، ولا تُفهَمُ في سياقِها على الوجه المُرادِ إلاّ إذا قُدِّمَ بين يديْها بمقدّمَة أو تمهيد أو مدخلٍ أو توطئةٍ أو غير ذلك من المَداخل والمَوالجِ المَشهورةِ في هذا البابِ، حتّى يتمكّن القارئُ من بُلوغِ مَرامِ الكاتبِ.

وتَدورُ في مُقدّماتِ هذه البُحوثِ والمؤلّفاتِ جملةٌ من المُصطلحاتِ المختلفةِ، تتّفقُ أحيانًا في المَعنى وإن اختَلَفَت لفظًا، أو تختلفُ لفظًا ومَعْنىً؛ فمن هذه المصطلحاتِ:

١- **المَدْخَلُ**، وهو البابُ الذي يُدْخَلُ منه إلى البحث، كأنّ البَحثَ بناءٌ أو دارٌ، لَها بابٌ للدّخول، فإن لم يُصنَعْ لَها مدخلٌ فلا سَبيلَ إلى دُخولها ومعرفةِ باطنها، وقَد يعني المَدخلُ الطّريقةَ والمنهَجَ، نحو قولهم: فلانٌ حسَن المَدْخَل والمَخْرَج، أَي: حَسَن الطريقة محمودُها، وكذلك هو حَسَن المَذْهَب.

فمعرفةُ المَنهج والطّريقةِ مدخلٌ إلى البحث؛ وذلكَ لأنّ المدخَلَ الأوّل يتألّفُ من عناصر الموضوع الكبرى وطريقةِ تَناوُله ...

٢- **التّمهيدُ**، من: المِهادِ، وهو: الفَرْشُ الوَطيءُ السّهلُ الذي يُبسَطُ، والتّذليلُ الذي يُعقَدُ للبَحث، ويُستعانُ به عليْه للانخراطِ فيه، والانتقال من خارجه إلى باطنه، وهو للبحث كالرِّكاب للرّكوبَةِ، فيُتصوّرُ أنّ البحثَ ذو علوّ وارتفاع، ولا يُتمكّنُ من معرفةِ ما بداخلِه إلَّا بما يُذلّلُ صُعوبةَ البُلوغِ، ويُوطِّئُها، فالتّمهيدُ تَمكينٌ.

٣- **التّوطئةُ**، توطئةُ الفراشِ تَسهيلُه وَتهييئُه، والوَطيءُ من كلِّ شيءٍ: ما انخَفَضَ وسهُلَ ولانَ، وتَوطئةُ البحثِ: العتبةُ التي تطؤُها رِجْلُ الدّاخِلِ قبلَ الوُلوجِ، فالتوطئَةُ: مَوْطئُ قَدمِ الدّاخلِ إلى الكتاب، ومُقتَحِمِ عالَمِه الباطِن.

وأنت ترى ههنا: أنّ هذه المصطلَحات تتفقُ دلالاتُها في نصيبٍ من المَعْنى، فهي جَميعًا تَعْني مَوالجَ الكتابِ ومَداخلَه ومُقدّماتِه التي تُعرّفُ ببواطنه، ولا يُعقَلُ أن يتسوَّرَ القارئُ حائطَ الكتابِ ما دامَ الكاتبُ قد أعدّ له مدخلاً.

ومن باب التّذكير: أنّ عُلَماءَ الفقه والنّحو والكَلام والأصول .. استعمَلوا هذه المُصطلَحات في عناوين كتبهم، و جَعَلوا كتُبَهُم هذه تمهيداتٍ وتوطئاتٍ ومُقدّماتٍ ومَداخلَ للعلم الذي صَنّفوا فيه، فمن ذلك:

- التوطئة في النحو والصرف، لأبي علي الشّلوبيني الإشبيلي [ت ٦٤٥هـ]، المشهور بشارح (الجزولية الكبير)، تحقيق: د. يوسف المطوع، ١٤٠١ = ١٩٨١.



- الموطّأ ، لإمام الأئمة وعالِم المدينَة، الإمام مالك بن أنَس، علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- المقدمة في الأصول، لأبي الحسَن المالكي، تحقيق: محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ١٩٩٦م
- المقدمة لابن خلدون، دار المعارف، تونس، ٢٠٠٠م.
- مقدمة ابن الصلاح في عُلوم الحَديث، تحقيق صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٩٥م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البرّ النَّمَري الأندلسي، مجموعة من المحققين، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، من عام ١٣٨٧ حتى عام ١٤١٢م.
- التمهيد في تَخْريج الفُروع على الأصول، للأسنويّ، تحقيق: محمد حسَن هيتو، مؤسسة الرسالة/الشركة المتحدة-بيروت.

اللّجنة المعنيّة بالفتوى

أ.د. عبد الرّحمن بودرع **أ.د. سعد بن حمدان الغامدي**

(نائب رئيس المجمع) **(عضو المجمع)**

د. عبد العزيز بن علي الحربي

(رئيس المجمع)

٤١ . السائل (أحمد بن إسماعيل) :

لدينا في أفريقيا كلمات نجدها في لغتنا من الكلمات العربية، وأحبّ أن أجمعها وأدرس العلاقة بين هـذه الكلمـات ودلالاتهـا، مثـل : كلمـة (واجب)، و(فرض عين) . . إلى آخره.

الجواب :

اللّغة العربية أمّ ودُودٌ وَلودٌ، وقد قيـل: إنهـا أم اللّغـات، وعطاؤهـا لأخواتها من بنات سام لا يحدّ ولا يعدّ، وأكثر من نصف الألفاظ العبرية هو عربيّ، ولا غرابة في ذلك ولا نكارة، كمـا أنـه لا نكـارة أن يقتـرض منها أبناء حام ألفاظًا وجمـلا وصـيغًا وأسـاليب، ولم يـزل ذوو اللّغـات المختلفة تتلقّف آذنهم ما يروق لها، وقد يشيع ذلك حتى يصبح لفظة في قاموس ذلك اللّسان، معروفَ الأصل أو منسيَّه، فإن آذان المستقبلين لما يسمعون تنفـذ الألفـاظ إلى أذهـانهم مـن خـلال آذانهـم بـلا استئذان، ولا ينتظر أصحابها أن تأذن لهم المجامع، فإن تعلقت الكلمات بمصلحة في حياتهم أو تجارتهم كانت ألصق من ريشٍ على غِراء، ومن قـارٍ علـى جدار.

ولم تزل اللّغة العربية على سعتها تأخذ وتعطي، غير أنها تمتاز علـى غيرها بأمرين:

أحدهما : أنها تعطي أكثر مما تأخذ.

والثاني: أنّ ما تأخذه تحفظه على أنه دخيل عليها، بحيث يدرك أهلها ويعرفون أصله وفصله.



وسرّ عطائها المدرار: أنها لغة الإسلام الذي شاع في تلك البلدان، ومنها: أفريقيا، فكان لسكان البلاد فيها انجذاب إلى هذا الدّين الحقّ بكتابه وسنته.

وفي كثير مما يحتاجون إليه في عبادتهم ومعاملاتهم وعقودهم ألفاظ شرعية، والقرآن آيات بيناتٌ في صدور الذين أوتوا العلم منهم، وكذلك الكلم الطيّب النبويّ، وقد ظفرت ببحث نفيس للدكتور مصطفى حجازي، عنوانه: **(ظواهر صرفيّة مشتركة بين اللّغة العربية والهَوسا)**، جمع فيه كثيرا من الأمثلة، فقد كان للحراك الثقافي والدعوي أثر بالغ في تسلّلٍ كلمات كثيرة في آذانهم، واحتاج ذلك اللّسان الأعجميّ أن يقترض ألفاظًا من العربية على ما هي عليه أو مع حذف أو زيادة أو إبدال، لا سيما الألفاظ الشرعية، نحو: «الله أكبر، والحمد لله، وإن شاء الله»، وكذلك العبارات الدّالة على رسوخ حضارة الإسلام، نحو: «بيت المال، ودفتر الخراج، والبحر المالح، والبحر المحيط، ومثقال ذرّة، وسلس القياد»، فهذه الألفاظ وغيرها كثير يلفظون بها كما هي في العربية، بما يناسب لهجتهم وصوتهم، أو مع تغيير يسير.

هذه لمحة من الرّشح المسكيّ لابنة الضاد .. ولعلك يا أحمد توفي بالجمع والدّراسة، فتتحفنا بما انتهيت إليه.

اللّجنة المعنيّة بالفتوى

د. عبد العزيز الحربي
(رئيس المجمع)

أ.د. عبد الرحمن العارف
(عضو المجمع)

د. عبد الرّحمن بودرع
(نائب رئيس المجمع)

٤٢ . السّائل (شهاب) :

السّادة أعضاء المجمع المحترمين . . نرجو من سيادتكم توجيهنا وإرشادنا، فنحن نسأل عن طه حسين، كيف تقييمكم له؟ وهل نقرأ له؟

فقد سمعنا من يحذر منه ومن فكره .. نرجو الإفادة، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب :

الحقيقةُ أنّ الدّكتور طه حسين - رحمه الله - بدأ حياتَه العلميّةَ متحمّسًا لآراءِ أساتذته المستشرِقين، فشكَّ في الشّعرِ الجاهليّ، وذكَر أنّ أكثرَه مَنْحولٌ وَضعَه الوَضّاعون، وتوسّل في شكِّه بمنهج "ديكارْت" وفلسفتِه، التي كانَت مطيّةَ المثقّفينَ الجُدُدِ الذين ثاروا على الأزهَر ومناهجه وشُيوخه، وألّفَ عقبَ حملتِه هذه كتابَه الأوّلَ: (في الشّعر الجاهليّ)، فأثارَ به زوبَعةً وفتنًا؛ لأنّه سلّطَ منهج الشّكّ على قيم الأدب والتّراثِ كلِّها، و في ذلك هَدمٌ للقِيَم وتَمْهيدٌ للطّعنِ والمَحْوِ، ولكنّ عُلَماءَ الأزهَرِ تصدّوا لَه وبيّنوا تَهافُتَ حُجَجه وأدلّتِه، التي غلَبَ على أكثرِها الظّنّ على اليقينِ والنّظَرُ على النّقل، فتَراجَعَ عمّا كتبَ وعدّل في فُصولِ كتابه، فأصبح: (في الأدب الجاهليّ)، وإن لم يَسْلَمْ هذا الكتابُ نفسُه من أنْفاسِ الشّكِّ الجامحِ الذي يطعنُ على قيمِ الأمّةِ، ولكنّ الأستاذَ كانَ كلّما تقدّمَ به السّنُّ تراجَعَ عن بعض ما كانَ يزعُمُه يقينيّاتٍ في منهجه الشّاكِّ.

غير أنّ حديثَه عن الأدب في كتابه الثّاني، وفي (حديثِ الأربعاء، ومن حديث الشّعر والنّثر، ومُستقبَلِ الثّقافَة في مصر)، وغيرِ ذلك: هل أتى بجديدٍ يُحسَبُ له حسابُه، ويُعدُّ إضافةً نوعيّةً وكَشفًا في تراثِ الأمّةِ؟

الحقيقةُ: أنّ كبارَ الرّواةِ ونُقّادِ الشّعر العربِ القُدامى كابنِ سَلاّم الجُمَحيّ والأصمعيّ وأبي عَمرو بن العلاء وغيرهِم، تركوا لنا مُصنّفاتٍ ما زالَ الناسُ يَرجِعونَ إليْها في تعديلِ الرّواةِ، رواةِ الشّعرِ، وفي الموازنَةِ بين الأشعارِ، وفي نسبَةِ الأقوالِ إلى قائليها، وفي معرفة صحيحِ الشّعرِ من مَنْحولِه وحقيقيِّه من زائفِه، فماذا أضاف د. طه حسين؟

أضافَ أسلوبًا مبسّطًا مُغريًا سلسًا عذبًا ساحرًا يأخذُ بألبابِ القُرّاءِ الشّبّابِ المُعاصِرين.

غير أنّ كثيرًا من الباحثين المُحدَثين يأبى إلاّ أن ينسبَ إلى د. طه حسين أنّه جَدَّدَ في مناهج البحثِ في الأدب، فأدخَلَ المنهج التّاريخيّ، ونسبوا إليْه أيضًا: التّجديدَ في النّقد الأدبيّ، وفي الثّقافَة العربيّةِ على وجه العُموم.

وهناك مَراجعُ كثيرةٌ يُمكنُ اعتمادُها للتّوسّع، ننتقي منها ما يلي:

طه حُسيْن في ميزانِ العُلَماءِ والأدباء، أعدّه وقدّم له وعلّقَ على ما فيه: محمود مهدي الإستانبولي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، والكتاب في ثلاثٍ وسبعينَ وستّمائةِ صفحة، وقد ضمّ هذا الكتابُ بين دفّتَيْه ما كتَبَه النّقّادُ والأدباءُ والعلماءُ عن د. طه حسين من مُعاصِريه، ومَن جاءَ بعدَه مثل: مصطفى صادق الرّافعيّ، وعبد القادِر المازنيّ، ومحمد الخضر حسين، وعباس فضلي، وأنور الجندي، ومنير نصيف، وفؤاد حسنين علي، ومحمد الدسوقي، وأحمد محمّد جَمال، ومحمد محمد حسين، وحسن البنا، ومحمد أحمد الغمراوي.

أمّا النّصّ الذي تعرّضَ فيه عبد القادر المازني لنقد طه حسين فعنوانُه: (طه حسين في ميزان التّشكيك، تحقيق شخصيّته بطريقتِه)، (ص ٣٣٧-٣٤١): وسياقُ كلام المازنيّ هو حوارٌ جمعَ بينه وبين عبّاس محمود

العقّاد - رحمهم الله جميعًا - تذاكرا فيه (حديث الأربعاء) وصاحبَه، واستطْرَدا إلى طريقتِهِ في البحث والتّحقيق العلميّ، فقال الأستاذ العقّاد: «عن أيّ شيْء يُسفرُ البحثُ يا تُرى، لو نسجْنا على منوالِ الدّكتور فيما كتَبَه عن المجنون؟ إنّه لا يَبْقى منه شيْءٌ، كَما لم يُبْقِ هو شيْئاً من المَجنون».

قال المازنيّ: «والحقَّ أقول: إنّ مُقترَحَ العقّادِ راقَني ...»، ومَضى المازنيّ في افتِراضِه الممتعِ الذي طبّقَ فيه منهجَ الشّكّ الدّيكارتيّ على طه حسين نفسِه، وانتهى به المَطافُ إلى إنكارِ الطّريقَة التي تناول بِها د. طه حسين عددًا من الشعراء والأدباء القدماء.

و قد جاءَ بعدَ هذا المقالِ المُشارِ إليه أعْلاه، أي: (طه حسين في ميزان التّشكيك، تحقيق شخصيّته بطريقتِه)، (ص ٣٣٧-٣٤١) مقالٌ قريبٌ منه، عنوانُه: (طه حسين بمنهجِ ديكارت)، كتبَه الدّكتور محمّد أحمد الغمراوي، (ص: ٣٤٢)، خرَج فيه الكاتبُ بنتيجةٍ مفادُها: أنّ طه حسين زَعَمَ لنا في كتاباتِه حول الشعراء والرّواةِ القُدَماءِ: أنّه سيطبّق منهج الشّكّ الدّيكارتي في بحثِه، ولكنّه لم يُبيّن لنا شيئًا من هذا المنهج، بل حادّ عن كلّ منهج إلاّ طريقِ الإنكارِ والسّلبِ، و أنّه لم يكن يَدْري تمامًا المنهجَ الذي سيسلُكه في بحثِه، والحيادُ عن كلّ منهجٍ في البحثِ لا يُعدّ منهجًا.

اللّجنة المعنيّة بالفتوى

أ.د. عبد الرّحمن بودرع (نائب رئيس المجمع)

أ.د. عبد الرحمن العارف (عضو المجمع)

د. عبد العزيز بن علي الحربي
(رئيس المجمع)



٤٣ . السّائل (السّيوطيّ جلال الدّين) :

أتوجّه بسؤال لعضو (مجمعكم) : سعادة الأستاذ الدكتور صادق أبو سليمان :

سمعتُ عن دراسة للدّكتور/ عبدالصبور شاهين - رحمه الله - يقول فيها : إنّ أدباء العصر الحديث - كطه حسين والرافعيّ والمازنيّ والعقاد - لم تشتمل لغتهم إلا على نصف العشر من ألفاظ اللّغة العربية، وسؤالي : كيف يمكن أن تكون هذه الدّراسة؟ وهل هي تقريبية ؟

الجواب :

للإجابة عن السّؤال فإني أستعين الله - عزّ وجلّ - فأقول:

مدخل الإجابة :

أوّلاً- كان بودي أن يذكر السائل الكريم عنوان الدراسة التي ورد فيها ما يقول: إنّه سمعه عن دراسة للدّكتور الفاضل عبد الصبور شاهين.

ثانيًا- الدّراسة العلمية الموضوعية لا تؤخذ أقوالها أو نتائجها بالسّماع عن ...، فلا بد للدّارس من تحري النّصوص في مظانّها الأصيلة ليكون مطمئنًا من صحة ما سينقله للناس.

ثالثًا- إذا كان السّماع أو الرّواية من مصادر البحث العلمي أيضًا، فهذا يتطلب التّعريف بمَن سمعنا أو روينا عنه، أو: ذكرَ اسمه على الأقل؛ فهناك ثقات، وهناك غير ثقات.

الإجابة :

أرى أن هذا التقدير العددي المنسوب للأستاذ الفاضل الدكتور عبد الصبور شاهين مجازيٌّ ليس غير؛ لأنَّه من الصّعب إحصاء مفردات

اللغة، ولاسيما اللغة العربية ذات التاريخ العريق، والعلاقات المتشابكة مع لغات أمم العالم، ولا أظن أن نتيجةَ ما نُسِب من قولٍ للفاضل الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين قائمٌ علَى ما أسميه «المنهج الاستقرَحصائي»[(١)].

يأتي هذا التقدير المجازي - كما أرى - تدليلاً من الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين (١٩٢٩-٢٠١٠م) على أنّ اللّغة لا يملكها فردٌ، أو جماعةٌ معينة من الأفراد تنتمي إلى بيئة معينة، أو تخصص عينِه، أو حرفةٍ عينِها، أو مزاجٍ عينه؛ فلكلٍّ من هؤلاء كمٌّ خاصٌّ به يملكونه من اللغة، واللغة أو اللسان العامّ للأمّة يتكون متْنُهُ من مجموع إنتاج أفرادها وجماعاتها وبيئاتها وتخصصاتها ... إلخ؛ فاللغة - كما جاء من أوصافها - في كتابات الأدباء والمفكرين والفلاسفة وعلماء اللغة وغيرهم، هي: البحر أو المحيط الذي لا يمكن لفردٍ أو جماعةٍ الإحاطةُ بها، إلا وحيًا من الله عز وجل. والله سبحانه تعالى أعزّ وأعلم.

أ.د. صادق عبد الله أبو سليمان

عضو المجمع

(١) كلمة (استقرحصاء) نحتناها من كلمتي (استقراء) و(إحصاء)، والإحصاء - كما هو معروف - يأتي بعد الاستقراء، ويقدّم نتيجة علمية دقيقة لكميته.



٤٤ . السّائل (محمد مهيوب) :

لديّ عدد من المسائل .. منها : سؤال عن الدّورات المكثفة في اللّغة وغيرها، سمعتُ أنّكم لا تؤيدونها ؟

الإجابة :

تركتُ بعض أسئلتك، وأقرب سؤال يصلح أن يشغل بجوابه هذا الخير في سؤالك عن الدَّورات المكثفة، وسماعك أنّي لا أؤيّدها سماعٌ صحيحٌ من حيث الجملة، وأمّا التّفصيل: فاعلم أن كثيرا من طرق التعليم والتلقين التي يسلكها المعلمون اليوم ليست طرقا مستقيمة، لا سيَّما علوم الشريعة والعربية، ومنها: ما يُسمّى بالدَّورات المكثفة، وأعني بها: تلكم الدّورة التي تعقد في يوم وليلة، أو يوم وبعض يوم، في علم من العلوم القوية، كالنحو والبلاغة وأصول الفقه، هكذا بهجوم فاتك على أذهان الطّلبة الشّاردة، وفي هؤلاء الطّلبة: الصّغير في سنه وعلمه وتحمله، وفيهم: من لم يسمع إلا بألفاظ مرّت في دراسته، أو بعض حِلّق العلم، وفيهم الذكيّ والغبيُّ.

فأمّا الغبيُّ فيزداد غباء، وأمّا الذكي فيُعْقَر ذكاؤه بذلك الحشو المكثف وإرهاق الذهن.

وكثيرا ما يحبط الطالب الذكيّ وتَنْقبضُ نفسه حين يرى أنه لم يخرج ممّا طمح إليه إلا بشيء يسير، لا يناسب همته وأمله فيترك ذلك العلم، أو يترك العلم كلّه، ولا ينتفع بذلك التلقين أو المحاضرة إلا قليل، بانتفاع قليل، ولو قدر أن المنفعة أكبر من ذلك، فإن فيها من المساوي ما يقضي على ذلك كلّه، ويشوه تلك المحاسن ، ومنها:

أنّ العلوم كالغذاء للعقول، وتغذيتها بهذه الطريقة إجهاد وإرهاق للأذهان ، وضرر ذلك أكبر من نفعه ، كإجهاد البدن بالرياضة مدّة طويلة بلا راحة.

ومنها: أنّ في الطلبة الضعيف والقويّ، والضعفاء هم الأكثر، وأصحاب تلك الدّورات يفتحون بابها لمن هبَّ ودبَّ، بلا توجيه ولا تدريب، فيتحمل أولئك الضعفاء ما يدرسونه كما يتحمل الجسم الضّعيف الدّواء القويّ، فيتحول الدواء إلى داء.

ومنها: أنّ ذلك المنهج مخالف للنهج الصحيح في العلم وسياسته، فإن سياسة التعليم وصحة التربية أن يُعلّم الطالب صغار العلم قبل كباره.

ومنها: أن هذه الطريقة تُعلّم الطالب العجلة وتضعف عنده الصبر والبصيرة والأناة في طلب العلم ، وطول النظر والفهم. ولا يزال المرء في عجبٍ، كيف صحّ لهؤلاء أن يضعوا دورة في يوم واحدٍ في متن كاملٍ في البلاغة، التي تحتاج إلى وقوف وتأمل ومباحثات وتذوق ونظر ؟

ومنها : أن في ذلك استهانة بالعلوم، وبطرق أهل العلم في تعلمها وتعليمها.

وهذه الأسباب وغيرها قد تقع لبعض الطالبين دون بعض .. ولو كانت تلك الدّورات في تصحيح المتن وضبطه لهان الخطب، ولكان في ذلك بعض نفع .. أسأل الله لي وللقائمين على تلك الدّورات الهداية والتوفيق إلى ما هو خير للعلم وأهله، وأشدّ تثبيتا.

د. عبد العزيز الحربي

رئيس المجمع



٤٥ . السّائل (محمد بن عبد الله) :

السّلام عليكم .. هل من الممكن أن تعود الفصحى لحياة الناس اليومية من جديد خلال هذا القرن ؟ أم أن هذا ضرب من ضروب الأماني بعد أن صارت العامية جزءاً لا يتجزأ من ثقافتنا يستحيل خلعه ؟

الجواب :

الرأي عندي أنّ عودَةَ الفُصحى إلى الحياة والاستعمال والتّداوُل، اليومَ، مطلبٌ صعبُ المَنال، ودون إدراكه خَرطُ القَتاد، لأنّ استرْدادَ الحالَةِ اللُّغَوِيَّةِ الْفُصْحى إِلى الْحَياةِ الْعَصْرِيَّةِ؛ يحتاجُ إلى تضحياتٍ جَسيمةٍ.

أمّا اليَوْمَ فَإنّ حَياتَنا الْيَوْمِيَّةَ ذاتُ أَلْوانٍ مُخْتَلِفَةٍ، ولَمْ تُسْتَنْبَتْ هذِهِ الْحَضارَةُ التي تَغَلَّبَتْ عَلَيْنا قِيَمُها، في بيئَتِها الأصليّةِ فَتَخْرُجَ بِطابَعِها الْعَرَبِيِّ، ولكِنَّها انْحَدَرَتْ بِزَيٍّ غَريبٍ وأسْماءٍ غَريبَةٍ ذاتِ عُجْمَةٍ في طابَعِها، فَاتَّصَلْنا بِهذِهِ الْحَضارَةِ الأَجْنَبِيَّةِ، ولُغَتُنا مُخْتَلِفَةٌ عَمّا كانَتْ عَلَيْهِ، مُثْقَلَةٌ بِشَوائِبَ مِنَ اللُّغاتِ وَ اللَّهَجاتِ.

وإنّ إصلاحَ الحالِ لا يتمّ إلاّ بتعاونِ الأطرافِ المَعنيّةِ بالشأن اللغويّ في الأمّة، كلّهم، في التّعليمِ والإعلامِ والثّقافَة والمَرافق السياسيّةِ والجمعيّاتِ والمنظّماتِ؛ وهذا مقصدٌ عالٍ وثقيلٌ، وتحقيقُه يخضعُ لتخطيط مجزّءٍ على أبعادٍ.

ولا يُتصوّرُ تصحيحُ الشأن اللغويّ في العالَم العربيّ إلاّ بوضعِ سياسةٍ لغويّةٍ شاملةٍ تُعالجُ وتُدبّرُ أمورَ اللغاتِ الأجنبيّة في البلد الواحد، وأمور

اللهجاتِ العاميّة، وغير ذلِك ممّا يبدو في أول النّظَرِ عوائقَ وعراقيـلَ في طريقِ التصحيحِ.

أ.د. عبد الرحمن بودرع
أستاذ اللغة واللسانيات
لسانيات النص وتحليل الخطاب
جامعة عبد المالك السعدي كلية الآداب
تطوان - المغرب هـ : 94 60 39 62 06

٤٦ . السّائل (طلال) :

أفاد بعض النابهين عن تصحيح (الاثني عشرية) إلى (الاثنا عشرية) في سياق الخفض أو النصب خلافًا للشّايع حتى في بعض عناوين الكتب، فهل هذا التصحيح صحيح ؟ نريد فصل الخطاب في بسط الجواب، وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين.

الجواب :

(الاثنا عشرية) اصطلاح محدث للفرقة الهالكة المعروفة، والقانون الإعرابي في هذا اللفظ وأمثاله يجري على ما هو عليه، ويتأثر بالإعراب على حسب اختلاف العوامل، وكتب أهل العلم طافحة بذكره بالألف والياء، وحكمه حكم سائر الأسماء المعربة كأبي بكر ، وأبي هريرة، واثنى عشر شهرا، وإنما تكون الحكاية أو تلزم في الأحوال الآتية:

١- أن ينقل اللّفظ عن الواضع على وجه واحد، ويكون علما على مسمّاه، ولم يذكر نطقه على وجه آخر، ومن ذلك: (البحرين، ويوم الاثنين، وأبو ظبي)، فهذه تلزم حالة واحدة، وتصير منقولة من الإعراب إلى البناء، فلا يقال: البحران (للبلد المعروف)، ولا يقال: الاثنان يوم مبارك، كما لا نقول: ذهبنا إلى أبي ظبي، ودخلنا أبا ظبي. فمثل هذه الصور يجب فيها الإبقاء على ما هي عليه.

٢- أن تحكي اللّفظ كما سمعته، وتردّده كما نُطِق به كرجْع الصَّدى، فتقول لمن قال لك: لقيت المؤمنين: مَنِ (المؤمنين)؟ تحكيه كما سمعته، ويذكر عن بعض الأعراب: أنه قيل له:

فلان .. أليس قرشيًّا؟ فقال: ليس بقرشيًّا، نطق بها كما سمعها، وهذا يجوز لك فيه الوجهان، الإعراب والحكاية.

٣- أن ننطق اللّفظ الوارد في نصّ من النصوص، كسورة (المنافقون، والمؤمنون)، فتقول: قرأت سورة المؤمنون، وتلك سورة المنافقون، ولك أن تقول: سورة المؤمنين والمنافقين، إذا أردت الإعراب، ولم ترد الحكاية، ولا ضير في ذلك، فقد سمّى النّبيّ ﷺ سورة البقرة، وهي لم ترد في القرآن مفردة إلا بلفظ ﴿بقرة﴾، ولكن لما أراد التسمية جعل فيها لام العهد.

وكذلك إذا قلت: قرأت ﴿بَرَآءَةٌ﴾، فإنه يجوز لك الوجهان، لكنك إذا قلت: قرأتُ ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ...﴾، فإنه لا يجوز لك إلا الحكاية وقراءة النص كما ورد.

هذا ما تبين لي القول فيه .. ولعلك لا تجد هذا التقسيم مبسوطًا في مظانّه، ولكنه تفصيل يقتضيه النظر، وأمّا همزة (اثنا) فالصحيح أنها ألفُ وصلٍ، وصلني الله وإياكم بعفوه وبرحمته.

د. عبد العزيز الحربي

رئيس المجمع

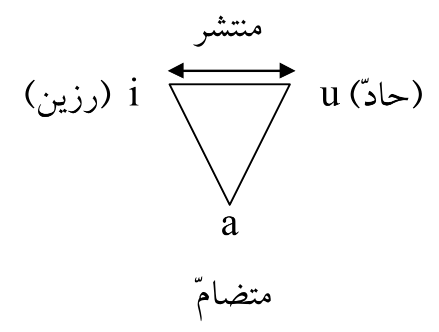


تنبيه

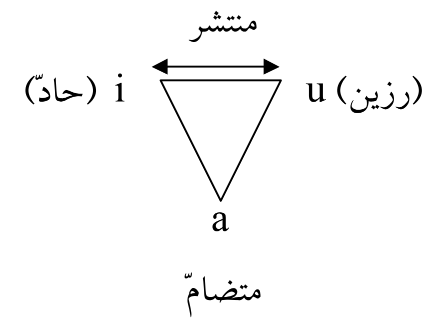
(بشأن الخطأ الذي وقع في بحث أ.د. فوزي الشايب: **العربية .. تاريخ عريق ومآثر سامية**، المنشور في العدد الثاني: ص ١٧٠).

تنبّه المجلّة، وتعتذر إلى الباحث عن الخطإ الذي طرأ بسبب التّرتيب الفنّي التّنسيقي، وترفق الصّواب، مراعاةً لحقّ الباحث الدكتور الشّايب، وحقّ العلم وأهله.

الخطأ



الصواب





Mağallatu Mağma’ El-lughat El-‘Arabiyyati ‘ala Sh-Shabakat El-‘Alamiyyah

(Journal of Online Academy for Arabic Language)

The (Mağallat) is a quarterly journal published by the Online Academy for Arabic Language, administered in Makkah-Saudi Arabia. It is intended for publications of articles in the fields of the Arabic language, linguistics, grammar, lexicography, terminology and related cultural studies. All articles will be refereed. Papers should be written in Arabic.

ISSN: 1658-6530

Legal deposito: 7222/2013

Address: P. O. Box 6559 - Makkah 21955 - Saudi Arabia.

Phone: 00966125402999

Website: www.m-a-arabia.com